بسم الله الرحمن الرحيم





في شرح نهج البلاغة

العلامة المحقق الحاج الشيخ محمد تقي التستري قدس سره

المجلد السادس



دار امير كبير للنشر
تهران: ۱۳۷۶



بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة (المجلد السادس)
المصنف : الشيخ محمدتقي التستري (قدس سره)
اعداد و ترتيب : مؤسسة نهج البلاغة
الناشر : دار اميركبير للنشر
الطبعة الاولى : (١٣٧٦ هـ ش) (١٤١٨ هـ ق) (١٩٩٧ م)
المطبعة : سبهر
عدد النسخ المطبوعة : ٢٠٠٠ نسخة

شابك ١ ـ ٠٢٦٣ ـ ٠٠ ـ ٩٦٤ ISBN 964-00-0263-1

الجمهورية الاسلامية في ايران ـ طهران ـ ص. ب ٤١٩١ـ١١٣٦٥

١٨
من الخطبة (١٣٦)

كَأَنِّي بِهِ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ وَفَحَصَ بِرَايَاتِهِ فِي ضَوَاحِي كُوفَانَ، فَعَطَفَ عَلَيْهَا عَطْفَ ٱلضَّرُوسِ، وَفَرَشَ ٱلْأَرْضَ بِالرُّؤُوسِ. قَدْ فَغَرَتْ فَاغِرَتُهُ، وَثَقُلَتْ فِي ٱلْأَرْضِ وَطْأَتُهُ. بَعِيدُ ٱلْجَوْلَةِ، عَظِيمُ ٱلصَّوْلَةِ. وَٱللهِ لَيُشَرِّدَنَّكُمْ فِي أَطْرَافِ ٱلْأَرْضِ حَتّى لَا يَبْقَى مِنْكُمْ إلاَّ قَلِيلٌ كَالْكُحْلِ فِي ٱلْعَيْنِ، فَلاَ تَزَالُونَ كَذلِكَ حَتّى تَؤُوبَ إِلَى ٱلْعَرَبِ عَوَازِبُ أَحْلاَمِهَا. فَالْزَمُوا ٱلسُّنَنَ ٱلْقَائِمَةَ وَٱلْآثَارَ ٱلْبَيِّنَةَ وَٱلْعَهْدَ ٱلْقَرِيبَ ٱلَّذِي عَلَيْهِ بَاقِي ٱلنُّبُوَّةِ. وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱلشَّيْطَانَ إِنَّمَا يُسَنِّي لَكُمْ طُرُقَهُ لِتَتَّبِعُوا عَقِبَهُ.

أقول: قوله: «**كأنّي به قد نعق بالشام، وفحص براياته في ضواحي كوفان**» كقوله عليه السلام في سابقه: «لكأنّي أنظر إلى ضلّيل قد نعق بالشام، وفحص براياته في ضواحي كوفان» في إرادة عبدالملك به كما عرفت بل الأصل فيهما واحد.

«**فعطف عليها عطف الضروس**» أي: ناقة سيّئة الخلق تعضّ حالبها. قال الجوهري: ومنه قولهم هي بجنّ ضراسها أي: بحدثان نتاجها، وإذا كانت

كذلك حامت عن ولدها. قال بشر:

عطفنا لهم عطف الضروس من الملا بشهباء لا يمشي الضراء رقيبها[١]

«وفرش الأرض بالرؤوس» في حربه مع مصعب، وفي حروب عامله الحجّاج مع ابن الأشعث وغيره، وفي من قتله الحجّاج صبراً. فقالوا: قتل في مجلسه مئة ألف غير من قتله في الحروب، وفعله فعل عبدالملك، ولمّا انهزم ابن الأشعث بمسكن جعل الحجّاج يقتل من وجد من جنده حتّى قتل أربعة آلاف. فيقال انّ في من قتل عبدالله بن شداد، وبسطام بن مصقلة، وعمرو بن ضبيعة، وبشر بن المنذر بن الجارود، والحكم بن مخرمة، وبكير بن ربيعة. فأُتي الحجّاج، برؤوسهم على ترس فأمر أن يوضع الترس بين يدي مسمع بن مالك. فبكى فقال: أحزنت عليهم؟ قال: بل جزعت عليهم من النار.

ولمّا كتب مالك بن أسماء بن خارجة -وكان الحجّاج حبسه وأمر بسقيه الماء المخلوط بالرماد والملح- إلى أبيه يستشفع فيه إلى الحجّاج قال أبوه:

أبَنِي فزارة لا تعنّوا شيخكم ما لي ولزيارة الحجّاج
شبّهته شبلا غداة لقيته يلقى الرؤوس شواخب الأوداج
تجري الدماء على النطاع كأنّها راح شمول غير ذات مزاج

وقتل الحجّاج يوم الزاوية من أيامه مع ابن الأشعث أحد عشر ألفاً خدعهم بالأمان أمر منادياً فنادى عند الهزيمة ألا لا أمان لفلان ولا فلان -فسمّى رجالاً من أُولئك الأشراف، ولم يقل الناس آمنون- فقالت العامة: قد آمن الناس كلّهم إلّا هؤلاء النفر، فأقبلوا إلى حجرته. فلمّا اجتمعوا أمرهم بوضع أسلحتهم ثمّ أمر بقتلهم وقالوا: بلغ ما قتل الحجّاج صبراً

---

(١) صحاح اللغة ٢: ٩٣٩، مادة (ضرس).

مئة وعشرين ـ أو ثلاثين ـ ألفاً.

«**وقد فغرت فاغرته، وثقلت في الأرض وطأته، بعيد الجولة عظيم الصولة**» هو كقوله عليه السلام في سابقه: «فإذا فغرت فاغرته، واشتدت شكيمته، وثقلت في الأرض وطأته» بل الأصل فيهما واحد كما عرفت، وان لم ينبّه عليه الرضي ـ رضوان الله عليه ـ كما هو دأبه.

«**والله ليشرّدنكم**» أي: يفرّقنكم.

«**في أطراف الأرض حتّى لا يبقى منكم إلّا قليل كالكحل في العين**» في (تاريخ الطبري): قدم عثمان بن حيان المرّي في سنة (٩٤) المدينة فأخذ رياح بن عبيدالله ومنقذ العراقي وفلاناً. فبعث بهم في جوامع إلى الحجّاج، ولم يترك بالمدينة أحداً من أهل العراق تاجراً، ولا غير تاجر وأمر بهم أن يخرجوا من كلّ بلد، وقال على المنبر: وجدناكم أهل غش وقد ضوى إليكم من يزيدكم خبالاً. أهل العراق أهل الشقاق والنفاق، والله لا أُوتى بأحد منكم آوى أحداً منهم أو أكراه منزلاً إلّا هدمت منزله، وأنزلت به ما هو أهله[1].

«**حتّى تؤوب**» أي: ترجع.

«**إلى العرب عوازب أحلامها**» من إضافة الصفة أي: ما غاب من عقولها. فيتفكرون أنّ بني أُميّة الّذين أُولو الجور، والفجور لا يرضى بسلطنتهم ذو شعور فيجتهدون في اضمحلالهم، وكان بدء ذلك في سنة (١٠١) أوّل خلافة يزيد بن عبدالملك.

وفي (أخبار الدينوري): أوّل من قدم سنة (١٠١) على محمّد بن عليّ بن عبدالله بن العباس بالحميمة من أرض الشام: ميسرة العبدي، وأبو عكرمة السرّاج، ومحمّد بن خنيس، وحيان العطار. فقالوا له: أُبسط يدك نبايعك، على

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٢٥٨، سنة ٩٤، والنقل بتلخيص.

طلب هذا السلطان لعل الله أن يحيي بك العدل، ويميت بك الجور. فإنّ هذا وقت ذلك، وأوانه الّذي وجدناه مأثوراً. فقال لهم محمّد: هذا أوّل ما نؤمّل ونرجو من ذلك لانقضاء مئة سنة من التاريخ. فانه لم تنقض مئة سنة على أُمّة قط إلّا أظهر الله حقّ المحقين، وأبطل باطل المبطلين لقوله تعالى: ﴿أو كالّذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنّى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مئة عام ثمّ بعثه﴾[1] فانطلقوا وادعوا الناس في رفق وستر. ثمّ وجّه ميسرة وابن خنيس إلى العراق، ووجّه أبا عكرمة وحيّاناً إلى خراسان. فجعلا يسيران من كورة إلى أُخرى يدعوان إلى بيعة محمّد بن عليّ، ويزهّدانهم في سلطان بني أُميّة بخبث سيرتهم، وعظيم جورهم. ثم قدما عليه وأخبراه أنّهما غرسا بخراسان غرساً يرجوان أن يثمر في أوانه ـ إلى أن قال ـ.

وفي خلافة هشام بعث محمّد بن عليّ سليمان بن كثير، ومالك بن الهيثم وموسى بن كعب، وخالد بن هيثم، وطلحة بن زريق. فكانوا يأتون كورة بعد كورة فيدعون الناس إلى أهل بيت نبيّهم، ويبغّضون إليهم بني أُميّة لما يظهر من جورهم واعتدائهم حتّى استجاب لهم بشر كثير في جميع كور خراسان...[2].

هذا وقال ابن أبي الحديد: المراد بالعرب هاهنا بنو العباس، ومن اتّبعهم من العرب أيام ظهور الدولة كقحطبة الطائي، وابنيه، وبني زريق وعدادهم في خزاعة، وغيرهم من العرب من شيعة بني العباس، وقيل: إنّ أبا مسلم أيضاً عربي[3].

---

(١) البقرة: ٢٥٩.

(٢) الأخبار الطوال: ٣٣٤، والنقل بتلخيص.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣٨٩.

قلت: بل المراد بالعرب في كلامه ﷺ عرب اليمن وربيعة فإنّهم كانوا على بني أُميّة، وإنّما كانت مضر مع بني أُميّة.

وفي (العقد): قال أبو هاشم بن محمّد بن الحنفية لمحمّد بن عليّ بن عبدالله بن العباس لمّا حضره الموت: انظر هذا الحي من ربيعة. فألحقهم بهم (يعني اليمانية) فإنّهم معهم في كلّ أمر، وانظر هذا الحيّ من قيس، وتميم (وهما من مضر) فأقصهم إلّا من عصم الله منهم وذلك قليل...[1].

هذا وعكس نصر بن سيار لكونه من عمّال بني أُميّة كلامه ﷺ فجعل قيام العرب على خلاف بني أُميّة ذهاب العقل. فقال مخاطباً لهم:

أبلغ ربيعة في مروٍ وإخوتهم
فليغضبوا قبل ألّا ينفع الغضب

ولينصبوا الحرب إنّ القوم قد نصبوا
حرباً يحرّق في حافاتها الحطب

ما بالكم تلقحون الحرب بينكم
كأنّ أهل الحجا عن رأيكم غرب

هذا، وفي (الأغاني): اعترض الرشيد قينة فغنّت في قول الشاعر:

ما نقموا من بني أُميّة إلّا أنّهم يحملون إن غضبوا
وإنّهم سادة الملوك فما تصلح إلّا عليهم العرب

فلمّا إبتدأت به تغيّر وجه الرشيد، وعلمت أنّها قد غلطت، وأنّها إن مرّت فيه قتلت فغنّت.

ما نقموا من بني أُميّة إلّا أنّهم يجهلون ان غضبوا
وأنّهم معدن النفاق فما تفسد إلّا عليهم العرب

---

(١) العقد الفريد ٥: ٢٠٥.

فقال الرشيد ليحيى بن خالد: أسمعت؟ قال: تبتاع وتثنى لها الجايزة وتعجل لها الإذن ليسكن قلبها قال: ذلك جزاؤها. فقال لها: قومي فأنت منّي بحيث تحبّين فأُغمي على الجارية ـ هذا. وقال البحتري:

فهل لابني عدي من رشيد يردّ شريد حلمهما الغريب

ومعنى اعترض الرشيد جارية، في الأوّل جعلها في معرض الابتياع.

١٩
من الخطبة (١٤٢)

آثَرُوا عَاجِلاً وَأَخَّرُوا آجِلاً، وَتَرَكُوا صَافِياً وَشَرِبُوا آجِناً. كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى فَاسِقِهِمْ وَقَدْ صَحِبَ ٱلْمُنكَرَ فَأَلِفَهُ، وَبَسِئَ بِهِ وَوَافَقَهُ حَتّى شَابَتْ عَلَيْهِ مَفَارِقُهُ، وَصُبِغَتْ بِهِ خَلاَئِقُهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ مُزْبِداً كَالتَّيَّارِ لاَ يُبَالِي مَا غَرَّقَ. أَوْ كَوَقْعِ ٱلنَّارِ فِي ٱلْهَشِيمِ لاَ يَحْفِلُ مَا حَرَّقَ. أَيْنَ ٱلْعُقُولُ ٱلْمُسْتَصْبِحَةُ بِمَصَابِيحِ ٱلْهُدَى؟ وَٱلأَبْصَارُ ٱللاَّمِحَةُ إِلَى مَنَارِ ٱلتَّقْوَى؟ أَيْنَ ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي وُهِبَتْ لِلّهِ؟ وَعُوقِدَتْ عَلَى طَاعَةِ ٱللهِ؟ إِزْدَحَمُوا عَلَى ٱلْحُطَامِ، وَتَشَاحُّوا عَلَى ٱلْحَرَامِ، وَرُفِعَ لَهُمْ عَلَمُ ٱلْجَنَّةِ وَٱلنَّارِ فَصَرَفُوا عَنِ ٱلْجَنَّةِ وُجُوهَهُمْ، وَأَقْبَلُوا إِلَى ٱلنَّارِ بِأَعْمَالِهِمْ. دَعَاهُمْ رَبُّهُمْ فَنَفَرُوا وَوَلَّوا، وَدَعَاهُمُ ٱلشَّيْطَانُ فَاسْتَجَابُوا وَأَقْبَلُوا.

أقول: «آثروا عاجلاً وأخّروا آجلاً» قال تعالى: ﴿كلاّ بل تحبّون العاجلة وتذرون الآخرة﴾[1]. ومراده عليه السلام بيان سبب اتباع الناس للمتقدمين عليه.

وفي (تاريخ الطبري) ـ في عنوان بيعة عثمان ـ: قال عليّ عليه السلام: «إنّ الناس ينظرون إلى قريش، وقريش تنظر إلى بيتها. فتقول: إن ولي عليكم بنوهاشم لم تخرج منهم أبداً، وما كانت في غيرهم

(١) القيامة: ٢٠ ـ ٢١.

من قريش تداولتموها بينكم»[١].

وقال عليه السلام لابن عوف لمّا بايع عثمان: «حبوته حبو دهر. ليس هذا أوّل يوم تظاهرتم فيه علينا. فصبر جميل، والله المستعان على ما تصفون، والله ما ولّيت عثمان إلّا ليردّ الأمر إليك والله كلّ يوم هو في شأن»[٢].

«وتركوا صافياً، وشربوا آجناً» أي: غير الصافي، وفي (تاريخ الطبري): لمّا بايع ابن عوف عثمان قال له المقداد: يا عبدالرحمن! أما والله لقد تركته من الذين يقضون بالحق وبه يعدلون ـإلى أن قال ـ.

ما رأيت مثل ما أُتي إلى أهل هذا البيت بعد نبيّهم. إنّي لأعجب من قريش. إنّهم تركوا رجلاً ما إقول أنّ أحدا أعلم، ولا أقضى منه بالعدل أما والله لو أجد عليه أعوانا[٣].

وفي (مقاتل أبي الفرج): إنّ معاوية أمر الحسن عليه السلام لمّا سلّم الأمر إليه أن يخطب، وظنّ أنه سيحصر. فقال الحسن عليه السلام في خطبته: «إنّما الخليفة من سار بكتاب الله تعالى وسنة نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم وليس الخليفة من سار بالجور. ذلك ملك ملك ملكاً يتمتّع فيه قليلاً ثم تنقطع لذته، وتبقى تبعته، ﴿وإن أدري لعلّه فتنة لكم ومتاع إلى حين﴾[٤].

«كأنّي أنظر إلى فاسقهم» لا يبعد أن يكون إشارة إلى عبدالملك كقوله في سابقيه: «لكأنّي أنظر إلى ضلّيل قد نقع بالشام» و«كانّي به قد نعق بالشام» وتأخّره عن قريش كانوا بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وعادوه عليه السلام لا ينافيه. فالكلّ واحد، وبواسطتهم وصل كباقي بني أُميّة إلى ما وصل.

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٢٩٨، سنة ٢٣.

(٢) رواه الطبري في تاريخه ٣: ٢٩٧، سنة ٢٣، والجوهري في السقيفة: ٨٥، وغيرهما.

(٣) تاريخ الطبري ٣: ٢٩٧، سنة ٢٣.

(٤) مقاتل الطالبيين: ٤٧، والآية ١١١ من سورة الأنبياء.

وقال النظام عند قول عبدالملك «ما أنا بالخليفة المستضعف يعني عثمان ولا فلا ولا فلان»: «لو لا هم لما وصلت إلى ما وصلت»[١].

«وقد صحب المنكر فألفه» في (تاريخ اليعقوبي): منع عبدالملك أهل الشام من الحج، وذلك أنّ ابن الزبير كان يأخذهم إذا حجّوا بالبيعة فمنعهم عبدالملك من الخروج. فضجّ الناس، وقالوا: منعنا من حجّ بيتالله، وهو فرض من الله علينا. فقال لهم: هذا ابن شهاب الزهري يحدّثكم أنّ النبيّ ﷺ قال: لا تشدّ الرحال إلّا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي، ومسجد بيت المقدس، وهو يقوم لكم مقام المسجد الحرام، وهذه الصخرة الّتي يروي أنّ النبيّ وضع قدمه عليها لما أُصعد إلى السماء تقوم لكم مقام الكعبة. فبنى على الصخرة قبة، وعلّق عليها ستور الديباج، وأقام لها سدنة، وأخذ الناس بأن يطوفوا حولها كالكعبة[٢].

«وبسئ به» في (الصحاح): بسأت به بالفتح والكسر إذا استأنست به[٣].

«ووافقه حتّى شابت عليه مفارقه» في (الصحاح): «المفرق وسط الرأس كأنّهم جعلوا كلّ موضع منه مفرقاً، وهو الّذي يفرق فيه الشعر[٤]. فقالوا مفارق وشيب المفارق على المنكر كناية عن طول صحابته عليه كقولهم: من دبّ الى شبّ».

«وصبغت به خلائقه» أي: طبائعه وهو أيضاً كناية عن صيرورته كالطبيعة الثانية له كالثوب الّذي يصبغ. فيصير صبغه كلون طبيعي له، وفي (نسب قريش مصعب الزبيري) غضب عبدالملك غضبة. فكتب إلى هشام بن

---

(١) رواه الجاحظ في البيان والتبيين ٢: ٢٧٣، والنقل بالمعنى.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٦١، والنقل بتصرف يسير.

(٣) صحاح اللغة ١: ٣٦، مادة (بسأ).

(٤) صحاح اللغة ٤: ١٥٤١، مادة (فرق).

إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة ـ عامله على المدينة ـ أن أقم آل عليّ يشتمون علياً فقيل له: إنّه أمر غير ممكن[١].

«**ثمّ اقبل مزبدا**» أي: كبحر يقذف بالزبد.

«**كالتيّار**» أي: الموج.

«**لا يبالي ما غرّق أو كوقع النار في الهشيم**» أي: النبات اليابس المتكسّر، والشجرة اليابسة يأخذها الحاطب كيف يشاء.

«**لا يحفل**» أي: لا يبالي.

«**ما حرّق**» في (العقد): أنّ عبدالملك لمّا قتل الأشدق غدراً به وأراد أن يخرج إلى الكوفة لقتال مصعب جعل يستفزّ أهل الشام. فيبطئون عليه. فقال له الحجّاج: سلّطني عليهم. ففعل، فكان لا يمرّ على بيت تخلّف إلّا حرّقه. فلمّا رأى ذلك أهل الشام أسرعوا إليه فخرج إلى مصعب فقتله[٢].

«**أين العقول المستصبحة بمصابيح**» أي: سُرُج.

«**الهدى**» حتّى تتبع أهل بيت نبيّه الّذين أذهب الله عنهم الرجس، وطهّرهم تطهيراً، وتمتنع من أُولئك الأجلاف الفجرة.

هذا وفي (بيان الجاحظ): قام أعرابي ليسأل فقال: «أين الوجوه الصباح، والعقول الصحاح والألسن الفصاح، والأنساب الصراح، والمكارم الرباح، والصدور الفساح تعيذني من مقامي هذا»[٣].

«**والأبصار اللامحة الى منار التقوى**» في (الصحاح): لأرينك لمحاً باصراً، أي: أمراً واضحاً[٤].

---

(١) نسب قريش: ٤٧.

(٢) العقد الفريد ٥: ١٤٨، والنقل بالمعنى.

(٣) البيان والتبيين ٣: ٤٠٧.

(٤) صحاح اللغة ١: ٤٠٢، مادة (لمح).

«**أين القلوب الّتي وهبت لله، وعوقدت على طاعته**» وفي (صفّين نصر): أنّ عمّار بن ياسر نادى يوم صفّين: «أين من يبغي رضوان ربّه، ولا يؤوب إلى مال ولا ولد» فأتته عصابة من الناس فقال: «أيّها الناس! أُقصدوا بنا نحو هؤلاء القوم الّذين يبغون دم عثمان، ويزعمون أنه قتل مظلوماً، والله إن كان إلّا ظالماً لنفسه، الحاكم بغير ما أنزل الله، وقال: أللّهم إنّك تعلم أنّي لو أعلم أنّ رضاك أن أضع ظبة سيفي في بطني ثمّ أنحني عليها حتّى يخرج من ظهري لفعلت. اللّهم إنك تعلم أنّي لو أعلم أن رضاك في أن أقذف بنفسي في هذا البحر لفعلت. اللّهم وإنّي أعلم ممّا أعلمتني أنّي لا أعمل اليوم عملاً هو أرضى لك من جهاد هؤلاء الفاسقين»[1].

«**إزدحموا على الحطام**» اليابس المتكسّر.

«**وتشاحّوا**» ألشُّحُّ: البخل مع حرص.

«**على الحرام**» في (صفين نصر): قام عمّار بصفّين. فقال: أُمضوا عبادالله إلى قوم يطلبون في ما يزعمون بدم الظالم لنفسه، الحاكم على عبادالله بغير ما في كتاب الله، إنّما قتله الصالحون المنكرون للعدوان، الآمرون بالاحسان. فقال: هؤلاء الّذين لا يبالون إذا سلمت لهم دنياهم لو درس هذا الدين: لِمَ قتلتموه؟ فقلنا: لإحداثه. فقالوا: إنّه ما أحدث شيئاً، وذلك لأنّه مكنّهم من الدنيا فهم يأكلونها ويرعونها، ولا يبالون لو انهدّت عليهم الجبال، والله ما أظنّهم يطلبون دمه، إنّهم ليعلمون أنّه لظالم، ولكن القوم ذاقوا الدنيا فاستحبّوها واستمرؤوها وعلموا لو أنّ الحق لزمهم لحال بينهم وبين ما يرعون فيه منها، ولم يكن للقوم سابقة في الإسلام يستحقّون بها الطاعة والولاية. فخدعوا أتباعهم بأن قالوا: قُتل إمامنا مظلوماً؛ ليكونوا بذلك جبابرة وملوكاً، وتلك

---

(١) وقعة صفين: ٣٢٠ و٣٢٦، النقل بتقديم وتأخير.

مكيدة قد بلغوا بها ما ترون ـ إلى أن قال ـ.

وقال لعمرو بن العاص بعت دينك بمصر! تبّاً لك وطالما بغيت الإسلام عوجاً ـ إلى أن قال ـ.

وقال لعبيد الله بن عمر «صرعك الله! بعت دينك بالدنيا من عدوّ الله وعدوّ الإسلام؟! قال: كلّا. ولكن أطلب بدم عثمان الشهيد المظلوم، قال: **كلاّ أشهد** على علمي فيك أنّك أصبحت لا تطلب بشيء من فعلك وجه الله، و**أنك إن لم تقتل** اليوم فستموت غدا. فانظر إذا أعطى الله على نياتهم ما نيتك[1]؟

«**ورفع لهم علم الجنّة والنار فصرفوا عن الجنّة وجوههم، وأقبلوا إلى النار بأعمالهم**» لكون النار محفوفة بالشهوات كالجنّة بالمكاره. وفي (كامل الجزري): قال ابن سيرين: قال عليّ عليه السلام لعمر بن سعد: كيف أنت إذا قمت مقاماً تخيّر فيه بين الجنّة والنار فتختار النار؟[2] فخيّره عبيدالله بين ردّه عهد الري أو خروجه لقتال الحسين عليه السلام وقتله فاختار الثاني وقال:

أأترك ملك الريِّ والريُّ رغبتي ... أم أرجع مذموماً بقتل حسين

وفي قتله النار الّتي ليس دونها ... حجاب وملك الري قرّة عيني

«**دعاهم ربّهم فنفروا وولّوا**» ﴿ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولّوا مدبرين﴾[3] ﴿كأنّهم حمر مستنفرة فرّت من قسورة﴾[4].

«**ودعاهم الشيطان فاستجابوا وأقبلوا**» ﴿وقال الشيطان لما قضي الأمر إنّ الله وعدكم وعد الحقّ ووعدتكم فاخلفتكم، وما كان لي عليكم من سلطان إلّا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما

---

(١) وقعة صفين: ٣١٩.

(٢) الكامل ٤: ٢٤٢، سنة ٦٦.

(٣) النمل: ٨٠.

(٤) المدثر: ٥٠ ـ ٥١.

أنتم بمصرخيّ إنّي كفرت بما أشركتمون من قبل﴾[١].

٢٠
من الخطبة (١١٤)

أَمَا وَٱللهِ لَيُسَلَّطَنَّ عَلَيْكُمْ غُلاَمُ ثَقِيفٍ ٱلذَّيَّالُ ٱلْمَيَّالُ يَأْكُلُ خَضِرَتَكُمْ وَيُذِيبُ شَحْمَتَكُمْ إِيهٍ أَبَا وَذَحَةَ.

أَقُولُ: ٱلْوَذَحَةُ: ٱلْخُنْفَسَاءُ. وَهذَا ٱلْقَوْلُ يُومِئُ بِهِ إِلَى ٱلحَجَّاجِ، وَلَهُ مَعَ ٱلْوَذَحَةِ حَدِيثٌ لَيْسَ هذَا مَوْضِعَ ذِكْرِهِ.

أقول: روى (المسعودي في مروجه): عن المنقري عن عبدالعزيز بن الخطاب عن فضيل بن مرزوق قال: لمّا غلب بُسرُ بن أرطاة على اليمن، وكان من قتله لابني عبيدالله بن العباس ولأهل مكّة والمدينة واليمن ما كان؛ قام عليّ عليه السلام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على نبيه محمّد صلى الله عليه وآله ثم قال: إنّ بُسراً قد غلب على اليمن، والله ما أرى هؤلاء القوم إلّا سيغلبون على ما في أيديكم وما ذلك بحق في أيديهم، ولكن بطاعتهم، واستقامتهم لصاحبهم، ومعصيتكم لي، تناصرهم وتخاذلكم، وإصلاح بلادهم وإفساد بلادكم ـ إلى أن قال ـ.

اللّهمّ عجّل عليهم بالغلام الثقفي الذيّال الميّال يأكل خضرتها، ويلبس فروتها، ويحكم فيها بحكم الجاهليه لا يقبل من محسنها، ولا يتجاوز عن مسيئها ـ وما كان ولد الحجّاج يومئذٍ ـ[٢].

وروى (ابوالفرج في مقاتله)، عن إسماعيل بن موسى من بيت السدي، عن عليّ بن مسهر، عن الأحلج، عن موسى بن أبي النعمان قال: جاء الأشعث

---

(١) ابراهيم: ٢٢.

(٢) مروج الذهب ٣: ١٤٢.

إلى أمير المؤمنين عليه السلام يستأذن عليه فردّه قنبر. فأدمى الأشعث أنفه، فخرج عليّ عليه السلام وهو يقول: مالي ولك يا أشعث! أما والله لو بعبد ثقيف تمرست لاقشعرّت شعيراتك. قيل يا أمير المؤمنين ومن غلام ثقيف؟ قال: غلام يليهم لا يبقي أهل بيت من العرب إلّا أدخلهم ذلاً. قيل: يا أمير المؤمنين كم يلي، وكم يمكث؟ قال عشرين إن بلغها[1].

وروى عثمان بن سعيد ـ وقد نقله ابن أبي الحديد في موضع آخر ـ عن يحيى التيمي عن الأعمش، عن إسماعيل بن رجاء قال: قام أعشى باهلة ـ وهو يومئذٍ غلام حدث ـ إلى عليّ عليه السلام وهو يخطب ويذكر الملاحم. فقال: يا أمير المؤمنين! ما أشبه هذا الحديث بحديث خرافة. فقال عليّ عليه السلام: إن كنت آثماً في ما قلت يا غلام فرماك الله بغلام ثقيف ـ ثم سكت ـ فقام رجال فقالوا: ومن غلام ثقيف يا أمير المؤمنين؟ قال: غلام يملك بلدتكم هذه لا يترك لله حرمة إلّا انتهكها يضرب عنق هذا الغلام بسيفه. فقالوا: كم يملك يا أمير المؤمنين؟ قال: عشرين إن بلغها. قالوا: فيقتل قتلاً أم يموت موتاً؟ قال عليه السلام: «بل يموت حتف أنفه بداء البطن يثقب سريره لكثرة ما يخرج من جوفه».

قال إسماعيل بن رجاء: فو الله لقد رأيت بعيني أعشى باهلة، وقد أحضر في جملة الأسرى الذين أُسروا من جيش ابن الأشعث بين يدي الحجّاج فقرعه ووبخّه، واستنشده شعره الّذي يحرّض فيه ابن الأشعث على الحرب، ثمّ ضرب عنقه في ذاك المجلس[2].

وروى (الاحتجاج): أنّ عباد بن قيس ـ من بكر بن وائل ـ قام إلى عليّ عليه السلام بعد فتح البصرة، وقال له: جئنا نطلب غنائمنا فجاءنا بالترهات. فقال

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٢٠.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٠٩، شرح الخطبة ٣٧.

له أمير المؤمنين عليه السلام: إن كنت كاذباً فلا أُماتك الله حتّى يدركك غلام ثقيف. قالوا: ومن غلام ثقيف؟ قال: رجل لا يدع لله حرمة إلّا انتهكها: قالوا: أفيموت أو يقتل؟ فقال عليه السلام: يقتله قاصم الجبارين بموت فاحش يحترق منه دبره لكثرة ما يجري من بطنه[١].

ونقل (المختلف) في أحكام البغاة عن العماني قال: إنّ رجلاً من عبد القيس قام يوم الجمل. فقال: يا أمير المؤمنين ما عدلت حين تقسم بيننا أموالهم، ولا تقسم بيننا نساءَهم، ولا أبناءَهم. فقال له: إن كنت كاذباً فلا أماتك الله حتى تدرك غلام ثقيف، وذلك أنّ دار الهجرة حرّمت ما فيها، ودار الشرك أحلّت ما فيها. فأيُّكم يأخذ أمّه من سهمه. فقام رجل فقال: وما غلام ثقيف يا أمير المؤمنين؟ قال: عبد لا يدع لله، حرمة إلّا هتكها. قال: يقتل أو يموت؟ قال: بل يقصمه الله قاصم الجبارين[٢].

وفي (كامل الجزري): قال الحسن البصري: سمعت عليّاً عليه السلام على المنبر يقول: اللّهمّ ائتمنتهم فخانوني، ونصحتهم فغشّوني. اللّهمّ فسلّط عليهم غلام ثقيف يحكم في دمائهم وأموالهم بحكم الجاهلية. فوصفه وهو يقول: الزيال مفجّر الأنهار. يأكل خضرتها، ويلبس فروتها. قال الحسن: هذه والله صفة الحجّاج. قال حبيب بن أبي ثابت قال عليّ عليه السلام لرجل: لا تموت حتّى تدرك فتى ثقيف. قيل له: يا أمير المؤمنين ما فتى ثقيف؟ قال: ليقالنّ له يوم القيامة إكفنا زاوية من زوايا جهنّم. رجل يملك عشرين أو بعضاً وعشرين سنة لا يدع لله معصية إلّا ارتكبها حتّى لو لم تبق إلّا معصية واحدة بينه وبينه باب مغلق لكسره حتّى يرتكبها[٣].

---

(١) الاحتجاج ١: ١٦٨.

(٢) المختلف: ٣٣٧.

(٣) الكامل ٤: ٥٨٧، سنة ٩٥.

«**أما والله ليسلّطن عليكم غلام ثقيف**» مراده عليه السلام بغلام ثقيف الحجّاج، وأخبر عليه السلام في موضع آخر بغلام ثقيف آخر ابن عم الحجّاج باسمه ونسبه يوسف بن عمر.

ففي (إرشاد المفيد): قال عليه السلام أيّها الناس إنّي دعوتكم إلى الحقّ فتوليتم عني، وضربتكم بالدرّة فأعييتموني. أما إنّه سيليكم من بعدي ولاة لا يرضون منكم بهذا حتّى يعذّبوكم بالسياط والحديد إنّه من عذّب الناس في الدنيا عذّبه الله في الآخرة، وآية ذلك أن يأتيكم صاحب اليمن حتّى يحلّ بين أظهركم. فيأخذ العمال وعمّال العمال. رجل يقال له يوسف بن عمر[1]. قلت: وصار الأمر كما ذكر عليه السلام فغضب هشام على خالد القسري عمله على العراق. فكتب إلى يوسف باليمن بعهده على العراق فقدم وأخذ خالداً وعمّاله. فعذّبهم وصادرهم ومات خالد وعامله بلال بن أبي بردة في عذابه.

ونقله ابن أبي الحديد في موضع آخر بلفظ آخر. أخبر عليه السلام بالحجاج ويوسف معاً بوصفهما فقال: قال عليه السلام: «لقد دعوتكم إلى الحق فتولّيتم، وضربتكم بالدرّة. فما استقمتم وستليكم ولاة يعذّبونكم بالسياط والحديد، وسيأتيكم غلاما ثقيف أخفش وحصوب يقتلان ويظلمان، وقليل ما يمكّنان» ـ وقال: الأخفش ضعيف البصر خلقة. وكان الحجّاج كذلك، والحصوب القصير الدميم، وكان يوسف كذلك.

ثمّ كما أنّه عليه السلام أخبر بتسلّط غلام ثقيف ـ وهو الحجّاج ـ في مواضع كثيرة عموماً وخصوصاً خبراً ودعاءً، وبتسلّطه مع ابن عمّه كما عرفت في موضع كذلك دعا الحسين عليه السلام على قتلته من أهل الكوفه بتسلّط غلام ثقيف ـ أي المختار ـ عليهم لينتقم منهم. فروى (المناقب) مسنداً عن عبدالله بن

---

(١) الارشاد: ١٦٩.

الحسن أنّه عليه السلام قال لهم في جملة ما قال لهم: «ألا ثمّ لا تلبثون بعدها إلّا كريث ما يركب الفرس حتّى تدرو بكم الرحى، عهد عهده إليّ أبي عن جدّي ﴿فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم كيدوني جميعاً، ولا تنظرون * إنّي توكّلت على الله ربي وربّكم ما من دابة إلّا وهو آخذ بناصيتها إنّ ربّي على صراط مستقيم﴾ اللّهمّ احبس عنهم قطر السماء، وابعث عليهم سنين كسني يوسف وسلّط عليهم غلام ثقيف يسقيهم كأساً مصبّرة، ولا يدع فيهم أحداً إلّا قتلة بقتلة وضربة بضربة ينتقم لي ولأوليائي، وأهل بيتي وأشياعي منهم. فإنّهم غرّونا وكذبونا وخذلونا... ورواه (التحف) و(الاحتجاج) و(اللهوف)[١].

هذا، وفي (الأغاني): قال عبدالملك لابن الزبير الشاعر الأسدي: انشدني أبياتك فيّ وفي الحجّاج وابن الزبير ـ بعد قتل الحجّاج لابن الزبير وبعثه برأسه إليه ـ فانشده.

كأنّي بعبد الله يركب ردعه ... وفيه سنان زاعبيّ محرّب

وقد فرّ عنه الملحدون وحلّقت ... به وبمن آساه عنقاء مغرب

تولّوا فخلّوه فشال بشلوه ... طويل من الاجذاع عار مشذّب

بكفّي غلام من ثقيفٍ نمت به ... قريش وذو المجد التليد مُعتب

فقال له عبدالملك: لا تقل غلام، ولكن قل: همام.

وفي السير: قدمت لبلى الأخيلية على الحجّاج فأنشدته:

إذا ورد الحجّاج أرضاً مريضة ... تتبّع أقصى دائها فشفاها

شفاها من الداء العقام الذي فيها ... غلام إذا هزّ القناة ثناها

---

(١) رواه عن كتاب المناقب وهو غير مناقب السروي وأيضاً عن التحف والاحتجاج واللهوف المجلسي في بحار الأنوار ٤٥: ٩، لكن روى ابن شعبة في تحف العقول: ٢٤٢، وابن طاووس في اللهوف: ٤٣، بعضه وروى الطبرسي في الاحتجاج ٢: ٣٠٠، صدره فقط.

فقال لها: لا تقولي غلام، ولكن قولي همام.

وأما ثقيف فاختلف فيها هل هي من بقايا ثمود أو أياد أو هوازن. وفي (كامل المبرد): قال الحجّاج على المنبر: تزعمون أنّا من بقايا ثمود. والله تعالى يقول: «وثمود فما أبقى»[١].

وقال الحجّاج لأبي العسوس الطائي: أيّ أقدم أنزول ثقيف الطائف أم نزول طيئ الجبلين؟ فقال له: إن كانت ثقيف من بكر بن هوازن فنزول طيئ قبلها، وإن كانت ثقيف من ثمود فهي أقدم. فقال له الحجّاج: إتَّقِني فإنّي سريع الخطفة[٢].

وقال الشاعر:

فلو لا بنو مروان كان ابن يوسف كما كان عبداً من عبيد أياد

ثمّ تسلط الحجّاج على أهل العراق كما أخبر ﷺ كان في سنة (٧٥) وسبب توليته أنّ المهلب بن أبي صفرة لمّا كان يقاتل الخوارج بالعراق. وكان الناس بطاءً عنه، كتب إلى عبدالملك ـ كما في (المروج) ـ إمّا بعثت إليّ بالرجال وإمّا خلّيت بينهم وبين البصرة. فخرج إلى أصحابه. فقال: ويلكم من للعراق؟ فصمتوا وقام الحجّاج فقال: أنا، وقال الثانية والثالثة ويقول الحجّاج: أنا. فقال له في الثالثة: أنت زنبورها. فكتب له عهده فشخص. فلمّا بلغ القادسيّة أمر الجيش أن يقيلوا، ويروّحوا، ودعا بجمل عليه قتب. فجلس عليه بغير حشية ولا وطاء وأخذ الكتاب بيده، ولبس ثياب السفر، وتعمم بعمامة حتّى دخل الكوفة وحده. فجعل ينادي: الصلاة جامعة، وما منهم رجل جلس في مجلسه إلّا ومعه العشرون والثلاثون وأكثر من أهله ومواليه. فصعد المنبر متلثماً

(١) النجم: ٥١.

(٢) كامل المبرد ٤: ٢٠١.

متنكّباً قوسه. فجلس واضعاً إبهامه على فيه. فقال بعضهم لبعض: قوموا حتّى نحصبه. فقال بعض: حتّى نسمع ما يقول. فمن قائل يقول: حصر الرجل، ومن قائل يقول: أعرابي ما أبصر حجّته. فلمّا غصّ المجلس بأهله حسر اللثام عن وجهه ثمّ قام ونحيّ العمامة عن رأسه. فوالله ما حمد الله ولا أثنى عليه، ولا صلّى على نبيّه، وكان أوّل ما بدأهم به أن قال:

أنا ابن جلا وطلّاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

-إلى أن قال- واعلموا أنّه ليس منّي الإكثار والإهذار، ولا منكم الفرار والنفار. إنّما هو انتضاء السيف ثم لا أُغمده في شتاء ولا صيف حتّى يقيم الله للخليفة أودكم -إلى أن قال-.

يا غلام! إقرأ عليهم كتاب الخليفة. فقرأ القاري «أما بعد. سلام عليكم فإنّي أحمد إليكم الله» فقال له: إقطع. يا عبيد العصا! يسلم عليكم الخليفة فلا يردّ رادّ منكم السلام! هذا أدب ابن نهية -وهو صاحب شرطة كان بالعراق- أما والله لأؤدّبنّكم غير هذا الأدب. يا غلام إبدأ بالكتاب. فلمّا بلغ إلى قوله «سلام عليكم» لم يبق منهم أحد إلّا قال: وعلى الخليفة السلام[1].

وفي (تاريخ الطبري): ولاّه عبدالملك على العراق بعد أخيه بشر. فدخل الكوفة حين انتشر النهار فجأة. فصعد المنبر وقال: أما والله إنّي لأحمل الشرّ محمله وأَحْذُوه بنعله، وأجزيه بمثله، وإنّي لأرى رؤوساً قد أينعت، وحان قطافها وإنّي لأري الدماء بين العمائم واللحى قد شمّرت عن ساقها تشميراً.

هذا أوان الشدّ فاشتدّي زيم قد لفّها الليل بسوّاق حطم
ليس براعي إبل ولا غنم ولا بجزّار على ظهر وضم
قد لفّها الليل بعصلبيّ اورع خرّاج من الدّويّ

(١) مروج الذهب ٣: ١٢٦ ـ ١٢٩، والنقل بتلخيص.

مهاجر ليس بأعرابي

ليس أوان يكره الخلاط جاءت به والقلّص الأعلاط

تهوى هوى سابق الغطاط

وإنّي والله يا أهل العراق ما أغمز كتغماز التين، ولا يقعقع لي بالشنآن، ولقد فررت عن ذكاء وجُرِّبت إلى الغاية القصوى. إنّ الخليفة عبدالملك نثر كنانته ثمّ عجم عيدانها فوجدني أمرّها عوداً، وأصلبها مكسراً فوجّهني إليكم أنّكم طالماً أوضعتم في الفتن، وسننتم سنن البغي. أما والله لألحونّكم لحو العود، ولأعصبنّكم عصب السلمة، ولأضربنّكم ضرب غرائب الإبل. إنّي والله لا أعد إلّا وفيت، ولا أخلق إلّا فريت، وإيّاي وهذه الجماعات وقيلاً وقالا، والله لتستقيمنّ على سبل الحقّ أو لأدعنّ لكلّ رجل منكم شغلاً في جسده، ومن وجدته بعد ثالثه من بعث المهلّب سفكت دمه وأنهبت ماله ـ إلى أن قال ـ أُقسم بالله لتقلبنّ على الانصاف ولتدعنّ الإرجاف، وكان وكان، وأخبرني فلان عن فلان أو لأهبرنكم بالسيف هبراً يدع النساء أيامى والولدن يتامى، وحتّى تمشوا السّمهي، وتقلعوا عن ها وها. إيّاي، وهذه الزرافات لا يركبنّ الرجل منكم إلّا وحده ألا إنّه لو ساغ لأهل المعصية معصيتهم ماجبي فيء، ولا قوتل عدوّ، ولعطّلت الثغور، ولو لا أنّهم يغزّون كرهاً ماغزوا طوعاً، وقد بلغني رفضكم المهلّب، وإنّي أُقسم بالله لا أجد أحداً بعد ثالثه إلّا ضربت عنقه ـ إلى أن قال ـ.

ولا تغلقنّ أبواب الجسر ليلاً ولا نهاراً حتّى تنقضي هذه المدّة ـ إلى أن قال ـ.

فلمّا كان اليوم الثالث سمع تكبيراً في السوق. فخرج حتّى جلس على المنبر. فقال: يا أهل العراق، وأهل الشقاق والنفاق، ومساوى الأخلاق إنّي سمعت تكبيراً ليس بالتكبير الّذي يراد الله به في الترغيب، ولكنّه التكبير الّذي

يراد به الترهيب، وقد عرفت أنّها عجاجة تحتها قصف. يا بني اللكيعة، وعبيد العصا، وأبناء الأيامى ألا يربع رجل منكم على ظلعه، ويحسن حقن دمه ويبصر موضع قدمه. فأُقسم بالله لأوشِكُ أن أوقع بكم وقعةً تكون نكالاً لما قبلها وأدباً لما بعدها -إلى أن قال-.

فازدحموا على الجسر حتّى سقط بعض الناس في الفرات. فأتاه صاحب الجسر. فقال له: إعقد لهم جسرين. وخرج الناس هرباً إلى السواد وأرسلوا إلى أهاليهم أن زوّدونا ونحن بمكاننا[١].

«الذيّال» من «ذالت المرأة» أي: جرّت ذيلها على الأرض، وتبخترت، ومنه قول طرفة:

فذالت كما ذالت وليدة مجلس تُري ربّها أذيال سحل ممدد[٢]

«الميّال» من «تميلت المرأة في مشيتها» أي: تدلّلت. في (بيان الجاحظ): قال الحجّاج لعبدالملك يوماً: لو كان رجل من ذهب لكنته. قال: وكيف ذلك؟ قال: لم تلدني أمة بيني وبين آدم ما خلا هاجر. فقال: لولا هاجر لكنت كلباً من الكلاب[٣].

وفي (كامل المبرد): قال عليّ بن عبدالله بن عباس: سايرت يوماً عبدالملك فما جاوزنا إلّا يسيراً حتّى لقيه الحجّاج قادماً عليه. فلمّا رآه ترجّل ومشى بين يديه فخبّ عبدالملك. فأسرع الحجّاج فزاد عبدالملك. فهرول الحجّاج. فقلت لعبد الملك: إبكِ موجدة على هذا. فقال: لا ولكنّه رفع من نفسه فأحببت أن أغضّ منه[٤].

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٤٠ ـ ٤٤، سنة ٧٥، والنقل بتلخيص.

(٢) أورده أساس البلاغة: ١٤٨، مادة (ذيل)، ولسان العرب ١١: ٢٦٠، مادة (ذيل).

(٣) البيان والتبيين ٢: ٨٦.

(٤) كامل المبرد ٥: ١٩٩.

وفي (عقد ابن عبد ربه): قال عبدالملك للحجاج: ليس من أحد إلّا وهو يعرف عيب نفسه. فصف لي عيوبك. قال: إعفني، قال: لابدّ أن تقول. قال: أنا لجوج حسود حقود. قال: ما في إبليس شرّ من هذا[١].

وقال العتبي قال أبي: ما رأيت مثل الحجّاج، كان زيّه زي شاطر، وكلامه كلام خارجي، وصولته صولة جبار. فسألته عن زيّه فقال: كان يرجّل شعره، ويخضب أطرافه[٢].

وفي (معارف ابن قتيبة): أوّل ولاية وليها الحجّاج تبالة: فلما رآها احتقرها وانصرف. فقيل في المثل «أهون من تبالة على الحجّاج»[٣].

وفي (بيان الجاحظ): قال سليمان بن عبدالملك: كتب إليّ الحجّاج: إن رأيت فيّ ما رأى أبوك وأخوك كنت لك كما كنت لهما، وإلّا فأنا الحجّاج وأنت نقطة من مداد. فإن شئت محوتك، وإن شئت أثبتّك. فقام ابن أبي بردة فقال: كان عدوّ الله يتزيّن تزيّن المومسة، ويصعد المنبر فيتكلم بكلام الأخيار. فإذا نزل عمل الفراعنة، وكان أكذب في حديثه من الدجّال[٤].

وفي (ذيل الطبري): قال الحسن البصري لمّا خرج من عند الحجّاج: خرجت من عند احيول قصير يطبطب شعيرات له. أخرج إليّ بناناً له قصيرة قلّما عرفت فيها الأعنّة في سبيل الله. أما والله إنّهم وإن ركبوا البراذين، وصعدوا المنابر. إنّ المعاصي لفي أعناقهم. أبى الله إلّا أن يذل من عصاه. ما زال الله يريهم في أنفسهم العبر، ويري المؤمنين فيهم

---

(١) العقد الفريد ٥: ٢٨٣.

(٢) العقد الفريد ٥: ٢٨٢.

(٣) المعارف: ٣٩٦.

(٤) البيان والتبيين ١: ٤٠٨، والنقل بتصرف يسير.

المعتبر. اللّهم أمته كما أمات سنّتك[1].

وفي (تاريخ الطبري): خطب الحجّاج. فقال: لا يصبحنّ من جند المهلّب بعد ثالثة أحد. فلمّا كان بعد ثالثة أتى رجل يستدمي. فقال: من فعل بك قال: عمير بن ضابي البرجمي أمرته بالخروج إلى معسكره فضربني وكذب عليه. فأرسل الحجّاج إلى عمير فأتى به شيخاً كبيراً. فقال له: ما خلّفك عن معسكرك. قال: أنا شيخ كبير لا حراك بي. فأرسلت آبني بديلاً فهو أجلد منّي. فقال عنبسة بن سعيد للحجاج: هذا الّذي أتى عثمان قتيلاً. فلطم وجهه ووثب عليه فكسر ضلعين من أضلاعه. فأمر به الحجّاج فضربت عنقه.

قال عمرو بن سعيد: فو الله إنّي لأسير بين الكوفة والحيرة إذ سمعت رجزا مضرياً فعدلت إليهم فقلت: ما الخبر؟ قالوا: قدم علينا رجل من شرّ أحياء العرب من هذا الحي من ثمود أسقف الساقين ممسوح الجاعرتين أخفش العينين فقدم سيد الحي عمير بن ضابي فضرب عنقه. فقال في ذلك ابن الزبير الأسدي:

تخيّر فإمّا أن تزرو ابن ضابئ عميراً وإمّا أن تزور المهلّبا

وخرج من الكوفة بعد قتل ابن ضابئ من فوره حتّى قدم البصرة، وتوعّدهم مثل أهل الكوفة فأتى برجل من بني يشكر. فقيل: هذا عاص. فقال: إنّ بي فتقاً وقد رآه بشر. فعذرني، وهذا عطائي مردود في بيت المال. فلم يقبل منه وقتله ففزع لذلك أهل البصرة. فخرجوا حتّى تداكّوا على العارض بقنطرة رامهرمز فقال المهلّب: جاء الناس رجل ذكر[2].

قوله عليه السلام في رواية (المروج): «ويحكم فيها بحكم الجاهلية لا يقبل من

---

(١) منتخب ذيل المذيل: ١٢٦.

(٢) تاريخ الطبري ٥: ٤٤ ـ ٤٦، سنة ٧٥، والنقل بتلخيص.

محسنها ولا يتجاوز عن مسيئها» فيه: لمّا خرج ابن الأشعث على الحجّاج، ودخل الكوفة كتب الحجّاج إلى عبدالملك يذكر فيه جيوش ابن الأشعث، ويسأله الإمداد، وقال في كتابه: واغوثاه يا الله، واغوثاه يا الله، واغوثاه يا الله» فأمدّه بالجيوش، وكتب إليه «يا لبيك يا لبيك يا لبيك» فالتقى الحجّاج مع ابن الأشعث بدير الجماجم، وكانت بينهم نيّف وثمانون وقعة تفانى فيها خلق، وكانت على ابن الأشعث فمضى حتّى انتهى إلى ملوك الهند، ولم يزل الحجّاج يحتال في قتله حتّى قتل، وأُتي برأسه[١]. قلت: أهل الجاهلية كانوا يجعلون مع الله إلهاً آخر، ولا يجعلون الله آخر كالحجاج ـ.

وقال الحجّاج قال الله ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾[٢] فهذه لله وفيها مثواه وقال الله ﴿واسمعوا واطيعوا﴾[٣] وهذه لعبد الله وخليفته، ونجيبه عبدالملك. أما والله لو أمر الناس أن يدخلوا في هذا الشعب فدخلوا في غيره لكانت دماؤهم لي حلالاً عذيري من أهل هذه الحميراء يلقي أحدهم الحجر إلى الأرض ويقول: إلى أن يبلغها فرّج الله لأجعلنهم كالرمس الداثر، والأمس الغابر. عذيري من عبد هذيل ـ يعني ابن مسعود ـ يقرأ القرآن كأنّه رجز الأعراب أما والله لو أدركته لضربت عنقه، عذيري من سليمان بن داود يقول لربه ﴿وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي﴾[٤] كان والله في ما علمته عبداً حسوداً بخيلاً.

وقال الربيع بن خالد: سمعت الحجّاج يقول في خطبته: «أخليفة أحدكم في أهله أكرم عليه أم رسوله في حاجته» فقلت: لله عليَّ ألّا أُصلّي خلفك أبداً،

---

(١) مروج الذهب ٣: ١٣٢، والنقل بتصرف يسير.

(٢ و ٣) التغابن: ١٦.

(٤) ص: ٣٥.

ولئن رأيت قوماً يجاهدونك لأُقاتلنّك معهم. فقاتله في دير الجماجم حتّى قتل[١].

وقال أبو جعفر الإسكافي: أخذ الحجّاج الناس بقراءة عثمان، وترك قراءة ابن مسعود، وأُبيّ بن كعب، فما مات حتّى اجتمع أهل العراق على قراءة عثمان ونشأ أبناؤهم، ولا يعرفون غيرها لإمساك الآباء عنها، وكفّ المعلمين عن تعليمها، حتّى لو قرئت عليهم قراءة عبدالله وأُبيّ ما عرفوها، ولظنّوا بتأليفها الإستكراه والاستهجان لإلف العادة[٢].

وقال الجزري: قال الحجّاج: لا أجد أحداً يقرأ على قراءة ابن أُمّ عبد -يعني ابن مسعود- إلّا ضربت عنقه، ولأحُكّنّها من المصحف، ولو بضلع خنزير. قد ذكر ذلك عند الأعمش فقال «وأنا سمعته يقول، فقلت في نفسي لأقرأنّها على رغم أنفك»[٣].

وفي (العقد): قال العتبي: قال أبي: أراد الحجّاج الحج فخطب وقال: «يا أهل العراق! إنّي قد استعملت عليكم محمّداً، وبه الرغبة عنكم. أما إنّكم لا تستأهلونه وقد أوصيته فيكم خلاف وصية النبيّ بالأنصار. فأوصى أن يقبل من محسنهم، ويتجاوز عن مسيئهم، وقد أوصيته ألاّ يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم. أما إنّي إذا ولّيت عنكم علمت أنكم تقولون: لا أحسن الله له الصحابة -وما منعكم من تعجيله إلّا الفراق- وأنا أُعجّل لكم الجواب لا أحسن الله عليكم الخلافة» ثمّ نزل فلمّا كان غداة الجمعة مات محمّد بن الحجّاج. فلما كان بالعشي أتاه بريد من اليمن بوفاة محمّد أخيه ففرح أهل

(١) مروج الذهب ٣: ١٤٣ و١٤٧، والنقل بتصرف يسير.

(٢) رواه عن نقض الاسكافي ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ٢٥٩، شرح الخطبة ١٩٠.

(٣) الكامل ٤: ٥٨٦، سنة ٩٥.

العراق، وقالوا: انقطع ظهر الحجّاج وهيض جناحه ـ إلى أن قال ـ.

فدخل الناس يعزّونه، وفيهم الفرزدق. فقال له: أما رثيت محمّداً ومحمّداً. قال: نعم وأنشده خمسة أبيات ثمّ خرج وهو يقول: لو كلّفني الحجّاج بيتاً سادساً لضرب عنقي قبل أن آتيه به ـ وذلك أنّه دخل ولم يهيّئ شيئاً[١].

وفي (المروج): لمّا هلك بشر بن مروان، وولّي الحجّاج العراق بلغهم ذلك فقام الغضبان القبعثري الشيباني في الجامع خطيباً. فقال: يا أهل الكوفة إنّ عبد الملك قد ولّى عليكم من لا يقبل من محسنكم، ولا يتجاوز عن مسيئكم الظلوم الغشوم الحجّاج. ألا وإنّ لكم من عبدالملك منزلة بما كان منكم من خذلان مصعب وقتله، فاعترضوا هذا الخبيث في الطريق. فاقتلوه، فإنّ ذلك لا يعدّ منكم خلعاً، فإنّه متى يعلو على متن منبركم وصدر سريركم وقاعة قصركم ثمّ قتلتموه عدّ خلعاً، فأطيعوني وتغدّوا به قبل أن يتعشّى بكم. فقالوا له: جننت يا غضبان! هل ننتظر الا سيرته فإن رأينا منكراً غيّرناه. قال: ستعلمون.

فلمّا قدم بلغه مقالته وأمر بحبسه. فأقام في حبسه ثلاث سنين فاحضر فقال له أنت القائل لأهل الكوفة: يتغدون بي قبل أن أتعشّى بهم؟ قال: ما نفعت من قيلت له ولا ضرّت من قيلت فيه[٢].

وفي (العقد): كتب عبدالملك إلى الحجّاج في اسرى الجماجم أن يعرضهم على السيف. فمن أقرّ منهم بالكفر بخروجه علينا فخلّ سبيله، ومن زعم أنه مؤمن فاضرب عنقه. فأتي الحجّاج برجل. فقال: على دين من أنت؟

---

(١) رواه ابن عبد ربه في العقد ٥: ٢٨٠ ـ ٢٨١، لكن خلط الشارح صدر الحديث برواية المسعودي في مروج الذهب ٣: ١٤٦.

(٢) مروج الذهب ٣: ١٤٩.

قال: على دين إبراهيم حنيفاً، وما كان من المشركين. فقال: اضربوا عنقه ثمّ قدّم آخر. فقال له: على دين من أنت؟ قال: على دين أبيك الشيخ يوسف. فقال: أما والله لقد كان صوّاما قوّاما خلّ عنه يا غلام. فلمّا خلّى عنه انصرف إليه. فقال له: سألت صاحبي على دين من أنت؟ فقال: على دين إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين فأمرت به فقتل، وسألتني على دين من أنت. فقلت: على دين أبيك الشيخ يوسف. فقلت: أما والله لقد كان صوّاماً قوّاماً. فأمرت بتخلية سبيلي، والله لو لم يكن لابيك من السيئات إلّا أنّه ولد مثلك لكفاه. فأمر به فقتل[1].

وفي (العقد): عن عمر بن عبدالعزيز: لو جاءت كلّ أُمّة بمنافقيها وجئنا بالحجّاج لفضلناهم، وحلف رجل بطلاق امرأته انّ الحجّاج في النار فأتى امرأته فمنعته نفسها. فسأل الرجل الحسن البصري. فقال: لا عليك فإن لم يكن الحجّاج في النار فما يضرّك أن تكون مع امرأتك على زنا.

ومما كفّرت به العلماء الحجّاج قوله ـ ورأى الناس يطوفون بقبر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ومنبره ـ إنّما يطوفون بأعواد ورمّة.

وعن ابن عياش قال: كنّا عند عبدالملك إذ أتاه كتاب الحجّاج، يعظّم فيه أمر الخلافة، ويزعم أن ما قامت السموات والأرض إلّا بها، وأنّ الخليفة عند الله أفضل من الملائكة المقرّبين، والأنبياء، والمرسلين، وذلك أنّ الله خلق آدم بيده، وأسجد له الملائكة وأسكنه جنّته ثمّ أهبطه إلى الأرض وجعله خليفته، وجعل الملائكة رسلاً إليه، فأعجب عبدالملك بذلك وقال: لوددت أن عندي بعض الخوارج فأُخاصمه بهذا الكتاب ـ إلى أن قال ـ.

فجاءه حوار بن زيد الضبي. فقال له: اقرأ الكتاب. فقرأه حتّى أتى على

(١) العقد الفريد ٥: ٢٨٦، والنقل بتصرف يسير.

آخره. فقال حوار. أراه قد جعلك في موضع ملكاً، وفي موضع. نبيّاً، وفي موضع خليفة. فإن كنت ملكاً فمن أنزلك؟ وإن كنت نبيّاً فمن أرسلك؟ وإن كنت خليفة فمن استخلفك؟ أعن مشورة من المسلمين أم ابتززت الناس أُمورهم بالسيف؟

فقال له عبدالملك: قد آمنّاك، ولا سبيل عليك. لا تجاورني في بلد[1].

قلت: إنّ الحجّاج سمع ما كتب من قيام السموات والأرض بالخليفة وكونه أفضل من الملائكة والانبياء ممّا ورد في الأئمة المعصومين ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ فأراد تطبيقه على عبدالملك.

ويقال لحوار في ردّه على عبدالملك في قوله: «إن كنت خليفة فعن مشورة من المسلمين أم ابتززت أُمور الناس بالسيف» بأن صدّيقك، وفاروقك أيضاً ابتزّا أُمور الناس بإحراق اهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وبالسيف والعصا.

«**يأكل خضرتكم**» وكلامه عليه السلام وإن كان استعارة، وكناية عن كونه كسقر لا تبقي ولا تذر للناس شيئاً كما ستعرف من تشديده في الخراج حتّى خرب أكثر القرى إلّا أنّ الرجل أيضاً كان من الأكولين كمعاوية يأكل ما يجد، ويطلب ما لا يجد.

قال سلم بن قتيبة: عددت للحجّاج أربعا وثمانين لقمة في كلّ لقمة رغيف من خبز فيه ملءُ كفّه سمك طري.

ويشهد لقوله عليه السلام من أكله خضرة أهل العراق قول الفرزدق لسليمان بعد الحجّاج.

ما قلت إلّا الحق تعرفه … في القول مرتجلاً وفي الشعر

---

(١) العقد الفريد ٥: ٢٨٤، والنقل بتصرف يسير.

ما أصبحت أرض العراق بـها ورق لمـــختبط ولا قشـــر

«ويذيب شحمتكم» في (كامل المبرد): يروي عن ابن ميرة أنّه قال: إنّا لنتغدّى مع الحجّاج يوماً إذ جاء رجل من سليم برجل يقوده. فقال: أصلح الله الامير! إنّ هذا الرجل عاص. فقال الرجل: أُنشدك الله أيّها الأمير في دمي فو الله ما قبضت ديواناً قط، ولا شهدت عسكراً، وإنّي لحائك أُخذت من تحت الجف. فقال: اضربوا عنقه. فلمّا أحسّ بالسيف سجد فلحقه السيف وهو ساجد. فأمسكنا عن الطعام. فأقبل علينا الحجّاج فقال: ما لي أراكم صفرت أيديكم وأصفرّت وجوهكم وحدّ نظركم من قتل رجل واحد.

وفيه: أتى الحجّاج البصرة. فكان عليهم أشدّ إلحاحاً وقد كان أتاهم خبره لما كان بالكوفة. فتحمّل الناس قبل قدومه. فأتاه رجل من بني يشكر وكان شيخاً كبيراً أعور وكان يجعل على عينه العوراء صوفة فكان يلقّب ذا الكرسفة. فقال: أصلح الله الأمير، إنّ بي فتقاً، وقد عذرني بشر، وقد رددت العطاء. فقال: إنّك عندي لصادق، ثمّ أمر به فضربت عنقه. ففي ذلك يقول كعب الأشقري أو الفرزدق:

لقد ضرب الحجّاج بالمصر ضربة تـقرقر منها بطن كلّ عريف[1]

وفي (المروج): حبس الحجّاج إبراهيم التيمي ومات في الحبس، وإنّما كان الحجّاج طلب إبراهيم النخعي فنجا ووقع إبراهيم التيمي. فقال الأعمش لابراهيم النخعي: أين كنت حيث طلبك الحجّاج؟ فقال: بحيث يقول الشاعر:

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى

وصـــوّت إنســـان فكـــدت أطـير

ومات الحجّاج بواسط سنة (٩٥) وهو ابن (٥٤) سنة وكان تأمّره على

(١) كامل المبرد ٨: ٧٣.

الناس عشرين سنة، وأُحصيَ من قتله صبراً سوى من قتل في عساكره وحروبه فوجد مئة وعشرين ألفاً ومات، وفي حبسه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة منهنّ ستّة عشر ألفاً مجردة، وكان يحبس النساء والرجال في موضع واحد، ولم يكن للمحبس ستر يستر الناس من الشمس في صيف، ومن المطر والبرد في الشتاء، وركب يوماً يريد الجمعة فسمع ضجّة. فقال: ما هذا؟ فقيل له: المحبوسون يضجّون ويشكون ما هم فيه من البلاء. فالتفت إلى ناحيتهم وقال: إخسئوا فيها ولا تكلمون، ووجد بعده في سجونه ثلاثة وثلاثون ألفاً لم يجب على واحد منهم قتل ولا صلب[١]، وفيهم أعرابي اخذ ببول في أصل مدينة واسط. فكان في من اطلق فأنشأ يقول:

إذا ما خرجنا من مدينة واسط ... خرينا وبلنا لا نخاف عقاباً

وفي (تنبيه الاشراف): كان محبوسوه يسقون الماء مشوباً بالرماد، وفيه: مات الحجّاج قبل الوليد بتسعة أشهر وكانت ولايته على العراق عشرين سنة، وترك في بيت المال مئة ألف الف دينار وبضعة عشر ألف ألف درهم، وتولّى العراق وخراجها مئة ألف ألف درهم. فلم يزل بعنته وسوء سياسته حتّى صار خراجها خمسة وعشرين ألف ألف درهم[٢].

وفي (عيون القتيبي): إنّ رجلاً كان يطلبه الحجّاج فمر بساباط فيه كلب بين جبّين يقطر عليه ماؤهما. فقال: يا ليتني مثل هذا الكلب فما لبث ساعة إن مرّ بالكلب في عنقه حبل فسأل عنه. فقالوا: جاء كتاب الحجّاج يأمر فيه بقتل الكلاب[٣].

---

(١) مروج الذهب ٣: ١٧١ و١٦٦.

(٢) التنبيه والاشراف: ٢٧٤ و٢٧٥.

(٣) عيون الأخبار ١: ٢٦٣.

وفي (الأغاني): منع الحجّاج من لحوم البقر خوفاً من قلّة العمارة في السواد فقيل فيه:

شكونا إليه خراب السواد　　فحرّم فينا لحوم البقر

فكنّا كمن قال من قبلنا　　أُريها السها وتريني القمر

وفيه -في أخبار أعشى همدان ومدحه سليم بن صالح العنبري وكان منزله بساباط المدائن بعد ذكر قصة عن هشام في قرية سليم- وذكر غير هشام أنّ الحجّاج طالب سليماً العنبري بمال فلم يخرج منه حتّى باع كلّ ما يملكه وخربت قريته، وتفرّق أهلها ثمّ باعه الحجّاج عبداً. فاشتراه بعض أشراف الكوفة أسماء بن خارجة أو بعض نظرائه فاعتقه.

وفي (عيون القتيبي): قال الحجّاج: سوطي سيفي فنجاده في عنقي، وقائمه في يدي وذبابه قلادة لمن اغترّ بي. فقال الحسن البصري: بؤساً له ما أغرّه بالله[1].

قلت: وقالوا: سوط عمر كان أهيب من سيف الحجّاج.

وفي (أنساب السمعاني): مات إبراهيم بن يزيد التيمي، وكان عابداً صابراً على الجوع في حبس الحجّاج أرسلت عليه الكلاب في السجن تنهشه حتّى مات[2].

قلت: والظاهر أنّه الّذي مرّ أخذه بدلاً عن إبراهيم النخعي.

وفي (العقد): كان الحجّاج إذا صعد المنبر تلفّع بمطرفه ثمّ تكلّم رويداً فلا يكاد يسمع حتّى يتزايد في الكلام فيخرج يده من مطرفه ثمّ يزجر الزجرة، فيفزع أقصى من في المسجد.

---

(١) عيون الأخبار ٢: ٢٤٥.

(٢) أنساب السمعاني: ١١٤، والنقل بتصرف يسير.

وعن أبي وائل: بعث الحجّاج إليه يستدعيه لعمله فاعتذر وقال في ما قال: «وأُخرى أنّي ما علمت الناس هابوا أميراً قط هيبتهم لك، والله إنّي لأتعارُّ من الليل فأذكرك، فما يأتيني النوم حتّى أصبح، هذا ولست لك على عمل» فأعجبه ذلك وقال: هيه كيف قلت. فأعدت عليه الحديث. فقال «إنّي والله ما أعلم اليوم رجلاً على وجه الأرض هو أجرأ على ربّه منّي» فقمت فعدلت عن الطريق كأنّي لا أبصر. فقال: أُهدوا الشيخ. أرشدوا الشيخ.

وقال المدائني: أخبرني من دخل المسجد والحجّاج على المنبر، وقد ملأ صوته المسجد بأبيات سويد بن أبي كاهل اليشكري حيث يقول:

ربّ من انضجت غيظا صدره ... قد تمنّى لي موتاً لم يطع

ساء ما ظنّوا وقد أبليتهم ... عند غايات المدى كيف أقع

كيف يرجون سقوطي بعد ما ... شمل الرأس مشيب وصلع[1]

وفي (كامل الجزري): قال الحجّاج: والله لو أمرتكم أن تخرجوا من هذا الباب فخرجتم من هذا حلّت لي دماؤكم[2].

وفي (المروج): لمّا انهزم ابن الأشعث بدير الجماجم حلف الحجّاج ألاّ يؤتى بأسير إلّا ضرب عنقه. فأتي بأُسرى كثيرة، وكان أوّل من أتي به أعشى همدان، وهو، أوّل من خلع عبدالملك والحجّاج بين يدي ابن الأشعث بسجستان. فقال له الحجّاج: إيه! أنت القائل:

من مبلغ الحجّاج أنّي ... قد جنيت عليه حربا

ـ إلى أن قال ـ قال له: أخبرني عن قولك في ابن الأشعث:

بين الأشج وبين قيس باذخ ... بخٍ بخٍ الوالد والمولود

---

(١) العقد الفريد ٥: ٢٦٧ ـ ٢٦٨، والنقل بتصرف يسير.

(٢) الكامل ٤: ٥٨٦، سنة ٩٥.

فأنشده فقال: والله لا تبخبخ لأحد بعدها وأمر به فضربت عنقه[١].

وفي (الأخبار الطوال): بعث الحجّاج أيوب بن القرية إلى ابن الأشعث -إلى أن قال-.

وأُسر في من أسر فلمّا أُدخل عليه قال: بعثتك رسولاً فصرت وزيراً ومشيراً تصدر له الكتب، وتسجّع له الكلام. فقال: كانَ شيطانا في مسك إنسان، إستمالني بسحره، وخلبني بلفظه. فكان اللسان ينطق بغير ما في القلب. فقال له الحجّاج: كذبت يا ابن اللخناء، بل كان قلبك منافقاً، ولسانك مدامجاً، فكتمت أمراً أظهره الله، وأطعت فاسقا خذله الله -إلى أن قال-.

فقال الحجّاج: يا غلام! ناولني الحربة. فتناولها وقد أمسك ابن القريّة أربعة رجال. فلا يستطيع تحرّكاً وهزّ الحجّاج الحربة ثلاثاً: فقال ابن القريّة: اسمع منّي ثلاث كلمات تكون بعدي مثلاً. قال: هات. قال: «لكلّ جواد كبوة ولكلّ حليم هفوة ولكلّ شجاع نبوة» فوضع الحجّاج الحربة في ثندوة ابن القريّة ودفعها حتّى خالطت جوفه ثمّ خضخضها وأخرجها فاتبعها دم اسود. فقال الحجّاج هكذا تشخب أوداج الإبل، وفحص ابن القريّة برجليه وشخص بصره، وجعل الحجّاج ينظر إليه حتّى قبض فحمل في النطع. فقال الحجّاج: لله درّك يا ابن القرّية أيّ أدب فقدنا منك. وأيّ كلام رصين سمعنا منك[٢].

وفي (كامل المبرد): كان العديل بن فرخ العجلي هارباً من الحجّاج فجعل لا يحلّ ببلدة إلّا ريع لأثر يراه من آثار الحجّاج، فيهرب حتّى أبعد ففي ذلك يقول العديل:

---

(١) مروج الذهب ٣: ١٥٤، والنقل بتصرف يسير.

(٢) الأخبار الطوال: ٣٢٣ ـ ٣٢٧، والنقل بتصرف يسير.

يخشّونني الحجّاج حتّى كأنّما يحرّك عظم في الفؤاد مهيض

فلم ينشب أن أُتي به فقال:

فلو كنت في سلمى أجا وشعابها لكان لحجّاج عليّ دليل(١)

في (الأغاني): بعث الحجّاج مولى له في جيش إلى بني العجل يطلب منهم العديل الشاعر، فهرب فلم يقدر عليه فاستاق إبله، وأحرق بيته، وسلب امرأته وبناته وأخذ حليّهن فهرب العديل إلى قيصر وقال:

ودون يد الحجّاج من أن تنالني بساط لأيدي الناعجات عريض

مهامه أشباه كأنّ سرابها ملأ بأيدي الراحضات رحيض

فبلغ شعره الحجّاج فكتب إلى قيصر: لتبعثنّ به أو لأغزينّك جيشاً يكون أوّله عندك وآخره عندي. فبعث به قيصر إلى الحجّاج. فلمّا أُدخل عليه قال: أأنت القائل «ودون يد الحجّاج من أن تنالني» فكيف؟ فقال بل أنا القائل:

فلو كنت في سلمى أجا وشعابها لكان لحجّاج عليّ سبيل

وقلت:

إذا ذكر الحجّاج أضمرت خيفة لها بين أحناء الضلوع نفيض(٢)

وفي (العيون): قال الحسن البصري: واعجباً من أُخيفش أُعيمش جاءنا ففتلنا عن ديننا، وصعد على منبرنا يخطب والناس يلتفتون إلى الشمس فيقول ما بالكم؟ إنّا لا نصلّي للشمس بل لربّها، أفلا يقولون له: يا عدوّ الله إنّ لله حقاً بالليل لا يقبله بالنهار، وحقّاً بالنهار لا يقبله بالليل، وكيف يقولون ذلك وعلى رأس كلّ واحد منهم علج قائم بالسيف(٣).

---

(١) كامل المبرد ٥: ١٤.

(٢) الأغاني ٢٢: ٣٢٩ ـ ٣٣١، والنقل بتلخيص.

(٣) لم اجده في عيون الأخبار.

وفي (العقد): كان الوليد بن عبدالملك ـ وكان جباراً كأبيه، وكان الحجّاج والياً من قبلهما ـ يقول: كان أبي يقول الحجّاج جلدة ما بين عيني وأنفي وأنا أقول: إنه جلدة وجهي كله.

وكان عمر بن عبدالعزيز ـ ولم يكن جبّاراً ـ يدعو الله أن يكون موت الحجّاج على فراشه ليكون أشدّ لعذابه في الآخرة، وسمع صياحه في قبره فأخبر كاتبه فركب في أهل الشام فسمع.

وقيل للحسن البصري: ما تقول في قتال الحجّاج؟ قال: إنّ الحجّاج عقوبة من الله تعالى فلا تستقبلوا عقوبة الله بالسيف[1].

قلت: وصدق الحسن كان هو وأمثاله عقوبة للناس لتركهم أهل بيت نبيّهم صلى الله عليه وآله وسلم. وقد صرّح أمير المؤمنين عليه السلام بذلك في خطبه مراراً، وكان يذكر الحجّاج لمّا آذوه كراراً كما عرفت.

وفي (ديوان الفرزدق) في شكايته إلى سليمان ما فعل بهم الحجّاج من حبس الجيوش في المغازي بغير عطاء، وأخذه صدقات إبلهم على الحول الماضي مع موتها في السنة بحيث تمنى الناس الموت:

ويجمّرون بغير أعطية	في البرّ من بعثوا وفي البحر
ويكلّفون أبا عراً ذهبت	جيفا بلين تقادم العصر
حتّى غبطنا كلّ محتمل	يمشي بأعظمه إلى القبر
وتمنّت الأحياء أنّهم	تحت التراب وجيء بالحشر[2]

«ايه» في (الصحاح): «أيه: اسم سمّي به الفعل لأنّ معناه الأمر. تقول للرجل إذا استزدته من حديث أو عمل[3] (إيهِ) بكسر الهاء. قال ابن السكّيت:

---

(١) العقد الفريد ٥: ٢٨٣ و٢٨٨، والنقل بتصرف يسير.

(٢) ديوان الفرزدق ١: ٢٦٣.

(٣) صحاح اللغة ٦: ٢٢٢٦، مادة (أيه).

فإن وصلتَ نوّنتَ قلتَ: إيهٍ حدّثنا، وقال ابن سيدة إذا قلت إيهِ يا رجل. فإنّما تأمره بأن يزيدك من الحديث المعهود بينكما، وإن قلت إيهٍ بالتنوين قلت: إيتنا حديثاً ما لأنّ التنوين تنكير. قال: فإذا سكّته وكففته قلت أَيها عنّا وإذا أردت التبعيد قلت أَيها عنا بفتح الهمزة بمعنى هيهات[١].

وفي (الأساس): ايه حديثا استزادة وأيها لا تحدّث كفّ. قال ذو الرّمة:

وقفنا فقلنا إيهِ عن أُم سالم وكيف بتكليم الديار البلاقع[٢]

وفي (النهاية): في الحديث أنه أنشد شعر أُميّة بن أبي الصلت. فقال عند كلّ بيت إيهِ هذه الكلمة يراد بها الاستزادة، وإذا قلت أيهاً بالنصب فإنّما تأمره بالسكوت، ومنه حديث أصيل الخزاعي حين قدم عليه المدينة قال له «كيف تركت مكّة» قال «تركتها وقد أحجن ثمامها، وأعذق إذخرها وأمشر سلمها» فقال «إيهاً، أصيل. دع القلوب تقرّ» وقد ترد المنصوبة بمعنى التصديق والرضا بالشيء، ومنه حديث ابن الزبير لمّا قيل له: «يا ابن ذات النطاقين» فقال أيهاً...[٣]

قلت: وقد تقدّم أنّ الحجّاج قال لأعشى همدان لمّا أراد قتله: إيهِ أنت القائل:

من مبلغ الحجّاج أنـ ـي قد جنيت عليه حرباً

«أبا وذحة» في (اللسان): قال ثعلب: الوذح ما يتعلّق من القذر بإلية الكبش. قال جرير:

والتغلبية في أفواه عورتها وذح كثير وفي أكتافها الوضر

(١) روى هذه المعاني لسان العرب ١٣: ٤٧٤، مادة (أيه)، وقد حصل في النقل خلط.

(٢) اساس البلاغة: ١٣، مادة (أيه).

(٣) النهاية ١: ٨٧، مادة (أيه)، والنقل بتقطيع.

وقال أبوعبيدة: ألوذح ما يتعلّق بالأصواف من أبعار الغنم فيجفّ عليه. قال الاعشى:

فترى الأعداء حولي شُزّرا خاضع الأعناق أمثال الوذح[1]

قول المصنّف: «قال الشريف: أقول» هكذا في (المصرية) وليس كلّه من النهج.

«الوذحة: الخنفساء» قال ابن أبي الحديد: ما قاله من أنّ الوذحة الخنفساء لم أسمعه من شيخ من أهل الأدب، ولا وجدته في كتاب لغة.

ثمّ قال: إنّ المفسّرين بعد الرضي قالوا في قصّة هذه الخنفساء وجوهاً.

منها: أنّ الحجّاج رأى خنفساء تدبّ الى مصلاّه فطردها فعادت ثمّ طردها فعادت، فأخذها بيده فقرصته قرصا، وورمت يده منه ورماً كان فيه حتفه. قالوا: وذلك أنّ الله تعالى قتله بأهون مخلوقاته كما قتل نمرودا بالبقّة الّتي دخلت في أنفه.

ومنها: أنّ الحجّاج كان إذا رأى خنفساء تدبّ قريبة منه يأمر غلمانه ويقول: هذه وذحة من وذح الشيطان تشبيهاً له بالبعرة ـ وكان مغرى بهذا القول ـ والوذح: ما يتعلق بأذناب الشاة من أبعارها فيجف.

ومنها: أنّ الحجّاج رأى خنفساوات مجتمعات. فقال: واعجباً لمن يقول إنّ الله خلق هذه. قيل: فمن خلقها؟ قال: «الشيطان. إنّ ربكم لأعظم شأناً أن يخلق هذه الوذح» فنقل قوله إلى الفقهاء فاكفروه.

ومنها: أنّ الحجّاج كان مثفاراً، وكان يمسك الخنفساء حيّة ليشفي بحركتها في موضع حكاكه. قالوا: ولا يكون صاحب هذا الداء إلّا شانيا مبغضاً لأهل البيت عليهم السلام. قالوا: ولسنا نقول كلّ مبغض فيه هذا الداء، وإنّما قلنا

---

(١) لسان العرب ٢: ٦٣٢، مادة (وذح).

كلّ من فيه هذا الداء فهو مبغض. قالوا: وقد روى أبو عمرو الزاهد ـ ولم يكن من رجال الشيعة ـ في (أماليه): في أحاديثه عن السياري عن أبي خزيمة الكاتب قال: ما فتشنا أحدا فيه هذا الداء إلّا وجدناه ناصبياً.

وعن القطامي عن رجاله قالوا: سئل جعفر بن محمّد عليه السلام عن هذا الصنف من الناس. فقال: رحم منكوسة يؤتى ولا يأتي، وما كانت هذ الخصلة في وليّ لله قط، ولا تكون أبداً، وإنّما تكون في الكفّار والفسّاق والناصب للطاهرين وكان أبوجهل عمرو بن هشام من القوم، وكان أشدّ الناس عداوة للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ولذلك قال له عتبة بن ربيعة يوم بدر: يا مصفّر اُستِهِ!

قال: فهذا مجموع ما ذكره المفسّرون، وما سمعته من أفواه الناس في هذا الموضع، ويغلب على ظنّي أنّه أراد معنى آخر، وذلك أنّ عادة العرب أن تكنّي الإنسان إذا أرادت تعظيمه بما هو مظنّة التعظيم كقولهم، أبو الهول، وأبو المقدام، وأبو المغوار، فإذا أرادت تحقيره والغضّ منه كنّته بما يستحقر، ويستهان به كقولهم في كنية يزيد: أبو زنّة ـ يعنون القرد ـ وفي سعيد بن حفص البخاري المحدّث: أبو الفار، وفي الطفيلي: أبو لقمة، وفي عبدالملك أبو الذبان لبخره، وكقول ابن بسام لبعض الرؤساء:

فأنت لعمري أبو جعفر ولكن بحذف الفاء منه

وقال أيضاً:

لئـــيم درن الثـــوب نظيف القعب والقـدر

أبو النـتن أبـو الدقـر أبو البعر أبـو الجـعر

فلمّا كانَ عليه السلام يعلم من حال الحجّاج نجاسته بالمعاصي والذنوب الّتي لو شوهدت بالبصر لكانت بمنزلة البعر الملتصق بشعر الشاة كنّاه أبا وذحة.

قال: ويمكن أيضاً أن يكنّيه بذلك لدمامته في نفسه، وحقارة منظره. وتشويه خلقته. فإنّه كان قصيراً دميماً نحيفاً أخفش العينين معوج الساقين

قصير الساعدين مجدور الوجه. أصلع الرأس. فكنّاه بأحقر الأشياء وهو البعرة.

قال: وقد روى قوم هذه اللفظة بصيغة أُخرى فقالوا «إيه أبا ودجة» واحدة الأوداج كنّاه بذلك لأنه كان قتّالاً يقطع الأوداج بالسيف. ورواه قوم «أبا وحرة» وهي دويبة تشبه الحرباء قصيرة الظهر شبّهه بها[١].

قلت: أمّا اعتراضه على المصنّف بأنّه لم يذكر أحد أنّ الوذحة الخنفساء فساقط فلم يقل الرضي إنّ الخنفساء مفهوم الوذحة اللغوي بل أراد أنّها المراد، والتفسير بالمراد شائع. (فالصحاح) قال يقال للجلدة الّتي بين العين والأنف سالم. قال ابن عمر في ابنه سالم:

يديرونني عن سالم وأريغه وجلدة بين العين والأنف سالم

وهذا المعنى أراد عبدالملك في جوابه عن كتاب الحجّاج أنت عندي كسالم[٢]. وقول (القاموس): إنّه غلط غلط[٣]. فتوهّم أنّ (الصحاح) أراد المفهوم، ولم يتفطّن أنّ مراده المراد، والحجّاج لم يفهم مراد عبدالملك حتّى فسّره بعض الأُدباء له، وهذا كأن يقال: فلان كثير الرماد، أي: جواد، مع أنه قال في النهاية بعد نقل كلامه عليه السلام: الوذحة بالتحريك الخنفساء من الوذح، وهو ما يتعلّق بإلية الشاة من البعر فيجفّ، وبعضهم يقول: بالخاء وفي حديث الحجّاج أنّه رأى خنفساة فقال: قاتل الله أقواماً يزعمون أنّ هذه من خلق الله. فقيل مم هي؟ قال: من وذح ابليس[٤].

وحينئذٍ نقول: إن صحّ الأوّل والأخير من الوجوه الأربعة الّتي نقلها، في

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٥٧، والنقل بتصرف يسير.

(٢) صحاح اللغة ٥: ١٩٥٢، مادة (سلم).

(٣) القاموس المحيط ٤: ١٣١، مادة (سلم).

(٤) النهاية ٥: ١٧٠، مادة (وذح).

قصته مع الخنفساء فلا يصحّ أن يخاطب عليه السلام الحجّاج بأبي وذحة إلّا بأن نقول أنّه شبّه الخنفساء بالوذحة بكونه أمراً عرفياً. فلمّا كان الحجّاج مات من ورم يده بقرص خنفساء او كان يمسك الخنفساء في موضع حكاكه كان أبا وذحة أي أبا خنفساء. وإن صحّ الأوسطان منها فخاطبه بأبي وذحة لأنّه كان يسمّي الخنفساء وذحة الشيطان. ثمّ كأنّ الأصل فيهما واحد بكون الثالث تفصيل الثاني، وكيف كان فلا تنافي بين الوجوه بأن يصحّ الجميع إن ثبت النقل سوى الأخير منها. فإنّه بظاهره ينافي الاولى لا سيّما الوسطين أو الوسط.

وأمّا قوله: فيغلب على ظنّي أنّه أراد معنى آخر...، فبلا معنى فإنّ عبدالملك كان يقال له أبو الذبّان لأنّ الذبّان كانت تجتنبه لبخره، وأبو زنّة كنية القرد وكان ـ كما في (المروج) ـ ليزيد قرد خبيث مكّنى بأبي قيس يحضره مجلس منادمته، ويطرح له متّكأً وكان يحمله على أتان وحشية قد ريضت وذلّلت لذلك بسرج ولجام، ويسابق بها الخيل يوم الحلبة فجاء في بعض الأيّام ـ وعليه قباء من الحرير الأحمر والأصفر مشهر، وعلى رأسه قلنسوة من الحرير ذات ألوان ـ سابقاً فتناول القصبة، ودخل الحجرة قبل الخيل[1]، وحينئذٍ فلا يصحّ أن يقال للحجاج أبا وذحة إلّا بواحدة من تلك الوجوه على ما عرفت حتّى تحصل مناسبة، وحينئذٍ فليس هو معنى آخر.

كما أنّ قوله: ويمكن أيضاً أن يكنّيه بذلك لدمامته...، أيضاً بلا معنى فإنّه لو كان عليه السلام خاطبه لدمامته وعيوب خلقته لقال له يا وذحة لا أبا وذحة كما قال بعض الأعراب في عدوّ له شديد السواد:

عاديتنا يا خنفسا أم الجعل   عداوة الأوعال حيات الجبل

ولو كانت تكنيته بأبي وذحة بدمامته صحيحة لكانت للجاجته أنسب.

---

(١) مروج الذهب ٣: ٦٧.

فقد عرفت أنّ عبدالملك لما سأله عن عيوبه عدّ منها لجاجه، ويشهد له سيره، ومنها عدم اكتراثه بنصح المهلّب له حتّى انهزم يوم تستر ثمّ ندم،والخنفساء يضرب المثل بها في اللجاجة، ومنهم من كنّاها أُمّ اللجاج كما قال الدميري[1]، وقال الجاحظ: وفي لجاج الخنفساء يقول خلف الأحمر:

لنا صاحب مولع بالخلاف   كثير الخطاء قليل الصواب
ألجّ لجاجاً من الخنفساء   وأزهى إذا ما مشي من غراب[2]

هذا، وفي (تاريخ بغداد): كان أبو علقمة الثقفي عند جعفر البرمكي في بعض لياليه الّتي يسمر فيها. فأقبلت خنفساء إلى أبي علقمة. فقال: أليس يقال إنّ الخنفساء إذا أقبلت إلى رجل أصاب خيراً؟ قالوا: بلى. قال جعفر: يا غلام اعطه ألف دينار. فنحّوها عنه. فعادت إليه. فقال: يا غلام أعطه ألفاً آخر فأعطاه ألفي دينار[3].

وفي (بلدان الحموي) ـ في عنوان دير الخنافس ـ: هو في غربي دجلة على قلّة جبل شامخ، وهو دير صغير لا يسكنه أكثر من راهبين، وهو نزه لعلّوه على ضياع وإشرافه على أنهار نينوى، والمرج، وله عيد يقصده أهل الضياع في كلّ عام مرّة، وفيه طلسم ظريف، وهو أنّ في كلّ سنة ثلاثة أيام تسوّد حيطانه، وسقوفه من الخنافس الصغار اللواتي كالنمل. فإذا انقضت تلك الأيّام لا يوجد في تلك الأرض من تلك الخنافس واحدة ألبتّة فاذا علم الرهبان بمجيء تلك الأيام الثلاثة أخرجوا جميع مالهم فيه من فرش وطعام، وأُثاث وغير ذلك هرباً من الخنافس، فإذا انقضت الأيام عادوا[4].

---

(١) حياة الحيوان ١: ٣٠٧.

(٢) الحيوان ٣: ٥٠٠.

(٣) تاريخ بغداد ٧: ١٥٣.

(٤) معجم البلدان ٢: ٥٠٨.

وفي (نجوم ابن طاووس): قال أبو حيان التوحيدي في (بصائره): قال أبو معشر في (كتاب أسراره) ـ بعد ذكر منجم ادّعى النبوة في زمان المأمون ـ وكان له خاتم من لبسه لا يتمالك من الضحك، وقلم لا ينطلق اصبع غيره على الكتابة به، وهو الّذي عمل طلاسم الخنافس في ديور كثيرة[1].

وفي (معارف ابن قتيبة): كانت أُمّ أبان بن عثمان حمقاء تجعل الخنفساء في فمها وتقول: «حاجيتك ما في فمي»[2].

وفي (حياة الحيوان للدميري): رأى رجل خنفساء. فقال: ماذا يريد الله من خلق هذه؟ ألحسن شكلها أو لطيب ريحها؟ فابتلاه الله بقرحة عجز عنها الأطباء حتى ترك العلاج، فسمع يوماً صوت طبيب من الطرقيين ينادي في الدرب فقال: هاتوه حتّى ينظر في أمري. فقالوا: وما تصنع بطرقي وقد عجز عنك حذّاق الأطباء، فقال: لابدّ لي منه. فأحضروه، فلمّا رأى القرحة استدعى بخنفساء. فضحك الحاضرون منه. فقال الرجل: أحضروا له ما طلب. فإنّ الرجل على بصيرة من أمره، فاحضروها له فأحرقها وذرّ رمادها على قرحته. فبرئ بإذن الله. فقال: ان الله تعالى أراد أن يعرّفني أنّ أخسّ المخلوقات أعزّ الأدوية.

وقال الدميري: كنية الخنفساء أُم الفسو، وأُم الأسود، وأُم مخرج وأُم اللجاج وأُم الفتن، وبينها وبين العقرب صداقة، وهي أنواع: منها الجعل، وحمارقبان، وبنات وردان، والحنطب، وهو ذكر الخنافس[3].

وفي (حيوان الجاحظ): زعم الأعراب أنّ بين ذكورة الخنافس، وذكورة

---

(١) خرج المهموم: ١٦٤، والنقل بتلخيص.

(٢) المعارف: ٢٠١.

(٣) حياة الحيوان ١: ٣٠٧.

الجعلان تسافد، وأنهما ينتجان خلقاً ينزع إليهما جميعاً. وقال لي الفضل العنبري: يقولون: الضب أطول شيء ذماء، والخنافس أطول منه ذماء، وذلك أنّه يغرز في ظهرها شوكة ثاقبة، وفيها ذبالة تستوقد، وتصبح لأهل الدار وهي تدبّ بها وتجول. قال: وربما كانت الخنفساء في تضاعيف حبل قت أو في بعض الحشيش، والعشب، والحلأ. فتصير في فم الجمل. فيتبلعها من غير أن يضغم الخنفساء. فإذا وصلت إلى جوفه وهي حيّة حالت فيه فلا تموت حتّى تقتله. فأصحاب الإبل يتعاورون تلك الإداري والعلوفات خوفاً من الخنافس[1].

وفي (فهرست ابن النديم): خدم يوحنّا بن ماسويه المأمون إلى المتوكّل، وعبث به ابن حمدون النديم بحضرة المتوكّل. فقال له يوحنا: لو أنّ مكان ما فعلت من الجهل عقل ثمّ قسّم على مئة خنفساء لكانت كلّ واحدة منها أعقل من أرسطاطاليس[2].

قول المصنّف: «وهذا القول يومئ به إلى الحجّاج» وكما أخبر عليه السلام أهل العراق بتسلّط الحجّاج عليهم لمّا رأى تخاذلهم له عموماً، وترازل بعضهم وسوء أدبه معه خصوصاً كما عرفت؛ أخبر أهل الشام بغلبة أبي سلم عليهم لما رأى جدّهم في حربه.

ففي (المناقب): عن الأعمش عن رجل من همدان قال: كنا مع عليّ عليه السلام بصفين. فهزم أهل الشام ميمنة العراق. فهتف بهم الأشتر ليتراجعوا. فجعل أمير المؤمنين عليه السلام يقول لأهل الشام: «يا أبا مسلم خذهم» ثلاث مرات. فقال الأشتر: أو ليس أبو مسلم معهم؟ قال: لست أُريد الخولاني، وإنّما أُريد رجلاً

(١) الحيوان ٤: ٤٩٦ و٥٠٨، والنقل بتصرف يسير.

(٢) الفهرست: ٤١١، والنقل بتصرف يسير.

يخرج في آخر الزمان من المشرق يهلك الله به أهل الشام، ويسلب عن بني أُميّة ملكهم[١].

هذا، وفي (الخرائج): روي أنّ حجّاجاً كتب إلى عبدالملك إن أردت أن يثبت ملكك فاقتل عليّ بن الحسين. فكتب عبدالملك إلى الحجّاج أما بعد. فجنّبني دماء بني هاشم واحقنها فإنّي رأيت آل أبي سفيان لما أولغوا فيها لم يلبثوا ان أزال الله الملك عنهم ـ وبعث بالكتاب سرّا ـ فكتب عليّ بن الحسين عليه السلام سرّاً إلى عبدالملك في الساعة الّتي أنفذ فيها الكتاب إلى الحجّاج: «علمت ما كتبت في حقن دماء بني هاشم، وقد شكر الله لك ذلك، وثبّت ملكك، وزاد في عمرك» وبعث به مع غلام له فنظر عبدالملك فوجد تاريخه موافقا لتاريخ كتابه. ففرح بذلك، وفي كتابه عليه السلام إليه أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أتاني في النوم. فعرّفني ما كتبت به الى الحجّاج[٢].

هذا، وفي (المروج): ولد الحجّاج مشوّهاً لا دبر له. فثقب عن دبره، وأبى أن يقبل ثدي أُمّه وغيرها. فأعياهم أمره. فيقال: إنّ الشيطان تصور لهم في صورة الحرث بن كلدة. فقال: ما خبركم؟ قالوا: ولد ليوسف ابن من الفارعة وقد أبى أن يقبل ثدي أُمّه. فقال: اذبحوا جدياً أسود، وأولغوه دمه فإذا كان في اليوم الثاني فافعلوا به كذلك. فإذا كان في اليوم الثالث فاذبحوا له تيسا أسود، وأولغوه دمه. ثمّ اذبحوا له أسود سالخا ـ أي الأسود من الحيات ـ فأولغوه دمه، واطلوا به وجهه؛ فإنّه يقبل الثدي في اليوم الرابع، ففعلوا به ذلك. فكان بعد لا يصبر عن سفك الدماء، وكان يخبر عن نفسه أن أكثر لذّاته سفك الدماء وارتكاب امور لا يقدم عليها غيره[٣].

---

(١) مناقب السروي ٢: ٢٦٢.

(٢) الخرائج والجرائح ١: ٢٣٢.

(٣) مروج الذهب ٣: ١٢٥، والنقل بتصرف يسير.

وفي (تفسير العياشي): عن زرارة: كان يوسف أبو الحجّاج صديقاً لعليّ بن الحسين عليه السلام ، وأنّه دخل على امرأته، فأراد أن يضمها. فقالت له: اليس إنّما عهدك بذاك الساعة؟ فأتى عليّ بن الحسين عليه السلام فأخبره فأمره أن يمسك عنها فأمسك عنها فولدت بالحجّاج وهو ابن شيطان ذي الردهة.

وعنه عن الباقر عليه السلام : كان الحجّاج ابن شيطان، إنّ يوسف دخل على أُمّ الحجّاج فأراد أن يصيبها. فقالت: أليس إنّما عهدك بذلك الساعة؟ فأمسك عنها فولدت الحجّاج[1].

وفي السير: أن عروة بن الزبير كان يكنّي الحجّاج بابن المتمنية. لان أُمّه الفريعة هي الّتي قالت:

هل من سبيل إلى خمر فأشربها أم هل سبيل إلى نصر بن حجاج؟

وفي (العقد): شتم الحجّاج أنس بن مالك. فكتب إلى عبدالملك يشكوه فكتب عبدالملك إلى الحجّاج إنّك عبد طمّت بك الأُمور. فطغيت وعلوت فيها حتّى جزت قدرك، وعدوت طورك، وأيم الله يا ابن المستفرمة بعجم زبيب الطائف لأغمزنّك كبعض غمزة الليوث للثعالب، ولأُركضنك ركضة تدخل منها في وجارك. اُذكر مكاسب آبائك إذ كانوا ينقلون الحجارة على أكتافهم، ويحفرون الآبار في المناهل بأيديهم. فقد نسيت ما كنت عليه أنت وآباؤك من الدناءة واللوم والضراعة، فعليك لعنة الله من عبد أخفش العينين، أَصِلِ الرجلين، ممسوح الجاعرتين ـ إلى أن قال ـ.

فقال الحجّاج لأنس: عجّلت باللائمة، وأغضبت علينا الخليفة ثمّ أخذ بيده فأجلسه معه على السرير فقال أنس: إنّك كنت تزعم أنّا الأشرار، والله سمّانا الأنصار وقلت: إنّا من أبخل الناس والله يقول فينا: ﴿ويؤثرون على

(١) تفسير العياشي ٢: ٢٩٩ و٣٠١ح ١٠٣ و١١٠.

أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾[1] وزعمت أنّا أهل نفاق، والله تعالى يقول فينا: ﴿والّذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبّون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة ممّا أُوتوا﴾[2].

قلت: ومعنى اصل الرجلين كون رجليه دقيقتين وأصل بالتحريك جمع أصلة حيّة خبيثة.

وفي (الأغاني): استعمل الحجّاج خالد بن عتاب الرياحي على الريّ ـ وقد كان حلف ألاّ يسبّ أحدٌ أُمّه إلاّ أجابه كائناً من كان ـ فكتب إليه الحجّاج يا ابن اللخناء! أنت الّذي هربت عن أبيك حتّى قتل، فكتب خالد إلى الحجّاج: «كتبت إليّ تلخّنني وتزعم أنّي فررت عن أبي حتّى قتل، ولعمري لقد فررت عنه، ولكن بعد أن قتل، وحين لم أجد لي مقاتلاً، ولكن أخبرني عنك يا ابن اللخناء المستفرمة بعجم زبيب الطائف حين فررت أنت وأبوك يوم الحرّة على جمل ثفال» ثمّ هرب إلى الشام واستجار بزفر بن الحرث الكلابي.

وفي (معارف ابن قتيبة): كان اسمه كليب، وكان معلم الصبيان بالطائف وفيه قال الشاعر:

أينسى كليب زمان الهزال ... وتعليمه سورة الكوثر
رغيف له فلكة ما ترى ... وآخر كالقمر الأزهر

قال ذلك لأنّ خبز المعلّمين من بيوت مختلفة. ونقل مثله (العقد): وزاد ثمّ لحق بروح بن زنباع وزير عبدالملك، فكان في عديد شرطه إلى أن شكا عبدالملك ما رأى من انحلال العسكر، وأنّ الناس لا يرحلون برحيله، ولا ينزلون بنزوله. فقال له روح: إنّ في شرطتي رجلاً لو قلّدته أمر عسكرك

---

(١) الحشر: ٩.

(٢) العقد الفريد ٥: ٢٧٢ ـ ٢٧٤، والنقل بتلخيص. والآية ٩ من سورة الحشر.

لأرحلهم برحيله وانزلهم بنزوله يقال له الحجّاج بن يوسف. قال: فانا قلّدناه ذلك. فكان لا يقدر أحد أن يتخلّف عن الرحيل والنزول الاّ أعوان روح. فوقف عليهم يوما، وقد رحل الناس وهم على طعام يأكلون. فقال لهم: ما منعكم أن ترحلوا برحيل الخليفة: فقالوا له: إنزل يا ابن اللخناء فكل معنا. فقال لهم: هيهات ذهب ما هنالك ثمّ أمر بهم. فجلّدوا بالسياط، وطوّفهم في العسكر، وأمر بفساطيط روح فأُحرقت، فدخل روح على عبدالملك باكياً. فقال له: مالك؟ فقال له: الحجّاج الّذي كان في عديد شرطتي ضرب عبيدي، وأحرق فساطيطي. قال: عليّ به. فلمّا دخل عليه قال له: ما حملك على ما فعلت؟ قال: ما أنا فعلته. قال: ومن فعله؟ قال: أنت والله فعلت إنّما يدي يدك وسوطي سوطك، وما على الخليفة أن يخلف على روح لفسطاط فسطاطين، ولغلام غلامين، ولا يكسرني في ما قدّمني له، فأخلف لروح ما ذهب منه، وتقدّم الحجّاج في منزلته، وكان ذلك أوّل ما عرف من كفايته[١].

وفي (المعارف): هلك الحجّاج بواسط فدفن بها، وعفّي قبره، وأجري عليه الماء[٢].

«وله مع الوذحة حديث ليس هذا موضع ذكره» لابد أنّ المصنّف أراد بحديثه أحد الوجوه المتقدّمة المنقولة في كلام ابن أبي الحديد.

٢١
الخطبة (٩٦)

وَمِنْ كَلاَمٍ لَهُ عليه السلام :

وَٱللهِ لاَ يَزَالُونَ حَتّى لاَ يَدَعُوا لِلهِ مُحَرَّماً إِلاَّ ٱسْتَحَلُّوهُ، وَلاَ عَقْداً إِلاَّ

(١) العقد الفريد ٥: ٢٥٥، والمعارف: ٥٤٨، والنقل بتصرف يسير.

(٢) المعارف: ٣٩٨.

حَلُّوهُ. وَحَتّى لَا يَبْقَى بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلاَّ دَخَلَهُ ظُلْمُهُمْ، وَنَبَا بِهِ سُوءُ رَعْيِهِمْ، وَحَتّى يَقُومَ ٱلْبَاكِيَانِ يَبْكِيَانِ، بَاكٍ يَبْكِي لِدِينِهِ، وَبَاكٍ يَبْكِي لِدُنْيَاهُ. وَحَتّى تَكُونَ نُصْرَةُ أَحَدِكُمْ مِنْ أَحَدِهِمْ كَنُصْرَةِ ٱلْعَبْدِ مِنْ سَيِّدِهِ. إِذَا شَهِدَ أَطَاعَهُ، وَإِذَا غَابَ ٱغْتَابَهُ. وَحَتّى يَكُونَ أَعْظَمَكُمْ فِيهَا عَنَاءً أَحْسَنُكُمْ بِاللهِ ظَنّاً. فَإِنْ أَتَاكُمُ ٱللهُ بِعَافِيَةٍ فَٱقْبَلُوا. وَإِنِ ٱبْتُلِيتُمْ فَاصْبِرُوا. فَإِنَّ ٱلْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ.

أقول: رواه إبراهيم الثقفي في (غاراته)[1]، وقد وقع الأمر كما أخبر عليه السلام.

«والله لا يزالون حتّى لا يدعوا لله محرّماً إلّا استحلّوه» في (الأغاني): قتل خداش الكندي ـ وكان عاملاً لخالد القسري ـ غلاماً فطولب خالد بالقود منه. فقال: لئن أقدت من عاملي لأقيدنّ من نفسي، ولئن أقدت من نفسي ليقيدنّ الخليفة من نفسه، ولئن أقاد الخليفة من نفسه ليقيدنّ النبيّ من نفسه، ولئن قاد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من نفسه هاه هاه ـ يعرّض بالله تعالى.

فيه: وكان خالد القسري يقول: لو أمرني الخليفة لنقضت الكعبة حجراً حجراً ونقلتها إلى الشام ـ وكانت أمّه نصرانية ـ فبنى لها كنيسة في ظهر قبلة الجامع بالكوفة فكان إذا أراد المؤذّن أن يؤذّن ضرب لها بالناقوس، وإذا قام الخطيب على المنبر رفع النصارى أصواتهم بقراءتهم، وكان يولّي النصارى، والمجوس على المسلمين، ويأمرهم بامتهانهم وضربهم، وكان أهل الذمة يشترون الجواري المسلمات ويطؤوهن، فيطلق لهم ذلك، ولا يغيّر عليهم وصعد المنبر فقال: إلى كم يغلب باطلنا حقكم؟! أما آن لربّكم أن يغضب لكم؟! وكان يسمّي زمزم: أم الجعلان[2].

---

(١) الغارات ٢: ٤٨٧.

(٢) الأغاني ٢٢: ١٤ ـ ١٦، والنقل بتصرف يسير.

وفي كتاب (عبّاسية الجاحظ): «تفخر هاشم عليهم (أى على بني أُمية) بأنّهم لم يهدموا الكعبة فلم يحوّلوا القبلة ولم يجعلوا النبيّ ﷺ دون الخليفة، ولم يختموا في أعناق الصحابة، ولم يغيّروا أوقات الصلاة ولم ينقشوا أكفّ المسلمين، ولم يأكلوا الطعام، ولم يشربوا على منبر النبيّ ﷺ، ولم ينهبوا الحرم، ولم يطؤوا المسلمات في دار الاسلام بالسباء»[1].

وفي كتاب (افتراق هاشم، وعبد شمس) للجاحظ: «قال ابن أبي رؤبة الدباس: كان بنو أُمّية في ملكهم يؤذّنون، ويقيمون في العيد، ويخطبون قبل الصلاة، وكانوا في ساير صلواتهم لا يجهرون بالتكبير في الركوع والسجود، وكان لهشام خصيّ إذا سجد، وهو يصلّي في المقصورة، قال: لا إله إلّا الله ليسمع الناس فيسجدون، و كانوا يقعدون في إحدى خطبتي العيد، والجمعة، ورأى كعب مروان يخطب وهو قاعد. فقال: أُنظروا إلى هذا والله يقول: ﴿وتركوك قائماً﴾[2] وأوّل من قعد في الخطب معاوية، وأوّل من أذّن وأقام في العيد بشر بن مروان، وكان عمّال بني أُميّة يأخذون الجزية ممّن أسلم من أهل الذمة، ويقولون: هؤلاء فرّوا من الجزية، ويأخذون الصدقة من الخيل، وربما دخلوا دارا الرجل قد نفق فرسه أو باعه فإذا أبصروا الأخبية قالوا: قد كان هاهنا فرس فهات صدقتها، وكانوا يؤخّرون صلاة الجمعة تشاغلاً عنا بالخطبة، ويطيلون فيها إلى أن يتجاوز وقت العصر، وتكاد الشمس تصفرّ. فعل ذلك الوليد بن عبدالملك، ويزيد بن عبدالملك والحجّاج، ووكّل بهم الحجّاج والسيوف على رؤوسهم فلا يستطيعون، أن يصلّوا.

---

(١) رواه الجاحظ في مفاخرة هاشم وامية، عنه شرح ابن أبي الحديد ٣: ٤٧٧، شرح الكتاب ٢٨، لا العباسية.

(٢) الجمعة: ١١.

وفيه: خطب الحجّاج فذكر الّذين يزورون قبر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال: تبّاً لهم إنّما يطوفون بأعواد ورمّة بالية هلّا طافوا بقصر الخليفة عبدالملك؟ ألا يعلمون أنّ خليفة المرء خير من رسوله؟ وكان الوليد بن يزيد يصلّي إذا صلّى أوقات إفاقته إلى غير القبلة فقيل له فقرأ: ﴿فأينما تولوا فثّم وجه الله﴾[1].

وفيه: وكانت بنو أُميّة تبيع الرجل في الدَين يلزمه، وترى أنّه بذلك يصير رقيقاً. كان معن ـ أبو عمير بن معن الكاتب ـ حرّاً مولى لبني العنبر. فبيع في دين عليه فاشتراه أبو سعيد بن زياد بن عمرو العتكي. وباع الحجّاج عليّ بن بشير بن الماخور ـ لكونه قتل رسول المهلب ـ على رجل من الأزد، وكانوا يسبّون ذراري الخوارج من العرب وغيرهم. فلمّا قتل قريب وزحاف الخارجيان سبى زياد ذراريهما. فأعطى شقيق بن ثور السدوسي إحدى بناتهما وأعطى عباد ابن حصين الأُخرى، وسبيت بنت لعبيدة بن هلال اليشكري، وبنت لقطري بن الفجاءة المازني. فصارت إلى العبّاس بن الوليد. فوطأها بملك اليمين. فولدت له المؤمل، ومحمّداً وإبراهيم وأحمد وحصيناً.

وأيضاً سُبِيَ واصل بن عمرو القنا واسترقّ، وكذلك سُبِيَ سعيد الصغير الحروري واسترقّ، وكانت أُمّ يزيد بن عمر بن هبيرة من سبي عمّان الّذين سباهم مجاعة. وبايع مسلم بن عقبة أهل المدينة كافة، وفيها بقايا الصحابة وصلحاء التابعين على أنّ كلاً منهم عبدٌ قِنٌّ ليزيد إلّا عليّ بن الحسين عليه السلام فإنّه بايعه على أنّه أخوه وابن عمّه[2].

وفي (المروج): كان ليزيد قرديكنى بأبي قيس يحضره مجلس

---

(١) البقرة: ١١٥.

(٢) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ٤٧٨، شرح الكتاب ٢٨، عن كتاب افتراق هاشم وعبد شمس للدباس بلا واسطة ولم يوجد في كتاب مفاخرة هاشم وأُمية للجاحظ.

المنادمة، ويطرح له متكأ وكان يحمله على أتان وحشية قد ريضت، وذلّلت لذلك بسرج ولجام، ويسابق بها الخيل يوم الحلبة. فجاء في بعض الأيام سابقاً فتناول القصبة ودخل الحجرة قبل الخيل، وعليه قباء من الحرير الأحمر، وعلى رأسه قلنسوة من الحرير ذات ألوان، وعلى الأتان سرج من الحرير الأحمر منقوش ملمّع[1].

وفيه: قرأ الوليد بن يزيد ذات يوم: ﴿واستفتحوا وخاب كلّ جبار عنيد * من ورائه جهنّم ويسقى من ماء صديد﴾[2] فدعا بالمصحف فنصبه غرضاً للنشاب، وأقبل يرميه وهو يقول:

أتوعد كلّ جبّار عنيد فها أنا ذاك جبّار عنيد

إذا ما جئت ربّك يوم حشر فقل يا ربّ خرّقني الوليد

فيه: ذكر المبرّد أنّ الوليد ألحد في شعر له:

تلعّب بالخلافة هاشمي بلا وحي أتاه ولا كتاب

فقل لله يمنعني طعامي وقل لله يمنعني شرابي

فلم يمهل بعد قوله إلّا أيّاماً حتّى قتل[3].

فيه: وغنّاه ابن عائشة بقول الشاعر:

إنّي رأيت صبيحة النحر حورا نفين عزيمة الصبر

وطلب منه اعادته بحقّ آبائه من عبد شمس إليه. فأعاد في كلّ، فقام إليه وأكبّ عليه، ولم يبق عضواً من أعضائه إلّا قبّله وأهوى إلى أيره فجعل ابن عايشة يضمّ نفسه. فقال الوليد: لا زلت فقبّل رأسه، وقال: واطرباه ونزع ثيابه.

---

(١) مروج الذهب ٣: ٦٧، والنقل بتصرف يسير.

(٢) إبراهيم: ١٥ ـ ١٦.

(٣) مروج الذهب ٣: ٢١٦.

فألقاها على ابن عايشة، وبقي مجرّداً إلى أن أتوه بثياب، وحمله على بغلة، وقال: اركبها على بساطي. فقد تركتني على أحرّ من جمر الغضى.

قال: وقد كان ابن عائشة غنّى بهذا الشعر أباه يزيد بن عبدالملك، فأطربه وقيل: إنه ألحد، وكان في ما قال لساقيه: اسقنا بالسماء الرابعة[١].

وعن (تاريخ الخميس)، وفي (الأغاني): وجد الوليد بن يزيد ابنته خالية فبرك عليها وأزال بكارتها. فقيل له: هذا دين المجوس. فأنشد:

من راقب الناس مات غماً وفاز باللّذة الجسور[٢]

ونكح أُمّهات أولاد أبيه. وفي (رسالة ابن القارح): أنفذ الوليد إلى مكّة بنّاء مجوسيّاً ليبني له على الكعبة مشربة. فمات قبل تمام ذلك فكان الحُجاج يقولون: لبّيك اللّهمّ لبّيك لبّيك يا قاتل الوليد بن يزيد لبّيك.

(أيضاً) وكان يشرب على سطح وبين يديه باطية كبيرة بلور فيها أقداح، فقال لندمائه: أين القمر الليلة؟ فقال بعضهم في الباطية: فقال: صدقت أتيت على ما في نفسي، والله لأشربن الهفتجة ـ يعني شرب سبعة أسابيع متتابعة ـ. فقتل بها قال: ورأيت رأسه في الباطية الّتي أراد أن يهفتج بها[٣].

وفي (حياة الحيوان للدميري): أذّن للصبح، وكان الوليد يشرب مع جارية له، فوطأها ثمّ ألبسها لباسه، فأخرجها سكرانة جنبة، فصلّت بالناس ـ ورواه (الأغاني)[٤].

وفي (تاريخ الطبري): أراد هشام قطع ندماء الوليد عنه فولّاه الحج سنة (١١٩). فحمل معه كلاباً في صناديق فسقط منه صندوق عن البعير، وفيه كلب

---

(١) مروج الذهب ٣: ٢١٥.

(٢) تاريخ الخميس ٢: ٣٥٧، والأغاني ٧: ٦١.

(٣) رسالة ابن القارح: ١٩٨ و١٩٩.

(٤) حياة الحيوان ١: ٧٢، والأغاني ٧: ٤٧، والنقل بالمعنى.

فأجالوا على الكريّ السياط. فأوجعوه ضرباً، وحمل معه قبة عملها على قدر الكعبة ليضعها على الكعبة، وحمل معه خمراً، وأراد أن ينصب القبة على الكعبة، ويجلس فيها فخوّفه أصحابه، وقالوا: لا نأمن الناس عليك وعلينا، وتمادى في الشراب، وطلب اللذّات فأفرط. فقال له هشام: فوالله ما أدري أعلى الإسلام أنت أم لا. ما تدع شيئاً من المنكر إلّا أتيته غير متحاش ولا مستتر به -وكان مسلمة بن هشام يكنّى أبا شاكر، وكان يشرب - فكتب إليه الوليد:

يا أيّها السائل عن ديننا نحن على دين أبي شاكر

نشربها صرفاً وممزوجة بالسخن أحياناً وبالفاتر[1]

وفي (الأغاني): في خروج يزيد على الوليد وإحاطة جنده بقصره قال لهم الوليد، ومن راء الباب: أما فيكم رجل شريف أُكلّمه. فقال له يزيد بن عنبسة السكسكي: كلّمني. فقال له الوليد: ما تنقمون منّي؟ ألم أزد في أعطياتكم وأعطية فقرائكم، واخدمت زمناكم، ودفعت عنكم المؤن؟ فقال: ما ننقم عليك في أنفسنا شيئاً، ولكن ننقم عليك انتهاك ما حرّم الله، وشرب الخمور، واستخفافك بأمر الله -إلى أن قال - قال عمر الوادي: كنت أُغنّي الوليد:

كذبتك نفسك أم رأيت بواسط غلس الظلام من الرباب خيالاً

فما أتممت الصوت حتّى رأيت رأسه فارق بدنه، ويتشحط في دمه[2].

وفي (كشف المحدّث النوري) في كتاب القاضي ابن أبي يعلى، قال ابن حنظلة غسيل الملائكه: والله ما خرجنا على يزيد بن معاوية حتّى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء أنّ رجلاً ينكح الأمّهات والبنات والأخوات - ثمّ ذكر قذفه الكعبة بالمجانيق في محاصرة ابن الزبير، واحراقه البيت واحراق

(١) تاريخ الطبري ٥: ٥٢٠، سنة ١٢٥، والنقل بتصرف يسير.

(٢) الأغاني ٧: ٧٨ - ٨١، والنقل بتلخيص.

قرني الكبش الّذي فدى الله به إسماعيل وكانا في السقف.

وعن المدائني في (كتاب الحَرّة) عن أبي هريرة قال هشام بن حسان: ولدت ألف امرأة بعد الحَرّة من غير زوج. قال: ورأيت في تاريخ عبدالملك العصامي أنّ رجلاً من أهل الشام وقع على إمرأة في المسجد النبوي ولم يجد خرقة ينظف بها، ووجد ورقة من القرآن فنظّف نفسه بها[١].

وفي (معارف القتيبي): لمّا قال المسوّر بن مخرمة: إنّ يزيد يشرب الخمر، وبلغه ذلك كتب إلى أمير المدينة أن يجلده الحدّ. فجلده. فقال المسور:

أيشربها صرفاً يفكّ ختامها | أبو خالد أو يجلد الحدّ مسور[٢]

وقال ابن عرادة في يزيد وقت موته:

طرقت منيته وعند وساده | كوب وزقّ راعف مرثوم
ومرّنة تبكي على نشوانة | بالصنج تقعد تارة وتقوم

وفي (تاريخ الطبري) قال من كان مع قحطبة: ما رأيت عسكراً قط جمع ما جمع أهل الشام باصبهان من الخيل والسلاح والرقيق. كنّا افتتحنا مدينة وأصبنا معهم ما لا يحصي من البرابط والطنابير والمزامير، ولقلّ بيت أو خباء ندخله إلّا أصبنا فيه زكرة أوزقاً من الخمر. فقال بعض الشعراء:

قرضبهم قحطبة القرضب | يدعون مروان كدعوى الرب[٣]

وفيه: جاء رجل إلى سمرة ـ وكان على البصرة من قبل معاوية ـ فأدّى زكاة ماله ثمّ دخل فجعل يصلّي في المسجد. فجاء رجل فضرب عنقه فإذا رأسه في المسجد وبدنه ناحية. فمرّ أبو بكرة فقال: يقول الله سبحانه

---

(١) كشف الاستار: ٨٨ ـ ٨٩.

(٢) المعارف: ٤٢٩.

(٣) تاريخ الطبري ٦: ٦٦، سنة ١٣١.

﴿قد أفلح من تزكّى وذكر اسم ربّه فصلّى﴾(١) فما مات سمرة حتّى أخذه زمهريرة فمات شرّ ميتة. وأتي (سمرة) بناس كثير وأُناس بين يديه. فيقول للرجل ما دينك؟ فيقول «أشهد ألاّ إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأنّ محمّداً عبده ورسوله وأني بريءٌ من الحرورية» فيقدّم فيضرب عنقه حتّى مرّ بضعة وعشرون(٢).

فيه: استخلف زياد سمرة على البصرة، وأتى الكوفة فجاء زياد وقد قتل ثمانية آلاف من الناس. فقال له: هل تخاف أن تكون قتلت بريئا؟ قال: لو قتلت إليهم مثلهم ما خشيت، وقال أبو سوار العدوي: قتل سمرة من قومي في غداة سبعة وأربعين رجلاً قد جمع القرآن(٣).

في (الأغاني): لمّا ولي الوليد بن يزيد لهج بالغناء والشراب، وحمل المغنّين اليه وارسل إلى اشعب فجاءوا به فألبسه سراويل من جلد قرد له ذنب فلما رآه الوليد كشف عن أيره، وكان كأنّه مزمار مدهون. فقال: أرأيت مثله قال: لا قال: فاسجد له. فسجد ثلاثاً. فقال: ما هذا؟ فقال واحدة له وثنتين لخصييك، فضحك وأمر له بجائزة، ولمّا ولي بعث إلى جماعة من أهله. فقال: أتدرون لم دعوتكم؟ قالوا: لا قال:

أشهد الله والملائكة الأبـ ـرار والعابدين الصلاح
أنّني اشتهي السماع وشرب الـ ـكأس والعض للخدود الملاح
والنديم الكريم والخادم الفـ ـاره يسعى عليّ بالاقداح

قوموا إذا شئتم.

---

(١) الاعلى: ١٤ ـ ١٥.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٢١٧، سنه ٥٣.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ١٧٦، سنة ٥٠.

وفيه لمّا أقبل الوليد على القصف والعسف مع المغنّين مثل مالك ومعبد وابن عائشة كان نديمه القاسم بن الطويل العبادي ـ وكان أديباً شاعراً. فكان لا يصبر عنه ـ فغنّاه معبد ذات يوم شعر عدي فطرب، وجعل يشرب إلى أن غلب عليه السكر. فنام في موضعه فانصرف ابن الطويل. فلمّا أفاق الوليد سأل عنه. فلمّا عرف انصرافه غضب وقال ـ وهو سكران ـ لغلام كان واقفاً على رأسه: إيتني برأسه. فمضى، وأتاه به فجعله في طست بين يديه. فلمّا رآه، أنكره، وسأل عن الخبر. فعرّف، فندم على ما فرط منه، ولم يعش بعده إلّا مُدَيْدَةً حتّى قتل.

وفي (تاريخ الطبري) ـ في خروج بهلول الملقب كثارة في زمن هشام ـ خرج، بهلول يريد الحج. فأمر غلامه أن يبتاع له خلاً بدرهم فجاءه بخمر فأمر الغلام بردها، وأخذ الدرهم فلم يجب. فجاء إلى عامل القرية فقال له العامل «الخمر خير منك ومن قومك» فعزم على الخروج. فلقي بمكّة من كان على مثل رأيه فاجتمعوا في قرية من الموصل، وهم أربعون وأمّروه فانتهوا إلى القرية الّتي ابتاع غلامه الخل فأعطوه الخمر. فقال: نبدأ بهذا العامل الّذي قال ما قال. فقالوا: ننشدك الله أن لا تقتل هذا فيفلت منا خالد القسري الّذي يهدم المساجد، ويبنى البيع والكنائس، ويولّي المجوس على المسلمين، وينكح أهل الذمة المسلمات لعلنا نقتله فيريح الله منه[1].

وفيه: ذكر الوليد عند المنصور فقال له، أبوبكر الهذلي عن ابن عم الفرزدق عنه قال: حضرت الوليد وعنده ندماؤه، وقد اصطبح، فقال لابن عائشة: تغنّ بشعر ابن الزبعرى:

ليت أشياخي ببدر شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسل

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٤٥٧، سنة ١١٩، والنقل بتصرف يسير.

وقتلنا الضعف من ساداتهم وعدلنا ميل بدر فاعتدل

فقال ابن عائشة: لا أُغنّي هذا. فقال: غنّه وإلّا جدعت لهواتك. فغنّاه. فقال: «أحسنت والله إنّي لعلى دين ابن الزبعري يوم قال هذا الشعر» فلعنه المنصور وجلساؤه[1].

وفي (رسالة ابن القارح): الوليد هو القائل:

إذا مت يا أُمّ الحنيكل فانكحي ولا تأملي بعد الفراق تلاقيا

فإنّ الّذي حدثته من لقائنا أحاديث طسم تترك العقل واهيا[2]

وفي (الأغاني): غنّى أبو كامل الوليد بن يزيد له:

أدر الكأس يميناً لا تدرها ليسار

فلقد أيقنت أنّي غير مبعوث لنار

سأروض الناس حتّى يركبوا أير الحمار

وذروا من يطلب الجنة يسعى لتبار

وفيه: تكلّم بعض جلساء الوليد والمغنيّة تغنّيه. فكره ذلك، وأضجره فقال لبعض جلسائه: قم فنكه. فقام فناكه والناس حضور وهو يضحك.

وفيه: عن الوليد البندار قال: حججت مع الوليد بن يزيد. فلمّا أراد أن يخطب الناس قلت: إنّ اليوم يوم يشهده الناس من جميع الآفاق، وأُريد أن تشرفني بشيء. قال: وما هو؟ قلت: إذا علوت المنبر دعوت بي فيتحدث الناس بذلك وبأنّك أسررت إليّ شيئاً. فقال: أفعل. فلمّا جلس على المنبر قال: يا بندار. فقمت إليه فأخذ بأُذني ثمّ قال: البندار ولد زنا، والوليد ولد زنا، وكلّ من ترى حولنا ولد زنا أفهمت؟ إنزل الآن.

---

(١) تاريخ الطبري ٦: ٣٣٧، سنة ١٥٨.

(٢) رسالة ابن القارح: ١٩٨.

«**ولا عقداً الاّ حلّوه**» في (خلفاء القتيبي): بعث عمرو بن سعيد جيشاً من المدينة يقاتلون ابن الزبير. فضرب على أهل الديوان البعث إلى مكّة، وهم كارهون للخروج. فقال لهم: إما أن تأتوا ببدل، وإما أن تخرجوا. فجاءه رجل ببدل، وقال لبدله: هل لك أن أزيدك خمسمائة أُخرى، وتنكح أُمّك؟ فقال له: أما تستحي. فقال: إنّما حرّمت عليك أُمك في مكان واحد من القرآن، وحرّمت عليك الكعبة في كذا وكذا مكان من القرآن، وقال لعمرو: قد جئتك برجل لو أمرته. أن ينكح أُمّه لنكحها[١].

«**وحتّى لا يبقى بيت مدر**» أي: بلد.

«**ولا وبر**» أي: أهل الخيام.

«**إلّا دخله ظلمهم، ونبابه**» في (الصحاح): «نبا بفلان منزله: إذا لم يوافقه»[٢].

«**سوء رعيهم**» في (أنساب البلاذري): كان يقال: لاياد الطبق لإطباقهم بالشر والعرام على الناس...[٣] قال الفرزدق مخاطباً للوليد بن عبدالملك كما في ديوانه:

فكيف بعامل يسعى علينا ... يكلّفنا الدراهم في البدور
وأنّي بالدراهم وهي منّا ... كرافع راحتيه إلى العبور
إذا سقنا الفرائض لم يردها ... وصدّ عن الشويهة والبعير[٤]

«**وحتّى يقوم الباكيان يبكيان**» هكذا في (المصرية)، و (يبكيان) زائدة

---

(١) الامامة والسياسة ٢: ٣، والنقل بتصرف يسير.

(٢) صحاح اللغة ٦: ٢٥٠٠، مادة (نبا).

(٣) انساب الاشراف ١: ٢٨.

(٤) ديوان الفرزدق ١: ٢٨٥.

لعدم وجوده في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[١]، وللغويته.

«باك يبكي لدينه» في (تاريخ الطبري): ذكر ضمرة بن ربيعة عن أبي شوذب أنّ عمّال الحجّاج كتبوا إليه أنّ الخراج قد انكسر، وأنّ أهل الذمة قد أسلموا ولحقوا بالأمصار. فكتب إلى البصرة وغيرها، أنّ من كان له أصل في قرية فليخرج إليها فخرج الناس فعسكروا. فجعلوا يبكون وينادون يا محمّداه يا محمّداه، وجعلوا لا يدرون أين يذهبون. فجعل قرّاء أهل البصرة يخرجون إليهم متقنّعين فيبكون لما يسمعون منهم ويرون[٢].

«وباك يبكي لدنياه» في (تاريخ الطبري) -في هزيمة ابن الأشعث بمسكن- وجعل الحجّاج يقتل من وجد منهم حتّى قتل أربعة آلاف، فيقال: إنّ في من قتل عبدالله بن شداد بن الهاد، وبسطام بن مصقلة بن هبيرة، وعمرو بن ضبيعة الرقاشي، وبشر بن المنذر بن الجارود العبدي، والحكم بن مخرمة العبدي وبكير بن ربيعة الضبي. فأُتي الحجّاج برؤوسهم على ترس -إلى أن قال-.

قال الحجّاج: يا غلام ضع هذا الترس بين يدي مسمع بن مالك. فوضع بين يديه. فبكى. فقال له الحجّاج: ما أبكاك؟ أحزناً عليهم؟ قال: بل جزعاً عليهم من النار[٣].

وفي (خلفاء القتيبي): مكث النوح على أهل الحرّة سنة لا يهدؤون وأمسكوا عن لبس المصوغ[٤]، وفي ديوان الفرزدق مخاطباً للوليد:

فلو سمع الخليفة صوت داع ... ينادي الله هل لي من مجير

---

(١) توجد الكلمة في شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٨٦، وشرح ابن ميثم ٢: ٤٠٩.

(٢) تاريخ الطبري ٥: ١٨٢، سنة ٨٣.

(٣) تاريخ الطبري ٥: ١٨٤، سنة ٨٣، والنقل بتصرف يسير.

(٤) الامامة والسياسة ١: ٢٢٠.

وأصــوات النســاء مـقرنات   وصبيان لهن على الحجور[١]

«وحتّى تكون نصرة أحدكم من أحدهم كنصرة العبد من سيّده إذا شهد أطاعه، وإذا غاب اغتابه» في (العقد): أراد الحجّاج الحجّ. فقال: يا أهل العراق! استعملت عليكم ابني، وقد أوصيته خلاف وصية النبيّ بالأنصار ألاّ يقبل من محسنكم، ولا يتجاوز عن مسيئكم، وقد علمت أنّي إذا ولّيت عنكم تقولون: لا أحسن الله له الصحابة، وأنا أُعجّل لكم الجواب لا أحسن الله عليكم الخلافة[٢].

وفي (تاريخ الطبري): أُتي مسلم بن عقبة بيزيد بن وهب بن زمعة. فقال: بايع قال: على سنّة عمر. قال: أُقتلوه. قال: أنا أُبايع. قال: لا والله لا أُقيلك عثرتك: فكلّمه مروان لصهر كان بينهما. فأمر بمروان فوجئت عنقه ثمّ قال: بايعوا على أنّكم خول ليزيد ثم أمر به فقتل[٣].

«وحتى يكون أعظمكم فيها عناء» أي: تعباً.

«أحسنكم بالله ظنّا» الظاهر أنّ المراد بهم شيعته عليه السلام، وروى المدائني: أنّ معاوية كتب نسخة واحدة إلى عمّاله بعد عام الجماعة أن برئت الذمة ممّن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته[٤].

«فإن أتاكم الله بعافية فاقبلوه» في (تاريخ الطبري): أنّ أهل العراق لمّا بايعوا ابن الأشعث، وخلعوا عبد الملك لاستعمال الحجّاج عليهم بعث إليهم عبدالملك أن ينزع عليهم الحجّاج، وأن يجري عليهم أُعطياتهم كأهل الشام، فاجتمع الرؤساء عند ابن الأشعث فقال لهم: اعطيتم اليوم أمراً انتها زكم له فرصة، ولا آمن أن يكون غداً عليكم حسرة، إنّكم اليوم على النصف. فإن

---

(١) ديوان الفرزدق ١: ٢٨٥.

(٢) العقد الفريد ٥: ٢٨٠، والنقل بتصرف يسير.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٣٧٨، سنة ٦٣.

(٤) رواه عن احداث المدائني ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ١٥، شرح الخطبة ٢٠٨.

كانوا اعتدّوا بيوم الزاوية فأنتم تعتدّون عليهم بيوم تستر، فاقبلوا ما عرضوا عليكم وأنتم أعزّاء أقوياء، والقوم لكم هائبون وأنتم لهم منتقصون. فلا والله لا زلتم عليهم جرّاء، ولا زلتم عندهم أعزاء ما بقيتم إن كنتم قبلتم ما عرضوا عليكم. فوثبوا من كلّ جانب، وقالوا: لا والله لا نقبل، وأعادوا خلعه ثانية[١].

«وإن ابتليتم فاصبروا. فإنّ العاقبة للمتقين» ﴿قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتّقين﴾[٢] ﴿فاصبر فإنّ العاقبة للمتقين﴾[٣] ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للّذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتّقين﴾[٤].

٢٢
من الخطبة (١٢١)

مِنْهُ:

وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْكُمْ تَكِشُّونَ كَشِيشَ ٱلضِّبَابِ. لَا تَأْخُذُونَ حَقًّا وَلَا تَمْنَعُونَ ضَيْماً. قَدْ خُلِّيتُمْ وَٱلطَّرِيقَ. فَالنَّجَاةُ لِلْمُقْتَحِمِ وَٱلْهَلَكَةُ لِلْمُتَلَوِّمِ.

أقول: رواه المفيد في (إرشاده) وابن قتيبة في (خلفائه) جزء خطبة طويلة ففي الأوّل ـ من كلامه عليه السلام في استبطاء من قعد عن نصرته: «ما اظن هؤلاء القوم ـ يعني أهل الشام ـ إلّا ظاهرين عليكم». فقالوا له عليه السلام: بماذا يا أمير المؤمنين؟ فقال «أرى امورهم قد علت، ونيرانكم قد خبت، وأراهم جادّين، وأراكم وانين، وأراهم مجتمعين، وأراكم متفرّقين، وأراهم لصاحبهم مطيعين، وأراكم لي عاصين.

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ١٥٧، سنة ٨٢، والنقل بتصرف يسير.

(٢) الاعراف: ١٢٨.

(٣) هود: ٤٩.

(٤) القصص: ٨٣.

أمَ والله لئن ظهروا عليكم لتجدنّهم أرباب سوء من بعدي لكم. كأنّي أنظر إليهم، وقد شاركوكم في بلادكم، وحملوا إلى بلادهم فيأكم، وكأنّي أنظر إليكم تكشّون كشيش الضباب، لا تأخذون حقّاً ولا تمنعون لله حرمة، وكأنّي أنظر إليهم يقتلون صالحيكم، ويخيفون قرّاءكم، ويحرمونكم ويحجبونكم، ويدنون الناس دونكم فلو قد رأيتم الحرمان والأثرة، ووقع السيوف ونزول الخوف لقد ندمتم وحسرتم على تفريطكم في جهادكم، وتذاكرتم ما أنتم فيه اليوم من الخفض والعافية حين لا ينفعكم التذكار».

ومثله في الثاني ـ وزاد ـ فقال الناس: قد علمنا يا أمير المؤمنين إنّ قولك كلّه وجميع لفظك يكون حقّا أترى معاوية يكون علينا أميراً؟ فقال: «لا تكرهوا إمرة معاوية فإنّ إمرته سلم وعافيه. فلو مات رأيتم الرؤوس تندر عن كهولها كأنّها الحنظل وعداً كان مفعولاً»[1].

قول المصنّف: «منها» هكذا في (المصرية) بمعنى أنّه جزء عنوان قبله «ومن كلام له عليه السلام قاله لأصحابه في ساعة الحرب» وهو غلط، فقد عرفت أنّ هذا جزء خطبة خطبهم عليه السلام في تقريعهم من وهيهم في أُمورهم مع أنّه لو كان أراد جعله جزء قبله لقال «منه» لأنه قال قبله «ومن كلام» لا «ومن خطبة» والصواب: كونه عنواناً مستقلاً، وأنّ الأصل «ومن كلام له عليه السلام» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[2].

قوله عليه السلام: **«وكأنّي أنظر إليكم تكشّون كشيش الضباب»** في (النهاية): كشيش الأفعى: صوت جلدها إذا تحركت، وليس صوت فمها فإنّ ذلك فحيحها، ومنه حديث عليّ عليه السلام «كأنّي أنظر إليكم

---

(١) الارشاد: ١٤٦، والامامة والسياسة ١: ١٥٢.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٦٥، وشرح ابن ميثم ٣: ١٢١.

تكشّون كشيش الضباب»[١].

وفي (الجمهرة): كشّ البكر يكشُّ كشّا وكشيشاً وهو دون الهدر، والكشّ لا قبال الإبل. قال الراجز رؤبة «هدرت هدراً ليس بالكشيش»، وكشّت الأفعى كشّا وكشيشاً إذا حكّت بعض جلدها ببعض قال الراجز:

كأنّ بين خلفها والخلف كشّة أفعى في يبيس قفّ

أي: يابس، ومن زعم أنّ الكشيش صوتها من فيها. فهو خطأ: فإنّ ذلك الفحيح من كلّ حيّة، والكشيش للأفعى خاصة -الخ-[٢] وقوله «والكشيش للأفعى خاصة» أي: ليس لكلّ حيّة، لا أنّه ليس لغير الأفعى كشيش مع أنّ الضباب شبيهة به.

والضباب: جمع الضب، وهو معروف، وعن بعضهم الضب على حدّ فرخ التمساح الصغير، وذنبه كذنبه، وهو يتلوّن ألواناً بحرّ الشمس كالحرباء. قيل لذكر الضب ذكران، ولأُنثاه فرجان، وإنّه لا يخرج من جحره في الشتاء. قال أُميّة بن أبي الصلت «إذا ما الضب أجحره الشتاء» ويوصف بالعقوق قال الشاعر:

أكلت بنيك أكل الضب حتّى تركت بنيك ليس لهم عديد

وأنّه يرجع في قيئه كالكلب، ويأكل رجيعه، وهو طويل الدم بعد الذبح ويقال: إنّه يمكث بعد الذبح ليلة، ويلقى في النار، فيتحرك ويخرج من جحره كليل البصر. فيجلو بالتحدق للشمس، ويغتذي بالنسيم، وبرد الهواء عند الهرم ويؤوي العقرب في جحره لتلسع المتحرش به إذا أدخل يده لأخذه قال:

وأخدع من ضبّ إذا جاء حارش أعدّ له عند الذبابة عقربا

---

(١) النهاية ٤: ١٧٦، مادة (كشش).

(٢) جمهرة اللغة ١: ٩٨.

وعن (كتاب ليس) لابن خالويه: الضب لا يشرب الماء ويعيش سبعمئة سنة فصاعداً ويقال إنّه يبول في كلّ أربعين يوماً قطرة، ولا تسقط له سنّ، ويقال إنّ أسنانه قطعة واحدة ولا يتخذ جحره إلّا في كدية حجر، ولذا تكون براثنه كليلة من حفره في الصلبة[١]. وفي الحديث أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال لأُمّته: والّذي نفسي بيده لتتبعنّ سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتّى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه[٢].

والمراد من قوله عليه السلام: «تكشّون كشيش الضباب» أنّكم لا تقدرون على التكلّم بما يفهم في قبال بني أُميّة بل يكون تكلّمكم في شفاهكم بما لا يفهم ككشيش الضباب. ولمّا خطب زياد بالبصرة خطبته البتراء، وقال فيها: «وإنّي أُقسم بالله لآخذن الولي بالولي، والمقيم بالظاعن، والمقبل بالمدبر، والصحيح منكم بالسقيم حتّى يلقى الرجل منكم الرجل فيقول: أُنج سعد فقد هلك سعيد» قام أبو بلال يهمس وهو يقول: أنبأ الله بغير ما قلت قال تعالى: ﴿وإبراهيم الّذي وفّى * ألا تزر وازرة وزر أُخرى * وأن ليس للإنسان إلّا ما سعى﴾[٣] فأوعدنا الله يا زياد خيراً ممّا أو عدت.

«لا تأخذون حقّا، ولا تمنعون ضيماً» أي: ذلّة، ولقد خرجوا مع ابن الاشعث على الحجّاج لأخذ حقّهم والمنع عن ظلمه. فعجزوا، ولمّا ادخل الشعبي عليه ـ وكان في من خرج وأسر ـ قال للحجّاج: إنّ الناس قد أمروني أن اعتذر إليك بغير ما يعلم الله أنّه الحقّ، وأيم الله لا أقول في هذا المقام إلّا حقّاً. قد والله جهدنا عليك كلّ الجهد. فما ألونا فما كنّا بالأقوياء الفجرة، ولا الأتقياء البررة.

---

(١) هذا سياق الدميري في حياة الحيوان ٢: ٧٧ و٧٨، وصدر هذا الكلام فقط رواه عن كتاب ليس لابن خالويه.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤: ٤٥٥، وغيره والنقل بتصرف يسير.

(٣) النجم: ٣٧ ـ ٣٩.

«قد خُلّيتم والطريق» الأصل فيه قوله تعالى: ﴿إنّا هديناه السبيل إمّا شاكراً وإمّا كفورا﴾[١].

«فالنجاة للمقتحم» يقال: «اُقحم أهل البادية» إذا أجدبوا. فدخلوا بلاد الريف.

«والهلكة للمتلوّم» قال الجوهري: «التلوّم الانتظار والتمكّث»[٢] قال تعالى: ﴿وانّ هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوه ولا تتّبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله﴾[٣]. قوله عليه السلام في رواية (الإرشاد) و(الخلفاء): «كأنّي أنظر اليهم وقد شاركوكم في بلادكم وحملوا إلى بلادهم فيأكم».

في (تاريخ الطبري): لمّا همّ أهل العراق بالغدر بمصعب قال لهم قيس ابن الهيثم: ويحكم لا تدخلوا أهل الشام عليكم، فوالله لئن تطعموا بعيشكم ليصفين عليكم منازلكم. والله لقد رأيت سيّد أهل الشام على باب الخليفة يفرح ان أرسله في حاجة، ولقد رأيتنا في الصوائف واحدنا على ألف بعير، وأنّ الرجل من وجوههم ليغزو على فرسه وزاده خلفه[٤].

وفي (الكامل): أنزل الحجّاج بعد هزيمة أهل العراق بدير الجماجم أهل الشام بيوت أهل الكوفة مع أهلها، وهو أوّل من أنزل الجند في بيوت غيرهم[٥].

قوله عليه السلام أيضاً: «وكأنّي أنظر إليهم يقتلون صالحيكم» فقتل معاوية من صالحيهم حجر بن عدي، وقتل الحجّاج منهم سعيد بن جبير.

ففي (تاريخ الطبري): قالت عائشة لمعاوية: أما خشيت الله في قتل حجر

---

(١) الانسان: ٣.

(٢) صحاح اللغة ٥: ٢٣٤، مادة (لوم).

(٣) الانعام: ١٥٣.

(٤) تاريخ الطبري ٥: ٧، سنة ٧١.

(٥) الكامل ٤: ٤٨٢، سنة ٨٣، والنقل بتصرف يسير.

وأصحابه؟ قال: لست أنا قتلتهم. إنّما قتلهم من شهد عليهم. قالت عائشة: أما والله أن كان ما علمت مسلماً حجاجاً معتمراً.

وفيه: لمّا كتب زياد شهادة شريح بن هاني بإباحة دم حجر كتب شريح إلى معاوية أنّ زياداً كتب إليك بشهادتي على حجر بن عدي، وأنّ شهادتي على حجر أنه ممّن يقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويديم الحج والعمرة، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، حرام الدم والمال. فإن شئت فاقتله، وإن شئت فدعه.

وفيه: قال الحسن البصري: أربع خصال كنّ في معاوية لو لم يكن فيه منهنّ إلّا واحدة لكانت موبقة ـ وعدّ منها قتله حجراً ـ وقال: ويلاً له من حجر وأصحاب حجر مرّتين.

وفيه: قال حجر لمن حضره من أهله لمّا قتله معاوية بمرج عذراء: لا تطلقوا عنّي حديداً ولا تغسلوا عنّي دماً فإنّي أُلاقي معاوية غدا على الجادة، وكان ابن سيرين إذا سئل عن الشهيد يغسّل؟ حدّثهم حديث حجر، ويقول بلغنا أنّ معاوية لمّا حضرته الوفاة جعل يغرغر بالصوت ويقول: يومي منك يا حجر طويل[١].

وفيه: لمّا أُتي الحجّاج بسعيد بن جبير وهو يريد الركوب، وقد وضع إحدى رجليه في الغرز أو الركاب. فقال: والله لا أركب حتّى تبوّأ مقعدك من النار اضربوا عنقه. فالتبس الحجّاج عقله مكانه فجعل يقول «قيودنا قيودنا» فظنوا أنّه قال القيود الّتي على سعيد بن جبير. فقطعوا رجليه من انصاف ساقيه، وأخذوا القيود، وقالوا لم يلبث الحجّاج بعد سعيد إلّا نحواً من أربعين. فكان إذا نام يراه في منامه يأخذ بمجامع ثوبه. فيقول يا عدوّ الله فيم قتلتني؟

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ١٩٠ و٢٠٣ و٢٠٨، سنة ٥١.

فيقول الحجّاج: «مالي ولسعيد»، وقالوا: لمّا قتل سعيداً فندر رأسه هلّل ثلاثاً[١].

قوله عليه السلام أيضاً «ويخيفون قرّاءكم» لمّا قتل جبلة بن زجر من رؤساء القرّاء في جيش ابن الأشعث نادى أهل الشام: يا أعداء الله! قد هلكتم وقتل طاغوتكم ولمّا جيء برأسه إلى الحجّاج حمله على رمحين، وقال: يا أهل الشام! أبشروا فهذا أوّل الفتح.

وفيه: عن كثير بن عبدالله الشعبي قال: لمّا زحفنا قبل الحسين عليه السلام خرج الينا زهير بن القين على فرس له ذنوب شاك في السلاح. فقال: يا أهل الكوفة! نذار لكم من عذاب الله نذار، انّ حقّاً على المسلم نصيحة أخيه المسلم، ونحن حتّى الآن إخوة وعلى دين واحد، وملّة واحدة ما لم يقع بيننا وبينكم السيف، وأنتم للنصيحة منّا أهل. فإذا وقع السيف انقطعت العصمة، وكنّا أُمّة وأنتم أمّة. إنّ الله قد ابتلانا وإيّاكم بذريّة نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم لينظر ما نحن وأنتم عاملون. إنّا ندعوكم إلى نصرهم، وخذلان الطاغية عبيدالله بن زياد. فإنكم لا تدركون منهما عمر سلطانهما إلّا سوءً، لَيَسملان أعينكم، ويقطعان أيديكم وأرجلكم، ويمثّلان بكم، ويرفعانكم على جذوع النخل، ويقتلان أماثلكم، وقرّاءكم أمثال حجر بن عدي وأصحابه، وهانئ بن عروة وأشباهه» قال: فسبوه، وأثنوا على عبيدالله ودعوا له وقالوا: والله لا نبرح حتّى نقتل صاحبك ومن معه، أو نبعث به وبأصحابه إلى عبيدالله سلماً...[٢]

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٢٦٢، سنة ٩٤، والنقل بتصرف يسير.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٣٢٣، سنة ٦١.

٢٣
من الخطبة (١٥٦)

مِنْهَا:

فَعِنْدَ ذلِكَ لَا يَبْقَى بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا وَأَدْخَلَهُ ٱلظَّلَمَةُ تَرْحَةً، وَأَوْلَجُوا فِيهِ نِقْمَةً. فَيَوْمَئِذٍ لَا يَبْقَى لَكُمْ فِي ٱلسَّمَاءِ عَاذِرٌ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ نَاصِرٌ. أَصْفَيْتُمْ بِالْأَمْرِ غَيْرَ أَهْلِهِ، وَأَوْرَدْتُمُوهُ غَيْرَ مَوْرِدِهِ. وَسَيَنْتَقِمُ ٱللهُ مِمَّنْ ظَلَمَ مَأكَلاً بِمَأْكَلٍ وَمَشْرَباً بِمَشْرَبٍ، مِنْ مَطَاعِمِ ٱلْعَلْقَمِ وَمَشَارِبِ ٱلصَّبْرِ وَٱلْمَقِرِ. وَلِبَاسِ شِعَارِ ٱلْخَوْفِ وَدِثَارِ ٱلسَّيْفِ. وَإِنَّمَا هُمْ مَطَايَا ٱلْخَطِيئَاتِ وَزَوَامِلُ ٱلآثَامِ فَأُقْسِمُ ثُمَّ أُقْسِمُ، لَتَنْخَمَنَّهَا أُمَيَّةُ مِنْ بَعْدِي كَمَا تُلْفَظُ ٱلنُّخَامَةُ ثُمَّ لَا تَذُوقُهَا وَلاَ تَتَطَعَّمُ بِطَعْمِهَا أَبَداً مَا كَرَّ ٱلْجَدِيدَانِ.

«فعند ذلك لا يبقى بيت مدر ولا وبر إلّا وأدخله الظلمة ترحة» أي: حزنا. «وأولجوا» أي: ادخلوا.

«فيه نقمة» أي: مكروهاً، والكلام نظير ما مر في العنوان (٢١) «وحتّى لا يبقى بيت مدر، ولا وبر إلّا دخله ظلمهم ونبا به سوء رعيهم»[١] وبيت مدر ووبر كناية عن الجميع لأنّ الناس رجلان ذو بيت مدر، وذو بيت وبر، بل لم يبقوا بيتاً شريفاً، ولا مكاناً منيفاً إلّا وأدخلوا بسببه على الناس ترحة ونقمة. فهدموا الكعبة مرّتين واستخفّوا بمسجد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فجعلوه مربط خيولهم.

«فيومئذٍ لا يبقى لكم» هكذا في (المصرية)، والصواب: (لهم) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[٢] ولأنّ الخطاب للناس لا لبني أُميّة.

---

(١) مرّ في العنوان (٢١) من هذا الفصل والحديث في نهج البلاغة ١: ١٩٠، الخطبة ٩٦.

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٤٦، لكن في شرح ابن ميثم ٣: ٢٧٤، ايضاً «لكم».

«في السماء عاذر» لتجاوزهم في العتوّ والطغيان.

«ولا في الأرض ناصر» لوصول أذاهم إلى البرّ والفاجر.

وورد مثله في معاوية خاصة كما ورد في بني أُميّة عامة. ففي (مقاتل أبي الفرج) بأسانيد عن سفيان بن أبي ليلى قلت للحسن عليه السلام: أذللت رقابنا حين أعطيت هذا الطاغية البيعة، وسلّمت الأمر إلى اللعين ابن اللعين ابن آكلة الاكباد ومعك مئة ألف كلّهم يموت دونك، وقد جمع الله لك أمر الناس. فقال: يا سفيان! إنّا أهل بيت إذا علمنا الحقّ تمسّكنا به، وإنّي سمعت علياً عليه السلام يقول: سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول: لا تذهب الليالي والأيّام حتّى يجتمع أمر هذه الأُمّة على رجل واسع السرم، ضخم البلعوم، يأكل ولا يشبع، لا ينظر الله إليه، ولا يموت حتّى لا يكون له في السماء عاذر، ولا في الأرض ناصر، وانّه لمعاوية -إلى أن قال-.

قال عليه السلام: أبشر يا سفيان فإنّي سمعت علياً عليه السلام يقول سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول: يرد عليّ الحوض أهل بيتي، ومن أحبّهم من أُمّتي كهاتين -يعني السبابتين- أو كهاتين -يعني السبابة والوسطى- احدهما تفضل على الأُخرى، أبشر يا سفيان فإنّ الدنيا تسع البر والفاجر حتّى يبعث الله إمام الحقّ من آل محمّد صلى الله عليه وآله[1].

«أصفيتم بالأمر غير أهله، وأوردتموه غير مورده» هكذا في (المصرية) والصواب: (غير ورده) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[2]، وإصفاؤهم بالأمر غير أهله لأنّ أهل الأمر إنّما كانوا أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الّذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وإيرادهم الأمر غير ورده

(١) مقاتل الطالبيين: ٤٤.

(٢) لفظ شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٤٦، وشرح ابن ميثم ٣: ٢٧٤، مثل المصرية أيضاً.

لكونه عليه السلام مع المعصومين من عترته أهل الذكر الّذين قال تعالى: ﴿فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾[١] وأُولى الأمر الّذين قال تعالى: ﴿ولو ردّوه إلى الرسول وإلى أُولي الأمر منهم لعلمه الّذين يستنبطونه منهم﴾[٢] والمراد أنّ الله تعالى سلّط عليهم بني أُميّة بفعلهم يوم السقيفة حيث تركوه عليه السلام، واعترف بذلك ابن عمر لمّا رأى مروان على منبر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مع إنكاره على سلمان يوم السقيفة إنكاره عليهم[٣].

وروى محمّد بن يعقوب في (روضته): أنّ أمير المؤمنين عليه السلام خطب بالمدينة فقال: أيها الأُمّة الّتي خدعت فانخدعت، وعرفت خديعة من خدعها. فأصرّت على ما عرفت، واتّبعت أهواءها، وضربت في عشواء غوايتها، وقد استبان لها الحق فصدّت عنه، والطريق الواضح فتنكّبته.

أما والّذي فلق الحبة، وبرأ النسمة لو اقتبستم العلم من معدنه، وشربتم الماء بعذوبته، وادّخرتم الخير من موضعه، وأخذتم الطريق من واضحه، وسلكتم من الحقّ نهجه. لتنهّجت بكم السبل، وبدت لكم الأعلام، وأضاء لكم الإسلام. فأكلتم رغداً، وما عال فيكم عائل، ولا ظلم منكم مسلم ولا معاهد، ولكن سلكتم سبيل الظلام. فأظلمت عليكم دنياكم برحبها، وسدّت عليكم أبواب العلم. فقلتم بأهوائكم واختلفتم في دينكم. فأفتيتم في دين الله بغير علم، واتبعتم الغواة فأغوتكم، وتركتم الأئمة فتركوكم -إلى أن قال-.

رويداً. عمّا قليل تحصدون جميع ما زرعتم، وتجدون وخيم ما اجترمتم وما اجتلبتم، والّذي فلق الحبة، وبرأ النسمة لقد علمتم أنّي صاحبكم

---

(١) الانبياء: ٧.

(٢) النساء: ٨٣.

(٣) رواه الطوسي في تلخيص الشافي ٣: ٩٣.

والّذي به أُمرتم. وأنّي عالمكم والّذي بعلمه نجاتكم، ووصيّ نبيّكم، وخيرة ربكم، ولسان نوركم، والعالم بما يصلحكم. فعن قليل رويداً ينزل بكم ما وُعدتم وما نزل بالأُمم قبلكم...»[١].

«**وسينتقم الله ممّن ظلم مأكلاً بمأكلٍ، ومشرباً بمشربٍ من مطاعم**» متعلق بقوله «مأكلا».

«**العلقم**» يقال للحنظل، وكلّ شيء مرّ علقم.

«**ومشارب**» متعلق بقوله «ومشرباً».

«**الصبر**» بالفتح فالكسر: دواء مرّ، ولا يسكن إلّا في ضرورة الشعر. قال الراجز: أمرّ من صبر ومقر وحضض[٢].

«**والمقر**» هو أيضاً بالفتح فالكسر وبمعناه. وقال المنصور لأبي مسلم لمّا قتله:

إشرب بكأس كنت تسقي بها أمـرّ في الحلق من العلقم

«**ولباس**» عطف على مأكلا.

«**شعار الخوف**» والشعار ما ولي الجسد من اللباس.

«**ودثار السيف**» والدثار كلّ ما كان من الثياب فوق الشعار.

وفي (المروج): لمّا أُتي السفاح برأس مروان بن محمّد ـ آخر الأُموية ـ قال: الحمد لله الّذي لم يبق ثاري قبلك وقبل رهطك. ثمّ قال: ما أُبالي متى طرقني الموت. قد قتلت بالحسين عليه السلام وبني أبيه من بني أُميّة مئتين، وأحرقت شلو هشام بابن عمي زيد بن علي، وقتلت مروان بأخي ثم تمثل:

لو يشربون دمي لم يرو شاربهم ولا دماؤهم للغيظ ترويني[٣]

(١) رواه الكليني في الكافي ٨: ٣٢، ضمن الخطبة الطالوتية.

(٢) أورده لسان العرب ٤: ٤٤٢، مادة (صبر).

(٣) مروج الذهب ٣: ٢٥٧.

«وإنّما هم مطايا» جمع المطية، وفي (الصحاح): قال الأصمعي: المطية: الّتي تمطّ في سيرها وهو مأخوذ من المطو: أي: المدّ...[١] قلت: الصواب: أنّ المطية مأخوذ من المطا بمعنى الظهر، أي: ماله ظهرٌ يركب أو يحمل عليه. قال ابن دريد: «المطا الظهر وأصله الواو ويثنى مطوين، ومنه اشتقاق المطية»[٢] والمد معنى المطط لا المطا.

قال ابن دريد: «مطّ الشيء يمطه مطّا إذا مدّه، ومنه قولهم مط الرجل حاجبيه، وخده إذا تكبر. وكذلك مطّ أصابعه إذا مدّها، وخاطب بها. وأحسب أنّ التمطي من هذا، وكأنّ أصله التمطط. فقالوا: التمطي كما قالوا تقضي البازي وما أشبهه...[٣] وبالجملة التمطي بمعنى المدّ كما في قوله تعالى: ﴿ثمّ ذهب إلى أهله يتمطّى﴾[٤] وكما في قول الشاعر في وصف ليل استطاله:

كلّما قلت قد تقضّى تمطّى ... حالك اللون دامسا يحموما[٥]

لا المطية والتمطي قد عرفت كون الأصل فيه التمطط ظاهراً.

«الخطيئات» هكذا في النسخ[٦]، ولعل الأصل فيه «الخطايا» فإنه الأنسب بالمطايا.

«وزوامل» جمع الزاملة: بعير يستظهر به الرجل يحمل متاعه، وطعامه عليه تقول: ركب الراحلة وحمل على الزاملة.

«الآثام» بالمدّ جمع الإثم أي: الذنب، وأمّا الاثام بدون المدّ فجزاء الاثم

(١) صحاح اللغة ٦: ٢٤٩٤، مادة (مطا).

(٢) جمهرة اللغة ٣: ١١٨.

(٣) جمهرة اللغة ١: ١٠٩.

(٤) القيامة: ٣٣.

(٥) أورده أساس البلاغة: ٤٣٢، مادة (مطى).

(٦) كذا في نهج البلاغة ٢: ٥٤، وشرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٤٦، وشرح ابن ميثم ٣: ٢٧٤.

وكون بني أُميّة مطايا الخطايا، وزوامل الآثام أمر معلوم.

وفي (المروج): بعث المنصور إلى عبدالله بن مروان بن محمّد -وكان في من هرب إلى أرض النوبة فأخذ وحبس- فأحضر من الحبس، وقال له: قصّ عليّ قصّتك وقصّة ملك النوبة. قال: قدمت إلى النوبة فأقمت بها ثلاثاً. فأتاني ملكها. فقعد على الارض -وقد أعددت له فراشاً- فقلت له: ما منعك من القعود على فراشنا؟ فقال: لأنّي ملك وحقّ لكلّ ملك أن يتواضع لعظمة الله -عزّ وجلّ- إذ رفعه الله. ثمّ قال: لم تشربون الخمر، وهي محرّمة عليكم في كتابكم؟ فقلت: إجترأ على ذلك عبيدنا، وأتباعنا. قال: فلم تطؤون الزرع بدوابكم والفساد محرّم عليكم في كتابكم؟ فقلت: فعل ذلك عبيدنا، وأتباعنا لجهلهم. قال: فلم تلبسون الديباج والحرير والذهب وهو محرّم عليكم في كتابكم، ودينكم؟ فقلت: ذهب منّا الملك فانتصرنا بقوم من العجم دخلوا في ديننا. فلبسوا ذلك على الكره منّا. فأطرق إلى الأرض يقلب يده مرة وينكت في الارض اخرى ويقول: عبيدنا واتباعنا واعاجم دخلوا علينا في ديننا ثم رفع راسه. فقال: ليس كما ذكرت بل انتم قوم استحللتم ما حرّم الله، وركبتم ما عنه نهيتم، وظلمتم في ما ملكتم. فسلبكم الله العزّ وألبسكم الذلّ بذنوبكم، ولله فيكم نقمة لم تبلغ غايتها فيكم، وأنا خائف أن يحلّ بكم العذاب، وأنتم ببلدي فينالني معكم فتزوّد ما احتجت إليه، وارحل عن أرضي...[1].

وفي (عيون القتيبي): قال زيد بن أسلم: رأيت طارقاً وهو والٍ لبعض الخلفاء من بني أُميّة على المدينة يدعو بالغداء. فيتغدى على منبر النبيّ ﷺ ويكون فيه العظم الممخّ فينكته على رمانة المنبر فيأكله[2].

---

(١) مروج الذهب ٣: ٢٨٤، والنقل بتصرف يسير.

(٢) عيون الأخبار ٢: ٣٨.

«**فأُقسم ثمّ أُقسم لتنخمنّها أُميّة من بعدي كما تلفظ النخامة**» في (الجمهرة): «النخاعة، والنخامة واحد وهو ما يطرح الانسان من فيه، ولفظه: أي: رماه من فيه[1].

في (عيون ابن قتيبة): قال سعيد بن عمرو بن جعدة المخزومي: كنت مع مروان بن محمّد بالزاب. فقال: من هذا الّذي يقاتلني؟ قلت: عبدالله بن عليّ بن عبدالله بن العباس ـ إلى أن قال ـ.

فقال: يا ليت عليّ بن أبي طالب في الخيل تقاتلني. إنّ علياً وأولاده لا حظّ لهم في هذا الأمر، وهذا رجل من بني العباس ومعه ريح خراسان ونصر الشام[2].

«**ثمّ لا تذوقها، ولا تطعم**» هكذا في (المصرية)، والصواب: (ولا تتطعّم) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[3].

«**بطعمها أبداً ما كرّ الجديدان**» أي: ما اختلف الليل والنهار يقال: لا أفعله ما اختلف الجديدان، وما اختلف الاجدّان.

وفي السير: بعث صالح بن علي العباسي عامر بن إسماعيل لطلب مروان بن محمّد إلى بوصير مصر. فهرب بين يديه في نفر يسير. فانتهوا في غبش الصبح إلى قنطرة هناك على نهر عميق ليس للخيل عبور إلّا على القنطرة، وعامر من ورائهم. فصادف مروان على القنطرة بغالا عليها زقاق عسل فحبسته عن العبور حتّى أدركه عامر فقتله. فقال صالح بن عليّ «إنّ لله جنوداً من عسل». وقالوا أيضاً: وقف مروان يوم الزاب وأمر بالأموال

---

(١) جمهرة اللغة ٢: ٢٣٥.

(٢) عيون الأخبار ١: ٢٠٥، والنقل بتلخيص.

(٣) لفظ شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٤٦، وشرح ابن ميثم ٣: ٢٧٤، «ولا تطعم».

فأُخرجت، وقال للناس: إصبروا وقاتلوا، وهذه الأموال لكم. فجعل ناس يصيبون من ذاك المال، ويشتغلون به عن الحرب. فقال مروان لابنه: سر في أصحابك، وامنع من يتعرّض لأخذه هذا المال. فتنادى الناس: الهزيمة الهزيمة. فانهزموا، وركب أصحاب عبدالله بن عليّ أكتافهم.

٢٤
من الخطبة (١٦٤)

مِنْهَا:

إفْتَرَقُوا بَعْدَ أُلْفَتِهِمْ، وَتَشَتَّتُوا عَنْ أَصْلِهِم. فَمِنْهُمْ آخِذٌ بِغُصْنٍ أَيْنَمَا مَالَ مَالَ مَعَهُ. عَلَى أَنَّ ٱللهَ تَعَالَى سَيَجْمَعُهُمْ لَشَرِّ يَوْمٍ لِبَنِي أُمَيَّةَ كَمَا تَجْتَمِعُ قَزَعُ ٱلْخَرِيفِ يُؤَلِّفُ ٱللهُ بَيْنَهُمْ، ثُمَّ يَجْعَلُهُمْ رُكَاماً كَرُكَامِ ٱلسَّحَابِ. ثُمَّ يَفْتَحُ ٱللهُ لَهُمْ أَبْوَاباً يَسِيلُونَ مِنْ مُسْتَثَارِهِمْ كَسَيْلِ ٱلْجَنَّتَيْنِ، حَيْثُ لَمْ تَسْلَمْ عَلَيْهِ قَارَةٌ، وَلَمْ تَثْبُتْ عَلَيْهِ أَكَمَةٌ، وَلَمْ يَرُدَّ سَنَنَهُ رَصُّ طَوْدٍ، وَلَا حِدَابُ أَرْضٍ. يُذَعْذِعُهُمُ ٱللهُ فِي بُطُونِ أَوْدِيَتِهِ، ثمَّ يَسْلُكُهُمْ يَنَابِيعَ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْخُذُ بِهِمْ مِنْ قَوْمٍ حُقُوقَ قَوْمٍ، وَيُمَكِّنُ لِقَوْمٍ فِي دِيَارِ قَوْمٍ. وَٱيْمُ ٱللهِ لَيَذُوبَنَّ مَا فِي أَيْدِيهِمْ بَعْدَ ٱلْعُلُوِّ وَٱلتَّمْكِينِ كَمَا تَذُوبُ ٱلْأَلْيَةُ عَلَى ٱلنَّارِ.

أقول: رواه (روضة الكليني، وإرشاد المفيد) جزء خطبة «إنّ الله تعالى لم يقصم جبّاري دهر» وفي الأوّل: «ووا أسفا من فعلات شيعتي من بعد قرب مودتها اليوم كيف يستذلّ بعدي بعضها بعضاً، وكيف يقتل بعضها بعضاً، المتشتتة غداً عن الأصل، النازلة بالفرع، المؤمّلة الفتح من غير جهته. كلّ حزب منهم آخذ بغصن أينما مال الغصن مال معه، مع أنّ الله ـ وله الحمد ـ سيجمع هؤلاء لشرّ يوم لبني أُميّة كما يجمع قزع الخريف. يؤلف الله بينهم ثم يجعلهم ركاماً كركام السحاب. ثمّ يفتح لهم أبواباً يسيلون من مستثارهم كسيل

الجنتين سيل العرم حيث بعث عليه فارة فلم يثبت عليه أكمة، ولم يردّ سننه رضّ طود، يذعذعهم الله في بطون أودية، ثمّ يسلكهم ينابيع في الأرض، يأخذ بهم من قوم حقوق قوم، ويمكّن بهم قوماً في ديار قوم، تشريداً لبني أُميّة، ولكيلا يغتصبوا ما غصبوا. يضعضع الله بهم ركناً، وينقض بهم طيّ الجنادل من إرم، ويملأ منهم بطنان الزيتون. فو الّذي فلق الحبة وبرأ النسمة ليكوننّ ذلك، وكأنّي أسمع صهيل خيلهم وطمطمة رجالهم، وأيم الله ليذوبن ما في أيديهم بعد العلو والتمكين في البلاد؛ كما تذوب الألية على النار. من مات منهم مات ضالاًّ، وإلى الله عزّ وجلّ يقضي منهم من درج، ويتوب الله عزّ وجلّ على من تاب، ولعلّ الله يجمع شيعتي بعد التشتت لشرّ يوم لهؤلاء، وليس لأحد على الله عزّ وجلّ الخيرة، بل لله الخيرة والأمر جميعاً»[1].

وفي الثاني: «ويا أسفا! أسفاً يكلم القلب، ويدمن الكرب من فعلات شيعتنا بعد مَهلِكِي، على قرب مودّتها وتأشب اُلفتها كيف يقتل بعضها بعضاً، وتحور اُلفتها بغضاً. فللّه الأُسرة المتزحزحة غداً عن الأُصل، المخيّمة بالفرع، المؤمّلة الفتح من غير جهته، المتوكّفة الروح من غير مطلعه، كلّ حزب منهم معتصم بغصن، آخذ به، أينما مال الغصن مال معه، مع أنّ الله ـ وله الحمد ـ سيجمعهم كقزع الخريف، ويؤلّف بينهم، ويجعلهم ركاماً كركام السحاب. يفتح لهم أبواباً يسيلون من مستثارهم إليها كسيل العرم، حيث لم تسلم عليه قارة، ولم تمنع منه أكمة، ولم يردّ ركن طود سننه، يغرسهم الله في بطون أودية، ويسلكهم ينابيع في الأرض، ينفى بهم عن حرمات قوم، ويمكّن لهم في ديار قوم، لكي يغتصبوا ما غصبوا، يضعضع الله بهم ركناً، وينقض بهم طي الجندل من إرم، ويملأ منهم بطنان الزيتون، والّذي فلق الحبة، وبرأ النسمة،

---

(١) الكافي ٨ : ٦٤.

ليذوبنّ ما في أيديهم من بعد التمكّن في البلاد، والعلوّ على العباد، كما يذوب القار والآنك في النار، ولعلّ الله يجمع شيعتي بعد الشتيت، لشرّ يوم لهؤلاء، وليس لأحد على الله الخيرة، بل لله الخيرة والأمر جميعاً»[١].

«**افترقوا بعد أُلفتهم، وتشتّتوا عن أصلهم**» قد ظهر ممّا نقلنا من (الإرشاد والروض): أنّ مراده عليه‌السلام افتراق شيعته بعده، وأنّ الثابتين منهم على الحق من التمسك بعترته المعصومين الّذين هم بمنزلته في الاتّصال بالمبدأ، وكونه حبل الله بينه وبين الخلق؛ قليلون. فمنهم فرقة صارت غلاةً، وفرقة صارت كيسانية، وفرقة صارت زيدية، وفرقة ناووسية، وفرقة فطحية، وفرقة واقفية، ومن الكيسانية العباسية الراوندية.

ففي (المروج): «الّذي ذهب إليه من تأخّر من الراوندية عن جملة الكيسانية القائلة بإمامة محمّد بن الحنفية ـ وهم الحريانية أصحاب أبي مسلم صاحب الدولة العباسية، وكان يلقّب بحريان ـ أنّ ابن الحنفية هو الإمام بعد علي عليه‌السلام وأنّ ابن الحنفية أوصى إلى ابنه أبي هاشم، وأبو هاشم أوصى إلى عليّ بن عبدالله بن العباس. فأوصى عليّ بن عبدالله إلى ابنه محمّد بن علي، وأوصى ابنه محمّد إلى ابنه إبراهيم المقتول بحرّان، وأوصى إبراهيم إلى أخيه السفاح.

وقالت الراوندية: إنّ النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم قبض وأحق الناس بالإمامة بعده العباس لأنّه عمّه، وأنّ الناس اغتصبوه إلى أنّ ردّه الله إليهم وتبرؤوا من أبي بكر وعمر، وأجازوا بيعة عليّ عليه‌السلام بإجازة العباس لها لقوله له: «هلم يا ابن أخي إلى أن أُبايعك فلا يختلف عليك اثنان»[٢].

---

(١) الارشاد: ١٥٥.

(٢) مروج الذهب ٣: ٢٣٨ و٢٣٦، والنقل بتصرف يسير.

«**فمنهم آخذ بغصن أينما مال مال معه**» قال ابن أبي الحديد: أي: يكون منهم من يتمسّك بمن أخلفه بعدي من ذريّة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أينما سلكوا سلكوا معهم[1].

قلت: قد عرفت من رواية (الروضة والإرشاد) أنّ المراد به فرق الشيعة غير المحقّة من الكيسانية والزيدية، وغيرهما، لقوله عليه السلام قبل الكلام: «المتشتتة غداً عن الأصل، النازلة بالفرع، المؤملة الفتح من غير جهته» ثمّ قال: «كلّ حزب منهم آخذ بغصن، أينما مال الغصن مال معه».

«**على أنّ الله تعالى سيجمعهم لشرّ يوم لبني أُميّة**» أي: أنّ شيعتي، وإن يصيروا فرقاً متشتتة، ويحصل بينهم البغضاء، والعداوة بحيث يقتل بعضهم بعضاً إلّا أنّ الله تعالى يجعلهم أُمّة واحدة فيجمعهم على إزالة الملك عن بني أُميّة، وإن كانوا أخطأوا في عدم التمسك بإمام الحق.

وفي (المروج) لمّا قتل إبراهيم الإمام خاف أبو سلمة الوزير انتقاض الأمر، وفساده عليه ـ أي في الدعوة العباسية ـ فبعث بمحمّد بن عبدالرحمن بن أسلم وكتب معه كتابين على نسخة واحدة إلى أبي عبدالله جعفر بن محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وإلى عبدالله بن الحسن المثنى؛ يدعو كل واحد منهما إلى الشخوص إليه ليصرف الدعوة إليه. ويجتهد في بيعة أهل خراسان له، وقال للرسول: ألعجل العجل، فلا تكونن كوافد عاد. فقدم المدينة على أبي عبدالله عليه السلام: فلقيه ليلاً، وأعلمه أنّه رسول أبي سلمة، ودفع إليه كتابه. فقال له أبو عبدالله عليه السلام: وما أنا وأبو سلمة، وأبو سلمة شيعة لغيري؟ قال له: إنّي رسول تقرأ كتابه، وتجيبه بما رأيت. فدعا أبو عبدالله عليه السلام بسراج ثمّ أخذ كتاب أبي سلمة: فوضعه على السراج حتّى احترق، وقال للرسول: عرّف صاحبك

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٦٤٩.

بما رأيت ثمّ أنشأ يقول متمثلاً بقول الكميت:

أيا موقداً ناراً لغيرك ضوؤها ويا حاطباً في غير حبلك تحطب

فخرج الرسول من عنده، وأتى عبدالله بن الحسن. فدفع إليه الكتاب فقبّله، وقرأه وابتهج. فلمّا كان غد ذلك اليوم الّذي وصل إليه الكتاب؛ ركب حماراً حتّى أتى منزل أبي عبدالله عليه السلام فقال عليه السلام: أمر ما أتى بك؟ قال: نعم هو أجلُّ من أن يوصف. هذا كتاب أبي سلمة يدعوني، وقد قدمت عليه شيعتنا من أهل خراسان. فقال عليه السلام له: ومتى كان أهل خراسان شيعة لك؟ أأنت بعثت أبامسلم إلى أهل خراسان وأنت أمرته بلبس السواد؟ وهؤلاء الّذين قدموا العراق أنت كنت سبب قدومهم أو وجّهت فيهم؟ وهل تعرف منهم أحداً؟ فنازعه عبدالله بن الحسن الكلام، وقال: إنّما يريد القوم ابني محمّداً لأنه مهديّ هذه الأُمّة. فقال أبوعبدالله عليه السلام: والله ما هذا إلّا نصح منّي لك، ولقد كتب إليّ أبو سلمة بمثل ما كتب به إليك. فلم يجد رسوله عندي ما وجد عندك، ولقد أحرقت كتابه من قبل أن أقرأه. فانصرف عبدالله من عنده عليه السلام مغضباً، ولم ينصرف رسول أبي سلمة إليه إلى أن بويع السفاح...[1].

وكان محمّد بن عليّ بن عبدالله بن العباس عيّن من شيعتهم اثني عشر نقيباً للدعوة إليهم[2].

هذا، وفي (العقد): كان أبومسلم يقول لقوّاده إذا أخرجهم: «لا تكلّموا الناس إلّا رمزاً، ولا تلحظوهم إلّا شزراً لتمتلئ صدورهم من هيبتكم[3]».

«**كما تجتمع قزع الخريف**» أي: كما تجتمع قطع السحاب المتفرّق في

---

(١) مروج الذهب ٣: ٢٥٣ ـ ٢٥٥، والنقل بتلخيص.

(٢) رواه ابن الأثير في الكامل ٥: ٥٣، سنة ١٠٠.

(٣) العقد الفريد ٥: ٢٠٩.

الخريف ولمّا كان الخريف. أوّل الشتاء يكون السحاب فيه متفرّقاً غير متراكم ولا مطبق، ثمّ يجتمع بعدُ بعضه إلى بعض.

«**يؤلّف الله بينهم ثمّ يجعلهم ركاماً كركام السحاب**» السحاب المتراكم سحاب بعضه فوق بعض.

«**ثمّ يفتح لهم أبواباً**» إلى نيل مقصدهم.

«**يسيلون**» استعارة من سيل الماء.

«**من مستثارهم**» أي: موضع ثورانهم وهو خراسان فإنّ مبدأ دعوة دعاة العباسية كان بها.

«**كسيل الجنّتين**» إشارة إلى قوله تعالى: ﴿لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنّتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربّكم واشكروا له بلدة طيّبة وربّ غفور* فاعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدّلناهم بجنّتيهم جنّتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل﴾[1].

«**حيث لم تسلم عليه**» أي: على ذاك السيل.

«**قارة**» بالتخفيف. الأكمة الصلبة ذات حجارة كما في (الجمهرة)[2]، وجمعها قارات والقور. قال:

هل تعرف الدار بأعلى ذي القور　　قد درست غير رماد مكفور[3]

«**ولم تثبت عليه أكمة**» أي: تلّ. وقالوا: لا تَبُلْ على أكمة، ولا تُفشِ سرّك إلى أمة.

«**ولم يردّ سننه**» بالفتح، أي: وجهه، وطريقته.

---

(١) سبأ: ١٥ ـ ١٦.

(٢) جمهرة اللغة ٢: ٤٠٩.

(٣) أورده لسان العرب ٥: ١٢٢، مادة (قور).

«رصّ»: أي: تلاصق.

«طود» أي: جبل عظيم.

«ولا حداب أرض» أي: مرتفعاتها. قال تعالى: ﴿وهم من كلّ حدب ينسلون﴾[1].

«يذعذعهم الله» أي: يفرّقهم الله.

«في بطون أوديته» جمع الوادي.

«ثمّ يسلكهم ينابيع في الأرض» الأصل فيه قوله تعالى: ﴿ألم تر أنّ الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض﴾[2] إلّا أنّ ينابيع في كلامه عليه السلام استعارة.

ثمّ كلامه عليه السلام من قوله «على أنّ الله تعالى سيجمعهم لشرّ يوم لبني أُميّة» إلى قوله هنا «ثمّ يسلكهم ينابيع في الأرض» من غريب التعبير عن بدء دعوة العباسية بعد سنة المئة إلى تشكيل سلطنتهم في سنة (١٣٢) ولا يكاد تعجُّبي ينقضي منه من حسن تعبيره، وكمال انطباق إخباره عليه السلام على ما وقع.

ففي (كامل الجزري): وجّه محمّد بن علي بن عبدالله بن العباس في سنه المئة الدعاة في الآفاق، وسببه أنّه كان ينزل الحميمة ـ أرض الشراة ـ من أعمال بلقاء الشام. فسار أبوهاشم بن محمّد بن الحنفية إلى سليمان بن عبدالملك. فرأى من علمه وفصاحته ما حسده، وخافه. فوضع عليه في طريقه من سمّه في لبن. فلمّا أحسّ بالشرّ قصد الحميمة، ونزل على محمّد وأعلمه أنّ الأمر صائر إلى ولده، وعرّفه ما يعمل به، وكان أمر شيعته بقصده بعده. فلمّا مات قصدوه وبايعوه، ودعوا الناس إليه فوجّه ميسرة إلى العراق، ومحمّد بن

---

(١) الانبياء: ٩٦.

(٢) الزمر: ٢١.

خنيس، وأبا عكرمة السراج ـ وهو أبو محمّد الصادق ـ وحيان العطار ـ خال إبراهيم بن سلمة ـ إلى خراسان فانصرفوا بكتب من استجاب لهم، واختار أبو محمّد الصادق لمحمّد بن علي اثنى عشر نقيبا: سليمان بن كثير الخزاعي، ولاهز بن قريظ التميمي وقحطبة بن شبيب الطائي، وموسى بن كعب التميمي، وخالد بن إبراهيم أبو داود من شيبان بن ذهل، والقاسم بن مجاشع التميمي، وعمران بن إسماعيل أبوالنجم مولى آل أبي معيط، ومالك بن الهيثم الخزاعي، وطلحة بن زريق الخزاعي وعمرو بن أعين أبوحمزة مولى خزاعة، وشبل بن طهمان أبوعلي الهروي مولى بني حنيفة وعيسى بن أعين مولى خزاعة. واختار سبعين رجلاً وكتب لهم محمّد بن علي كتاباً يكون لهم مثالاً وسيرة يسيرون بها.

وفيه: وفي سنة (١٠٢) وجّه ميسرة رسله من العراق إلى خراسان. فظهر أمر الدعاة بها. فقيل لسعيد خديّة: إنّ هاهنا قوماً ظهر منهم كلام قبيح. فبعث فأُتي بهم. فقالوا: نحن تجّار. قال: فما هذا الّذي يُحكى عنكم؟ قالوا: لا ندري. إنّ لنا في تجارتنا شغلاً عن هذا. فقال: من يعرف هؤلاء؟ فجاء ناس أكثرهم من ربيعة واليمن. فقالوا: نحن نعرفهم. فخلّى سبيلهم.

وفيه: وفي سنة (١٠٥) قيل: قدم بكير بن ماهان الكوفة من السند، ومعه أربع لبنات من فضة، ولبنة من ذهب. فلقي أباعكرمة، وجمعاً آخر من الدعاة. فذكروا له أمر الدعوة. فقبلها وأنفق ما معه عليهم، ومات ميسرة. فأقامه محمّد بن عليٍّ مقامه.

وفيه: وفي سنة (١٠٧) قيل: وجّه بكير بن ماهان أبا عكرمة، وعدّة من شيعتهم دعاة إلى خراسان. فوشي بهم إلى أسد بن عبدالله. فأُتي بأبي عكرمة ومحمّد بن خنيس، وعامة أصحابه. فقطع أيدي من ظفر به منهم وصلبهم، ونجا عمّار العبادي. فأقبل إلى بكير. فأخبره فكتب بكير إلى محمّد بن علي،

فأجابه: «الحمد لله الّذي صدّق دعوتكم، وبقيت منكم قتلى ستقتل».

وفيه: وفي سنة (١١٨) وجّه بكير بن ماهان عمّار بن يزيد إلى خراسان والياً على شيعة بني العباس. فنزل مرو، وغيّر اسمه وتسمّى بخداش.

وفيه: وفي سنة (١٢٦) وجّه إبراهيم بن محمّد الإمام أبا هاشم بكير بن ماهان إلى خراسان، وبعث معه بالسيرة، والوصية. فقدم مرو، وجمع النقباء والدعاة فنعي إليهم محمّد بن علي، ودعاهم إلى ابنه إبراهيم، ودفع إليه كتابه فقبلوه، ودفعوا إليه ما اجتمع عندهم من نفقات الشيعة، فقدم بها بكير على إبراهيم الإمام.

وفيه: وفي سنة (١٢٧) توجّه سليمان بن كثير، ولاهز بن قرمط، وقحطبة إلى مكّة، فلقوا إبراهيم الإمام، وأوصلوا إلى مولى له عشرين الف دينار، ومئتي ألف درهم، ومسكاً، ومتاعاً كثيراً، وكان معهم أبومسلم، وقال له: هذا مولاك.

وفيه أيضاً: كتب بكير بن ماهان إلى إبراهيم الإمام أنّه في ألَمُوتَ، وأنّه استخلف أبا سلمة حفص بن سليمان. فكتب إبراهيم إلى أبي سلمة يأمره بالقيام، وكتب إلى أهل خراسان أنّه قد أسند أمرهم إليه، ومضى أبوسلمة إلى خراسان. فدفعوا إليه ما اجتمع عندهم من نفقات الشيعة، وخمس أموالهم.

وفيه: وفي سنة (١٢٨) وجّه إبراهيم الإمام أبا مسلم -وعمره تسع عشرة سنة- إلى خراسان وكتب إليهم: «إنّي قد أمّرته على خراسان وما غلب عليه بعد ذلك» وقال لأبي مسلم، وإنّك رجل منّا أهل البيت إحفظ وصيتي. أُنظر هذا الحيّ من يمن. فالزمهم، واسكن بين أظهرهم. فإنّ الله لا يتمّ هذا الأمر إلّا بهم، واتّهم ربيعة في أمرهم، وأما مضر فإنّهم العدو القريب الدار، واقتل من شككت فيه، وان استطعت أن لا تدع بخراسان من يتكلم بالعربية فافعل، وأيّما غلام بلغ خمسة اشبار تتهمه فاقتله، ولا تخالف هذا الشيخ -يعني سليمان بن

كثير ـ وإذا أشكل عليك أمر فاكتف به منّي[1].

وفيه: كان أبو مسلم يختلف إلى إبراهيم الإمام، وكتب في سنة (١٢٩) إلى أبي مسلم يستدعيه ليسأله عن أخبار الناس. فسار مع سبعين من النقباء. فلمّا صاروا بالدانقان من خراسان عرض له كامل. فسأله عن مقصده. فقال: الحجّ ثمّ خلا به أبو مسلم. فدعاه فأجابه ثمّ سار إلى نسا فدخل قرية منها فقيل له إنّه سعى هنا إلى العامل برجلين. قيل: إنّهما داعيان، فأخذا وأخذ الأحجم وغيلان، وغالب، ومهاجر. فتنكب الطريق، وأتاه أسيد الخزاعي. فسأله عن الاخبار. فقال: قدم الأزهر، وعبدالملك بن سعد بكتب الإمام إليك فخلّفا الكتب عندي، وأُخذا. فأتاه بالكتب ثمّ سار حتّى أتى قومس، وعليها بيهس العجلي فقال لهم: أين تريدون. قالوا: الحج وأتاه ثمة كتاب إبراهيم إليه، وإلى سليمان بن كثير يقول لأبي مسلم فيه: إنّي قد بعثت إليك براية النصر. فارجع من حيث لقيك كتابي، ووجّه قحطبة بما معه من الأموال والعروض. فلمّا كانوا بنيسابور عرض لهم صاحب المسلحة. فسألهم عن حالهم. فقالوا: أردنا الحج. فبلغنا عن الطريق شيء خفناه، فأمر المفضل السلمي بإزعاجهم. فخلابه أبو مسلم، وعرض عليه أمرهم فأجابه، وأقام عندهم حتّى ارتحلوا على مهل. فقدم أبو مسلم مرو. فدفع كتاب إبراهيم إلى سليمان بن كثير يأمره فيه باظهار الدعوة. فنصبوا أبا مسلم، وقالوا رجل من أهل البيت، ودعوا إلى طاعة بني العباس، وأرسلوا إلى من قرب منهم ومن بعد. ممّن أجابهم. فأمروه بإظهار أمرهم. فنزل أبو مسلم قرية من قرى مرو، يقال لها «فنين» على أبي الحكم النقيب، ووجّه منها أبا داود النقيب وعمرو بن أعين إلى طخارستان فما

---

(١) روى هذه الحكايات ابن الأثير في الكامل ٥: ٥٣ و ١٠٠ و ١٢٥ و ١٣٦ و ١٩٦ و ٣٠٨ و ٣٣٩ و ٣٤٧، والنقل بتلخيص.

دون بلخ. فأمرهما باظهار الدعوة في شهر رمضان ووجّه نصر بن صبيح التميمي، وشريك بن غضبي التميمي إلى مرو الروذ باظهار الدعوة في شهر رمضان، ووجّه أبا عاصم بن سليم إلى الطالقان، ووجّه الجهم بن عطية إلى العلاء بن حريث بخوارزم بإظهار الدعوة في رمضان لخمس بقين منه فان أعجلهم عدوهم دون الوقت بالأذى. فقد حلّ لهم أن يدفعوا عن أنفسهم، ومن شغله منهم عدوّهم. فلا حرج عليهم أن يظهروا بعد الوقت ثمّ تحوّل أبومسلم من عند أبي الحكم. فنزل قرية سفيدنج. فنزل على سليمان بن كثير الخزاعي لليلتين خلتا من رمضان، والكرماني، وشيبان يقاتلان نصر بن سيار، فبثّ أبومسلم دعاته في الناس وأظهر أمره. فأتاه في ليلة واحدة أهل ستّين قرية، فلمّا كان خمس بقين من رمضان عقد اللواء الّذي بعث به إبراهيم الإمام، الّذي يُدعى الظل، على رمح طوله أربعة عشر ذراعاً، وعقد الراية الّتي بعث بها إليه، الّتي تدعى السحاب، على رمح طوله ثلاثة عشر ذراعاً وهو يتلو: ﴿أذن للّذين يقاتلون بأنّهم ظلموا وإنّ الله على نصرهم لقدير﴾[١]. ولبس السواد هو وسليمان بن كثير، وإخوة سليمان، ومواليه، ومن كان أجاب الدعوة من أهل سفيدنج، وأوقدوا النيران لليلتهم لشيعتهم من سكان ربع خرقان، وكانت علامتهم فتجمعوا إليه حين أصبحوا معدّين، وتأوّل السحاب أنّ السحاب يطبق الأرض، والظل أنّ الأرض كما لا تخلو من ظل كذلك من خليفة عباسي إلى آخر الدهر، وقدم على أبي مسلم الدعاة بمن أجاب الدعوة فكان أوّل من قدم عليه أهل التقادم مع أبي الوضّاح في تسعمئة راجل وأربعة فرسان، ومن أهل هرمزفرة جماعة، وقدم أهل التقادم مع محرز الجوباني في ألف وثلاثمئة راجل، وستّة عشر فارساً فيهم من الدعاة أبو العباس المروزي. فجعل أهل

---

(١) الحج: ٣٩.

التقادم يكبّرون من ناحيتهم ويجيبهم أهل التقادم بالتكبير. فدخلوا عسكر أبي مسلم بسفيدنج بعد يومين، وحصّن أبومسلم حصن سفيدنج، ورمّه، وسدّ دروبها.

فلمّا حضر عيد الفطر أمر أبومسلم سليمان بن كثير أن يصلّي به وبالشيعة، ونصب له منبراً بالعسكر، وأمره أن يبدأ بالصلاة ويصلّون بالأذان والإقامة وأمر أيضاً أبومسلم سليمان بن كثير بستّ تكبيرات تباعاً ثم يقرأ، ويركع بالسابعة، ويكبّر في الركعة الثانية خمس تكبيرات تباعاً. ثمّ يقرأ ويركع بالسادسة.، ويفتح الخطبة بالتكبير، ويختمها بالقرآن ـ وكان بنو اُميّة يكبّرون في الأُولى أربع تكبيرات، وفي الثانيه ثلاث تكبيرات.

فلمّا قضى سليمان الصلاة انصرف أبو مسلم والشيعة إلى الطعام قد أعدّه لهم. فأكلوا مستبشرين، وكان أبومسلم، وهو في الخندق، إذا كتب إلى نصر بن سيّار يكتب: «للأمير نصر».

فلمّا قوي بدأ بنفسه، وكتب «أمّا بعد فإنّ الله تعالى عيّر أقواماً في القرآن فقال ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأُمم فلمّا جاءهم نذير مازادهم إلّا نفوراً استكباراً في الأرض * ومكر السّيّئ ولا يحيق المكر السّيّئ إلّا بأهله فهل ينظرون إلّا سنّة الأوّلين فلن تجد لسنّة الله تبديلاً ولن تجد لسنّة الله تحويلا﴾[١] فتعاظم نصر الكتاب وكسر له إحدى عينيه، وقال: هذا كتاب ماله جواب[٢].

وفيه: وجّه نصر بعد ثمانية عشر شهراً من ظهور أبي مسلم ـ وهو بسفيدنج ـ مولى له يقال له يزيد لمحاربتة. فوجّه أبومسلم إليه مالك بن الهيثم

(١) فاطر: ٤٢ ـ ٤٣.

(٢) الكامل ٥: ٣٥٦ ـ ٣٦٠، سنة ١٢٩، والنقل بتلخيص.

الخزاعي. فالتقوا بقرية الين. فدعاهم مالك إلى الرضا من آل الرسول. فاستكبروا عن ذلك فقاتلهم مالك، وهو في نحو مئتين من أوّل النهار إلى العصر، وقدم على أبي مسلم صالح الضبي، وإبراهيم بن زيد، وزياد بن عيسى. فسيّرهم إلى مالك. فقوي بهم، وكان قدومهم مع العصر. فقال مولى نصر: إن تركنا هؤلاء الليلة أتتهم إمدادهم. فاحملوا على القوم. فحملوا. فحمل عبدالله الطائي على مولى نصر. فأسره، وانهزم أصحابه. فأرسل به إلى أبي مسلم، ومعه رؤوس القتلى فنصب الرؤوس، وأحسن إلى مولى نصر، وعالجه حتّى اندمل جراحه، وقال له: إن شئت أن تقيم معنا فقد أرشدك الله، تحاربنا وإن كرهت فارجع إلى مولاك سالماً، وأعطنا عهد الله أنك لا وأن لا تكذب علينا، وأن تقول فينا ما رأيت فرجع إلى مولاه. فقال أبومسلم لأصحابه: إنّ هذا سيردّ عنكم أهل الورع والصلاح. فما نحن عندهم على الإسلام -وكذلك كان عندهم يرجفون عليهم بعبادة الأوثان واستحلال الأموال والدماء والفروج.

فلمّا قدم مولى نصر على نصر قال له نصر: لا مرحبا بك فوالله ما استبقاك القوم إلّا ليتخذوك حجّة علينا. فقال له مولاه: هو والله ما ظننت، وقد استحلفوني أن لا أُكذب عليهم، وأنا أقول: إنّهم يصلّون الصلوات لمواقيتها بأذان وإقامة، ويتلون القرآن، ويذكرون الله كثيراً، ويدعون إلى ولاية رسول الله ﷺ، وما أحسب أمرهم إلّا سيعلو، ولولا أنك مولاي لما رجعت إليك، ولأقمت معهم، فهذا أوّل قتال كان بينهم[1].

وفيه -بعد ذكر قتال نصر بن سيار عامل مروان على خراسان والكرماني -: ولمّا استيقن أبومسلم أنّ كلا الفريقين قد أثخن صاحبه، وأنه

---

(١) الكامل ٥: ٣٦٠، سنة ١٢٩، والنقل بتلخيص.

لا مدد لهم. جعل يكتب إلى شيبان ويقول للرسول: إجعل طريقك على مضر. فإنّهم سيأخذون كتبك. فكانوا يأخذونها فيقرؤون ما فيها: «إنّي رأيت اليمن لا وفاء لهم، ولا خير فيهم فلا تثقن بهم ولا تظهر إليهم. فإنّي أرجو أن يريك الله في اليمانية ما تحبّ، ولئن بقيت لا ادع لهم شعراً ولا ظفراً» ويرسل رسولاً آخر بكتاب آخر فيه ذكر مضر بمثل ذلك، ويأمر الرسول أن يجعل طريقه على اليمانية حتّى صار هوى الفريقين معه.

ثمّ جعل يكتب إلى نصر، وإلى الكرماني «إنّ الإمام أوصاني بكم، ولست أعدو رأيه فيكم» وكتب إلى الكور باظهار الأمر. فكان أوّل من سوّد أسد الخزاعي بنسا، ومقاتل وابن غزوان، وسوّد أهل ابيورد،وأهل مرو الروذ، وقرى مرو، وأقبل أبومسلم حتّى نزل بين خندق الكرماني، وخندق نصر، وهابه الفريقان، وبعث إلى الكرماني أنّي معك. فقبل فانضمّ إليه. فاشتدّ ذلك على نصر، فأرسل إلى الكرماني: ويحك لا تغترّ، فوالله إنّي لخائف منه عليك، وعلى أصحابك. فادخل مرو. نكتب بيننا كتاباً بالصلح ـ وهو يريد أن يفرّق بينه وبين أبي مسلم ـ فدخل الكرماني منزله، وأقام أبومسلم في العسكر، وخرج الكرماني حتّى وقف في الرحبة في مئة فارس، وأرسل إلى نصر: أُخرج لنكتب الصلح، فرأى نصر من الكرماني غرّة. فوجّه إليه ابن الحرث في نحو من ثلاثمائة فطعن الكرماني في خاصرته فخرّ عن دابته، فقتله نصر وصلبه، وصلب معه سمكه. وأقبل ابنه علي، وقد جمع جمعاً كثيراً، فصار إلى أبي مسلم فقاتلوا نصراً حتّى أخرجوه من دار الإمارة. فمال إلى بعض دور مرو.

وأقبل أبومسلم حتّى دخل مرو، وسلّم عليه ابن الكرماني بالإمرة وقال: مرني بأمرك. فقال: أقم حتّى آمرك، ولمّا كان أبومسلم نزل بين الخندقين كتب نصر إلى مروان يعلمه حال أبي مسلم وكتب:

أرى بين الرماد وميض نار وأخشى أن يكون له ضرام
فإنّ النار بالعودين تذكى وأنّ الحرب مبدؤها كلام
فقلت من التعجّب ليت شعري أأيقاظ أُميّة أم نيام؟!

فكتب إليه مروان «إنّ الشاهد يرى ما لا يرى الغائب. فاحسم الثلول قبلك» فقال نصر: أمّا صاحبكم فقد أعلمكم أن لا نصر عنده[1].

وفيه: في سنة (١٣٠) انتقض صلح عرب خراسان على حرب أبي مسلم بمكائد أبي مسلم. فبعث نصر إليه يلتمس منه أن يدخل مع مضر، وبعث أصحاب ابن الكرماني -وهم ربيعة واليمن- إلى أبي مسلم بمثل ذلك. فراسلوه بذلك أيّاماً فامرهم أبومسلم أن يقدم عليه وفد الفريقين حتّى يختار أحدهما. ففعلوا وأمر أبومسلم الشيعة أن تختار ربيعة واليمن. فإنّ الشيطان في مضر وهم أصحاب مروان وعمّاله، وقتلة يحيى. فقدم الوفدان فجلس أبومسلم وأجلسهم وجمع عنده من الشيعة سبعين رجلاً. فقال لهم: لتختاروا أحد الفريقين. فقام سليمان بن كثير فتكلم -وكان خطيباً مفوّهاً- فاختار ابن الكرماني وأصحابه. ثمّ قام أبومنصور النقيب فاختارهم. ثمّ قام مرثد السلمي فقال: «إنّ مضر قتلة آل النبيّ ﷺ وأعوان بني أُميّة وشيعة مروان الجعدي، ودماؤنا في أعناقهم وأموالنا في أيديهم، ونصرٌ عامل مروان يدعو له على منبره، ويسمّيه أمير المؤمنين، ونحن نبرأ إلى الله من أن يكون نصرٌ على هدىً، وقد اخترنا ابن الكرماني» فقال: السبعون: القول ما قال مرثد، فنهض وفد نصر عليهم الكآبة، ورجع وفد ابن الكرماني منصورين، ورجع أبومسلم من ألين إلى الماخوان، وأمر الشيعة أن يبنوا المساكن.

ثمّ أرسل ابن الكرماني إليه ليدخل مدينة مرو من ناحيته، وليدخل هو

(١) الكامل ٥: ٣٦٤، سنة ١٢٩، والنقل بتلخيص.

وعشيرته من الناحية الأُخرى. فبعث إليه أبومسلم: إنّي لست آمن أن تجتمع يدك ويد نصر على محاربتي، ولكن اُدخل أنت فأنشِبِ الحرب مع أصحاب نصر. ففعل وبعث أبومسلم شبل النقيب في خيل. فدخلوها ونزلوا بقصر بخارا خداه، وبعث إلى أبي مسلم ليدخل إليهم. فسار من الماخوان، وعلى مقدّمته أسيد الخزاعي، وعلى ميمنته مالك الخزاعي، وعلى ميسرته القاسم التميمي فدخل والفريقان يقتتلان. فأمرهما بالكفّ وهو يتلو: ﴿ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها. فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوّه﴾[١] ومضى، إلى قصر الأمارة، وأرسل إلى الفريقين أن كفّوا. ففعلوا، وصفت له مرو. فأمر بأخذ البيعة من الجند ـ وكانت البيعة: اُبايعكم على كتاب الله وسنّة نبيّه والطاعة للرضا من أهل بيته، وعليكم بذلك عهد الله، وميثاقه والطلاق والعتاق والمشي إلى بيت الله، وعلى ألّا تسالوا رزقاً ولا طعماً حتّى يبتدئكم به ولاتكم».

ثمّ أرسل أبومسلم إلى نصر لاهزاً في جماعة يدعوه إلى البيعة. فقرأ لاهز ﴿انّ الملأ يأتمرون بك﴾[٢] ـ الآية ـ فخرج نصر من خلف حجرته مع ابنه تميم وامرأته هراباً. فسار أبو مسلم إلى معسكره وأخذ ثقات أصحابه، وصناديدهم فكتّفهم، وكان فيهم سالم بن أحور صاحب شرطته، والبختري كاتبه، وابنان له، ويونس بن عبدويه، ومحمّد بن قطن، ومجاهد بن يحيى. فاستوثق منهم بالحديد، وسار أبومسلم وابن الكرماني في طلب نصر ليلتهما. فادركا امرأته قد خلّفها وسار. فرجع أبومسلم، وسأل: ما الّذي ارتاب به نصر حتّى هرب؟ قالوا: لا ندري. قال: فهل تكلم أحد؟ قالوا: تلا لاهز:

---

(١) القصص: ١٥.

(٢) القصص: ٢٠.

﴿إنّ الملأ﴾ فقال له أبومسلم: تدغل في الدين! فقتله، واستشار أباطلحة في أصحاب نصر. فقال: اجعل سوطك السيف، وسجنك القبر فقتلهم، وكانوا أربعة وعشرين[1].

وفيه -بعد ذكر فتح أبي مسلم لأبيورد، وبلخ، وقتله شيبان الخارجي مع عدّة من بكر بن وائل الّذين كانوا يقاتلونه، وعلى الكرماني الّذي كان أيضاً يقاتله - وقد كان أمره أن يسمّي خواصّه ليولّيهم. فسمّاهم فقتلهم جميعاً، وبعد ذلك بعث العمال على البلاد. فاستعمل سباع الأزدي على سمرقند، وأبا داود على طخارستان، ومحمّد بن الأشعث على الطبسين، وجعل مالك بن الهيثم على شرطته، ووجّه قحطبة مع عدّة من القواد إلى طوس. فهزمهم، وكان من مات في الزحام أكثر ممّن قتل. فبلغ عدّة القتلى بضعة عشر ألفاً، ووجّه علي بن معقل في عشرة آلاف مع قحطبة ليسير إلى تميم بن نصر. فسار قحطبة إلى السودقان، وهو معسكر تميم. فقتل تميم، واستبيح عسكره، وكان عدّة من معه ثلاثين ألفاً[2].

وفيه: بعث ابن هبيرة عامل مروان على العراق نباتة بن حنظلة إلى نصر لنصره فسار نصر -وكان هرب إلى قومس- معه إلى جرجان، وخندقوا عليهم. فأقبل قحطبة إليهم، وقال لجنده أهل خراسان: أتدرون إلى من تسيرون، ومن تقاتلون؟ إنّما تقاتلون بقية قوم أحرقوا بيت الله. فنزل قحطبة بأزاء نباتة في أهل الشام في عدّة لم ير الناس مثلها. فلمّا رأوهم أهل خراسان هابوهم حتّى تكلّموا بذلك. فقام فيهم قحطبة، وقال: هذه البلاد كانت لآبائكم، وكانوا ينصرون على عدوّهم لعدلهم حتّى بدّلوا. فسلّط الله عليهم أذل أمّة

(١) الكامل ٥: ٣٧٨ ـ ٣٨٢، سنة ١٣٠، والنقل بتلخيص.

(٢) الكامل ٥: ٣٨٥ و٣٨٦، سنة ١٣٠، والنقل بتلخيص.

كانت في الأرض عندهم. فغلبوهم على بلادهم، وكانوا بذلك يحكمون بالعدل. ثمّ بدّلوا وأخافوا عترة النبيّ ﷺ: فسلّطكم عليهم وقد عهد إليّ الإمام أنكم تلقونهم في مثل هذه العدّة فينصركم الله عليهم، وأخبرنا انكم تنصرون هذا اليوم من هذا الشهر. فاقتتلوا فقتل نباتة، وقتل من أهل الشام عشرة آلاف، وبعث برأس نباتة إلى أبي مسلم، وبلغ قحطبة بعد قتل نباتة أنّ أهل جرجان يريدون الخروج عليه، فقتل منهم ما يزيد على ثلاثين ألفاً.

ولمّا بلغ حبيب النهشلي، ومن معه بالري من أهل الشام، توجُّهَ قحطبة إليه هربوا. فدخلها، وكتب إلى أبي مسلم بذلك. فأمره بأخذ أملاكهم[1].

وفيه: كتب أبومسلم إلى اصبهبد طبرستان يدعوه إلى الطاعة وأداء الخراج فأجابه، وكتب إلى المصمغان صاحب دنباوند كذلك. فأجابه إنّما أنت خارجي أمرك سينقضي، ثمّ بعث قحطبة بعد تمكنه ابنه الحسن من الرى إلى همدان فهرب منها مالك بن أدهم، ومن بها من أهل الشام، وخراسان إلى نهاوند، ولمّا بلغ ابن هبيرة مقتل نباتة بجرجان بعث ابنه داود، وعامر بن ضبارة ـ وكان يقال لعسكره عسكر العساكر ـ فالتقوا هم وقحطبة بنواحي اصبهان ـ وكان عسكر قحطبة عشرين ألفا، وعسكر ابن ضبارة مئة ألف، وقيل: خمسين ومئة ألف. فقتل داود، وانهزم ابن ضبارة، وأصابوا عسكره، وأخذوا منه مالا يعلم قدره من السلاح والمتاع والرقيق والخيل، وما رؤي عسكر قط كان فيه من أصناف الأشياء ما في هذا العسكر كأنّه مدينة ـ وكان فيه من البرابط، والطنابير، والمزامير، والخمر ما لا يحصى ـ ثمّ توجّه قحطبة إلى نهاوند ـ وقد كان قد بعث ابنه قبل إليها فحاصرها، ودعا من بنهاوند من أهل خراسان إلى الأمان فأبوا وأهل الشام فأجابوا. ففتحوا الباب. فسألوهم

---

(١) الكامل ٥: ٣٨٧ و٣٩٦، سنة ١٣٠ و١٣١، والنقل بتلخيص.

أهل خراسان. فقالوا: أخذنا الأمان لنا ولكم، فخرج رؤساء أهل خراسان فأمر قحطبة بضرب أعناقهم، وخلّى سبيل أهل الشام، وبعث قحطبة إلى حلوان. فهرب عامله، ووجّه أربعة آلاف مع قائدين إلى شهرزور وبها عثمان بن سفيان. فقتل أو هرب وغنم عسكره[1].

وفيه ولمّا سمع ابن هبيرة بهزيمة ابنه في حلوان من قحطبة خرج من الكوفة في عدد لا يحصى يريده. فأقبل قحطبة نحو الكوفة ليأخذها. فرجع ابن هبيرة لئلاّ يسبقه قحطبة إلى الكوفة، والفريقان يسيران على جانبي الفرات، ونزل قحطبة الجبارية، وقاتل عسكر ابن هبيرة. فانهزموا، وفقد قحطبة وبحثوا عنه. فقيل: إنه لمّا كان عبر الفرات ضربه معن بن زائدة على حبل عاتقه. فسقط في الماء فأخرجوه فقال: إذا أنا متّ فشدّوا يدي، وألقوني في الماء لئلاّ يعلم الناس بقتلي. وقال: إذا قدمتم الكوفة فوزير آل محمّد أبو سلمة. فسلّموا إليه الأمر. فلحق ابن هبيرة بواسط، وترك عسكره وما فيه من الأموال والسلاح، وقام مقام قحطبة ابنه الحسن، وخرج إلى الكوفة، وقد كان محمّد بن خالد القسري خرج قبل على عامل ابن هبيرة مسوّداً. فدخلها الحسن بن قحطبة. فاستخرجوا أبا سلمة الوزير. فبعث أبو سلمة الحسن إلى واسط لقتال ابن هبيرة، واستعمل القسري على الكوفة، ووجّه حميد بن قحطبة إلى المدائن، وبعث المسيّب بن زهير، وخالد بن برمك إلى دير قُنّي، وبعث المهلّبي، وشراحيل إلى عين التمر، وبسّاماً إلى الأهواز ـ وعليها عبدالواحد بن عمر بن هبيرة ـ فقاتله وهزمه بسام فخرج عبدالواحد، وبعث إلى البصرة سفيان المهلّبي ـ وكان عليها سلم بن قتيبة ـ ولحق به عبدالواحد. فانهزم

---

(١) الكامل ٥: ٣٩٧ ـ ٤٠١، سنة ١٣١، والنقل بتلخيص.

سفيان، ولم يزل سلم بالبصرة حتّى قتل ابن هبيرة[1].

وفيه: لمّا أخذ رسول مروان إبراهيم الإمام من الحميمة نعى نفسه إلى أهل بيته، وأمرهم بالمسير إلى الكوفة مع أخيه أبي العباس عبدالله بن محمّد السفاح وبالطاعة له، وأوصى إليه، وجعله الخليفة بعده. فسار السفاح وأهل بيته منهم المنصور، وابنا إبراهيم أخيه عبدالوهاب ومحمّد، وأعمامه داود، وعيسى، وصالح، وإسماعيل، وعبدالله، وعبدالصمد بنو علي بن عبدالله بن العباس وابن عمّه داود، وابن أخي عيسى بن موسى، ويحيى بن جعفر بن تمام بن عباس حتّى قدموا الكوفة، وشيعتهم من أهل خراسان بظاهر الكوفة بحمام أعين فأنزلهم أبوسلمة دار الوليد بن سعد، وكتم أمرهم نحواً من أربعين ليلة من جميع القواد والشيعة وأراد أن يحوّل الأمر إلى آل أبي طالب ـ لمّا بلغه موت إبراهيم ـ وكان إذا سئل عن الإمام يقول: لا تعجلوا حتّى دخل أبوحميد الحميري من حمام أعين يريد الكناسة، فلقي خادماً لإبراهيم. فقال له: ما فعل إبراهيم؟ قال: قتله مروان وأوصى إلى أخيه أبي العباس، وقدم الكوفة مع عامة أهل بيته. فانطلق به إليهم فقال: من الخليفة؟ فقال: داود بن علي هذا ـ وأشار إلى أبي العباس ـ فسلّم عليه بالخلافة ثمّ رجع فاتفق رأي جماعة من القوّاد على أن يلقوه. فمضى موسى بن كعب وأبو الجهم، وعبدالحميد بن ربعي، وسلمة بن محمّد، وإبراهيم بن سلمة، وعبدالله الطائي، وإسحق بن إبراهيم، وشراحيل، وعبدالله بن بسام، وأبوحميد، وسليمان بن الأسود، ومحمّد بن الحصين إليه، وسلّموا عليه بالخلافة. فركب أبوسلمة إليه. فسلّم بالخلافة. فقال له أبو حميد: على رغم أنفك يا ماص بظر أُمّه. فقال له السفاح: مه، وأمر أبا سلمة بالعود إلى معسكره، وأصبح الناس يوم الجمعة

---

(١) الكامل ٥: ٤٠٣ ـ ٤٠٧، سنة ١٣٢، والنقل بتلخيص.

لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأوّل من سنة (١٣٢) فلبسوا السلاح، واصطفّوا لخروج السفّاح. فركب مع أهل بيته إلى دار الإمارة ثمّ خرج إلى المسجد. فخطب وصلّى الجمعة ثمّ صعد المنبر حين بويع له بالخلافة. فقام في أعلاه، وصعد عمّه داود. فقام دونه. فخطبهم السفاح -إلى أن قال-: وخصّنا برحم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وقرابته. -إلى أن قال-.

وقال تعالى: ﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيرا﴾[1] وقال تعالى: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودّة في القربى﴾[2] وقال: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾[3]، وقال: ﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فللّه وللرسول ولذي القربى﴾[4] وقال: ﴿واعلموا أنّ ما غنمتم من شيء فأنّ لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى﴾[5] فأعلمهم الله تعالى فضلنا وأوجب عليهم حقّنا ومودّتنا، وأجزل من الفيء والغنيمة نصيبنا تكرمة لنا -إلى أن قال-: ثمّ وثب بنو حرب وبنو مروان فأنبذوها، وتداولوها. فجاروا فيها واستأثروا بها، وظلموا أهلها بما أملى الله لهم حينا. فلمّا آسفوه انتقم منهم بأيدينا، وردَّ علينا حقّنا وتدارك بنا اُمّتنا -إلى أن قال-.

وختم بنا كما افتتح بنا -إلى أن قال-.

فاستعدوا فأنا السفّاح المبيح والثائر المنيح -وكان موعوكاً- فجلس على المنبر، وقام عمّه داود على مراقي المنبر. فقال: الحمد لله الّذي أهلك عدوّنا، وأصار إلينا ميراثنا من نبيّنا. الآن اقشعت حنادس الدنيا، وانكشف

---

(١) الاحزاب: ٣٣.

(٢) الشورى: ٢٣.

(٣) الشعراء: ٢١٤.

(٤) الحشر: ٧.

(٥) الانفال: ٤١.

عطاؤها وأشرقت أرضها وسماؤها، وطلعت الشمس من مطلعها، وبزغ القمر من مبزغه، وأخذ القوس باريها، وعاد السهم إلى منزعه، ورجع الحق إلى نصابه إلى أهل بيت نبيّكم. إنّا والله ما خرجنا في طلب هذا الأمر لنكثر لجيناً ولا عقياناً، ولا نحفر نهراً، ولا نبني قصراً، وإنما أخرجتنا الأنفة من ابتزازهم حقّنا، والغضب لبني عمّنا، وما كرهنا من اُموركم ترمضنا ونحن على فرشنا، ويشتدّ علينا سوء سيرة بني اُميّة فيكم واستنزالهم لكم، واستئثارهم بفيئكم وصدقاتكم. مغانمكم عليكم، لكم ذمة الله، وذمة نبيّه، وذمة العباس أن نحكم فيكم بما أنزل الله، ونعمل فيكم بكتاب الله، ونسير في العامة والخاصة بسيرة النبيّ ﷺ تبّأتبّاً لبني حرب وبني مروان، آثروا في مدّتهم العاجلة على الآجلة، والدار الفانية على الدار الباقية. فركبوا الآثام وظلموا الأنام، وانتهكوا المحارم، وغشّوا بالجرائم، وجاروا في سيرتهم في العباد، وسنّتهم في البلاد، وخوجوا في أعنّة المعاصي، وركضوا في ميدان الغي، جهلاً لاستدراج الله، وأمناً لمكره، فأتاهم بأس الله بياتاً وهم نائمون، فأصبحوا أحاديث ومزّقوا كلّ ممزّق فبعداً للقوم الظالمين، وأزالنا الله من مروان، وقد غرّه بالله الغرور، أرسل لعدوّ الله في عنانه حتّى عثر. ظن عدوّ الله أن لن نقدر عليه، فنادى حزبه، وجمع مكائده، ورمى بكتائبه فوجد أمامه ووراءه وعن يمينه وعن شماله من مكر الله وبأسه ونقمته ما أمات باطله، ومحا ضلاله ـ إلى أن قال ـ.

إنّ الخليفة إنّما عاد إلى المنبر بعد الصلاة لأنّه كاره أن يخلط بكلام الجمعة غيره، وإنّما قطعه عن استتمام الكلام شدة الوعك ـ إلى أن قال ـ.

ألا وإنّه ما صعد منبركم هذا خليفة بعد النبيّ ﷺ إلّا أمير المؤمنين

عليّ بن أبي طالب، وعبدالله بن محمّد ـ وأشار بيده إلى السفاح[١].

«**يأخذ بهم من قوم حقوق قوم**» في (المروج): قال ابن دأب: دعاني الهادي العباسي في وقت من اللّيل لم تجر العادة أنه يدعوني في مثله. فدخلت إليه فإذا هو جالس في بيت صغير شتوي، وقدّامه جزء صغير ينظر فيه. فقال: يا عيسى! إنّي ارقت في هذه اللّيلة، وتداعت إليّ الخواطر، واشتملت عليّ الهموم، وهاج لي ما جرت إليه بنواُميّة من بني حرب، وبني مروان في سفك دمائنا. فقلت: هذا عبدالله بن عليّ قد قتل منهم على نهر أبي فطرس فلاناً وفلاناً، حتّى أتيت على تسمية من قتل منهم، وهذا عبدالصمد بن عليّ قد قتل منهم بالحجاز في وقت واحد نحو ما قتل عبدالله بن عليّ، وهو القائل لسفك دمائهم:

ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها   أخذي بثاري من بني مروان

من آل حرب ليت شيخي شاهد   سفكي دماء بني أبي سفيان

فسرّ والله الهادي وظهرت، منه اريحيّة[٢].

وفي (عيون القتيبي): لمّا افتتح عبدالله بن علي الشام، وقتل مروان بن محمّد قال لأبي عون، ومن معه من أهل خراسان: إنّ لي في بقية آل مروان تدبيراً. فتأهبّوا يوم كذا وكذا في أكمل عدّه. ثمّ بعث إلى آل مروان في ذلك اليوم فجمعوا، وأعلمهم أنه يفرض لهم في العطاء. فحضر منهم ثمانون رجلاً. فصاروا إلى بابه، ومعهم رجل من كلب قد ولدهم. ثمّ أذن لهم فدخلوا. فقال الآذن للكلبي: ممّن أنت. قال: من كلب، وقد ولدتهم. قال له: انصرف ودع القوم. فأبى أن يفعل وقال: إنّي خالهم ومنهم. فلمّا استقر بهم المجلس خرج رسول، وقال بأعلى صوته: أين حمزة بن عبدالمطلب؟ ليدخل. فأيقن القوم بالهلكة. ثمّ

---

(١) الكامل ٥: ٤٠٩ ـ ٤١٥، سنة ١٣٢، والنقل بتلخيص.

(٢) مروج الذهب ٣: ٣٢٨، والنقل بتصرف يسير.

خرج الثانية. فقال: أين الحسين بن علي؟ ليدخل. ثمّ خرج الثالثة. فقال. أين زيد بن علي؟ ثمّ خرج الرابعة. فقال: أين يحيى بن زيد؟ ثمّ قال: إيذنوا لهم. فدخلوا وفيهم الغمر بن يزيد ـ وكان له صديقاً ـ فأومأ إليه أن ارتفع فأجلسه معه على طنفسته وقال للباقين: إجلسوا، وأهل خراسان قيام بأيديهم العمد ـ إلى أن قال ـ.

ثمّ قال لأهل خراسان: «دهيد» فشدخوهم بالعمد حتّى سألت أدمغتهم وقام الكلبي. فقال: أيّها الناس أنا رجل من كلب لست منهم. فقال:

ويدخل رأسه لم يدنه أحد بين القرينين حتّى لزّه القرن

ثمّ قال: «دهيد» فشدخ الكلبي معهم. ثمّ التفت إلى الغمر. فقال له: لا خير لك في الحياة بعدهم. قال: أجل. فقتل. ثمّ دعا ببرانع فالقاها عليهم وبسط عليها الانطاع، ودعا بغدائه. فأكل فوقهم وإنّ أنين بعضهم لم يهدأ حتّى فرغ ثمّ قال: ماتهنأت بطعام منذ عقلت مقتل الحسين عليه السلام إلّا يومي هذا، وقام فأمر بهم فجرّوا بأرجلهم، وأغنم أهل خراسان أموالهم. ثمّ صلبوا في بستانه، وكان يأكل يوماً فأمر بفتح باب من الرواق إلى البستان. فإذا رائحة الجيف تملأ الأنوف. فقيل له: لو أمرت بردّ هذا الباب. فقال: والله لرائحتها أحبّ إليّ، وأطيب من رائحة المسك. ثمّ قال:

حسبت أُميّة أن سترضى هاشم عنها ويذهب زيدها وحسينها
كلاّ ورب محمّد وإلهه حتّى تباح سهولها وحزونها
وتذلّ ذلّ حليلة لحليلها بالمشرفي وتسترد ديونها[1]

وفي (تاريخ الطبري): جلس المنصور للمدنيّين ببغداد مجلساً عاماً ـ وكان وفد إليه منهم جماعة ـ فقال: لينتسب كلّ من دخل. فدخل عليه شاب

---

(١) عيون الأخبار ١: ٢٠٦ ـ ٢٠٨، والنقل بتلخيص.

من ولد عمرو بن حزم. فانتسب ثمّ قال: قال الأحوص فينا شعراً منعنا أموالنا من أجله منذ ستّين سنة. قال له المنصور: انشدنيه فأنشده:

لا تأوين لحزمي رأيت به فقرا وإنّ أُلقي الحزمى في النار
الناخسين بمروان بذي خشب والداخلين على عثمان في الدار

وقال له: مدح بقصيدته الّتي فيها الشعر الوليد بن عبدالملك. فلمّا أنشده وبلغ البيت قال له الوليد: أذكرتني ذنب آل حزم. فأمر باستصفاء أموالهم، فقال له المنصور: لا جرم تحتظي بهذا الشعر كما حرمت به. ثمّ قال لأبي أيوب: هات عشرة آلاف درهم فادفعها إليه لعنائه إلينا. ثمّ أمر أن يكتب إلى عمّاله أن يردّ ضياع آل حزم عليهم، ويُعطوا غلّاتها في كلّ سنة من ضياع بني اُميّة، وتقسم أموالهم بينهم على كتاب الله على التناسخ، ومن مات منهم، وفّر على ورثته، فانصرف بما لم ينصرف به أحد[١].

«**ويمكّن لقوم في ديار قوم**» في (الكامل): قال ابن عياش للسفّاح: الحمد لله الّذي أبدلنا بحمار الجزيرة، وابن أمة النخع ابن عم النبيّ ﷺ وابن عبدالمطلب. قال ذلك لأنّ اُمّ مروان بن محمّد كانت أمة كردية لإبراهيم بن الأشتر أخذها محمّد بن مروان يوم قتل إبراهيم بن الأشتر. فولدت مروان -وكان مروان أيضاً يلقّب بالجعدي لأنّه تعلّم مذهبه في القول بخلق القرآن والقدر من الجعد بن درهم، وقيل: إنّ الجعد كان زنديقاً قال لميمون بن مهران لَشاةُ قباد أحبّ إليّ ممّا تدين به- فكانوا يذمّون مروان بنسبته إليه[٢].

وفي (تاريخ الطبري): دخل المهدي مسجد النبيّ ﷺ فرفع رأسه. فنظر في الكتاب الّذي في المسجد بالفسافسا. فاذا فيه «ممّا أمر به الوليد بن

---

(١) تاريخ الطبري ٦: ٣٢٧، سنة ١٥٨، والنقل بتصرف يسير.

(٢) الكامل ٥: ٤٢٨ و٤٢٩، سنة ١٣٢، والنقل بالمعنى.

عبدالملك» فقال: وإنّي لأرى اسم الوليد في مسجد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى اليوم. فدعا بكرسي فأُلقي له في صحن المسجد، وقال: ما أنا ببارح حتّى يُمحى إسم الوليد ويُكتب اسمي مكانه، وأمر أن يحضر العمّال والسلاليم، وما يحتاج إليه. فلم يبرح حتّى غيّر وكتب اسمه[1].

«وأيم الله ليذوبنّ ما في أيديهم بعد العلوّ والتمكين، كما تذوب الألية» بفتح الهمزة والياء، والمراد ألية الشاة.

«على النار» في (المروج): إجتمع عند المنصور عيسى بن علي، وعيسى بن موسى ومحمّد بن عليّ، وصالح بن علي، وقثم بن العباس، ومحمّد بن جعفر، ومحمّد بن إبراهيم. فذكروا خلفاء بني أُميّة والسبب الّذي به سلبوا عزّهم. فقال له صالح بن علي: إنّ عبدالله بن مروان لمّا دخل أرض النوبة هارباً في من اتّبعه سأله ملك النوبة عن السبب الّذي به زالت نعمتهم ـ وكان في حبس المنصور. فان رأيت أن تدعو به من الحبس وتسأله. فاحضره. فقال له: قصّ عليّ قصّتك مع ملك النوبة ـ إلى أن قال ـ.

فقال لي ملك النوبة لم تشربون الخمر وهي محرّمة عليكم في كتابكم؟ فقلت: إجترأ على ذلك عبيدنا وأتباعنا. قال: فلم تطؤون الزرع بدوابكم، والفساد محرّم عليكم في كتابكم؟ فقلت: فعل ذلك عبيدنا وأتباعنا. قال: فلِمَ تلبسون الديباج والحرير والذهب، وهو محرّم عليكم في دينكم؟ فقلت: ذهب منّا الملك فانتصرنا بقوم من العجم دخلوا في ديننا. فلبسوا ذلك على الكره منّا، فأطرق إلى الأرض يقلّب يده مرّة، وينكث في الأرض أُخرى، ويقول «عبيدنا وأتباعنا وأعاجم دخلوا في ديننا» ثمّ رفع رأسه وقال: ليس كما ذكرت؛ بل أنتم قوم استحللتم ما حرّم الله، وركبتم ما عنه نهيتم، وظلمتم في

---

(١) تاريخ الطبري ٦: ٣٩٩، سنة ١٦٩، والنقل بتصرف يسير.

ما ملكتم. فسلبكم الله العزّ، وألبسكم الذلّ بذنوبكم، ولله فيكم نقمة لم تبلغ غايتها فيكم، وأنا خائف أن يحلّ بكم العذاب وأنتم ببلدي فينالني معكم. فتزوّد وارحل عن أرضي، ففعلت. فتعجب المنصور، ورقّ له وهمّ بإطلاقه. فأعلمه عيسى بن علي أنّ في عنقه بيعة له فأعاده إلى الحبس[1].

٢٥
الخطبة (٨٥)

مِنْهَا:

حَتّى يَظُنَّ ٱلظَّانُّ أَنَّ ٱلدُّنْيَا مَعْقُولَةٌ عَلَى بَنِي أُمَيَّةَ تَمْنَحُهُمْ دَرَّهَا. وَتُورِدُهُمْ صَفْوَهَا. وَلَا يُرْفَعُ عَنْ هَذِهِ ٱلْأُمَّةِ سَوْطُهَا وَلَا سَيْفُهَا. وَكَذَبَ ٱلظَّانُّ لِذَلِكَ، بَلْ هِيَ مُجَّةٌ مِنْ لَذِيذِ ٱلْعَيْشِ يَتَطَعَّمُونَهَا بُرْهَةً ثُمَّ يَلْفِظُونَهَا جُمْلَةً.

أقول: قال ابن أبي الحديد: وهذه الخطبة طويلة قد حذف الرضي رضي الله عنه منها كثيراً، ومن جملتها: «أما والّذي فلق الحبة، وبرأ النسمة لا يرون الّذي ينتظرون حتّى يهلك المتمنّون، ويضمحل المحلّون، ويتثبّت المؤمنون، وقليلٌ ما يكون، والله والله لا ترون الّذي تنتظرون حتّى لا تدعون الله إلّا إشارة بأيديكم، وإيماضاً بحواجبكم، وحتّى لا تملكون من الأرض إلاّ مواضع أقداكم، وحتّى يكون موضع سلاحكم على ظهوركم. فيومئذٍ ينصرني الله بملائكته، ومن كتب على قلبه الإيمان، والّذي نفس عليٍّ بيده لا تقوم عصابة تطلب لي أو لغيري حقاً أو تدفع عنّا ضيماً إلّا صرعتهم البليّة حتّى تقوم عصابة شهدت مع محمدٍ بدراً، لا يُؤدى قتيلُهم، ولا يداوي جريحهم ولا ينعش

---

(١) مروج الذهب ٣: ٢٨٤، والنقل بتصرف يسير.

صريعهم». قال المفسرون هم الملائكة[١].

«**حتّى يظن الظانّ أنّ الدنيا معقولة**» أي: مشدودة.

«**على بني أُمّية**» قال ابن همام السلولي في معاوية بن يزيد:

تلقّفها يزيد عن أبيه فخذها يا معاوي عن يزيداً

فإنْ دنياكُمُ بكم أطمأنّت فأولوا أهلها خلقاً شديداً

«**تمنحهم**» أي: تعطيهم الدنيا، وفي (الصحاح) المنيحة: منحة اللبن كالناقة أو الشاة تعطيها غيرك يحتلبها. ثمّ يردّها عليك[٢].

«**درها**» أي: لبنها.

«**وتوردهم**» من ايراد الماء. وفي (الصحاح): الوِرد خلاف الصدر، والوِرد أيضاً، والورّاد وهم الّذين يردون الماء[٣].

«**صفوها**» من صفا الماء.

«**ولا يرفع عن هذه الأُمّة سوطها ولا سيفها**»: الكلام إلى هنا جزء ظنّ الظانّ.

«**وكذب الظانّ لذلك**» فإنّ الله مالك الملك يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممّن يشاء.

وفي (الكشّي) وغيره: كان سالم بن أبي حفصة مختفياً بالكوفة من بني أُميّة. فلمّا بويع السفّاح خرج من الكوفة محرماً. فلم يزل يلبي قائلاً: «لبيك قاصم بني أُميّة لبيك» حتّى أناخ بالبيت[٤]، وقال الكميت:

رمى المقدار نسوة آل حرب بمقدار سمدن له سمودا

فردّ شعورهن السود بيضا وردّ خدودهنّ البيض سودا

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ١٣٢ ـ ١٣٣.

(٢) صحاح اللغة ١: ٤٠٨، مادة (منح).

(٣) صحاح اللغة ١: ٥٤٦، مادة (ورد).

(٤) رواه الكشي في معرفة الرجال، اختياره: ٢٣٦، والذهبي في ميزان الاعتدال ٢: ١١٠.

«**بل هي مجّة**» في (الصحاح): مجاجة الشيء أيضاً عصارته، والمجاج والمجاجة الريق الّذي تمجّه من فيك[١].

«**من لذيذ العيش**» في (خلفاء ابن قتيبة): عمل عبدالملك بن مروان ثوباً لابنته فاطمة امرأة عمر بن عبدالعزيز منسوجاً بالذهب، منظوماً بالدر والياقوت، أنفق عليه مئة ألف دينار[٢].

«**يتطعّمونها**» أي: يذوقونها. يقال: تطعّم تطعّم أي: ذق حتّى تشتهي وتأكل.

«**برهة**» بالضم والفتح أي: مدّة.

«**ثمّ يلفظونها**» من قولهم لفظ الشيء من فمه أي: رماه.

«**جملة**» أي: كلّاً. في (تاريخ الطبري): كان سليمان بن هشام بن عبدالملك يشرب حذاء رصافة أبيه في آخر أيام الناقص، ويغنّيه حكم الوادي بشعر العرجي، فتوسّد يده فانبته فزعاً ونبّه نديمه، وقال له: رأيت كأنّي في مسجد دمشق، وكأنَّ رجلاً في يده خنجر، وعليه تاج أرى بصيص ما فيه من جوهر وهو رافع صوته بهذه الأبيات:

أبني أُميّة قد دنا تشتيتكم وذهاب ملككم وأن لا يرجع[٣]

وفي (المروج): كان جميع ملك بني أُميّة ألف شهر كاملة لا يزيد ولا ينقص ملك معاوية عشرين سنه. ويزيد ثلاث سنين وثمانية أشهر ويومين، ومعاوية بن يزيد شهراً واحد وعشر يوماً، وعمر سنتين وخمسة أشهر وخمسة أيام، ويزيد أربع سنين وثلاثة أيّام، وهشام تسع عشرة سنة،

---

(١) صحاح اللغة ١: ٣٤٠، مادة (مجج).

(٢) الامامة والسياسة ٢: ١١٦.

(٣) لم يروه الطبري في تاريخه بل رواه المسعودي في مروج الذهب ٣: ٢٢٧.

وتسعة أشهر، وتسعة أيّام، والوليد بن يزيد سنة وثلاثة أشهر، ويزيد بن الوليد شهرين وعشرة أيّام، ومروان بن محمّد خمس سنين، وشهرين، وعشرة أيّام إلى البيعة مع السفاح، والجملة تسعون سنة وأحد عشر شهراً وثلاثة عشر يوماً يوضع من ذلك أيّام الحسن عليه السلام خمسة أشهر وعشرة أيّام، وتوضع أيّام ابن الزبير إلى قتله سبع سنين وعشرة أشهر وثلاثة أيّام، وأسقطنا أيّام إبراهيم بن الوليد فيهم كإسقاط إبراهيم بن المهدي في العباسية فيصير الباقي بعد ذلك ثلاثة وثمانون سنة وأربعة أشهر. يكون ذلك ألف شهر سواء، وقد ذكر قوم أنّ تأويل قوله ـ عزّ وجلّ ـ «ليلة القدر خير من ألف شهر»[1] ما ذكرناه من أيّامهم[2].

هذا، وفي (عيون القتيبي): أخذ عبدالله بن علي أسيراً من أصحاب مروان فأمر بضرب عنقه. فلمّا رفع السيف ليضرب به ضرط الشامي. فضحك عبدالله، وقال له: إذهب فأنت عتيق أُستك. فالتفت إليه وقال له: أصلح الله الأمير رأيت ضرطة قط أنجت من الموت غير هذه؟ قال: لا، قال: هذا والله الإدبار، قال: وكيف ذاك؟ قال: ما ظنك بنا وكنّا ندفع الموت بأسنّتنا. فصرنا ندفعه اليوم بأستاهنا[3].

٢٦
من الخطبة (٩١)

أَلَا وَإِنَّ أَخْوَفَ ٱلْفِتَنِ عِنْدِي عَلَيْكُمْ فِتْنَةُ بَنِي أُمَيَّةَ، فَإِنَّهَا فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ مُظْلِمَةٌ، عَمَّتْ خُطَّتُهَا وَخَصَّتْ بَلِيَّتُهَا، وَأَصَابَ ٱلْبَلَاءُ مَنْ أَبْصَرَ فِيهَا،

---

(١) القدر: ٣.

(٢) مروج الذهب ٣: ٢٣٤ و٢٣٥، والنقل بتصرف يسير.

(٣) عيون الأخبار ١: ٩٩.

وَأَخْطَأَ ٱلْبَلاَءُ مَنْ عَمِيَ عَنْهَا. وَأَيْمُ ٱللهِ لَتَجِدُنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَكُمْ أَرْبَابَ سُوءٍ بَعْدِي. كَالنَّابِ ٱلضَّرُوسِ تَعْذِمُ بِفِيهَا وَتَخْبِطُ بِيَدِهَا، وَتَزْبِنُ بِرِجْلِهَا، وَتَمْنَعُ دَرَّهَا. لَا يَزَالُونَ بِكُمْ حَتّى لَا يَتْرُكُوا مِنْكُمْ إِلاَّ نَافِعاً لَهُمْ أَوْ غَيْرَ ضَائِرٍ بِهِمْ. وَلَا يَزَالُ بَلاَؤُهُمْ حَتّى لَا يَكُونَ ٱنْتِصَارُ أَحَدِكُمْ مِنْهُمْ إِلَّا كَانْتِصَارِ ٱلْعَبْدِ مِنْ رَبِّهِ. وَٱلصَّاحِبِ مِنْ مُسْتَصْحِبِهِ. تَرِدُ عَلَيْكُمْ فِتْنَتُهُمْ شَوْهَاءَ مَخْشِيَّةً وَقِطَعاً جَاهِلِيَّةً. لَيْسَ فِيهَا مَنَارُ هُدًى، وَلَا عَلَمٌ يُرَى. نَحْنُ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ مِنْهَا بِمَنْجَاةٍ وَلَسْنَا فِيهَا بِدُعَاةٍ. ثُمَّ يُفَرِّجُهَا ٱللهُ عَنْكُمْ كَتَفْرِيجِ ٱلْأَدِيمِ بِمَنْ يَسُومُهُمْ خَسْفاً، وَيَسُوقُهُمْ عُنْفاً، وَيَسْقِيهِمْ بِكَأْسٍ مُصَبَّرَةٍ، لَا يُعْطِيهِمْ إِلَّا ٱلسَّيْفَ، وَلَا يُحْلِسُهُمْ إِلاَّ ٱلْخَوْفَ. فَعِنْدَ ذٰلِكَ تَوَدُّ قُرَيْشٌ بِالدُّنْيَا وَمَا فِيهَا لَوْ يَرَوْنَنِي مَقَاماً وَاحِداً، وَلَوْ قَدْرَ جَزْرِ جَزُورٍ، لِأَقْبَلَ مِنْهُمْ ما أَطْلُبُ ٱلْيَوْمَ بَعْضَهُ فَلاَ يُعْطُونَنِي.

أقول: قال ابن أبي الحديد: ذكر هذه الخطبة جماعة من أهل السيرة، وهي متداولة منقولة مستفيضة خطب بهاعليه السلام بعد انقضاء أمر النهروان، وفيها ألفاظ لم يوردها الرضي رحمه الله -إلى أن قال-، ومنها في ذكر بني أُميّة: «يظهر أهل باطلها على أهل حقّها حتّى تملأ الأرض عدواناً وظلماً وبدعاً، إلى أن يضع الله -عزّوجلّ- جبروتها، ويكسر عمدها، وينزع أوتادها. ألا وإنّكم مدركوها. فانصروا قوماً كانوا أصحاب رايات بدر و حنين تؤجروا، ولا تمالئوا عليهم عدوّهم فتصرعكم البلية وتحلّ بكم النقمة»[1].

«ألا إنّ أخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني أُميّة» ففتنوا الناس حتّى أنّ أمير المؤمنينعليه السلام الّذي ولايته جزء الدين كولاية الله تعالى وولاية رسوله صلى الله عليه وآله وسلم لقوله تعالى: ﴿إنّما وليّكم الله ورسوله والّذين آمنوا الّذين يقيمون الصلاة

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٧٨ ـ ١٧٩.

ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾[١] وتكون التصلية عليه عليه السلام في الصلاة شرط قبولها، تقول أهل حران ـ كما في (المروج) ـ لا صلاة إلّا بلعن أبي تراب، وأقاموا بعد إزالة سبّه عن المنابر يوم الجمعة على سبّه حتّى ظهر أمر بني العباس[٢]. ويقول جدّ الأصمعي للحجّاج: إنّ أبي عقّني. فسمّاني عليّاً[٣]. وقال هشام الكلبي: قال أبي: أدركت بني أود وهم يعلّمون أبناءهم وخدمهم سبّ عليّ عليه السلام.

وعن الكلبي: دخل رجل من بني أود على الحجّاج. فأغلظ له. فقال له: لا تقل هكذا، فلا لقريش ولا لثقيف منقبة يعتدّون بها إلّا ونحن نعتدّ بمثلها. قال: وما مناقبكم؟ قال: ما شهد منّا مع أبي تراب مشاهده إلّا رجل واحد فأسقطه ذلك عندنا وأخمله، فما له عندنا قدر، وما أراد منّا رجل قطّ أن يتزوّج امرأة إلاّ سأل عنها هل تحبّ أبا تراب أو تذكره بخير؟ فإن قيل: إنّها تفعل ذلك لم يتزوّجها، وما ولد فينا ذكر. فسمّي عليّاً ولا حسناً ولا حسيناً، ولا ولدت فينا جارية فسمّيت فاطمة، ونذرت منّا إمرأة حين أقبل الحسين إلى العراق إن قتل أن تنحر عشر جزر. فلمّا قتل وفت بنذرها، ودعي رجل منّا إلى البراءة من عليّ ولعنه. فقال: نعم وأزيدكم حسناً وحسيناً[٤][٥].

«عمّت خُطّتُها» البرّ والفاجر. وفي (الصحاح): الخطّة بالكسر: الأرض يختطّها الرجل لنفسه وهو أن يعلّم عليها علامة بالخط ليعلم أنّه قد اختارها ليبنيها داراً، ومنه خِطط الكوفة والبصرة، والخُطة بالضم:

---

(١) المائدة: ٥٥.

(٢) مروج الذهب ٣: ٢٤٥.

(٣) روى هذا المعنى ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٣٥٦، شرح الخطبة ٥٧.

(٤) رواه ابن طاووس في فرحة الغري: ٢٢، والنقل بتصرف يسير.

(٥) أسقط الشارح هنا شرح فقرة «فانها فتنة عمياء مظلمة».

الأمر والقصّة. قال تأبط شرّاً:

هما خطّتا إمّا اسار ومنة وإمّا دم والقتل بالحُرِّ أجدر

وفي حديث قيله «أن يفصل الخطّة، وينتصر من وراء الحجزة» وقولهم «قبّح الله معزى خيرها خُطّة» قال الأصمعي: خطّة اسم عنز وكانت عنز سوء، والخُطّة أيضاً اسم من الخط كالنقطة من النقط[1].

«وخَصَّت بليّتُها» روى المدائني في (كتاب احداثه): أنّ معاوية كتب نسخة واحدة إلى عمّاله بعد عام الجماعة أن: برئت الذمة ممّن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته، وانظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبّيه، وأهل ولايته، والّذين يروون فضائله ومناقبه فأدنوا مجالسهم[2].

«وأصاب البلاء من أبصر فيها، وأخطأ البلاء من عمي عنها» هكذا في (النسخ)[3]، والصواب: (أصاب البلاء...) لأنّ الكلام كالبيان لقوله عليه السلام: «وخصّت بليّتها» فلا وجه للعطف.

«وأيم الله» بفتح الهمزة وكسرها، والأصل أيمن الله من اليمين بمعنى القسم.

«لتجدنّ بني اُميّة لكم أرباب سوء بعدي» فكانوا يأخذون الجزية ممّن أسلم من أهل الذمة ويقولون فرّوا من الجزية، ويأخذون الصدقة من الخيل، وكانوا إذا أبصروا آخيّة في دار يطالبون صاحبها بصدقة حيوانه، ولو كان بيع أو هلك وكانوا يختمون في أعناق المسلمين كما توسم الخيل، وينقشون في أكفّهم علامة لاسترقاقهم كما يصنع بالعلوج من الروم والحبشة.

---

(١) صحاح اللغة ٣: ١١٢٣، مادة (خطط).

(٢) رواه عن احداث المدائني ابن أبي الحديد في شرحه ٣: ١٥، شرح الخطبة ٢٠٨، والنقل بتقطيع.

(٣) لفظ نهج البلاغة ١: ١٨٣، وشرح ابن أبي الحديد ٢: ١٧٤، وشرح ابن ميثم ٢: ٣٨٨ أيضاً.. «وأصاب».

وفي (كامل الجزري): كان أهل افريقية أطوع أهل البلدان إلى زمن هشام، وكانوا يقولون: لا تخالف الأئمة بما تجنى العمّال. فقال لهم أهل العراق الّذين دبّوا فيهم: إنّما يعمل هؤلاء بأمر أُولئك. فقالوا: نختبرهم. فخرج منهم ميسرة في بضعة وعشرين رجلاً. فقدموا على هشام. فلم يؤذن لهم. فدخلوا على الأبرش فقالوا له: «أبلغ الخليفة أنّ أميرنا يغزو بنا وبجنده. فإذا غنمنا نفلهم وحرمنا، ويقول: هذا أخلص لجهادكم، وإذا حاصرنا مدينة قدّمنا، وأخّرهم ويقول: هذا ازدياد في الأجر. ثمّ إنّهم عمدوا إلى ماشيتنا فجعلوا يبقرون بطونها عن سخالها يطلبون الفراء الأبيض للخليفة. فيقتلون ألف شاة في جلد فاحتملنا ذلك. ثمّ إنّهم سامونا أن يأخذوا كلّ جميلة من بناتنا. فقلنا: لم نجد هذا في كتاب ولا سنّة ونحن مسلمون. فأحببنا أن نعلم أعن رأي الخليفة هذا؟» فطال عليهم المقام، ونفدت نفقاتهم فرجعوا...[١].

«**كالناب**» في (الصحاح): الناب: ألمسنّة من النوق يقال: سمّيت لطول نابها، والجمع النيب، وفي المثل: «لا أفعل ذلك ما حنّت النيب»[٢].

«**الضروس**» في (الصحاح): الضرس العضّ الشديد بالأضراس، والأسنان كلّها أُناث إلاّ الأضراس والأنياب، وناقة ضروس تعضّ حالبها، ومنه قولهم: هي بجنّ ضراسها، أي: بحدثان نتاجها. وإذا كانت كذلك حامت عن ولدها. قال بشر:

عطفنا لهم عطف الضروس من الملا بشهباء لا يمشي الضراء رقيبها[٣]

«**تعذم**» أي: تعضّ.

---

(١) الكامل ٣: ٩٢، سنة ٢٧، والنقل بتصرف يسير.

(٢) صحاح اللغة ١: ٢٣٠، مادة (نيب).

(٣) صحاح اللغة ٢: ٩٣٩، مادة (ضرس).

«**بفيها**» أي: فمها.

«**وتخبط بيدها**» يقال: خبط البعير الأرض بيده. أي: ضربها.

«**وتزبن برجلها**» في (الصحاح): زبنت الناقة: إذا ضربت بثفنات رجلها عند الحلب، وناقة زبون تضرب حالبها وتدفعه[١].

«**وتمنع درّها**» أي: جريان لبنها، وكذلك كان بني أُميّة، وفي (كامل المبرد): قالوا: ضحّى بنو حرب بالدين يوم كربلاء، وضحّى بنو مروان بالمروّة يوم العقر. يعني يوم قتل بني المهلب[٢].

«**لا يزالون بكم حتّى لا يتركوا منكم إلاّ نافعاً لهم أو غير ضائرٍ بهم**» في (تاريخ الطبري): كان خالد القسري لمّا كان والياً على مكّة من قبل الوليد بن عبد الملك يقول؛ وكان الحجّاج كتب إلى الوليد أنّ من قبلي من مرّاق أهل العراق، لجاؤا إلى المدينة ومكّة، وذلك وهن. فكتب الوليد إليه أشر عليّ برجلين لهما. فكتب يشير إليه بعثمان بن حيان للمدينة، وخالد القسري لمكّة. فعزل عمر بن عبد العزيز عن المدينة واستعمل عثمان عليها، واستعمل خالداً على مكّة ـ: أيّها الناس! إنّكم بأعظم بلاد الله حرمة. ثمّ كتب على عباده حجّة، فعليكم بالطاعة ولزوم الجماعة، وإيّاكم والشبهات. فإنّي والله ما أُوتى بأحد يطعن على امامه إلاّ صلبته في الحرم. إنّ الله جعل الخلافة منه بالموضع الّذي جعلها فسلّموا وأطيعوا، ولا تقولوا كيت وكيت. إنّه لا أرى في ما كتب به الخليفة أو رآه إلاّ إمضاءه واعلموا أنّه بلغني أنّ قوماً من أهل الخلاف يقدمون عليكم، ويقيمون في بلادكم، فإيّاكم أن تنزلوا أحداً ممّن تعلمون أنّه زائغ عن الجماعة. فإنّي لا أجد أحداً منهم في منزل أحد منكم إلاّ هدمت منزله، والله لو أعلم أنّ هذه

---

(١) صحاح اللغة ٥: ٢١٣٠، مادة (زبن).

(٢) كامل المبرد ٨: ١٤٣.

الوحش الّتي تأمن في الحرم، لو نطقت لم تقرّ بالطاعة لأخرجتها من الحرم. فلا يسكن الحرم مخالف للجماعة[١].

«ولا يزال بلاؤهم حتّى لا يكون انتصار أحدكم منهم إلاّ كانتصار» هكذا في (المصرية) والصواب: (إلاّ مثل انتصار) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخوئي والخطية)[٢].

«العبد من ربه» ومرّ في (٢١) عنه عليه السلام «وحتّى تكون نصرة أحدكم من أحدهم كنصرة العبد من سيّده إذا شهد أطاعه، وإذا غاب اغتابه»[٣] أخذ مسلم بن عقبة بعد غلبته على المدينة ونهبها، وقتله من قتل ممّن حاربه من البقية البيعة على انّهم عبد قنّ ليزيد.

«والصاحب من مستصحبه» لابد له أن يطيعه لأنّه تابع له، وهو رئيس عليه. فلمّا أمر معاوية خطباءه أن يخطبوا لاستخلاف يزيد قام رجل من الأزد، وقال: أنت أمير المؤمنين ـ وأشار إلى معاوية ـ فإذا متّ فهذا ـ وأشار إلى يزيد ـ فمن أبى فهذا ـ وأشار إلى سيفه ـ فقال له معاوية: اقعد فأنت من أخطب الناس. فقال ابن همام السلولي:

فإن تأتوا برملة أو بهند ... نبايعها أميرة مؤمنينا

فيالهفاً لو أنّ لنا ألوفاً ... ولكن لا نعود كما عنينا

إذن لضربتم حتّى تعودوا ... بمكّة تلعقون بها السخينا

«ترد عليكم فتنتهم شوهاء» أي: قبيحة.

«مخشيّة» أي: مخوفة.

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٢٥٦ و ٢٤٣، لسنة ٩٣ و ٩١، والنقل بتصرف يسير.

(٢) كذا في شرح الخوئي ٣: ١٤٤، لكن لفظ شرح ابن ابي الحديد ٢: ١٧٤، وشرح ابن ميثم ٢: ٣٨٨ مثل المصرية أيضاً.

(٣) نهج البلاغة ١: ١٩٠، الخطبة ٩٦.

«وقطعاً جاهلية ليس فيها منار هدى» سمّي ملك من ملوك اليمن ذا المنار لأنه ضرب المنار على طريقه ليهتدي بها إذا رجع.

«ولا علم يرى» في (الصحاح): العلم العلامة، والجبل قال جرير «إذا قطعن علماً بدا علم»[١].

في (البيان) قام الوليد بن عتبة بعد معاوية يدعو الناس إلى بيعة يزيد: فرأى روح بن زنباع إبطاءهم. فقال: أيّها الناس! إنّا لا ندعوكم إلى لخم وجذام وكلب، ولكن إلى قريش، ونحن أبناء الطعن والطاعون، وفضلات الموت[٢].

وفي (تاريخ الطبري): خطب الوليد بن عبد الملك لمّا ولّي (وكان جبّاراً عنيداً) فقال: من أبدى لنا ذات نفسه ضربنا الّذي فيه عيناه، ومن سكت مات بدائه...[٣].

«نحن أهل البيت منها بمنجاةٍ» المنجاة: كالنجوة المكان المرتفع الّذي تظن أنّه نجاؤك لا يعلوه السيل، وجمعها المناجي. قال أبو بثينة الباهلي:

فهل تأوي الى المنجاة إنّي أخاف عليك معتلج السيول

وقال الراعي:

بأسحم من نوء الذراعين أتأقت مسايله حتّى بلغن المناجيا

وقال آخر:

ألم تر يا النعمان كان بنجوة من الشرّ لو أنّ امرأ كان ناجيا[٤]

«ولسنا فيها بدعاة» روى (الخرائج): عن الباقر عليه السلام أنّ عبد الملك كان يطوف بالبيت، وعليّ بن الحسين عليه السلام يطوف بين يديه فلا يلتفت إليه، ولم يكن

---

(١) صحاح اللغة ٥: ١٩٩٠، مادة (علم).

(٢) البيان والتبيين ١: ٤٠٢، والنقل بتلخيص.

(٣) تاريخ الطبري ٥: ٢١٤، سنة ٨٦.

(٤) أورد الشاهدين الأوّلين أساس البلاغة: ٤٤٨، مادة (نجا)، والأخير لسان العرب ١٥: ٣٠٥، مادة (نجا).

عبد الملك يعرفه بوجهه. فقال: من هذا الّذي يطوف بين أيدينا، ولا يلتفت إلينا؟ فقيل له: هذا عليّ بن الحسين عليه السلام. فجلس مكانه، وقال: ردّوه إليّ فردّوه. فقال له: يا علي بن الحسين إنّي لست قاتل أبيك. فما يمنعك من المصير إليّ. فقال عليه السلام: إنّ قاتل أبي أفسد بما فعله دنياه عليه وأفسد أبي عليه آخرته. فإن أحببت أن تكون كهو فكن. فقال: كلاّ، ولكن صر إلينا لتنال من دنيانا. فجلس زين العابدين عليه السلام وبسط رداءه وقال: «اللّهم اره حرمة أوليائك عندك» فإذا رداؤه دُرَراً يكاد شعاعها يخطف الأبصار، ثمّ قال له: «من تكون هذه حرمته عند ربه يحتاج إلى دنياك؟ ثمّ قال: اللّهم خذها فمالي فيها حاجة»[١].

وفي (حلية أبي نعيم): قال الزهري: شهدت عليّ بن الحسين عليه السلام يوم حمله عبد الملك إلى الشام. فأثقله حديداً. فما لبثنا إلاّ أربع ليال حتّى قدم الموكّلون به يطلبونه بالمدينة. فما وجدوه. فقالوا: انّا نراه متبوعاً ـ إلى أن قال ـ:

فقال لي عبد الملك: قد جاءني عليّ بن الحسين يوم فقده الأعوان. فقال: ما أنا وأنت؟ فقلت له: أقم عندي. فقال: لا أحب ثم خرج فوالله لقد امتلأ ثوبي منه خيفة. قال الزهري فقلت له: ليس عليّ بن الحسين حيث تظنّ أنّه مشغول بنفسه. فقال: حبذا شغل شغله، فنعم ما شغله[٢].

«ثمّ يفرّجها» أي: فتنة بني أُميّة.

«الله عنكم كتفريج الأديم» أي: ككشف الجلد يعني عن اللحم حتّى ينتفع به.

«بمن يسومهم خسفاً» أي: يعطيهم ذلاًّ وهواناً. قال الشاعر:

---

(١) الخرائج والجرائح ١: ٢٣٢.

(٢) حلية الأولياء ٢: ١٣٥، والنقل بتلخيص.

إذا سمته وصل القرابة سامني قطيعتها تلك السفاهة والظلم

وقال آخر:

وطعنهم الأعداء شزراً وإنّما

يسام ويقنى الخسف من لم يطاعن[١]

«ويسوقهم عنفاً» أي: سوقاً شديداً.

«ويسقيهم بكأس مصبّرة» أي: فيها الصَبِر، وهو دواء مرّ. وفي (الصحاح): أدهقت الكأس إلى أصبارها وأصمارها أي: إلى رأسها. قال الأصمعي: إذا لقي الرجل الشدّة بكمالها، قيل: لقيها بأصبارها[٢].

«لا يعطيهم إلاّ السيف، ولا يحلسهم» أي: لا يلبسهم من «أحلست البعير» أي: ألبسته الحلس، وهو كساء رقيق يكون تحت البرذعة.

«إلاّ الخوف فعند ذلك» أي: في ذاك الزمان.

«تودّ قريش» بنو اُميّة وغيرهم.

«بالدنيا وما فيها» أي: باعطاء الدنيا وما فيها.

«لو يرونني» وفي (ابن ميثم)[٣] لو رأوني «مقاماً واحداً» أي: مرّة واحدة.

«ولو قدر جزر» أي: نحر.

«جزور» أي: إبل.

«لأقبل منهم ما أطلب اليوم بعضه فلا يعطونني» هكذا في (المصرية) والصواب: (فلا يعطوننيه) كما (في ابن أبي الحديد وابن ميثم)[٤].

وعن المازني لم يصح عندنا أنّ عليّاًعليه السلام تكلّم بشيء من الشعر

(١) أوردهما اساس البلاغة: ٢٢٥، مادة (سوم).

(٢) صحاح اللغة ٢: ٧٠٧، مادة (صبر).

(٣) لفظ شرح ابن ميثم ٢: ٣٨٨، مثل المصرية.

(٤) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٧٤، لكن لفظ شرح ابن ميثم ٢: ٣٨٩ مثل المصرية.

غير هذين البيتين:

تلكم قريش تمنّاني لتقتلني ... ولا وجدّك ما برّوا ولا ظفروا

فإن هلكت فرهن ذمّتي لهم ... بذات روقين لا يعفو لها أثر

قال ابن أبي الحديد: قوله عليه السلام «ثمّ يفرّجها الله عنكم كتفريج الأديم بمن يسومهم خسفاً...» إخبار عن ظهور المسوّدة وانقراض ملك بني اُميّة، ووقع الأمر بموجب إخباره عليه السلام حتّى لقد صدقه قوله عليه السلام «فعند ذلك تود قريش لو يرونني...» فإنّ أرباب السيرة كلّهم نقلوا أنّ مروان بن محمّد قال يوم الزاب لمّا شاهد عبدالله بن علي بن عبدالله بن عباس بإزائه في صف خراسان: لوددت أنّ عليّ بن أبي طالب تحت هذه الراية بدلاً من هذا الفتى[1].

قلت: بل قوله عليه السلام: «ثمّ يفرّجها الله...» إخبار بالقائم عليه السلام من عترته عليه السلام فبظهوره يفرّج الله عن الناس، وأما بظهور المسودة فأيّ فرج كان للناس، ولم تكن شدّة ملك بني العباس أقلّ من شدّة ملك بني اُميّة.

كما أنّ ما ذكره في تفسير قوله عليه السلام: «فعند ذلك تودّ قريش» من كلام مروان بن محمّد[2] خبط أيضاً لأنّ مروان تمنّى أن يكون في قباله أمير المؤمنين عليه السلام لأنّه أخبر في الملاحم أنّه عليه السلام كولده لم يكن له حظ في ملك مستقر. فلا يسلبه ملكه بخلاف بني العباس. فأخبر فيها أنّهم يأخذون الملك منهم، ويملكون أكثر منهم.

وممّا يوضح أنّ المراد بمن يفرّج الله به؛ القائم، وأنّ قريشاً يتمنون أمير المؤمنين عليه السلام لو يرونه حتّى يملّكوه الأمر لا كيوم السقيفة ويوم الشورى ـ وقد كانوا أجمعوا فيهما على الحيلولة بينه عليه السلام وبين الأمر ـ ويكفّ القائم عليه السلام عن قتلهم؛ ما رواه النعماني في غيبته مسنداً عن الحارث الأعور

(١ و ٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٧٨.

قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام بأبي ابن خيرة الإماء ـ يعني القائم من ولده عليه السلام ـ يسومهم خسفاً ويسقيهم بكأس مصبّرة، ولا يعطيهم إلاّ السيف هرجاً. فعند ذلك تتمنّى فجرة قريش لو أنّ لها مقاماً منّي بالدنيا وما فيها لا غفر لها لانكف عنهم حتى يرضى الله[1].

وما رواه ابن أبي الحديد نفسه ـ فقال ذكر الخطبة أصحاب السير، وفيها ألفاظ لم يوردها الرضي، ومنها ـ «فأنظروا أهل بيت نبيّكم فإن لبدوا فالبدوا، وإن استنصروكم فانصروهم، فليفرجنّ الله الفتنة برجل منّا أهل البيت. بأبي ابن خيرة الإماء لا يعطيهم إلّا السيف هرجاً هرجاً موضوعاً على عاتقه ثمانية أشهر حتّى تقول قريش لو كان هذا من ولد فاطمة لرحمنا، يغريه الله ببني أُميّة حتّى يجعلهم حطاماً ورفاتاً ﴿ملعونين أين ما ثقفوا أخذوا، وقتلوا تقتيلاً سنّة الله في الّذين خلوا من قبل، ولن تجد لسنّة الله تبديلاً﴾[2].

وأما قول ابن أبي الحديد بعد هذه الزيادة: «والمراد بابن خيرة الإماء المهدي من ولده عليه السلام وببني أُميّة الّذين يقتلهم السفياني من ولد أبي سفيان الموعود به في الخبر، وليس ما قلت هنا مخالفاً لما قلت قبل من أنّ الوعد إنّما هو بالسفاح، وعمّه عبدالله بن علي، والمسودة. فإنّ ما مرّ قبل تفسير ما نقله الرضي من كلامه عليه السلام وما قلته هنا تفسير الزيادة من كلامه عليه السلام»[3] فخطأ. فإنّ الأصل في ما نقله الرضي، وما نقله هو، وسمّاه زيادة، واحد؛ وإنّما اختلفت ألفاظ الرواية باختلاف الرواة، وبالجملة لم يكن ببني العباس فرج للناس بل حرج، وإن كانوا انتقموا من بني أُميّة.

---

(١) غيبة النعماني: ١٥١.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٧٩.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٧٩، والنقل بالمعنى.

ولو كان ابن أبي الحديد قال في ما نقله من الزيادة أيضاً من قوله عليه السلام في ذكر بني أُميّة: «يظهر أهل باطلها على أهل حقّها حتى تملأ الأرض عدواناً وظلماً، وبدعاً إلى أن يضع الله ـ عزّوجلّ ـ جبروتها، ويكسر عمدها، وينزع أوتادها»[1]: أنّ الله تعالى وضع جبروتها، وكسر عمدها، ونزع أوتادها ببني العباس لكان أصاب.

وفي (كامل المبرد): دخل شبل مولى بني هاشم على عبدالله بن علي، وقد أجلس ثمانين رجلاً من بني أُميّة على سمط الطعام فمثل بين يديه فقال:

أصبح الملك ثابت الآساس	بالبهاليل من بني العباس
طلبوا وتر هاشم فشفوها	بعد ميل من الزمان وياس
لا تقيلنّ عبد شمس عثاراً	واقطعن كلّ رقلة وأواسي
ذلّها أظهر التودد منها	وبها منكم كحزّ المواسي

فأمر بهم عبدالله فشدخوا بالعمد، وبسطت عليهم البسط، وجلس عليها ودعا بالطعام، وإنّه ليسمع أنينهم حتّى ماتوا جميعاً[2].

وفي (المروج): حكى الهيثم بن عدي عن عمرو بن هاني قال: خرجت مع عبدالله بن علي لنبش قبور بني أُميّة في أيّام السفاح. فانتهينا إلى قبر هشام. فاستخرجناه صحيحاً ما فقدنا منه إلاّ خثمة أنفه. فضربه عبدالله بن علي ثمانين سوطاً ثمّ أحرقه، واستخرجنا سليمان من أرض دابق. فلم نجد منه شيئاً إلاّ صلبه وأضلاعه ورأسه فأحرقناه، وفعلنا ذلك بغيرهما من بني أُميّة وكانت قبورهم بقنّسرين ثم انتهينا إلى دمشق فاستخرجنا الوليد بن عبد الملك. فما وجدنا في قبره قليلاً ولا كثيراً، واحتفرنا عن عبد الملك فما وجدنا

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٧٩.

(٢) كامل المبرد ٨: ١٣٤، والنقل بتلخيص.

إلاّ شؤون رأسه. ثمّ احتفرنا عن يزيد بن معاوية. فما وجدنا فيه إلّا عظماً واحداً أو وجدنا مع لحده خطّاً أسود كأنّما خُطَّ بالرماد في طول لحده. ثمّ اتَّبعنا قبورهم في جميع البلدان فأحرقنا ما وجدنا منهم(١).

وفي (الكامل): ونبش قبر معاوية فلم يجدوا فيه إلّا خيطاً مثل الهباء. قيل ضرب عبدالله بن علي جسد هشام ثمانين سوطاً لقذفه زيد بن علي.

وفي (كامل الجزري) أيضاً قتل سليمان بن علي بالبصرة أيضاً جماعة من بني أُميّة عليهم الثياب الموشية المرتفعة، وأمر بهم فجرّوا بأرجلهم. فأُلقوا على الطريق فأكلهم الكلاب. فلمّا رأى بنو أُميّة ذلك اشتدّ خوفهم، وتشتت شملهم، واختفى من قدر على الاختفاء(٢).

وفي (بلاغات البغدادي): قال أبو الخطاب الأزدي: لمّا قتل مروان بن محمّد هجم عامر بن إسماعيل على الكنيسة الّتي فيها بنات مروان ونساؤه، وقد أغلقن الأبواب دونهنّ فصحن وولولن. فأخذ الخصي الموكّل بهنّ فسئل عن أمره فقال: أمرني مروان أن أضرب رقاب بناته وجواريه إذا قتل. فجيء بابنتي مروان إلى عامر. فأمر بوضع رأس مروان في حجر ابنته الكبرى، وقال لها عامر: معذرة إنّما فعلت هذا بك بما فعلتم برأس يحيى بن زيد إذ وضع في حجر اُمّه، والبادئ أظلم. ثمّ وجّه عامر بهما، وبجواري مروان إلى صالح بن علي. فقالت له الكبرى: نحن بنات أخيك فليسعنا عدلك. قال: إذن لا نستبقي منكم أحداً رجلاً ولا امرأة. ألم يقتل أبوك بالأمس ابن أخي إبراهيم في محبس حرّان؟ ألم يقتل هشام زيداً وصلبه، وأمر بقتل امرأته. فقتلها

(١) مروج الذهب ٣: ٢٠٧، والنقل بتصرف يسير.

(٢) الكامل ٥: ٤٣٠ و ٤٣١، سنة ١٣٢.

يوسف بن عمر صبراً؟ ألم يقتل الوليد بن يزيد يحيى بخراسان، وأحرق جثته وخشبته؟[١].

وفي (المعجم) قال ابن فرّوخ المكّي:

أمست نساء بني أُميّة أيّما وبناتهم بمضيعة أيتام[٢]

هذا، وأمّا قوله عليه السلام في الزيادة التي نقلها ابن أبي الحديد: «ألا وإنّكم مدركوها فانصروا قوماً كانوا أصحاب رايات بدر وحنين تؤجروا، ولا تمالئوا عليهم عدوّهم فتصرعكم البلية، وتحل بكم النقمة»[٣].

والظاهر أنّ المراد: أُنصروا أهل بيتي الّذين هم أصحاب رايات بدر وحنين لأنّهم منّي، وأنا كنت صاحب رايات بدر وحنين، وإن مالأتم عليهم عدوّهم يبتلون هم بالقتل وتحل بكم نقمة الله لعملكم.

وأشار عليه السلام في ذلك إلى عملهم مع ابنه الحسين عليه السلام ـ يوضح ذلك ما رواه نصر بن مزاحم في (صفينه) عن سعيد بن وهب قال: بعثني مخنف بن سليم إلى عليّ عليه السلام فأتيته بكربلاء فوجدته يشير بيده ويقول: «هاهنا هاهنا» فقال له رجل: وما ذلك يا أمير المؤمنين قال عليه السلام: «ثقلٌ لآل محمّد عليهم السلام ينزل هاهنا فويل لهم منكم، وويل لكم منهم» فقال له الرجل: ما معنى هذا الكلام يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام: «ويل لهم منكم تقتلونهم، وويل لكم منهم يدخلكم الله بقتلهم الى النار»[٤]ـ.

---

(١) بلاغات النساء: ٢٠٠، والنقل بتصرف يسير.

(٢) معجم الأدباء ١١: ١٨٠.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٧٩.

(٤) وقعة صفين: ١٤١.

٣٧
الحكمة (٤٦٤)

وَقَالَ عليه السلام:

إِنَّ لِبَنِي أُمَيَّةَ مُرْوَداً يَجْرُونَ فِيهِ، وَلَوْ قَدِ ٱخْتَلَفُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ ثُمَّ كَادَتْهُمُ ٱلضِّبَاعُ لَغَلَبَتْهُمْ.

(وَٱلْمُرْوَدُ هُنَا مُفْعَلٌ مِنَ ٱلْإِرْوَادِ وَهُوَ ٱلْإِمْهَالُ وَٱلْإِنْظَارُ. وَهذَا مِنْ أَفْصَحِ ٱلْكَلَامِ وَأَغْرَبِهِ، فَكَأَنَّهُ عليه السلام شَبَّهَ ٱلْمُهْلَةَ ٱلَّتِي هُمْ فِيهَا بِالْمِضْمَارِ ٱلَّذِي يَجْرُونَ فِيهِ إِلَى ٱلْغَايَةِ فَإِذَا بَلَغُوا مُنْقَطَعَهَا ٱنْتَقَضَ نِظَامُهُمْ بَعْدَهَا).

أقول: وفي غريب حديثه عليه السلام كما رواه ابن قتيبة ـ وقد نقله ابن أبي الحديد في فصل غريب الكتاب ـ «إنّ بني أُميّة لا يزالون يطعنون في مسجل ضلالة، ولهم في الأرض أجل حتّى يهريقوا الدم الحرام في الشهر الحرام، والله لكأنّي إلى غرنوق من قريش يتشحّط في دمه. فإذا فعلوا ذلك لم يبق لهم في الأرض عاذر ولم يبق لهم ملك على وجه الأرض».

قال ابن قتيبة: قوله عليه السلام «في مسجل ضلالة» من قولك «ركب فلان مسجله» إذا جدّ في أمر هو فيه، والغرنوق القرشي الّذي قتلوه فانقضى أمرهم ـ والغرنوق الشاب ـ هو إبراهيم الإمام، قيل: قتل بالسيف، وقيل: خنق في جراب فيه نورة وقوله عليه السلام: «يتشحّط في دمه» يشيّد الأوّل[1].

«إنّ لبني أميّة مروداً يجرون فيه» في (تاريخ الطبري): لمّا دخل عبد الرحمن بن محمّد بن الأشعث كرمان بعد انهزامه في وقعة الزاوية بالبصرة تلقّاه عمرو بن لقيط العبدي ـ وكان عامله عليها ـ فهيّأ له نزلاً. فنزل. فقال له

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٣٦٣، شرح الغريب ٩، وغريب الحديث لابن قتيبة ٢: ١٣٧، والنقل بتصرف يسير.

شيخ من عبد القيس: والله لقد بلغنا عنك يا ابن الأشعث أن قد كنت جباناً. فقال: والله ما جبنت، والله لقد دلفت الرجال بالرجال، ولففت الخيل بالخيل، ولقد قاتلت فارساً. وقاتلت راجلاً، وما انهزمت، ولا تركت العرصة للقوم في موطن حتّى لا أجد مقاتلاً، ولا أرى معي مقاتلاً، ولكنّي زاولت ملكاً مؤجّلاً[1].

وروى في أوّل الصحيفة مسنداً عن متوكّل بن هارون الثقفي البلخي قال: لقيت يحيى بن زيد بعد قتل أبيه وهو متوجّه إلى خراسان. فقلت له: إنّي رأيت الناس إلى ابن عمّك جعفر بن محمّد عليه السلام أميل منهم إليك وإلى أبيك. فقال: إنّ عمّي محمّد بن علي، وابنه جعفراً دعوا الناس إلى الحياة، ونحن دعوناهم إلى الموت. قال: فلمّا قتل يحيى صرت إلى المدينة. فلقيت أبا عبدالله عليه السلام . فقال لي: كيف قال لك يحيى؟ إنّ أبي حدّثني عن أبيه، عن جدّه عن عليّ عليه السلام أنّ النبيّ ﷺ أخذته نعسة، وهو على منبره. فرأى في منامه رجالاً ينزون على منبره نزو القردة، ويردّون الناس على أعقابهم القهقرى. فاستوى جالساً والحزن يعرف في وجهه. فأتاه جبرئيل عليه السلام بهذه الآية: ﴿وما جعلنا الرؤيا الّتي أريناك إلاّ فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوّفهم فما يزيدهم إلاّ طغياناً كبيراً﴾[2] ـ يعني بني أُميّة ـ فقال النبيّ ﷺ: يا جبرئيل، أعلى عهدي يكونون؟ قال: لا ولكن تدور رحى الإسلام من مهاجرك. فتلبث بذلك عشراً ثمّ تدور رحى الإسلام على رأس خمسة وثلاثين من مهاجرك فتلبث بذلك خمساً ثمّ لابد من رحى ضلالة هي قائمة على قطبها، ثمّ ملك الفراعنة، وأنزل تعالى في ذلك ﴿إنّا أنزلناه في ليلة القدر * وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر﴾[3] يملكها بنو أُميّة ليس فيها ليلة القدر.

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ١٧٢، سنة ٨٣.

(٢) الاسراء: ٦٠.

(٣) القدر: ١ ـ ٣.

فأطلع الله نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم أنّ بني أُميّة تملك سلطان هذه الأُمّة، وملكها طول هذه المدّة. فلو طاولتهم الجبال لطالوا عليها حتّى يأذن الله تعالى بزوال ملكهم، وهم في ذلك يستشعرون عداوتنا أهل البيت وبغضنا، وأخبر الله نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم بما يلقى أهل بيته، وأهل مودّتهم وشيعتهم في أيّامهم وملكهم، وأنزل تعالى فيهم: ﴿ألم تر إلى الّذين بدّلوا نعمة الله كفراً وأحلّوا قومهم دار البوار * جهنّم يصلونها وبئس القرار﴾[1] نعمة الله محمّد وأهل بيته، حبّهم إيمان يدخل الجنّة، وبغضهم كفر ونفاق يدخل النار. فأسرّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ذلك إلى عليّ عليه السلام وأهل بيته. ثمّ قال الصادق عليه السلام ما خرج ولا يخرج منّا أهل البيت إلى قيام قائمنا أحد ليدفع ظلماً أو ينعش حقّاً إلّا اصطلمته البليّة، وكان قيامه زيادة في مكروهنا وشعتنا[2].

«**ولو قد اختلفوا في ما بينهم**» واختلافهم الشديد كان زمن خلافة الوليد بن يزيد.

وفي (تاريخ الطبري): ضرب ابن عمّه سليمان بن هشام مئة سوط وحلق رأسه ولحيته وغرّبه إلى عمان. فحبسه بها، وحبس يزيد بن هشام لمّا أراد البيعة لابنيه، وأخذ جارية لآل الوليد عمه. فكلّمه عمر بن الوليد فيها. فقال: لا أردّها. فقال: إذن تكثر الصواهل حول عسكرك. فرماه بنو الوليد وبنو هشام عميه بالكفر، وغشيان أُمهات أولاد أبيه، وقالوا: اتّخذ مئة جامعة، وكتب على كلّ جامعة اسم رجل من بني أُميّة ليقتله بها ورموه بالزندقة، وكان أشدّهم فيه قولاً يزيد بن الوليد ـ وكان يظهر النسك ـ فحمل الناس على الفتك به[3].

---

(١) ابراهيم: ٢٨ ـ ٢٩.

(٢) الصحيفة السجادية: ٥، والنقل بتصرف يسير.

(٣) تاريخ الطبري ٥: ٥٣٨، لسنة ١٢٦، والنقل بتصرف يسير.

فقتل في سنة (١٢٦) ثمّ بويع يزيد واضطرب حبل بني مروان. فوثب أهل حمص على العباس بن الوليد فهدموا داره وانتهبوها وسلبوا حرمه، وحبسوا بنيه.

ووقع الاختلاف في خراسان بين اليمانية والنزارية، وأظهر الكرماني فيها الخلاف لنصر بن سيّار. واجتمع مع كلّ واحد منهما جماعة، وأظهر مروان بن محمّد الخلاف على يزيد طالباً بدم الوليد. فمات يزيد في آخر يوم من السنة ثمّ قام مقامه أخوه إبراهيم بن الوليد لكنّه لم يتمّ أمره، وكان يسلّم عليه جمعة بالخلافة وجمعة بالإمرة، وجمعة لا بالخلافة ولا بالإمرة حتّى قدم مروان بن محمّد. فخلعه، وقتل عبد العزيز بن الحجّاج بن عبد الملك. فبايع الناس مروان بن محمّد. ثمّ خالف سليمان بن هشام مروان ونصب الحرب فحاربه مروان وهزمه، وقتل ابنه إبراهيم بن سليمان وهرب سليمان إلى الضحّاك الخارجي.

وأمّا أصل اختلافهم فمن زمان عمر بن عبد العزيز. فلما قيل لسليمان اجعله ولي عهدك فإنّه رجل صالح قال: إن ولّيته ولم أول أحداً سواه لتكوننّ فتنة ولا يتركه بنو عبد الملك يلي عليهم إلّا أن يجعل أحدهم بعده. فجعل يزيد بعده، ومع ذلك لم يجترئ أن يسمّيه. فأخذ بيعتهم على طاعة من ولّاه في كتاب عهده، ولمّا سمع هشام بعد سليمان بكونه عمر، نادى: لا نبايعه أبداً. فحمله الموكّل بأخذ البيعة على البيعة كرهاً. ولي عمر سنة (٩٩) وقام الدعاة سنة مئة فبعث محمّد بن علي العباسي رجلاً إلى العراق وثلاثة رجال إلى خراسان للدعوة تلك السنة.

«**ثمّ كادتهم**» من الكيد. أي: مكرتهم.

«**الضباع**» جمع الضبع، وخصّهاﷺ بالذكر لأنّها ممّا يضرب المثل

بحمقها فقالوا «أحمق من الضبع»[١] وقالوا «ما يخفى هذا على الضبع»[٢] والمراد دعاة بني العباس، وفي رأسهم أبو مسلم.

وفي (تاريخ الطبري): أنّ المنصور لمّا عاتب أبا مسلم لمّا أراد قتله، وقال له: فعلت وفعلت، قال أبو مسلم: ليس يقال هذا لي بعد بلائي. قال له المنصور: لو كانت أمة مكانك لأجزت ناحيتها إنّما عملت ما عملت في دولتنا[٣].

وفيه أيضاً: قال المنصور للسفاح: أطعني واقتل أبا مسلم. فوالله إنّ في رأسه لغدرة. فقال: يا أخي قد عرفت بلاءه، وما كان منه. فقال المنصور: إنّما كان بدولتنا، والله لو بعث سنوراً لقام مقامه، وبلغ ما بلغ في هذه الدولة[٤].

«لغلبتهم» وقال العباس بن الوليد لمّا وقع الاختلاف بينهم وخرج يزيد بن الوليد على الوليد بن يزيد: «إنّي لأظنّ أنّ الله قد أذن في هلاككم يا بني مروان» ثمّ تمثّل:

إنّي أعيذكم بالله من فتن ... مثل الجبال تسامى ثمّ تندفع
لا تلحمن ذئاب الناس أنفسكم ... إنّ الذئاب إذا ما الحمت رتعوا
لا تبقرن بأيديكم بطونكم ... فثمّ لا حسرة تغني ولا جزع

وفي (العقد): لمّا نزل الموت بأبي هاشم ابن محمّد بن الحنفية لمّا سمّه سليمان قال لمحمّد بن علي بن عبدالله بن العباس: إنّي ميّت، وأنت صاحب هذا الأمر، وولدك القائم به ثمّ أخوه من بعده، والله ليتمّنّ الله هذا الأمر حتّى تخرج الرايات السود من خراسان ثمّ ليغلبنّ ما بين حضرموت، وأقصى إفريقيّة،

---

(١) أورده الميداني في مجمع الأمثال ١: ٢٢٥، والزمخشري في المستقصى ١: ٧٥.

(٢) أورده الميداني في مجمع الأمثال ٢: ٢٩٥.

(٣) تاريخ الطبري ٦: ١٣٨، سنة ١٣٧.

(٤) تاريخ الطبري ٦: ١١٩، سنة ١٣٦.

وما بين عانة، وأقصى فرغانة. فعليك بهؤلاء الشيعة، واستوص بهم الخير. فهم دعاتك، وأنصارك، ولتكن دعوتك خراسان لا تعدوها لا سيما مرو، واستبطن هذا الحي من اليمن. فإنّ كلّ ملك لا يقوم به فمصيره إلى انتقاض. وانظر هذا الحي من ربيعة فإنّهم معهم في كلّ أمر. وانظر هذا الحي من قيس وتميم فأقصهم إلّا من عصم الله منهم، وذلك قليل، ثم مرهم أن يرجعوا. فليجعلوا اثني عشر نقيباً وبعدهم سبعين نقيباً. فإنّ الله لم يصلح أمر بني إسرائيل إلّا بهم، وقد فعل ذلك النبيّ ﷺ. فإذا مضت سنة الحمار فوجّه رسلك في خراسان منهم من يقتل، ومنهم من ينجو حتّى يظهر الله دعوتكم. فقال محمّد لأبي هاشم: وما سنة الحمار؟ قال: إنّ الله لم يمض مئة سنة من نبوّة قط إلاّ انتقض أمرها لقوله عزّوجلّ: ﴿أو كالّذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنّى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مئة عام ـ إلى قوله ـ وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس﴾[1].

ثم قدم الشيعة على محمّد بن علي فأخبروه أنّهم حبسوا بخراسان في السجن، وكان يخدمهم فيه غلام من السرّاجين ما رأوا قط مثل عقله وظرفه، ومحبّته في أهل بيت النبيّ يقال له أبو مسلم. فقال: أحرّ أم عبد. قالوا: أمّا عيسى فيزعم أنّه عبد، وأمّا هو فيزعم أنّه حرّ. قال: فاشتروه واعتقوه، واجعلوه بينكم إذ رضيتموه. فلمّا انقضت المئة سنة بعث محمّد رسله إلى خراسان. فغرسوا بها غرساً، وأبو مسلم المقدّم عليهم، وثارت الفتنة في خراسان بين المضرية واليمنية فتمكن أبو مسلم، وفرّق رسله في كورخراسان يدعو الناس إلى آل الرسول فأجابوه[2].

---

(١) البقرة: ٢٥٩.

(٢) العقد الفريد ٥: ٢٠٥ و ٢٠٦. والنقل بتصرف يسير.

قول المصنّف: «والمرود هنا مفعل من الإرواد» بمعنى أنّه اسم مكان. فإنّ غير الثلاثي المجرد اسم مكانه بلفظ اسم مفعوله. فيكون بضم الميم، وأما المرود بكسرها فهي حديدة مشدودة بالرسن إذا دار المهر دار معه يقال «دار المهر في المرود» قال عباس بن مرداس:

على شخص الأبصار تسمع بينها إذا هي جالت في مراودها عزفا[1]

أي: صهيلاً.

٢٨
من الخطبة (١٠٤)

مِنْهَا فِي خِطَابِ أَصْحَابِهِ:

وَقَدْ بَلَغْتُمْ مِنْ كَرَامَةِ ٱللهِ لَكُمْ مَنْزِلَةً تُكْرَمُ بِهَا إِمَاؤُكُمْ، وَتُوصَلُ بِهَا جِيرَانُكُمْ، وَيُعَظِّمُكُمْ مَنْ لَا فَضْلَ لَكُمْ عَلَيْهِ، وَلَا يَدَ لَكُمْ عِنْدَهُ، وَيَهَابُكُمْ مَنْ لَا يَخَافُ لَكُمْ سَطْوَةً، وَلَا لَكُمْ عَلَيْهِ إِمْرَةٌ. وَقَدْ تَرَوْنَ عُهُودَ ٱللهِ مَنْقُوضَةً فَلَا تَغْضَبُونَ، وَأَنْتُمْ لِنَقْضِ ذِمَمِ آبَائِكُمْ تَأْنَفُونَ. وَكَانَتْ أُمُورُ ٱللهِ عَلَيْكُمْ تَرِدُ وَعَنْكُمْ تَصْدُرُ وَإِلَيْكُمْ تَرْجِعُ. فَمَكَّنْتُمُ ٱلظَّلَمَةَ مِنْ مَنْزِلَتِكُمْ، وَأَلْقَيْتُمْ إِلَيْهِمْ أَزِمَّتَكُمْ وَأَسْلَمْتُمْ أُمُورَ ٱللهِ فِي أَيْدِيهِمْ. يَعْمَلُونَ فِي ٱلشُّبُهَاتِ، وَيَسِيرُونَ فِي ٱلشَّهَوَاتِ. وَٱيْمُ ٱللهِ لَوْ فَرَّقُوكُمْ تَحْتَ كُلِّ كَوْكَبٍ لَجَمَعَكُمُ ٱللهُ لِشَرِّ يَوْمٍ لَهُمْ.

من الخطبة (١٠٣)

فَأُقْسِمُ بِاللهِ يَا بَنِي أُمَيَّةَ عَمَّا قَلِيلٍ لَتَعْرِفُنَّهَا فِي أَيْدِي غَيْرِكُمْ وَفِي دَارِ عَدُوِّكُمْ.

قول المصنّف: «ومنها في خطاب أصحابه» هكذا في (المصرية)، وفي

---

(١) أورده أساس البلاغة: ١٨٤، مادة (رود).

(ابن أبي الحديد والخطية) «منها في خطاب أصحابه» ومن الغريب أنّ في نسختي، من (ابن ميثم) بدله «ومن خطبة له عليه السلام»[1].

قوله عليه السلام «وقد بلغتم من كرامة الله لكم منزلةً ـ إلى قوله ـ وقد ترون عهود الله منقوضة فلا تغضبون، وأنتم لنقض ذمم آبائكم تأنفون» أي: تستنكفون. قال ابن أبي الحديد: الكلام خطاب لأصحابه الّذين أسلموا نواحيهم إلى جيوش معاوية يقول عليه السلام لهم: إنّ الله أكرمكم بالإسلام، وبلغتم بذلك منزلة أكرم بها اماءكم ومن كان مظنّة المهانة، ووصل بها جيرانكم أي: من التجأ إليكم من مُعاهد وذمّي حتّى عصم دماءهم وأموالهم، ويعظّمكم من لا فضل لكم عليه كالروم والحبشة، ويهابكم من لا يخاف لكم سطوة كالملوك الّذين في أقاصي البلاد كالهند والصين بأنّكم تقهرون الأُمم بالنصر السماوي.

قيل: إنّ العرب لمّا عبرت دجلة إلى القصر الأبيض بالمدائن عبرتها في أيّام مدّها ـ وهي كالبحر الزاخر ـ على خيولها، وبأيديها رماحها. فهربت الفرس بعد رمي شديد منهم للعرب، والعرب يقدمون. فقال فلّاح نبطي بيده مسحاته يفتح الماء إلى زرعه لأسوار معروف بالبأس: أمثلكم في سلاحكم يهرب من هؤلاء الخاسرين؟ فقال له: أقم مسحاتك فأقامها فرماها فخرق الحديد ثمّ قال: أُنظر الآن. ثمّ رمى بعض العرب المارّين عليه عشرين سهماً لم يصبه بسهم. فقال له: أعلمت أنّ القوم مصنوع لهم. ثم قال عليه السلام مالكم لا تغضبون وأنتم ترون عهود الله منقوضة ـ...[2]

قلت: على ما ذكره يكون الكلام منقطعاً غير مجتمع، والصواب أن يقال: إنّه عليه السلام قال لهم إذ بلغتم من كرامة الله تعالى لكم بدين الاسلام تلك المنزلة

---

(١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٢١، لكن لفظ شرح ابن ميثم ٣: ٣٥ مثل المصرية.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٢١، والنقل بتصرف يسير.

الّتي وصفهاعليه السلام بتلك الأوصاف الأربعة فلِمَ ترون عهود الله منقوضة ولا تغضبون مع أنّكم عن نقض ذمم آبائكم تأنفون؟! هل يكون الله تعالى عندكم أقلّ من آبائكم؟! وهل آباؤكم في أنفسكم أجلّ من الله عزّوجلّ وهو الّذي منّ عليكم بما منّ؟!.

وصدق ـ صلوات الله عليه ـ يقتل الحسين ابن بنت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومن أنزل تعالى فيه ﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾[1] وأنزل فيه ﴿وأبناءنا وأبناءكم﴾[2] ويقول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فيه «إنّه سيّد شباب أهل الجنّة وريحانتي من الدنيا»[3] وتسبى أخواته وبناته بمرأى منهم ومسمع. فيصمتون كأن لم يقع شيء، ويستجير عبيدالله ذاك الرجس النجس الخبيث المخبث بعد قتل يزيد بهم فيمنعون منه لئلّا تخفر ذمّتهم.

هذا، وممّن أنف من نقض عهد أبيه ـ وإن كان ذا حميّة في الدين أيضاً في حياته عليه السلام وبعده كأبيه ـ قيس بن سعد بن عبادة. فكان أبوه قسّم أمواله بين ولده قبل خروجه إلى الشام. ثمّ ولد بعده له ولد. فأراد أبو بكر وعمر أن ينقضا ما فعله سعد لأنّه لم يبايعهما، وإلّا فلم يكن للولد سهم بعد التقسيم. فخلّى قيس نصيبه لذاك الولد لئلّا ينقض عمل أبيه.

وفي (كامل المبرد): وكان الفرزدق يجير من استجار بقبر أبيه ـ وكان أبوه جواداً شريفاً ـ فاستجارت امرأة من بني جعفر بن كلاب بقبره لئلّا يسمّيها الفرزدق ويسبّها لمّا هجا بني جعفر بن كلاب فلم يذكر لها اسماً ولا نسباً، وقال:

---

(١) الاحزاب: ٣٣.

(٢) آل عمران: ٦١.

(٣) إشارة إلى حديث النبيّ صلى الله عليه وآله «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنّة» والآخر «هما ريحانتاي من الدنيا» أخرجهما جمع كثير منهم ابن عساكر بطرق عديدة في ترجمة الحسين عليه السلام: ٣٦ ـ ٥٩ ح ٥٨ ـ ٨٢.

عجوز تصلّي الخمس عاذت بغالب   فلا والّذي عاذت به لا أضيرها

ولمّا ولّى الحجّاج تميم بن زيد القيني السند دخل البصرة. فجعل يخرج من أهلها من شاء؛ جاءت عجوز الى الفرزدق، فقالت: إنّي استجرت بقبر أبيك وأتت منه بحصيات. فقال لها: وما شأنك؟ فقالت: إنّ تميم بن زيد خرج بابنٍ لي معه ولا قرّة لعيني، ولا كاسب لي غيره. فقال لها: وما اسم ابنك. فقالت: خنيس. فكتب إلى تميم بن زيد مع بعض من شخص:

تميم بن زيد لا تكونن حاجتي   بظهر فلا يخفى عليّ جوابها

وهب لي خنيساً واحتسب فيه منّةً   لعبرة أُمّ ما يسوغ شرابها

أتتني فعاذت يا تميم بغالب   وبالحفرة السافي عليها ترابها

وقد علم الأقوام أنك ماجد   وليثٌ إذا ما الحرب شبّ شبابها

فلمّا ورد الكتاب على تميم تشكك في الإسم. فقال: أحبيش أم خنيس؟ ثمّ قال: أُنظروا من له مثل هذا الإسم في عسكرنا. فاصيب ستّة ما بين حبيش و خنيس فوجّه بهم إليه.

وظلع مكاتب لبني منقر بمكاتبته. فأتى قبر غالب أيضاً فاستجار به وأخذ منه حصيات. فشدّهن في عمامته. ثم أتى الفرزدق فأخبره خبره وقال: إنّي قد قلت شعراً. فقال: هاته. فقال:

بقبر ابن ليلى غالب عذت بعدما   خشيت الردى أو أن أردّ على قسر

بقبر امرئٍ تقرى المئين عظامه   ولم يك إلّا غالباً ميّت يقري

فقال لي استقدم امامك إنّما   فكاكك أن تلقى الفرزدق بالمصر

فقال له الفرزدق: ما اسمك؟ قال: لهذم. فقال: يا لهذم! حكمك مسمّطاً. قال: ناقة كوماء سوداء الحدقة. قال: يا جارية اطرحي إلينا حبلاً. ثمّ قال: يا لهذم اُخرج بنا إلى المربد. فألقه في عنق ما شئت. فتخيّر العبد على عينه. ثمّ رمى بالحبل في عنق ناقة، وجاء صاحبها. فقال له الفرزدق: أُغدُ عليّ في ثمنها.

فجعل لهذم يقودها والفرزدق يسوقها حتّى إذا نفذ بها من البيوت إلى الصحراء صاح به الفرزدق: يا لهذم! قبّح الله أخسرنا صفقة[١].

وروى انّ رجلاً من السواقط ـ من بني أبي بكر بن كلاب ـ قدم اليمامة، ومعه أخ له. فكتب له عمير بن سلمى أنّه له جار ـ وكان أخو هذا الكلابي جميلاً ـ فقال له قرين أخو عمير: لا تردّنّ أبياتنا بأخيك هذا. فرآه بعدُ بين أبياتهم فقتله ـ وكان عمير غائباً ـ فأتى الكلابي قبر سلمى أبي عمير وقرين، فاستجار به، وقال أبياتاً. فلجأ قرين إلى قتادة بن مسلم ـ من بني حنيفة ـ فحمل قتادة إلى الكلابي ديات متضاعفة، وفعلت وجوه بني حنيفة مثل ذلك. فأبى الكلابي أن يقبل. فلجأ قرين إلى خاله السمين بن عبدالله. فلم يمنع منه عميراً. فأخذه عمير فمضى به حتّى قطع الوادي. فربطه إلى نخلة، وقال للكلابي: أمّا إذ أبيت إلّا قتله، فأمهل حتّى أقطع الوادي، وارتحل عن جواري. فلا خير لك فيه فقتله الكلابي. ففي ذلك يقول عمير:

قتلنا أخانا للوفاء بجارنا   وكان أبونا قد تجير مقابره

«**وكانت أُمور الله عليكم ترد، وعنكم تصدر، واليكم ترجع. فمكّنتم الظلمة من منزلتكم، وألقيتم إليهم أزمّتكم، وأسلمتم أُمور الله في أيديهم يعملون في الشبهات**» هكذا في (المصرية)، والصواب: «بالشبهات» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٢].

«**ويسيرون في الشهوات**» قال ابن أبي الحديد: معنى كلامه عليه السلام أنّ الأحكام الشرعية كانت إليكم ترد منّي، ومن تعليمي إيّاكم، ومن تثقيفي لكم. ثمّ تصدر عنكم إلى من تعلّمونه إيّاها من أتباعكم وتلامذتكم ثمّ يرجع إليكم

---

(١) كامل المبرد ٤: ٢٤٠ ـ ٢٤٣، والنقل بتلخيص.

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٢١، لكن لفظ شرح ابن ميثم ٣: ٣٥ ايضاً نحو المصرية.

بأن يتعلّمها بنوكم وإخوتكم من هؤلاء الاتباع...[١]

قلت: هو أيضاً بلا ربط، وإنّما المراد إنّكم كنتم موارد أُمور الله، ومصادرها، ومراجعها، حيث إنّكم أنتم المعتقدون بالإسلام. فمكّنتم الظلمة ـأعداء الإسلام ومن دخل في الإسلام كرهاً ـ فصاروا بذلكم مراجع ومصادر. والعجب من الناس رأوا أيّام عثمان بني أُميّة يصلّون بالناس سكارى ويتّخذون عباد الله خولاً، ودين الله دغلاً ودخلاً لم يساعدوا أمير المؤمنين عليه السلام في أيّامه مع كونه عليه السلام يحملهم على المحجّة البيضاء، والصراط المستقيم، والدين القيّم ـوكان فاروقهم بذلك عارفاً ومعترفاً ـ بل خذلوه عليه السلام وعملوا أعمالاً صارت سبباً لتقوية معاوية عدوّ الدين ولعين النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

وأغرب من هذا أنّهم رأوا معاوية ويزيد، وما عليه بنو أُميّة من الكفر والعتوّ، ومع ذلك ألقوا أُمورهم إلى عبدالملك.

وأعجب من ذلك أنّهم غدروا بمصعب في حياته ـوإن لم يكن هو خيراً من عبد الملك حتّى أنّه قتل آلافاً من الناس صبراً لم يكن جرمهم إلّا انّهم انتصروا لابن بنت نبيّهم صلى الله عليه وآله وسلم وقتلوا قاتليه حتّى قال له ابن عمر: لو كانوا من أغنام أبيك ما حلّ لك قتلهم ـ وعيّنوا بعده يوماً لإقامة مراسم العزاء له، وسنّوا زيارة قبره. فعلوا ذلك لمّا أمر معزّ الدولة الديلمي في بغداد بإقامة مراسم العزاء للحسين عليه السلام في يوم قتله عاشوراء، أداءً لبعض حقّه، حيث إنّه أحيى الإسلام بجهاده، وإنّما اختاروه عناداً مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حيث إنّه هو الّذي قتل أنصار أهل بيته. أُفٍّ لهم. فكلّهم قتلة آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لكن لا غرو فلازم صحّة خلافة صدّيقهم ذلك.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٢١.

«وأيم الله لو فرّقوكم تحت كلّ كوكب» في (كامل المبرد): نظر الحجّاج. فإذا جلّ من خرج عليه مع ابن الأشعث من الفقهاء وغيرهم من الموالي. فأحبّ أن يزيلهم عن موضع الفصاحة والآداب، ويخلّطهم بأهل القرى والأنباط. فقال: إنّما الموالي علوج، وإنّما أتى بهم من القرى. فقراهم أولى بهم. فأمر بتسييرهم من الأمصار، وإقرار العرب بها، وأمر بأن ينقش على يد كلّ إنسان منهم اسم قريته، وطالت ولايته. فتوالد القوم هناك فخبثت لغات أولادهم، وفسدت طبائعهم -إلى أن قال-:

وردّ (سليمان بن عبد الملك بعد الحجّاج) المنقوشين. فرجعوا في صورة الأنباط. ففي ذلك يقول الراجز:

جارية لم تدر ما سَوق الإبل أخرجها الحجّاج من كنّ وظل

لو كان بدر حاضراً وابن حمل ما نقشت كفاك في جلد جلل[1]

«لجمعكم الله لشرّ يومٍ لهم» بقيام دعاة بني العباس من سنة المئة عليهم، ولمّا قاتل عبد الله بن علي، مروان بن محمّد بالزاب، نادى عبدالله: يا أهل خراسان! يا لثارات إبراهيم! وأمر الناس بالنزول. فنزلوا، وأشرعوا الرماح. فجعل أهل الشام يتأخّرون كأنّهم يدفعون، وقال مروان لقضاعة: إنزلوا. فقالوا: قل لبني سليم فلينزلوا. فأرسل إلى السكاسك أن احملوا. فقالوا: قل لبني عامر فليحملوا. فأرسل إلى السكون أن احملوا. فقالوا: قل لغطفان فليحملوا. فقال لصاحب شرطته: إنزل. قال: لا والله ما كنت لأجعل نفسي غرضاً. قال: أما والله لأسوءنّك. قال: وددت والله أنك قدرت على ذلك، ثمّ انهزم أهل الشام وانهزم مروان، وقطع الجسر. فكان من غرق يومئذ أكثر ممّن قتل. فكان في من غرق يومئذٍ إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك، وأمر عبد الله بن علي،

---

(١) كامل المبرد ٥: ٩ ـ ١٠.

فعقد الجسر على الزاب واستخرجوا الغرقى. فكان في من أخرجوا إبراهيم بن الوليد بن عبدالملك. فقال عبد الله بن علي ﴿وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون﴾[1] وحوى عبدالله عسكر مروان بما فيه فوجد فيه سلاحاً كثيراً وأموالاً، ولمّا بلغ السفّاح أمر عبدالله ومروان قال: ﴿فلمّا فصل طالوت بالجنود قال إنّ الله مبتليكم بنهر...﴾[2].

وفي (تاريخ الطبري): كان مروان لمّا لقيه أهل خراسان لا يدبّر شيئاً إلّا كان فيه الخلل والفساد. فأمر بأموال فأُخرجت. فقال للناس: إصبروا وقاتلوا فهذه الأموال لكم. فجعل ناس منهم يصيبون من ذلك المال. فأرسلوا إليه أنّ الناس قد مالوا على هذا المال، ولا نأمنهم أن يذهبوا به. فأرسل إلى ابنه عبد الله: سر في أصحابك إلى مؤخّر عسكرك. فاقتل من أخذ من ذلك المال وامنعهم. فمال عبد الله برايته وأصحابه. فقال الناس: الهزيمة، فانهزموا، ومضى مروان منهزماً من بلد إلى بلد حتّى انتهى إلى بوصير فبيّته عامر بن إسماعيل وشعبة، ومعهما خيل الموصل. فقتلوه بها، وهرب ابناه عبد الله ليلة بيّت إلى أرض الحبشة فلقوا من الحبشة بلاء، قاتلتهم الحبشة فقتلوا عبدالله، وأفلت عبيد الله في عدّة، وقتل عبد الله بن علي بنهر أبي فطرس اثنين وسبعين رجلاً من بني أُميّة في سنة (١٣٢) وقتل داود بن علي من كان أُخذ من بني أُميّة بمكّة والمدينة في سنة (١٣٣)[3].

هذا، وأغرب ابن ميثم في شرح قوله عليه السلام: «وأيم الله لو فرّقوكم تحت كلّ كوكب لجمعكم الله لشرّ يومٍ لهم» فقال: الكلام تحذير لهم، وإنذار ربما سيكون

(١) البقرة: ٥٠.

(٢) رواه الطبري في تاريخه ٦: ٨٩، سنة ١٣٢، والنقل بتلخيص. والآية ٢٤٩ من سورة البقرة.

(٣) تاريخ الطبري ٦: ٩٠ ـ ١١٠، سنة ١٣٢ و ١٣٣، والنقل بتصرف يسير.

من بني أُميّة من جمع الناس في بلائهم وشرورهم وعموم فتنتهم، وكنّى باليوم عن مدّة خلافتهم الّتي كانت شرّ الأوقات على الإسلام وأهله، وإنّما نسب التفريق إليهم والجمع إلى الله تقريراً لما سينزل به قدره من ابتلاء الخلق بهم فإنّهم لو فرّقوهم في أطراف البلاد لم يغنهم ذلك التفرّق عن لحوق قدر الله لهم، ولم يمنعهم من نزوله بجميعهم بما يراد لهم من الإبتلاء بدولة بني أُميّة، وشرورها...[١] وهو كما ترى خبط عجيب.

قولهعليه السلام في الثاني **«فأُقسم بالله يا بني أُميّة عمّا قليل»** بانقضاء ثمانين سنة مدّة ملكهم.

«لتعرفنّها» أي: الخلافة والسلطنة الّتي تقتلون الناس عليها.

«في أيدي غيركم، وفي دار عدوّكم» بني العباس.

٢٩
من الخطبة (١٤٩)

ثُمَّ إِنَّكُمْ مَعْشَرَ ٱلْعَرَبِ أَغْرَاضُ بَلاَيَا قَدِ ٱقْتَرَبَتْ. فَاتَّقُوا سَكَرَاتِ ٱلنِّعْمَةِ وَٱحْذَرُوا بَوَائِقَ ٱلنِّقْمَةِ، وَتَثَبَّتُوا فِي قَتَامِ ٱلْعِشْوَةِ وَٱعْوِجَاجِ ٱلْفِتْنَةِ عِنْدَ طُلُوعِ جَنِينِهَا، وَظُهُورِ كَمِينِهَا، وَٱنْتِصَابِ قُطْبِهَا وَمَدَارِ رَحَاهَا. تَبْدَأُ فِي مَدَارِجَ خَفِيَّةٍ، وَتَؤُولُ إِلَى فَظَاعَةٍ جَلِيَّةٍ. شِبَابُهَا كَشِبَابِ ٱلْغُلاَمِ وَآثَارُهَا كَآثَارِ ٱلسِّلاَمِ. يَتَوَارَثُهَا ٱلظَّلَمَةُ بِالْعُهُودِ. أَوَّلُهُمْ قَائِدٌ لِآخِرِهِمْ وَآخِرُهُمْ مُقْتَدٍ بِأَوَّلِهِمْ. يَتَنَافَسُونَ فِي دُنْيَا دَنِيَّةٍ. وَيَتَكَالَبُونَ عَلَى جِيفَةٍ مُرِيحَةٍ. وَعَنْ قَلِيلٍ يَتَبَرَّأُ ٱلتَّابِعُ مِنَ ٱلْمَتْبُوعِ، وَٱلْقَائِدُ مِنَ ٱلْمَقُودِ. فَيَتَزَايَلُونَ بِالْبَغْضَاءِ، وَيَتَلاَعَنُونَ عِنْدَ ٱللِّقَاءِ. ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذٰلِكَ طَالِعُ ٱلْفِتْنَةِ ٱلرَّجُوفِ، وَٱلْقَاصِمَةِ ٱلزَّحُوفِ. فَتَزِيغُ قُلُوبٌ بَعْدَ ٱسْتِقَامَةٍ،

---

(١) شرح ابن ميثم ٣: ٣٦.

وَتَضِلُّ رِجَالٌ بَعْدَ سَلاَمَةٍ . وَتَخْتَلِفُ ٱلْأَهْوَاءُ عِنْدَ هُجُومِهَا ، وَتَلْتَبِسُ ٱلْآرَاءُ عِنْدَ نُجُومِهَا . مَنْ أَشْرَفَ لَها قَصَمَتْهُ وَمَنْ سَعَى فِيهَا حَطَمَتْهُ . يَتكَادَمُونَ فِيهَا تَكَادُمَ ٱلْحُمُرِ فِي ٱلْعَانَةِ . قَدِ ٱضْطَرَبَ مَعْقُودُ ٱلْحَبْلِ ، وَعَمِيَ وَجْهُ ٱلْأَمْرِ . تَغِيضُ فِيهَا ٱلْحِكْمَةُ ، وَتَنْطِقُ فِيهَا ٱلظَّلَمَةُ . وَتَدُقُّ أَهْلَ ٱلْبَدْوِ بِمِسْحَلِهَا ، وَتَرُضُّهُمْ بِكَلْكَلِهَا . يَضِيعُ فِي غُبَارِهَا ٱلْوُحْدَانُ ، وَيَهْلِكُ فِي طَرِيقِهَا ٱلرُّكْبَانُ . تَرِدُ بِمُرِّ ٱلْقَضَاءِ . وَتَحْلُبُ عَبِيطَ ٱلدِّمَاءِ . وَتَثْلِمُ مَنَارَ ٱلدِّينِ ، وَتَنْقُضُ عَقْدَ ٱلْيَقِينِ . يَهْرُبُ مِنْهَا ٱلْأَكْيَاسُ ، وَيُدَبِّرُهَا ٱلْأَرْجَاسُ . مِرْعَادٌ مِبْرَاقٌ ، كَاشِفَةٌ عَنْ سَاقٍ . تُقْطَّعُ فِيهَا ٱلْأَرْحَامُ ، وَيُفَارَقُ عَلَيْهَا ٱلْإِسْلاَمُ . بَرِيُّهَا سَقِيمٌ ، وَظَاعِنُهَا مُقِيمٌ .

مِنْهَا:

بَيْنَ قَتِيلٍ مطْلُولٍ وَخَائِفٍ مُسْتَجِيرٍ . يُخْتِلُونَ بِعَقْدِ ٱلْأَيْمَانِ وَبِغُرُورِ ٱلْإِيمَانِ . فَلاَ تَكُونُوا أَنْصَابَ ٱلْفِتَنِ وَأَعْلاَمَ ٱلْبِدَعِ . وَٱلْزَمُوا مَا عُقِدَ عَلَيْهِ حَبْلُ ٱلْجَمَاعَةِ ، وَبُنِيَتْ عَلَيْهِ أَرْكَانُ ٱلطَّاعَةِ . وَٱقْدَمُوا عَلَى ٱللهِ مَظْلُومِينَ وَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ ظَالِمِينَ . وَٱتَّقُوا مَدَارِجَ ٱلشَّيْطَانِ وَمَهَابِطَ ٱلْعُدْوَانِ . وَلَا تُدْخِلُوا بُطُونَكُمْ لُعَقَ ٱلْحَرَامِ ، فَإِنَّكُمْ بِعَيْنِ مَنْ حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَعْصِيَةَ ، وَسَهَّلَ لَكُمْ سَبِيلَ ٱلطَّاعَةِ .

أقول: أشار عليه السلام إلى فتن بعده عليه السلام متّصلة من بني أُميّة السفيانية، والمروانية، ومن بني العباس، ومن بعدهم.

«**ثمّ إنّكم معشر العرب أغراض**» أي: أهداف.

«**بلايا قد اقتربت**» هو شاهد ما قلنا، ويبطل قول ابن أبي الحديد أنّ الكلام إشارة إلى ملحمة في آخر الزمان[1].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٢١.

«فاتقوا سكرات النعمة» ﴿إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى﴾[1] ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض﴾[2]. وبنو اسرائيل سكروا بالنعمة بعد نجاتهم من فرعون. فكانوا يقتلون أنبياء الله، وعبدوا العجل كما قال لهم موسى لما قالوا له ﴿أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعدما جئتنا﴾[3] ﴿عسى ربكم أن يهلك عدوّكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون﴾[4] وكذلك هذه الأُمّة سلكوا مسلكهم حذو النعل بالنعل بعد بسط النعمة عليهم. فكانوا يقتلون أهل بيت نبيّهم، ويتّخذون العجل إماماً دون حجّة الله.

«واحذروا بوائق» جمع البائقة: الداهية.

«النقمة» أي: نقمة الله ﴿فلمّا آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين﴾[5] ﴿فإمّا نذهبنّ بك فإنّا منهم منتقمون * أو نرينّك الّذي وعدناهم فإنّا عليهم مقتدرون * فاستمسك بالّذي أوحي إليك إنّك على صراط مستقيم﴾[6].

«وتثبّتوا» أي: تأنّوا.

«في قتام» أي: غبار.

«العشوة» أي: الالتباس والحيرة، وفي (الصحاح): أوطأتني عَشوة وعُشوة؛ أي: أمراً ملتبساً، وذلك إذا أخبرته بما أوقعته به في حيرة أو بلية، ومضى من الليل عَشوة بالفتح، هو ما بين أوّله إلى ربعه يقال: أخذت عليهم

---

(١) العلق: ٦ ـ ٧.

(٢) الشورى: ٢٧.

(٣ و ٤) الأعراف: ١٢٩.

(٥) الزخرف: ٥٥.

(٦) الزخرف: ٤١ ـ ٤٣.

بالعَشوة أي: بالسواد من الليل[١].

«**اعوجاج الفتنة**» أي: اعوجاج الأُمور يحصل من الفتنة. فيجب التثبت حتّى ترجع إلى الاستقامة.

«**عند طلوع جنينها**» أي: مستورها.

«**وظهور كمينها**» أي: خفيها.

«**وانتصاب قطبها**» في (الصحاح): يجوز في قطب الرحى الفتح والضم والكسر[٢].

«**ومدار**» أي: دوران.

«**رحاها تبدو**» أي: تظهر تلك الفتنة.

«**في مدارج خفيّة**» جمع المدرجة أي: المذهب والمسلك. قال الشاعر في سيف:

ترى أثره في صفحتيه كأنّه   مدارج شبثان لهنّ هميم[٣].

«**وتؤول**» أي: ترجع.

«**إلى فظاعة**» أي: شناعة.

«**جليّة**» أي: واضحة. يمكن أن يكون إشارة إلى جعلهم سبّه ﷺ سنّة، وسبّه ﷺ كسبِّ الله تعالى.

«**شِبابها**» من شبّ الفرس يشُبّ ويشِبّ شِباباً وشبيباً إذا قمص ولعب، وأما الشَباب بالفتح: فجمع شاب والحداثة أيضاً.

«**كشِباب الغلام**» تقول «المرء في شَبابه كالمهر في شِبابه».

---

(١) صحاح اللغة ٦: ٢٤٣٧، مادة (عشا).

(٢) صحاح اللغة ١: ٢٠٤، مادة (قطب).

(٣) أورده لسان العرب ٢: ٢٦٨، مادة (درج).

«وآثارها كآثار السِّلام» جمع السَلِمة أي: الحجارة، وفي المثل: «أكتم للسرّ من السِّلام»[١].

«تتوارثها الظلمة بالعهود» بعهد الأوّل إلى الآخر أو بالمعاهدة بينهم بتفويضها إلى صاحبه في حياته حتّى يردّها إليه بعد وفاته.

ويمكن أن يكون الكلام إشارة إلى استخلاف معاوية ليزيد، وهو أوّل من عهد إلى ابنه من المتقدّمين عليه، وأخذ عهود الناس بذلك. وكان فظاعته جليّة لكون ابنه سكّيراً خمّيراً حتّى أنكر ذلك عليه بنو أُميّة أنفسهم.

ففي (خلفاء بني قتيبة): أنّ معاوية لمّا كتب إلى مروان -وكان عامله على المدينة- أن يبايع ليزيد فأجابه مروان أنّ قريشاً قومك يأبون ذلك. فعزله؛ جاء اليه في أخواله من بني كنانة، وقال له: يا ابن أبي سفيان اهدأ من تأمير الصبيان[٢].

وفيه -بعد ذكر قدوم معاوية المدينة بنفسه لأخذ البيعة لابنه، ودخوله على عائشة- فقال لها: إنّ أمر يزيد قضاء من اللّه، وليس للعباد الخيرة من أمرهم، وقد أكّد الناس بيعته في أعناقهم، وأعطوا عهودهم على ذلك ومواثيقهم. فعلمت عايشة أنّه سيمضي على أمره -إلى أن قال بعد ذكر حضور الحسين عليه السلام مع ابن عباس مجلسه، ووصف معاوية له عليه السلام يزيد- فقال عليه السلام لمعاوية: «وفهمت ما ذكرته عن يزيد من اكتماله وسياسته لأُمّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم تريد أن توهم الناس في يزيد كأنّك تصف محجوباً، أو تنعت غائباً، أو تخبر عمّا مما كان احتويته بعلم خاص، وقد دلّ يزيد من نفسه على موقع رأيه، فخذ ليزيد فيما أخذ فيه من استقرائه الكلاب المهارشة عند

(١) أورده الزمخشري في أساس البلاغة: ٢١٨، مادة (سلم).

(٢) الإمامة والسياسة ١: ١٧٥ ـ ١٧٦.

التهارش، والحمام السبّق لأترابهن، والقيان ذوات المعازف، وضرب الملاهي[١].

وفيه: إنّ عثمان بن محمّد الثقفي أقبل من قبل يزيد والياً على المدينة، ومكّة، والموسم. فلمّا استوى على المنبر بمكّة رعف. فقال رجل مستقبله: جئت والله بالدم فتلقّاه رجل آخر بعمامته. فقال: مه والله عمّ الناس. ثمّ قام يخطب. فتناول عصا لها شعبتان. فقال: مه شعب والله أمر الناس[٢].

وفيه ـ بعد ذكر غلبة مسلم بن عقبة من قبل يزيد على المدينة ـ دعا بني أسد ـ وكان عليهم حنقاً. فقال: أتبايعون ليزيد ولم استخلف عليكم بعده على أنّ أموالكم ودماءكم وأنفسكم خول له يقضي فيها ما شاء؟[٣].

وفيه: دخل شامي في الحرّة على امرأة، ومعها صبي لها. فقال لها: هل من مال؟ قال: لا والله ما تركوا لي شيئاً. فقال: والله لتخرجنّ إليّ شيئاً أو لأقتلنّك وصبيّك هذا. فقالت له: ويحك! إنّه ولد أبي كبشة الأنصاري صاحب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولقد بايعت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم معه يوم بيعة الشجرة. قال: فأخذ برجل الصبي والثدي في فمه فجذبه من حجرها. فضرب به الحائط فانتثر دماغه على الأرض[٤].

«**أوّلهم قائد لآخرهم، وآخرهم مقتدٍ بأوّلهم**» ولمّا كتب محمّد بن أبي بكر إلى معاوية: «قد رأيتك تسامي علياً عليه السلام وأنت أنت وهو هو المبرز السابق في كلّ خير، وأنت أنت اللعين ابن اللعين» كتب إليه «كنّا وأبوك معنا في حياة من نبيّنا نرى حقّ ابن أبي طالب لازماً لنا، وفضله مبرّزاً علينا، فكان أبوك وفاروقه أوّل

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ١٨٣ و ١٨٦.

(٢) الإمامة والسياسة ١: ٢٠٥.

(٣) الإمامة والسياسة ١: ٢١٤.

(٤) الإمامة والسياسة ١: ٢١٥. والنقل بتقطيع.

من ابتزّه وخالفه، على ذلك اتّفقا واتّسقا. ثمّ دعواه إلى أنفسهم. فأبطأ عنهما، وتلكّأ عليهما. فهمّا به الهموم، وأرادا به العظيم، فبايع وسلّم لهما لا يشركانه في أمرهما، ولا يطلعانه على سرّهما حتّى قبضا. فخذ حذرك يا ابن أبي بكر تقصر عن أن تساوي من أبوك مهّد مهاده، وبنى ملكه وشاده. فإن يكن ما نحن فيه صواباً فأبوك أوّله، وإن يك جوراً. فأبوك أسسه، ونحن شركاؤه، وبهديه أخذنا، وبفعله اقتدينا، ولولا ما سبقنا إليه أبوك ما خالفنا ابن أبي طالب، وأسلمنا له، ولكنّا رأينا أباك فعل ذلك. فاحتذينا بمثاله، واقتدينا بفعاله. فعب أباك ما بدا لك أو دع»[1].

«**يتنافسون**» أي: يرغبون.

«**في دنيا دنيّة، ويتكالبون**» أي: يتنازعون كالكلاب.

«**على جيفة مريحة**» من أراح الشيء أي: وجد ريحه، وفي الخبر الدنيا جيفة، وطالبها كالكلاب[2].

«**عن قليل يتبرّأ التابع من المتبوع، والقائد من المقود. فيتزايلون**» أي: يتباينون.

«**بالبغضاء ويتلاعنون عند اللقاء**» إشارة إلى قوله تعالى ﴿ولو يرى الّذين ظلموا إذ يرون العذاب أنّ القوّة لله جميعاً وأنّ الله شديد العذاب * إذ تبرّأ الّذين اتّبعوا من الّذين اتّبعوا ورأوا العذاب وتقطّعت بهم الأسباب * وقال الّذين اتّبعوا لو أنّ لنا كرّة فنتبرّأ منهم كما تبرّؤا منّا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار﴾[3] وإلى قوله تعالى: ﴿كلّما دخلت

---

(١) رواه ابن مزاحم في وقعة صفين: ١١٨ ـ ١٢١، والمسعودي في مروج الذهب ٣: ١١، والبلاذري في أنساب الأشراف ٢: ٣٩٣، والنقل بتقطيع.

(٢) رواه الكاشاني في المحجّة البيضاء ٥: ٣٧٠، والنقل بالمعنى.

(٣) البقرة: ١٦٥ ـ ١٦٧.

أمّة لعنت أُختها حتّى إذا أدّاركوا فيها جميعاً قالت أخراهم لأُولاهم ربّنا هؤلاء أضلّونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار قال لكلّ ضعف ولكن لا تعلمون * وقالت أولاهم لأُخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون﴾[1].

ذكر عليه السلام قوله: «عن قليل يتبرّأ التابع» ـ إلخ ـ استطراداً لئلّا يبجحوا بأعمالهم، ولا يحسبوا كون ذلك كمالاً لهم، لا أنّه عليه السلام انتقل من ذكر الملاحم.

«**ثمّ يأتي بعد ذلك طالع الفتنة الرجوف**» أي: الجائية بالاضطراب، والتزلزل، ومن أسماء البحر الرجّاف لاضطراب أمواجه، والمراد بالفتنة الرجوف فتنة بني العباس وراياتهم السود الطالعة من خراسان.

«**والقاصمة**» أي: الكاسرة.

«**الزحوف**» والزحوف تعبير عجيب عن رفع أمر بني العباس قليلاً قليلاً حتى وصل إلى نيلهم الخلافة، فيقال: زحف الدباء إذا مضى قدماً. والزحف سهم يقع دون الغرض ثمّ يصل إليه. وزحف الصبي إذا مشى على الأرض على يديه ورجليه، والزحوف من النوق الّتي تجرّ رجليها إذا مشت.

«**فتزيغ قلوب**» عن عترته المعصومين عليهم السلام.

«**بعد استقامة، وتضلّ رجال**» من شيعته.

«**بعد سلامة**» أي: بعد سلامتها قبل تلك الفتنة من الضلال.

«**وتختلف الأهواء عند هجومها**» زيدية وعباسية، وفي (المروج): والزيدية في عصرهم كانوا ثماني فرق: أوّلها المعروفة بالجارودية أصحاب أبي الجارود زياد بن المنذر العبدي. قالوا: الإمامة مقصورة في ولد الحسن والحسين، والثانية معروفة بالمرئية، والثالثة بالابرقية، والرابعة باليعقوبية:

---

(١) الاعراف: ٣٨ ـ ٣٩.

أصحاب يعقوب بن عليّ الكوفي، والخامسة بالعقبية، والسادسة بالأبترية أصحاب كثير الأبتر، والحسن بن صالح، والسابعة بالجريرية أصحاب سليمان بن جرير، والثامنة باليمانية أصحاب محمّد بن اليمان الكوفي، وكان فرق أهل الإمامة على ذكر من سلف من أصحاب الكتب ثلاثاً وثلاثين فرقة، وقد ذكرنا تنازع القطيعية بعد مضي الحسن العسكري عليه السلام، وما قالت الكيسانية، وما تباينت فيه، وغيرها من سائر طوائف الشيعة، وهم ثلاث وسبعون فرقة، والغلاة أيضاً ثماني فرق المحمدية أربع، والعلوية أربع[1].

وفيه: الراوندية شيعة العباسيّين القائلة بأنّ أحق الناس بالإمامة بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عمّه العباس، وأجازوا بيعة عليّ عليه السلام بإجازة العباس لها، وصنّفوا في ذلك كتباً، ومنها كتاب (إمامة ولد العباس) الّذي صنّفه الجاحظ، لهم يذكر فيه فعل أبي بكر في فدك، والّذي ذهب إليه من تأخّر منهم، وهم أصحاب أبي مسلم أنّ الإمام بعد عليّ عليه السلام وهو محمّد بن الحنفية، وبعده ابنه أبو هاشم، وبعده علي بن عبدالله بن العباس لكونه وصيّه، وبعده ابنه إبراهيم، وبعده أخوه السفاح، وهكذا[2].

«وتلتبس» أي: تشتبه وتختلط.

«الآراء عند نجومها» أي: ظهورها وطلوعها يقال: نجم السنّ، نجم القرن، نجم النبت.

«من أشرف لها» أي: نصب لها.

قصمته» أي: كسرته. الظاهر إشارة إلى من بيّض، وخرج على العباسيّين المسودة.

---

(١) مروج الذهب ٣: ٢٠٨، والنقل بتصرف يسير.

(٢) مروج الذهب ٣: ٢٣٦ ـ ٢٣٨، والنقل بالمعنى.

«ومن سعى فيها» كأبي سلمة، وأبي مسلم.

«حطمته» أي: دقّته. والحطمة اسم من أسماء جهنّم لأنّها تحطم ما تلقى، ويقال رجل حُطَم وحَطَمة إذا كان قليل الرحمة للماشية، وفي المثل «شرّ الرعاء الحطمة»[1] وقال الراجز: «قد لفّها الليل بسوّاق حطم»[2] والحطام ما تكسر من اليبيس.

«يتكادمون» أي: يتعاضّون. فالكدم العضّ بأدنى الفم كما يكدم الحمار.

«تكادم الحمر» جمع الحمار.

«في العانة» في (الجمهرة): العانة: القطعة من حمير الوحش خاصة وسمّيت عانة الإنسان تشبيهاً بذلك...[3] ولعلّه إشارة إلى قتل أبي مسلم لأبي سلمة.

«قد اضطرب معقود الحبل» أي: حبل الإمامة بكونهم اثني عشر عيّنهم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

«وعمي وجه الأمر» بأنّ الإمام من كان معصوماً كالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لكونه خليفة.

«تغيض» من غاض الماء قلّ ونضب. يقال غاض الكرام، وفاض اللئام.

«فيها الحكمة» الظاهر كونه بالتحريك كونه جمع الحاكم بقرينة بعده «الظلمة».

«وتنطق فيها الظلمة» فسكت أبو عبدالله الصادق أحد الحكمة من العترة الطاهرة، وزعيم الإمامة ذاك اليوم، ونطق الظلمة ولد محمّد بن علي بن عبدالله

---

(١) أورده الميداني في مجمع الأمثال ١: ٣٦٣، والزمخشري في المستقصى ٢: ١٢٩.

(٢) أورده أساس البلاغة: ٨٨، مادة (حطم)، ولسان العرب ١٢: ١٣٨، مادة (حطم).

(٣) جمهرة اللغة ٣: ١٤٤.

بن عباس، فقال السفّاح في خطبته لمّا بويع «وضعنا الله من الإسلام وأهله بالموضع الرفيع. فقال تعالى في ما أنزل من محكم القرآن ﴿إنّما يريد الله ليُذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيرا﴾[١] وبنا هدى الله الناس بعد ضلالتهم[٢].

وقال داود بن علي في خطبة ذاك اليوم: ألآن طلعت الشمس من مطلعها وبزغ القمر من مبزغه، وأخذ القوس باريها، وعاد السهم إلى منزعه، ورجع الحقّ في نصابه في أهل بيت نبيّكم[٣].

«**وتدقّ أهل البدو**» أي: البادية.

«**بمسحلها**» أي: مبردها. يقال سحلت الشيء أي: سحقته، وسحلت الرياح الأرض: كشطت ادمتها.

«**وترضّهم**» أي: تدقّهم.

«**بكلكلها**» في (الصحاح): الكلكل والكلكال الصدر[٤].

«**يضيع فيغبارها الوحدان**» جمع الواحد.

«**ويهلك في طريقها الركبان**» في (الصحاح): الركب أصحاب الإبل في السفر دون الدواب، وهم العشرة فما فوقها، والجمع أركب «والركبة بالتحريك أقل من الركب» والأركوب بالضم أكثر من الركب والركبان الجماعة منهم[٥].

وفي (تاريخ الطبري): في سنة (٢٢٠) خرج المعتصم إلى القاطول، وكان

---

(١) الاحزاب: ٣٣.

(٢) رواه الطبري في تاريخه ٦: ٨٢، سنة ١٣٢، والنقل بتلخيص.

(٣) رواه الطبري في تاريخه ٦: ٨٣، سنة ١٣٢.

(٤) صحاح اللغة ٥: ١٨١٢، مادة (كلل).

(٥) صحاح اللغة ١: ١٣٩، مادة (ركب).

سبب خروجه أن غلمانه الاتراك كانوا لا يزالون يجدون الواحد بعد الواحد منهم قتيلاً في أرباضها، وذلك أنّهم كانوا عجماً جفاة يركبون الدواب. فيتراكضون في طرق بغداد وشوارعها. فيصدمون الرجل والمرأة ويطؤون الصبي. فيأخذهم الأبناء فينكسونهم عن دوابهم ويجرحون بعضهم. فربما هلك من الجراح بعضهم. فشكت الأتراك ذلك إلى المعتصم، وتأذّت بهم العامة. فذكر أنّه رئي المعتصم راكباً منصرفاً من المصلّى في يوم عيد أضحى أو فطر فلمّا صار في مربعة الحرشي نظر الى شيخ قد قام إليه. فقال له: يا أبا اسحق فابتدره الجند ليضربوه. فأشار إليهم المعتصم. فكفّهم عنه. فقال للشيخ: ما لك؟ قال: لا جزاك الله عن الجوار خيراً، جاورتنا وجئت بهؤلاء العلوج فأسكنتهم بين أظهرنا فأيتمت بهم صبياننا، وأرملت بهم نسواننا، وقتلت بهم رجالنا ـ والمعتصم يسمع ذلك كلّه ـ ثمّ دخل داره. فلم ير راكباً إلى السنة القابلة في مثل ذلك اليوم خرج فصلّى بالناس العيد ثمّ لم يرجع إلى منزله ببغداد، وصرف وجه دابّته إلى ناحية القاطول...[1].

«**ترد بمرّ القضاء**» أي: الحكم.

في (تاريخ الطبري): أخذ المنصور في سنة (١٥٣) الناس بلبس القلانس الطوال المفرطة الطول، وكانوا في ما ذكر يحتالون لها بالقصب من داخل. فقال أبو دلامة:

وكنّا نرجّي من إمام زيادة ... فزاد الإمام المصطفى في القلانس

تراها على هام الرجال كأنّها ... دنان يهود جللت بالبرانس[2]

وفيه: لمّا أراد المنصور الأمر ببناء سور الكوفة، وبحفر خندق لها أمر

---

(١) تاريخ الطبري ٧: ٢٣٢، سنة ٢٢٠، والنقل بتصرف يسير.

(٢) تاريخ الطبري ٦: ٢٩٦، سنة ١٥٤.

بقسمة خمسة دراهم خمسة دراهم على أهل الكوفة وأراد بذلك علم عددهم. فلمّا عرف عددهم أمر بجبايتهم من كلّ انسان أربعين درهماً أربعين درهماً فجبوا. فأمر بإنفاق ما جبى على السور، وحفر الخنادق. فقال شاعرهم:

يـا لقـومي مـا لقينا مـن أمـير المـؤمنينا
قسـم الخـمسة فينا وجـبانا الأربـعينا[1]

وفي (المقاتل): عن عليّ بن الجعد قال: رأيت أهل الكوفة أيّام أخذوا بلبس السواد حتّى أنّ البقالين إن كان أحدهم ليضع الثوب بالأنقاس (أي: المداد الّذي يكتب به) ثمّ يلبسه[2].

«وتحلب عبيط الدماء» أي: خالصها، وطريّها. فقتل أبو مسلم في سبيل الدولة العباسية ستّمئة ألف صبراً غير من قتله في حروبه.

وقتل عبد الله بن علي لمّا خرج على المنصور نحواً من سبعة عشر ألفاً من أصحابه من أهل خراسان خشي ألّا يناصحوه أمر صاحب شرطة، فقتلهم وقتل في حروب المنصور ما لا يحصى.

وفي (المقاتل): كان المنصور إذا اتّهم أحداً من أهل الكوفة بالميل إلى إبراهيم بن عبدالله بن الحسن أمر سالماً بطلبه. فكان يمهل حتّى إذا غسق الليل، وهدأ الناس؛ نصب سلّماً على منزل الرجل فطرقه في بيته فيقتله. ويأخذ خاتمه. فقيل لابنه العباس بن سالم: لو لم يورثك أبوك إلّا خواتيم من قتل من أهل الكوفة لكنت أيسر الأبناء[3].

«وتثلم» أي: توجد تلك الفتنة الخلل.

---

(١) تاريخ الطبري ٦: ٢٩٨، سنة ١٥٥، والنقل بتصرف يسير.

(٢) مقاتل الطالبيين: ٢١٢.

(٣) مقاتل الطالبيين: ٢١٣.

«**منار الدين**» وفي (الصحاح): المنار: علم الطريق[١].

«**وتنقض عقد اليقين تهرب منها الأكياس**» وفي (رجال الكشّي) عن صفوان الجمّال قال لي الكاظم عليه السلام: كلّ شيء منك حسن جميل ما خلا شيئاً واحداً إكراؤك جمالك من هذا الرجل ـ يعني هارون ـ. قلت: والله ما كريته أشراً ولا بطراً، ولا لصيد، ولا للهو، ولكن أكريته لهذا الطريق ـ يعني طريق مكّة ـ ولا أتولّاه بنفسي، ولكن أبعث معه غلماني. فقال: أيقع كراؤك عليهم؟ قلت: نعم. قال: أتحب بقاءهم حتّى يخرج كراؤك؟ قلت: نعم. قال: فمن أحبّ بقاءهم فهو منهم، ومن كان منهم كان وقود النار، قال: فذهبت وبعت جمالي عن آخرها[٢].

«**وتدبّرها الارجاس**» في (المروج): قال المنصور يوماً بعد قتل محمّد وإبراهيم، لجلسائه: تا لله ما رأيت رجلاً أنصح من الحجّاج لبني مروان. فقام المسيب بن زهير الضبي. فقال: ما سبقنا الحجّاج بأمر تخلفنا عنه، والله ما خلق الله على جديد الأرض خلقاً أعزّ علينا من نبيّنا، وقود أمرتنا بقتل أولاده، فأطعناك وفعلنا ذلك. فهل نصحناك أم لا؟ قال له: اجلس لا جلست[٣].

«**مرعاد مبراق**» كناية عن التهديد والوعيد.

«**كاشفة عن ساق**» كناية عن الشدّة. قال الشاعر:

في سنة قد كشفت عن ساقها[٤]

وقال تعالى في وصف يوم القيامة: ﴿يوم يكشف عن ساق﴾[٥] «تقطّع فيها الأرحام، ويفارق عليها الإسلام» كان المنصور مرعاداً مبراقاً. فتهدّد أهل

---

(١) صحاح اللغة ٢: ٨٣٩، مادة (نور).

(٢) اختيار معرفة الرجال: ٤٤٠ ح ٨٢٨، والنقل بتصرف يسير.

(٣) مروج الذهب ٣: ٢٩٨.

(٤) أورده أساس البلاغة: ٢٢٥، مادة (سوق).

(٥) القلم: ٤٢.

الكوفة لكونهم شيعة باخراب ديارهم ومحو آثارهم، وتقطّع فيه الأرحام. فكان أوّل من ناصب من العباسيّة للطالبيّة، وكانوا قبل تابعين لهم يجمع بينهما الهاشميّة، وفارق الإسلام حيث إنّه سبّ الأئمةعليهم السلام وقتل من أولادهم ما لا يحصى.

ففي (المروج): لمّا أخذ المنصور عبد الله بن الحسن، وأهل بيته صعد المنبر بالهاشميّة، وقال: يا أهل خراسان أنتم شيعتنا، ولو بايعتم غيرنا لم تبايعوا خيراً منّا. إنّ ولد أبي طالب تركناهم والخلافة فلم نعرض لهم بقليل ولا كثير. فقام فيها علي. فما أفلح وحكّم الحكمين. فاختلفت عليه الأمّة، وافترقت الكلمة ثمّ وثب عليه شيعته وأنصاره وثقاته فقتلوه. ثمّ قام بعده الحسن فما كان بِرَجُلٍ عرضت عليه الأموال. فقبلها، ودسّ إليه معاوية أنّي أجعلك ولي عهدي. فخلعه وانسلخ له ممّا كان فيه، وسلّمه إليه، وأقبل على النساء يتزوّج اليوم واحدة، ويطلّق غداً أُخرى، فلم يزل كذلك حتّى مات على فراشه. ثمّ قام من بعده الحسين فخدعه أهل العراق...[1] ويقال له في الحسنعليه السلام: من كان له أمير جند مثل عمّك عبيد الله بن العباس لابد أن يترك الأمر.

وفي (تاريخ الطبري): أن المنصور لمّا عزم على الحجّ دعا ريطة بنت السفاح امرأة ابنه المهدي -وكان المهدي بالري- فأوصاها بما أراد، وعهد إليها، ودفع إليها مفاتيح الخزائن، ووكّد الأيمان أن لا تفتح بعض تلك الخزائن، ولا تطلع عليها أحداً إلّا المهدي إذا صح عندها موته. فإذا صحّ اجتمعت هي والمهدي -وليس معهما ثالث- حتّى يفتحا الخزانة. فلمّا قدم المهدي من الري دفعت إليه المفاتيح، وأخبرته أنّ أباه تقدّم إليها ألّا يفتحه حتّى يصحّ عنده موته.

---

(١) مروج الذهب ٣: ٣٠٠، والنقل بتصرف يسير.

فلمّا انتهى إلى المهدي موته، وولي الخلافة فتح الباب، ومعه ريطة. فإذا أزج ـ أي سرداب ـ كبير فيه جماعة من قتلاء الطالبيين، وفي آذانهم رقاع فيها أنسابهم، وإذا فيهم أطفال ورجال شباب، ومشايخ عدّة كثيرة فارتاع المهدي وأمر فحفرت لهم حفيرة، فدفنوا فيها وعمل عليهم دكان[1].

«بريّها» هكذا في (المصرية)، والصواب: (بريئها) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[2].

«سقيم وظاعنها» أي: مرتحلها.

«مقيم» وإنّما حكم عليه السلام بكون بريئها سقيماً، وظاعنها مقيماً بمعنى عموم الفتنة، وعدم نجاة أحد منها أو لأنّ الظلمة كزياد، والحجّاج، وغيرهما كانوا يأخذون البريء من الجناية بالسقيم بها، والمقيم بالمرتحل.

«بين قتيل مطلول» أي: مهدور دمه. قال الشاعر:

دماؤهم ليس لها طالب ... مطلولة مثل دم العذرة

أيضاً:

تلكم هريرة ما تجف دموعها ... أهرير ليس أبوك بالمطلول[3]

«وخائف مستجير» وكأنّ الفصل إشارة إلى حرب الأمين والمأمون وما نزل ببغداد.

ففي (المروج) لمّا نزل طاهر بن الحسين بباب الأنبار، حاصر بغداد، وغادى القتال وراوحه حتّى خربت الديار، وعفت الآثار، وغلت الأسعار، وقاتل الأخ أخاه، والابن أباه هؤلاء أمينيّة، وهؤلاء مأمونيّة، وهدمت المنازل،

---

(١) تاريخ الطبري ٦: ٣٤٣، سنة ١٥٩، والنقل بتصرف يسير.

(٢) لفظ شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤١٩، وشرح ابن ميثم ٣: ٢٢١ مثل المصرية أيضاً.

(٣) أورده الأول لسان العرب ١١: ٤٠٥، مادة (طلّ)، والثاني أساس البلاغة: ٢٨٣، مادة (طلّ).

وأحرقت الديار، وانتهبت الأموال، وذلك في سنة (١٩٦) فقيل في ذلك:

تقطّعت الأرحام بين العشائر — وأسلمهم أهل التقى والبصائر
فذاك انتقام الله من خلقه بهم — لما ارتكبوه من ركوب الكبائر
فلا نحن أظهرنا من الذنب توبة — ولا نحن أصلحنا فساد السرائر
ولم نستمع من واعظ و مذكر — فينجع فيا وعظ ناهٍ وآمر
فلا فاجر للبَرّ يحفظ حرمة — ولا يستطيع البَرّ دفعاً لفاجر
تراهم كأمثال الذئاب رأت دماً — فأمَّته لا تلوي على زجر زاجر
وأصبح فسّاق القبائل بينهم — تشدّ على أقرانها بالخناجر
فنبكي لقتلى من صديق ومن أخ — كريم ومن جار شفيق مجاور
ووالدة تبكي بحزن على ابنها — فيبكي لها من رحمةٍ كلّ طائر
وذات حليل أصبحت وهي أيِّم — وتبكي عليه بالدموع البوادر
وإبراز ربّات الخدور حواسراً — خرجنّ بلا خمر ولا بمآزر
تراها حيارى ليس تعرف مذهباً — نوافر أمثال الظباء النوافر
وآبت لاحراق وهدم منازل — وقتل وانهاب اللّهى والذخائر
كأن لم تكن بغداد أحسن منظراً — وملهى رأته عين لاهٍ وناظر
بلى هكذا كانت فأذهب حسنها — وبدّد منها الشمل حكم المقادر
وحلّ بهم ما حلّ بالناس قبلهم — فأضحوا أحاديثاً لبادٍ وحاضر

-إلى أن قال -ولم تزل الحرب بين الفريقين أربعة عشر شهراً، وضاقت بغداد بأهلها، وتعطّلت المساجد، وتركت الصلاة، ونزل بها ما لم ينزل قط مذ بناها المنصور -إلى أن قال -:

ولمّا ضاق بالأمين الأمر أمر قائداً من قوّاده يقال له ذريح -وقرن معه آخر يعرف بالهرش -أن يتبع أصحاب الأموال والذخائر من أهل الملّة، وغيرهم فكانا يهجمان على الناس ويأخذان بالظنة، فهرب الناس بعلّة الحجّ.

فقال علي الأعمى:

أظهروا الحجّ وما يبغونه ... بل من الهرش يريدون الهرب

كم أُناس أصبحوا في غبطة ... ركض اللّيل عليهم بالعطب

ـ إلى أن قال ـ وثارت العراة ذات يوم في نحو مئة ألف بالرماح والقصب والطرادات القراطيس على رؤوسها، ونفخوا في القصب وقرون البقر، وزحفوا من مواضع كثيرة. فبعث إليهم طاهر بعدّة قوّاد، وامراء من وجوه كثيرة، واشتد الجلاد، وكثر القتل، وكانت للعراة على المأمونية إلى الظهر ـ وكان يوم الاثنين ـ ثمّ ثارت المأمونية على العراة من أصحاب الأمين. ففرّق منهم وقتل وأحرق نحو عشرة آلاف. ففي ذلك يقول الأعمى:

بالأمير طاهر بن الحسين ... صبّحونا صبيحة الاثنين

جمعوا جمعهم فثار إليهم ... كلّ صلب القناة والساعدين

يا قتيل العراة ملقى على الشـ ... ـط تطأه الخيول في الجانبين

ما الّذي كان في يديك إذا ما أصـ ... ـطلح الناس آية الخلّتين

أوزير أم قائد بل بعيد ... أنت من ذين موضع الفرقدين

كم بصير غداً بعينين كي ينـ ... ـظر ما حالهم فراح بعين

واشتدّ الأمر بالأمين فباع ما في خزائنه سرّاً، وفرّق ذلك أرزاقاً في من معه ولم يبق عنده ما يعطيهم. فقال: وددت أن الله قتل الفريقين أمّا هؤلاء فيريدون مالي، وأما أُولئك فيريدون نفسي...[1].

«يختلون» أي: يخدعون.

«بعقد» بالضم جمع عقدة.

«الأيمان» بالفتح جمع اليمين أي: القسم.

---

(١) مروج الذهب ٢: ٤٠٠ ـ ٤٠٩، والنقل بتصرف.

«وبغرور الإيمان» بالكسر مصدر آمن.

«فلا تكونوا أنصاب» جمع النصب بفتحتين، والنصب بضمتين أي: ما نصب فعبد من دون الله.

وفي (الأساس) الأنصاب: حجارة تنصب تصبّ عليها دماء الذبائح، وتعبد[١].

«الفتن» جمع الفتنة.

«وأعلام» جمع العلم بالتحريك، وفي الصحاح العلم العلامة، والجبل والراية[٢].

«البدع» جمع البدعة أي: ادخال ما ليس من الدين في الدين.

«والزموا ما عقد عليه حبل الجماعة» قال تعالى ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا﴾[٣].

«وبنيت» عطف على «عقد».

«عليه أركان الطاعة» ﴿يا أيّها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾[٤].

«وأقدَموا على الله مظلومين، ولا تقدَموا عليه ظالمين» فالمظلوم لا لوم عليه، والظالم لا نجاة له ﴿الّذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أُولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾[٥] ﴿ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربّهم يرجع بعضهم

---

(١) أساس البلاغة: ٤٥٨، مادة (نصب).

(٢) صحاح اللغة ٥: ١٩٩٠، مادة (علم).

(٣) آل عمران: ١٠٣.

(٤) النساء: ٥٩.

(٥) الانعام: ٨٢.

إلى بعض القول يقول الّذين استضعفوا للّذين استكبروا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين * وقال الّذين استضعفوا للّذين استكبروا بل مكر الليل والنهار﴾[١] ﴿ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون﴾[٢] ﴿ولا تحسبنّ الله غافلاً عمّا يعمل الظالمون إنّما يؤخّرهم ليوم تشخص فيه الأبصار مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء﴾[٣] ﴿إنّ ربّك لبالمرصاد﴾[٤].

ونظير كلامه عليه السلام هذا مع كلامه الآخر كما روي «إختر أن تكون مغلوباً وأنت منصف، ولا تختر أن تكون غالباً وأنت ظالم»[٥].

«**واتّقوا مدارج**» أي: مسالك. قال الشاعر في وصف سيف:

ترى أثره في صفحتيه كأنّه ... مدارج شبثان لهن هميم[٦]

أي مسالك أحناش ذوات أرجل كثيرة لهنّ دبيب.

«**الشيطان ومهابط العدوان**» قال تعالى: ﴿يا أيّها الّذين آمنوا ادخلوا في السلم كافّة ولا تتّبعوا خطوات الشيطان إنّه لكم عدوّ مبين﴾[٧] ﴿يا أيّها الذين آمنوا لا تتّبعوا خطوات الشيطان ومن يتّبع خطوات الشيطان فإنّه يأمر بالفحشاء والمنكر﴾[٨].

---

(١) سبأ: ٣١ ـ ٣٣.

(٢) الانعام: ٩٣.

(٣) ابراهيم: ٤٢ ـ ٤٣.

(٤) الفجر: ١٤.

(٥) رواه ابن أبي الحديد في زوائد البلاغة: ٥٢٣ ح ٢٧.

(٦) أورده لسان العرب ٢: ٢٦٨، مادة (درج).

(٧) البقرة: ٢٠٨.

(٨) النور: ٢١.

«ولا تدخلوا بطونكم لعق» في (الصحاح): اللعقة اسم ما تأخذه الملعقة، واللعق اللحس باللسان(١).

«الحرام» قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «أكثر ما تلج به أُمّتي النار الأجوفان البطن والفرج. وقال رجل للباقر عليه السلام: إني ضعيف العمل. قليل الصيام، ولكنّي أرجو ألا آكل إلاّ حلالاً. فقال عليه السلام: أيُّ الاجتهاد أفضل من عفة بطن وفرج(٢).

«فإنّكم بعين من حرّم عليكم المعصية» ﴿يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور﴾(٣).

وفي (الكافي): عن الصادق عليه السلام من همّ بسيّئة فلا يعملها فإنّه ربما عمل العبد السيّئة. فيراه الربّ فيقول: وعزّتي لا أغفر لك بعد ذلك أبداً، وعن الكاظم عليه السلام إنّ لله تعالى في كلّ يوم وليلة منادياً ينادي: مهلاً مهلاً عباد الله عن معاصي الله. فلولا بهائم رتّع، وصبية رضّع، وشيوخ ركّع لصبّ عليكم العذاب صبّاً ترضّون به رضّاً.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام لا تبدين عن واضحة، وقد عملت الأعمال الفاضحة ولا تأمنن البيات، وقد عملت السيّئات.

وعن الرضا عليه السلام: أوحى الله تعالى إلى نبيّ من الأنبياء إذا أُطعت رضيتُ، وإذا رضيتُ باركتُ، وليس لبركتي نهاية، وإذا عُصِيتُ غَضِبتُ، وإذا غضبت لعنت، ولعنتي تبلغ السابع من الورى.

وعن الكاظم عليه السلام: كلّما أحدث العباد من الذنوب ما لم يكونوا يعملون؛ أحدث الله لهم من البلاء ما لم يكونوا يعرفون.

---

(١) صحاح اللغة ٤: ١٥٥٠، مادة (لعق)، والنقل بالمعنى.

(٢) رواهما الكليني في الكافي ٢: ٧٩ح ٤ و ٥.

(٣) غافر: ١٩.

وعن الصادق عليه السلام: يقول تعالى: إذا عصاني من عرفني سلّطت عليه من لا يعرفني.

وعنه عليه السلام: تعوّذوا بالله من سطوات الله بالليل والنهار. قيل له: وما سطوات الله؟ قال: الأخذ على المعاصي.

وعن الباقر عليه السلام: إتّقوا المحقَّرات من الذنوب. فإنّ لها طالباً، يقول أحدكم أُذنبُ وأستغفر. إن الله تعالى يقول: ﴿ونكتب ما قدّموا وآثارهم وكلّ شيءٍ أحصيناه في إمامٍ مبين﴾[1] وقال تعالى: ﴿إن تك مثقال حبّة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله إنّ الله لطيف خبير﴾[2][3].

٣٠
من الخطبة (١٠٦)

مِنْهَا:

طَبِيبٌ دَوَّارٌ بِطِبِّهِ قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ، وَأَحْمى مَوَاسِمَهُ. يَضَعُ ذٰلِكَ حَيْثُ ٱلْحَاجَةُ إِلَيْهِ مِنْ قُلُوبٍ عُمْيٍ، وَآذَانٍ صُمٍّ، وَأَلْسِنَةٍ بُكْمٍ. مُتَّبِعٌ بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ ٱلْغَفْلَةِ وَمَوَاطِنَ ٱلْحَيْرَةِ. لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِأَضْوَاءِ ٱلْحِكْمَةِ، وَلَمْ يَقْدَحُوا بِزِنَادِ ٱلْعُلُومِ ٱلثَّاقِبَةِ. فَهُمْ فِي ذٰلِكَ كَالْأَنْعَامِ ٱلسَّائِمَةِ، وَٱلصُّخُورِ ٱلْقَاسِيَةِ. قَدِ ٱنْجَابَتِ ٱلسَّرَائِرُ لِأَهْلِ ٱلْبَصَائِرِ. وَوَضَحَتْ مَحَجَّةُ ٱلْحَقِّ لِخَابِطِهَا، وَأَسْفَرَتِ ٱلسَّاعَةُ عَنْ وَجْهِهَا، وَظَهَرَتِ ٱلْعَلَامَةُ لِمُتَوَسِّمِهَا. مَالِي أَرَاكُمْ أَشْبَاحاً بِلاَ أَرْوَاحٍ، وَأَرْوَاحاً بِلاَ أَشْبَاحٍ، وَنُسَّاكاً بِلاَ صَلاَحٍ،

---

(١) يس: ١٢.

(٢) هذه الأحاديث في الكافي ٢: ٢٦٩ ـ ٢٧٦ ح ٦ و ١٠ و ١٧ و ٢١ و ٢٦ و ٢٩ و ٣٠ و ٣١، والحديث الخامس الذي رواه الشارح عن الكاظم عليه السلام روي في المصدر عن الرضا عليه السلام. والآية ١٦ من سورة لقمان.

(٣) أسقط الشارح شرح فقرة «وسهل لكم سبيل الطاعة».

وَتُجَّاراً بِلاَ أَرْبَاحٍ. وَأَيْقَاظاً نُوَّماً، وَشُهُوداً غُيَّباً، وَنَاظِرَةً عَمْيَاء، وَسَامِعَةً صَمَّاءَ، وَنَاطِقَةً بَكْمَاء. رَأَيْتُ ضَلاَلَةً قَدْ قَامَتْ عَلَى قُطْبِهَا، وَتَفَرَّقَتْ بِشُعَبِهَا، تَكِيلُكُمْ بِصَاعِهَا، وَتَخْبِطُكُمْ بِبَاعِهَا. قَائِدُهَا خَارِجٌ مِنَ ٱلْمِلَّةِ، قَائِمٌ عَلَى ٱلضِّلَّةِ. فَلاَ يَبْقَى يَوْمَئِذٍ مِنْكُمْ إلاَّ ثُفَالَةٌ كَثُفَالَةِ ٱلْقِدْرِ، أَوْ نُفَاضَةٌ كَنُفَاضَةِ ٱلْعِكْمِ. تَعْرُكُكُمْ عَرْكَ ٱلْأَدِيمِ، وَتَدُوسُكُمْ دَوْسَ ٱلْحَصِيدِ، وَتَسْتَخْلِصُ ٱلْمُؤْمِنَ مِنْ بَيْنِكُمُ ٱسْتِخْلاَصَ ٱلطَّيْرِ ٱلْحَبَّةَ ٱلْبَطِينَةَ مِنْ بَيْنِ هَزِيلِ ٱلْحَبِّ. أَيْنَ تَذْهَبُ بِكُمُ ٱلْمَذَاهِبُ، وَتَتِيهُ بِكُمُ ٱلْغَيَاهِبُ، وَتَخْدَعُكُمُ ٱلْكَوَاذِبُ. وَمِنْ أَيْنَ تُؤْتَوْنَ، وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ. فَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ، وَلِكُلِّ غَيْبَةٍ إِيَابٌ. فَاسْتَمِعُوا مِنْ رَبَّانِيِّكُمْ، وَأَحْضِرُوا قُلُوبَكُمْ، وَٱسْتَيْقِظُوا إِنْ هَتَفَ بِكُمْ. وَلْيَصْدُقْ رَائِدٌ أَهْلَهُ، وَلْيَجْمَعْ شَمْلَهُ، وَلْيُحْضِرْ ذِهْنَهُ. فَلَقَدْ فَلَقَ لَكُمُ ٱلْأَمْرَ فَلْقَ ٱلْخَرَزَةِ، وَقَرَفَهُ قَرْفَ ٱلصَّمْغَةِ. فَعِنْدَ ذلِكَ أَخَذَ ٱلْبَاطِلُ مَآخِذَهُ، وَرَكِبَ ٱلْجَهْلُ مَرَاكِبَهُ، وَعَظُمَتِ ٱلطَّاغِيَةُ، وَقَلَّتِ ٱلدَّاعِيَةُ. وَصَالَ ٱلدَّهْرُ صِيَالَ ٱلسَّبُعِ ٱلْعَقُورِ. وَهَدَرَ فَنِيقُ ٱلْبَاطِلِ بَعْدَ كُظُومٍ. وَتَوَاخَى ٱلنَّاسُ عَلَى ٱلْفُجُورِ. وَتَهَاجَرُوا عَلَى ٱلدِّينِ. وَتَحابُّوا عَلَى ٱلْكَذِبِ. وَتَبَاغَضُوا عَلَى ٱلصِّدْقِ. فَإِذَا كَانَ ذلِكَ كَانَ ٱلْوَلَدُ غَيْظاً. وَٱلْمَطَرُ قَيْظاً، وَتَفِيضُ ٱللِّئَامُ فَيْضاً، وَتَغِيضُ ٱلْكِرَامُ غَيْضاً. وَكَانَ أَهْلُ ذلِكَ ٱلزَّمَانِ ذِئَاباً، وَسَلاَطِينُهُ سِبَاعاً، وَأَوْسَاطُهُ أُكَّالاً، وَفُقَرَاؤُهُ أَمْوَاتاً، وَغَارَ ٱلصِّدْقُ، وَفَاضَ ٱلْكَذِبُ. وَٱسْتُعْمِلَتِ ٱلْمَوَدَّةُ بِاللِّسَانِ وَتَشَاجَرَ ٱلنَّاسُ بِالْقُلُوبِ. وَصَارَ ٱلْفُسُوقُ نَسَباً، وَٱلْعَفَافُ عَجَباً. وَلُبِسَ ٱلإِسْلاَمُ لُبْسَ ٱلْفَرْوِ مَقْلُوباً.

قول المصنّف: «ومنها» هكذا في (المصرية)، والصواب: (منها) وإن

كانت قبلها أُخرى كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[١].

«طبيب دوّار بطبّه» في (الجمهرة): رجل طبّ بالشيء حذق به، ومنه اشتقاق الطبيب، ومن أمثالهم «من حبّ طبّ» أي: تأتّى لأُموره، وتلطّف لها[٢].

وكان عليه السلام كطبيب دوّار لعلاج أمراض الأرواح. فكان يعظ من شهده شفاهاً، ومن غاب عنه كتاباً، وكان عليه السلام يعظ الناس عموماً وخصوصاً ليلاً ونهاراً.

ومن مواعظه العامة نهاراً أنّه عليه السلام كان كلّ بكرة يطوف في أسواق الكوفة سوقاً سوقاً، ومعه الدرّة على عاتقه ـ وكان لها طرفان، وكان تسمّى السبية ـ فيقف على سوق فينادي: يا معشر التّجار! قدّموا الإستخارة، وتبرّكوا بالسهولة، واقتربوا من المبتاعين، وتزيّنوا بالحلم، وتناهوا عن اليمين، وجانبوا الكذب، وتجافوا عن الظلم، وأنصفوا المظلومين، ولا تقربوا الربا ﴿وأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم، ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾[٣] ثمّ يقول:

تفنى اللذاذة ممّن نال صفوتها ... من الحرام ويبقى الإثم والعار

تبقى عواقب سوءٍ في مغبّتها ... لا خير في لذّة من بعدها النار[٤]

ومن مواعظه الليلية عموماً أنّه عليه السلام كان بعد العشاء لمّا كان بالكوفة يقبل بوجهه على الناس في المسجد، ويذكّرهم بهذه الكلمات ثلاث مرّات: تجهّزوا رحمكم الله فقد نودي فيكم بالرحيل. فما التعرُّج على الدنيا بعد نداء

---

(١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٢٣. لكن لفظ شرح ابن ميثم ٣: ٤٠ مثل المصرية.

(٢) جمهرة اللغة ١: ٣٤.

(٣) هود: ٨٥.

(٤) رواه الصدوق في أماليه: ٤٠٢ ح ٦، المجلس ٧٥، والمفيد في أماليه: ١٩٧، ح ٣١، المجلس ٢٣، والكليني في الكافي ٥: ١٥١ ح ٣.

فيها بالرحيل. تجهّزوا رحمكم الله، وانتقلوا بأفضل ما بحضرتكم من الزاد وهو التقوى، واعلموا أنّ طريقكم إلى المعاد، وممرّكم على الصراط، والهول الأعظم أمامكم، في طريقكم عقبة كؤودة، ومنازل مخوفة مهولة لابدّ لكم من الممرّ عليها والوقوف بها. فإمّا برحمة من الله ونجاة من هولها، وعظم خطرها، وفظاعة منظرها، وشدّة مختبرها، وإمّا بهلكة ليس بعدها انجبار[1].

وفي الخبر: كان عليه السلام يمشي في الأسواق وحده وهو دالٌّ يرشد الضال، ويعين الضعيف (ويمسك الشسوع بيده. فيناول الرجل الشسع) ويمرّ بالبيّاع والبقّال. فيفتح عليه القرآن، ويقرأ: ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوّاً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾[2].

«قد أحكم» والأصل فيه حكمة اللجام الّتي تحيط بالحنك تقول منه «حكمت الدابة وأحكمتها».

«مراهمه» جمع المرهم، ما يوضع على الجراحة. قال في (الصحاح): المرهم معرّب، ولكن في (الجمهرة) الرهمة، والجمع رهام: الدفعة اللينة من المطر، ومنه اشتقاق المرهم للينه[3].

«وأحمى» من قولهم أحميت الحديد في النار.

«مواسمه» جمع الميسم ما يحمى به، وفي (الصحاح): أصل الياء واو. فإن شئت قلت في جمعه مياسم على اللفظ، وإن شئت قلت مواسم على الأصل[4].

روي أنَّ حبابة الوالبية قالت: رأيت أمير المؤمنين عليه السلام في شرطة

---

(١) رواه الصدوق في أماليه: ٤٠٢ ح ٧، المجلس ٧٥، والمفيد في أماليه: ١٩٨ ح ٣٢، المجلس ٢٣.

(٢) رواه الطبرسي في مجمع البيان ٧: ٢٦٨. والآية ٨٣ من سورة القصص.

(٣) صحاح اللغة ٥: ١٩٣٩، مادة (رهم)، وجمهرة اللغة ٢: ٤١٧.

(٤) صحاح اللغة ٥: ٢٠٥١، مادة (وسم).

الخميس ومعه درّة لها سبابتان يضرب بها بيّاع الجرّي والمارماهي، والزّمار، ويقول لهم: يا بيّاع مسوخ بني اسرائيل، وجند بني مروان، فقام إليه فرات بن أحنف. فقال: يا أمير المؤمنين وما جند بني مروان؟ فقال له أقوام حلقوا اللّحى، وفتلوا الشوارب[1].

«يضع ذلك حيث الحاجة إليه» قال ابن أبي الحديد: يقال: رؤي المسيح خارجاً من بيت مومسة. فقيل له: يا سيدنا! أمثلك يكون هاهنا؟ فقال: إنّما يأتي الطبيب المرضى[2].

هذا، وفي (شعراء القتيبي): رأى دريد بن الصّمّة الخنساء تهنأ الابل. فقال فيها أبياتاً منها:

ما إن رأيت ولا سمعت به — كاليوم هاني أنيق جرب
متبذلاً تبدو محاسنه — يضع الهناء مواضع النقب[3]

«من قلوب عُمي، وآذان صُمٍّ، وألسنة بُكم» حيث إنّه عليه السلام الهادي، وفي تفسير الثعلبي لمّا نزل ﴿إنّما أنت منذر ولكلّ قوم هاد﴾[4] وضع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يده على صدره، وقال: «أنا المنذر ـ وأومأ بيده إلى منكب عليّ عليه السلام ـ وقال: وأنت الهادي يا علي بك يهتدي المهتدون بعدي» وفي (مناقب السروي) صنّف ابن عقده كتاباً في نزول الآية فيه عليه السلام[5].

«متّبع» كذا في (المصرية)، والصواب: (متتبع) كما في (ابن أبي الحديد

---

(١) رواه الكليني في الكافي ١: ٣٤٦ ح ٣، والصدوق في كمال الدين ٢: ٥٣٦، ح ١.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٢٣.

(٣) الشعر والشعراء: ١٢٢.

(٤) الرعد: ٧.

(٥) مناقب السروي ٣: ٨٣ و ٨٤.

وابن ميثم والخطية)[١].

«بدوائه مواضع الغفلة، ومواطن الحيرة» قال الخوئي: روى بعض القدماء في أصل له عن عمّار قال: بينا أنا أمشي بأرض الكوفة إذ رأيت أمير المؤمنينعليه السلام جالساً، وعنده جماعة من الناس، وهو يصف لكلّ إنسان ما يصلح له. فقلت له: يا أمير المؤمنين! أيوجد عندك دواء الذنوب. فقال: نعم إجلس فجثوت على ركبتيّ حتّى تفرّق عنه الناس. ثمّ أقبل عليّ وقال: خذ دواءً أقول لك. قلت: قل يا أمير المؤمنين قال: عليك بورق الفقر، وعروق الصبر، وهليلج الكتمان، وبليلج الرضا، وغاريقون الفكر، وسقمونيا الأحزان، وأشربه بماء الأجفان، واغله في طبخير القلق، وضعه تحت ميزاب الفرق، وصفّه بمنخل الأرق، واشربه على الحرق. فذاك دواؤك، وشفاؤك يا عليل[٢].

«لم يستضيئوا بأضواء الحكمة» كأنّ في هذا لكلام إلى قوله: «والصخور القاسية» سقطاً حيث إنّ سياقه مخالف لسابقه.

«ولم يقدحوا» من قدحت النار.

«بزناد» بالكسر جمع الزند؛ العود الّذي تقدح به النار.

«العلوم الثاقبة» أي: المضيئة.

«فهم في ذلك كالأنعام السائمة» أي: المرسلة، والراعية.

«والصخور» أي: الحجارة العظام.

«القاسية» أي: الصلبة.

«قد انجابت» أي: انكشفت.

«السرائر لأهل البصائر» الظاهر أنّ المراد بقولهعليه السلام قد انجابت السرائر

---

(١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٢٣، لكن في شرح ابن ميثم ٣: ٤٠ مثل المصرية.

(٢) شرح الخوئي ٣: ٢١٢.

لأهل البصائر؛ إنكشاف سرائر المتقدّمين عليه لأهل المعرفة، ومن كان ذا بصيرة.

روى الثقفي عن المسعودي، عن محمّد بن كثير، عن يحيى بن حمّاد القطّان عن أبي محمّد الحضرمي، عن أبي علي الهمداني؛ أنّ عبد الرحمن بن أبي ليلى قام إلى عليّ عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين! إنّي سائلك لآخذ عنك، وقد انتظرنا أن تقول من أمرك شيئاً فلم تقله، ألا تحدّثنا عن أمرك هذا أكان بعهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو شيء رأيته؟ فإنّا قد أكثرنا فيك الأقاويل، وأوثقه عندنا ما قبلناه عنك وسمعناه من فيك. إنّا كنّا نقول: لو رجعت إليكم بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لم ينازعكم فيها أحد، والله ما أدري إذا سئلت ما أقول. أزعم أنّ القوم كانوا أولى بما كانوا فيه منك؟

فإنّ قلت ذلك فعلام نصبك النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بعد حجّة الوداع فقال: «أيّها الناس من كنت مولاه فعليٌّ مولاه» وإن تك أولى منهم بما كانوا فيه فعلام نتولّاهم؟

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا عبد الرحمن إنّ الله تعالى قبض نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم وأنا يوم قبضه أولى بالناس منّي بقميصي هذا، وقد كان من نبيّ الله إليّ عهد لو خزمتموني بأنفي لأقررت ـ إلى أن قال ـ:

فقال عبد الرحمن: يا أمير المؤمنين فأنت لعمرك كما قال الأوّل:

لعمري لقد أيقظت من كان نائماً وأسمعت من كانت له أُذنان[١]

«ووضحت محجّة الحق» في (الصحاح): المحجّة: جادّة الطريق[٢].

«لخابطها» أي: خابط المحجّة من قولهم خبط عشواء أي: ناقة في

---

(١) رواه عنه المفيد في أماليه: ٢٢٣ ح ٢، المجلس ٢٦.

(٢) صحاح اللغة ١: ٣٠٤، مادة (حجج).

بصرها ضعف تضرب بيدها الأرض لا تتوقى شيئاً. ومن قولهم «ما أدري أيّ خابط ليل هو» يعني: أيّ الناس هو.

«**وأسفرت**» أي: كشفت.

«**الساعة**» أي: القيامة.

«**عن وجهها، وظهرت العلامة لمتوسّمها**» أي: متفرّسها. يقال: توسمت فيه الخير أي: تفرّسته.

«**مالي أراكم أشباحاً**» أي: أجساداً.

«**بلا أرواح، وأرواحاً بلا اشباح**» أي: أشخاص وأجسام.

«**ونسّاكاً**» أي: عبّاداً.

«**بلا صلاح وتجّاراً بلا أرباح**» حيث يحبطون عباداتهم.

ففي (ثواب الأعمال) عن حذيفة: لا يزال «لا إله إلا الله» تردّ غضب الربّ تعالى عن العباد ما كانوا لا يبالون ما انتقص من دنياهم إذا سلم دينهم، فإذا كانوا لا يبالون ما انتقص من دينهم إذا سلمت دنياهم ثمّ قالوها ردّت عليهم، وقيل: كذبتم ولستم بها صادقين.

وعن زيد بن أرقم قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: من قال لا إله إلّا الله مخلصاً دخل الجنّة.

وإخلاصه بها أن تحجزه لا إله إلّا الله عمّا حرّم الله.

وعن اسحق بن راهويه قال: لمّا وافى أبو الحسن الرضا عليه السلام نيسابور وأراد أن يرحل منها إلى المأمون، إجتمع إليه أصحاب الحديث فقالوا له: يا ابن رسول الله ترحل عنا، ولا تحدّثنا بحديث نستفيده منك ـ وقد كان قعد في العمارية ـ فأطلع رأسه، وقال: سمعت أبي عن آبائه عليهم السلام ـ واحداً بعد واحد ـ عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عن جبرئيل عليه السلام عن الله تعالى «لا إله إلّا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي» ـ فلمّا مرّت الراحلة

نادى: بشروطها، وأنا من شروطها[١].

وعن أبي الجارود عن الباقر عليه السلام قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: من قال سبحان الله غرس الله له بها شجرة في الجنّة، ومن قال الحمد لله غرس الله له بها شجرة في الجنّة، ومن قال لا إله إلّا الله غرس الله له بها شجرة في الجنّة ومن قال الله أكبر غرس الله له بها شجرة في الجنّة. فقال رجل من قريش: يا رسول الله إن شجرنا في الجنّة لكثير. قال: نعم، ولكن إيّاكم أن ترسلوا عليها نيراناً فتحرقوها، وذلك أنّ الله ـ عزّوجلّ ـ يقول ﴿يا أيّها الذين آمنوا اطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم﴾[٢].

«**وأيقاظاً نوّماً**» قال الفرزدق:

يستيقظون إلى نهاق حميرهم وتنام أعينهم عن الأوتار

«**وشهوداً غيّباً**» يقال لصلاة المغرب صلاة الشاهد لأنّها يصلّيها الغائب كما يصليها الشاهد.

«**وناظرة عمياء**» غيّر عليه السلام خطابه من الجمع في قوله «أشباحاً» إلى قوله «وشهوداً» إلى صيغة المفرد المؤنث بإرادة الطائفة تفنّناً.

«**وسامعة صمّاء**» فمن سمع، ولم يجب يكن كالأصم.

«**وناطقة بكماء**» أي: خرساء، والأصل في قوله عليه السلام «وناظرة عمياء وسامعة صمّاء وناطقة بكماء» قوله تعالى ﴿صمّ بكم عميٌ فهم لا يرجعون﴾[٣] ﴿صم بكمٌ عميٌ فهم لا يعقلون﴾[٤].

«**رأيت ضلالة**» هكذا في (المصرية) بلفظ الفعل والفاعل والمفعول،

---

(١) ثواب الأعمال: ٢٠ ـ ٢١ ح ٣ و ٤ و ١.

(٢) ثواب الأعمال: ٢٦ ح ٣. والآية ٣٣ من سورة محمّد.

(٣) البقرة: ١٨.

(٤) البقرة: ١٧١.

والصواب: «راية ضلالة» بلفظ مضاف، ومضاف إليه كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية)[١].

قال ابن أبي الحديد: قوله عليه السلام «راية ضلالة» ـ إلخ ـ كلام منقطع عمّا قبله، لأنّ الرضي رضي الله عنه كان يلتقط الفصول الّتي في الطبقة العلياء في الفصاحة من كلامه عليه السلام فيذكرها، ويتخطّى ما قبلها، وما بعدها، وهو عليه السلام يذكر هاهنا ما يحدث في آخر الزمان من الفتن كظهور السفياني وغيره[٢].

قلت: الرضي رضي الله عنه وان كان ينتخب من كلامه عليه السلام إلّا أنّ الانتخاب بدون التنبيه خارج عن القاعدة، وكيف وقد نبّه في هذه الخطبة مرّتين على الالتقاط. فقال أوّلاً بعد ذكر كلامه عليه السلام في التوحيد «منها في ذكر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ...، وثانياً «منها؛ طبيب دوّار بطبه»...[٣]، والصواب أن يقال: إنّ الخطبة لمّا كانت في الملاحم كما صرّح به في أوّل كلامه، وكتب الملاحم لا تخلو من التصحيف غالباً، نقل ما وجد فيها، وإلّا فالقطع ليس مختصاً به ظاهراً. فقد عرفت استظهار قطع قوله «لم يستضيئوا» إلى قوله «القاسية» وكذلك قوله «قد انجابت» إلى قوله «لمتوسمها» وكذلك قوله «مالي» إلى قوله «بكماء».

وكيف كان فما ذكره من كلامه عليه السلام إشارة إلى فتن آخر الزمان من السفياني وغيره غير بعيد. فروى النعماني عن أبي حمزة الثمالي قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: خروج السفياني من المحتوم؟ قال: نعم، والنداء من المحتوم وطلوع الشمس من مغربها من المحتوم[٤].

وعن الصادق عليه السلام قال: خروج السفياني واليماني، والخراساني في

---

(١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٢٥، وفي بعض نسخ شرح ابن ميثم ٣: ٤٥.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٢٥.

(٣) نهج البلاغة ١: ٢٠٦ و ٢٠٧، الخطبة ١٠٦.

(٤) أخرجه محمد بن النعمان المفيد في الارشاد: ٣٥٨ ولم أجده في غيبة النعماني.

سنة واحدة في شهر واحد في يوم واحد، وليس في الرايات راية أهدى من اليماني لأنّه يدعو إلى صاحبكم.

وعنه عليه السلام للقائم عليه السلام خمس علامات: السفياني، واليماني، والصيحة من السماء، وقتل النفس الزكية، والخسف بالبيداء[١].

«قد قامت على قطبها» روى النعماني في علامات ظهور القائم عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: لابدّ من رحىً تطحن. فإذا قامت على قطبها، وثبتت على ساقها بعث الله عليها عبداً عسفاً، خاملاً أصله، يكون النصر معه، أصحابه الطويلة شعورهم أصحاب السبال سود ثيابهم أصحاب رايات سود. ويل لمن ناوأهم يقتلونهم هرجاً. والله لكأنّي أنظر إليهم، وإلى أفعالهم، وما يلقى الفجّار منهم، والأعراب الجفاة يسلّطهم الله عليهم بلا رحمة. فيقتلونهم هرجاً على مدينتهم بشاطئ الفرات البرية والبحرية جزاء بما عملوا ﴿وما ربّك بظلام للعبيد﴾[٢].

«وتفرّقت بشعبها» في (الصحاح): الشعب: ما تشعب من قبائل العرب، والعجم[٣].

«تكيلكم بصاعها» أي: تعمل معكم كيف شاءت، وأما قولهم «كايلناهم صاعاً بصاع» فمعناه كافأناهم.

«وتخبطكم» في (الصحاح): خبط البعير الأرض بيده خبطاً ضربها، وخبطت الشجرة خبطاً إذا ضربتها بالعصا ليسقط ورقها[٤].

---

(١) أخرجها النعماني في الغيبة: ١٧١ و ١٦٩.

(٢) غيبة النعماني: ١٧١، والآية ٤٦ من سورة فصّلت.

(٣) صحاح اللغة ١: ١٥٥، مادة (شعب).

(٤) صحاح اللغة ٣: ١١٢١، مادة (خبط).

«**بـباعها**» في (الصحاح): الباع قدر مدّ اليدين...[١]، ويقال: «ما بيعت هذه الثياب حتّى بيعت» الأوّل من البيع، والثاني من البوع أصل الباع أي: حتّى قدّرت بالباع.

«**قائدها خارج من الملّة قائم على الضِلّة**» روى النعماني عن الباقر عليه السلام انّه قال: إنّ السفياني لم يعبد الله قط، ولم يرَ مكة ولا المدينة قط، يقول: يارب ثاري والنار[٢].

وروى ابن بابويه عن الصادق عليه السلام قال: إنّك لو رأيت السفياني لرأيت أخبث الناس ـ إلى أن قال ـ:

وقد بلغ من خبثه أنّه يدفن أُمّ ولد له وهي حيّة مخافة أن تدلّ عليه[٣].

«**فلا يبقى يومئذٍ منكم إلّا ثفالة كثفالة القدر**» وهي ما استقر تحته. يقال في الماء والدواء والمرق «علا صفوه ورسب ثفله».

«**أو نفاضة كنفاضة العكم**» في (الصحاح): العكم بالكسر العدل، وهما عكمان والعكم أيضاً نمط تجعل فيه المرأة ذخيرتها، والنفاضة ما سقط عن النفض يقال: نفضت الثوب والشجر إذا حرّكته لينتفض[٤].

روى النعماني مسنداً عن الأصبغ عنه عليه السلام قال: والّذي نفسي بيده ما ترون ما تحبّون حتّى يتفل بعضكم في وجوه بعض، وحتّى يسمّى بعضكم بعضاً كذا بين، وحتّى لا يبقى منكم (على هذا الأمر) كالكحل في العين، والملح في الطعام (وهو أقلّ الزاد) وسأضرب لكم مثلاً وهو مثل رجل كان له طعام فنقّاه وطيّبه ثمّ أدخله بيتاً وتركه فيه ما شاء الله. ثمّ عاد إليه فإذا هو قد أصابه

---

(١) صحاح اللغة ٣: ١١٨٨، مادة (بوع).

(٢) غيبة النعماني: ٢٠٧.

(٣) أخرجه الصدوق في كمال الدين ٢: ٦٥١ ح ١٠.

(٤) صحاح اللغة ٥: ١٩٨٩ و ٣: ١١٠٩، مادة (عكم ونفض).

السوس. فأخرجه، ونقّاه، وطيّبه ثم أعاده الى البيت فتركه ما شاء الله ثم عاد اليه فإذا هو قد اصابته طائفة من السوس، فأخرجه ونقاه وطيبه وأعاده، ولم يزل كذلك حتّى بقيت منه رزمة كرزمة الأندر لا يضرّه السوس شيئاً، وكذلك أنتم تميّزون حتّى لا يبقى منكم إلّا عصابة لا يضرّها الفتنة شيئاً[1].

وعن الحارث الأعور عنه عليه السلام: يملك السفياني قدر حمل امرأة تسعة أشهر يخرج بالشام فينقاد له أهل الشام إلّا طوائف من المقيمين على الحقّ يعصمهم الله من الخروج معه، ويأتي المدينة بجيش جرار حتّى إذا انتهى إلى بيداء المدينة خسف الله به، وذلك قول الله عزّوجلّ في كتابه ﴿ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب﴾ [2].

«**تعرككم**» أي: تدلككم.

«**عرك الأديم**» أي: الجلد. قال زهير: «فتعرككم عرك الرحى بثفالها»[3].

«**وتدوسكم**» أي: تضغطكم بأقدامها.

«**دوس الحصيد**» يقال حصدت الزرع فهو محصود وحصيد.

«**وتستخلص المؤمن من بينكم استخلاص الحبّة البطينة من بين هزيل الحب**» هكذا في (المصرية)، وفيها سقط والأصل: «استخلاص الطير الحبة...» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[4]، ولأنّ الحبّة لا تستخلص بنفسها.

روى (الاكمال) عن محمّد بن مسلم، وأبي بصير قالا: سمعنا أبا عبدالله عليه السلام يقول: لا يكون هذا الأمر حتّى يذهب ثلثا الناس. فقيل له: إذا ذهب

---

(١) غيبة النعماني: ١٤٠.

(٢) غيبة النعماني: ٢٠٦، والآية ٥١ من سورة سبأ.

(٣) أورده لسان العرب ١٠: ٤٦٥، مادة (عرك).

(٤) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٢٥. لكن في شرح ابن ميثم ٣: ٤١ مثل المصرية أيضاً.

ثلثا الناس فما يبقى. فقال عليه السلام: أما ترضون أن تكونوا الثلث الباقي[١].

«أين تذهب بكم المذاهب» جمع المذهب أي: السيور المموّهة بالذهب.

«وتتيه بكم» أي: توقعكم في التيه والحيرة.

«الغياهب» جمع الغيهب أي: الظلمة.

«وتخدعكم الكواذب» جمع الكاذبة، وفي الأمثال «كذب العير وإن كان برح»[٢] «كذبتك الظهائر»[٣].

«ومن أين تؤتون، وأنّى» أي: كيف.

«تؤفكون» في (الصحاح): قال أبو زيد: المأفوك المأفون، وهو الضعيف العقل والرأي وقوله تعالى: ﴿يؤفك عنه من أُفك﴾[٤]. قال مجاهد: يؤفن عنه من افن...[٥].

والمراد من قوله عليه السلام: «أين تذهب بكم المذاهب...» أنّ أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والمعصومين من العترة معلومون. فكيف يوقعكم بنو العباس في الالتباس، أو أنّ مهدي أهل البيت أمره أبين من الشمس ينادىٰ باسمه من السماء فكيف تنخدعون برجال يدّعون مقامه أو أنّ ظهور المهدي حتم فكيف تيأسون منه ويمكن إرادة الجميع.

«فلكلّ أجل كتاب» قال ابن أبي الحديد: أظنّه منقطعاً عمّا قبله مثل قوله «راية ضلالة»[٦]. قلت: بل اتّصاله معلوم. فإنّه عليه السلام لمّا قال قبل: أين تذهب بكم

---

(١) كمال الدين ٢: ٦٥٥ ح ٣٩.

(٢) أورده الميداني في مجمع الأمثال ٢: ١٦٣.

(٣) هذا كلام عمر أورده الزمخشري في الأساس: ٣٨٩، مادة (كذب)، وابن الأثير في النهاية ٤: ١٥٨، مادة (كذب).

(٤) الذاريات: ٩.

(٥) صحاح اللغة ٤: ١٥٧٣، مادة (افك).

(٦) شرح ابن ابي الحديد ٢: ٢٢٥.

المذاهب في اليأس من أهل البيت عليهم السلام وقيام قائمهم عليه السلام أردفه بهذا الكلام بأنّ لكلّ أجل كتاب لابد من الانتهاء إليه.

«**ولكلّ غيبة إياب**» قال ابن أبي الحديد: استثنى عبيد بن الأبرص من العموم الموت فقال:

وكلّ ذي غيبة يؤوب | وغائب الموت لا يؤوب

وهو رأي زنادقة العرب. فأمّا أمير المؤمنين عليه السلام -وهو ثاني صاحب الشريعة الّتي جاءت بعود الموتى- فإنّه لا يستثنى، ويحمّق عبيداً في استثنائه[1].

قلت: كلام ابن أبي الحديد، كلام مختل منحلّ، فإنّ عبيداً وإن كان جاهلياً ليس في مقام إنكار البعث، بل مراده أنّ الغائبين بالسفر يرجعون في الدنيا إلى أوطانهم وأهاليهم، وأما الغائب بالموت فلا يرجع إلى أهله أبداً، وهو كلام يقوله الملحد والموحّد، وكيف وبيته من قصيدة من أحد المعلّقات السبع، وكلّها حكم فقبله:

وكلّ ذي نعمة مخلوسها | وكلّ ذي أمل مكذوب
وكلّ ذي ابل موروثها | وكلّ ذي سلب مسلوب

وبعده:

أفلح بما شئت فقد يد | رك بالضعف وقد يخضع الأريب

بل الظاهر من أبياته أنّه وإن كان جاهلياً إلّا أنّه كان موحداً. ففي القصيدة كما في شعراء ابن قتيبة:

من يسأل الناس يحرموه | وسائل الله لا يخيب
والله ليس له شريك | علّام ما أخفت القلوب[2]

---

(١) الشعر والشعراء: ٨٥.

وعود الموتى في القيامة لم يقل به الإسلام قط بل جميع الشرائع من آدم إلى الخاتم.

كما أنّ مراده عليه السلام من قوله «ولكلّ غيبة إياب» ليس البعث بل ظهور المهدي عليه السلام بعد غيبته. ففسر قوله تعالى: ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أنّ الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾[1] بظهوره عليه السلام بعد غيبته، وقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتّى يبعث فيه رجلاً من ولدي يواطئ اسمه اسمي يملأها عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً»[2].

ونقل النعماني عن ابن عقدة روايته مسنداً: أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال يوماً لحذيفة، والّذي نفس عليّ بيده لا تزال هذه الأُمّة بعد قتل الحسين ابني في ضلال وظلمة، وعسفة، وجور، واختلاف في الدين، وتبديل لما أنزل تعالى في كتابه، وإظهار البدع، وابطال السنن، واختلال وقياس مشتبهات، وترك محكمات حتّى تنسلخ من الإسلام، وتدخل في العمى والتلدد والتكسع، مالك يا بني أُميّة لا هديت يا بني أُميّة، ومالك يا بني فلان لك الاتعاس. فما في بني فلان إلّا ظالم معتد متمرّد على الله بالمعاصي، قتّال لولدي، هتّاك لستر حرمتي.

فلا تزال هذه الأُمّة جبارين يتكالبون على حرام الدنيا، منغمس في بحار الهلكات، وفي أودية الدماء حتّى إذا غاب المتغيب من ولدي عن عيون الناس وباح الناس بفقده أو بقتله أو بموته، اطلعت الفتنة، ونزلت البلية، والتحمت

---

(١) الأنبياء: ١٠٥.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ٤: ١٠٦ ح ٤٢٨٢، والترمذي في سننه ٤: ٥٠٥ ح ٢٢٣٠ و ٢٢٣١، وجمع كثير غيرهما بفرق بين الألفاظ.

العصبية، وغلا الناس في دينهم، وأجمعوا على أنّ الحجّة ذاهبة، والإمامة باطلة، وتحجّ حجيج الناس في تلك السنة من شيعة علي، وتواصيهم التمكن والتجسس عن خلق الخلف. فلا يرى له أثر، ولا يعرف له خلف. فعند ذلك سبّت شيعة علي. سبّتها أعداؤها، وغلبت عليها الأشرار والفسّاق باحتجاجها حتّى إذا بقيت الأُمّة، وتدلّهت وأكثرت في قولها أنّ الحجة هالكة، والإمامة باطلة. فوربّ عليّ أنّ حجّتها عليها قائمة، ماشية في طرقاتها. داخلة في دورها وقصورها، جوّالة في شرق هذه الأرض وغربها، تسمع الكلام، وتسلّم على الجماعة تَرى، ولا تُرى إلى وقت الوعد، ونادى المنادي من السماء ذلك يوم سرور ولد عليّ وشيعة عليّ»[١].

«**فاستمعوه من ربّانيّكم**» قال ابن أبي الحديد في وصف الحسن البصري لأمير المؤمنين عليه السلام: «كان والله ربّاني هذه الأُمّة وذا فضلها، وذا قرابتها، وذا سابقتها»[٢].

قلت: وفي وصفه له عليه السلام أيضاً: «كان عليٌّ والله سهماً صائباً من مرامي الله على عدوّه، كانت له السابقة، والفضل والعلم والحكمة، والفقه والرأي والصحبة، والنجدة، والبلاء، والزهد، والقضاء، والقرابة، إنّ عليّاً عليه السلام كان في أمره عليّاً»[٣].

«**وأحضروه قلوبكم، واستيقظوا إن هتف**» أي: صاح.

«**بكم**» روى (مناقب الكنجي الشافعي)، عن عمران بن حصين قال: بعث النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم جيشاً، واستعمل عليهم عليّاً عليه السلام. فمضى في السرية. فأصاب

---

(١) غيبة النعماني: ٩٤، والنقل بتصرف يسير.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٢٦.

(٣) هذا تأليف بين حديثين اخرج الاول ابن عبد البر في الاستيعاب ٣: ٤٧، والثاني رواه ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٣٦٩، شرح الخطبة ٥٧.

جارية فأنكروا عليه، وتعاقد أربعة من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم على أن يخبروا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم. فلمّا قدموا قام أحد الأربعة، وقال: ألم تر عليّاً صنع كذا وكذا. فأعرض عنه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ثمّ قام الثاني فقال: فأعرض عنه. ثمّ الثالث فأعرض عنه. ثمّ قام الرابع فأقبل عليهم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ـ والغضب يعرف في وجهه ـ ثمّ قال: ما تريدون من عليّ! ما تريدون من عليّ! إنّ عليّاً منّي، وأنا من عليّ، وهو وليّ كلّ مؤمن بعدي فلا تخالفوه في حكمه. ورواه أحمد بن حنبل في (فضائله)[1].

«**وليصدق رائد أهله**» هو كالمثل. ففي (الصحاح): الرائد الّذي يرسل في طلب الكلاء يقال لا يكذب الرائد أهله»[2].

«**وليجمع شمله**» الشمل يجيء لاجتماع الأمر وتفرقه. يقال فرّق الله شمله وجمع الله شمله والمراد هنا الثاني.

«**وليحضر ذهنه**» لأهمّية الأمر فمع الغفلة تحصل الهلكة.

«**فلقد فلق**» أي: شقّ.

«**لكم الأمر فلق الخرزة**» بالراء ثمّ الزاي الدرّة، وفي (الصحاح): خرزات الملك جواهر تاجه، ويقال: كان الملك إذا ملك عاماً زيدت في تاجه خرزة ليعلم عدد سنيّ ملكه قال لبيد: يذكر الحارث بن أبي شمر الغسّاني:

رعى خرزات الملك عشرين حجّة   وعشرين حتى فاد والشيب شامل

ونقله (الأساس): «ستين حجّة»[3].

«**وقرفه**» أي: قشره.

---

(١) كفاية الطالب: ٤٢، والنقل بتلخيص.

(٢) صحاح اللغة ١: ٤٧٥، مادة (رود).

(٣) صحاح اللغة ٢: ٨٧٣ و ٨٧٤، مادة (خرز)، وأساس البلاغة: ١٠٦، مادة (خرز).

«قرف الصمغة» قال الجوهري في المثل: «تركته على مثل مقرف الصمغة» وذلك إذا لم تترك له شيئاً لأنّها تقتلع من شجرتها حتّى لا تبقى عليها علقة[١].

والفاعل في قوله عليه السلام «فلق» و «وقرفه» ضمير ربّانيكم، والمراد نفسه عليه السلام. روى الكنجي الشافعي في (مناقبه) عن حذيفة قال: قالوا: يا رسول الله ألا تستخلف عليّاً؟ قال: إن تولوا عليّاً تجدوه هادياً مهدياً يسلك بكم الطريق المستقيم[٢].

«فعند ذلك أخذ الباطل مآخذه» جمع المأخذ أي: جميع ما يلزمه، ويمكنه أخذه. ثمّ الظاهر أنّه وقع قبله سقط كما عرفته في قوله: «راية ضلالة» كما لا يخفى.

«وركب الجهل مراكبه» كناية عن جمع أسباب الجهل.

«وعظمت الطاغية» أي: طغيان الباغين، وفي الأساس «هو طاغية جبّار عنيد»[٣].

«وقلّت الداعية» أي: من يدعو إلى الحقّ، وفي (الأساس): «دع داعي اللبن وداعية اللبن مايترك في الضرع ليدعو ما بعده، والداعية تدعو المادة»[٤].

«وصال الدهر» أي: حمل في الحرب.

«صيال السبع العقور» من عقره أي: جرحه. قيل يقال للخمر العقار بالضم لأنّها تعقر العقل أي: تجرحه.

«وهدر» من هدر البعير أي: ردّد صوته في حنجرته.

---

(١) صحاح اللغة ٤: ١٣٢٣، مادة (صمغ).

(٢) كفاية الطالب: ٦٧.

(٣) أساس البلاغة: ٢٨١، مادة (طغى).

(٤) أساس البلاغة: ١٣١، مادة (دعو).

«**فنيق الباطل**» أي: فحله. قال ابن دريد: «الفنيق الفحل من الإبل» قال الشاعر الأعشى: «بزيافة كالفنيق القطم...»[١] وقول الجوهري: الفنيق الفحل المكرم[٢] بلا وجه.

«**بعد كظوم**» من كظم البعير كظوماً إذا أمسكه عن الجرّة.

«**وتواخى الناس**» أي: صاروا إخواناً.

«**على الفجور**» والفسوق.

«**وتهاجروا على الدين**» أي: تقاطعوا عليه، وقد أمروا فيهما بالعكس.

«**وتحابّوا**» أي: أحبّ كلّ واحد منهم صاحبه.

«**على الكذب، وتباغضوا**» أي: أبغض كلّ منهم صاحبه.

«**على الصدق**» وقد أُمروا بالضدّ فيهما.

«**فإذا كان ذلك، كان الولد غيظاً**» لأبويه، وكان الحقّ أن يكون قرّة عين لهما.

«**والمطر قيظاً**» أي: في عين الصيف، وشدّة حرارته. فلا يكون مثمراً بل مضراً.

«**وتفيض اللئام فيضاً**» أي: كثروا بلا حصر من فاض الماء فيضاً أي: كثر حتّى سال على ضفة الوادي.

«**وتغيض الكرام غيضاً**» أي: قلّوا حتّى لا يوجدوا، من غاض الماء غيضاً: قلّ ونضب.

وفي (كامل المبرد): قال محمّد بن منتشر الهمداني، دفع إليّ الحجّاج رجلاً ذمّيّاً وأمرني بالتشديد عليه، والإستخراج منه. فلمّا انطلقت به قال: إنّ لك لشرفاً وديناً، وإنّي لا أعطي على القسر شيئاً فارفق بي. ففعلت فأدّى إليّ في

---

(١) جمهرة اللغة ٣: ١٥٥ .

(٢) صحاح اللغة ٤: ١٥٤٥، مادة فنق.

اسبوع خمسمئة ألف. فبلغ ذلك الحجّاج. فأغضبه فانتزعه من يدي، ودفعه إلى الّذي كان يتولّى لهم العذاب. فدقّ يديه ورجليه، ولم يعطه شيئاً، وإنّي لسائر يوماً في السوق إذ صاح بي يا محمّد. فالتفتُّ فإذا أنا به معترضاً على حمار مدقوق اليدين، والرجلين. فخفت الحجّاج أن آتيه فملت إليه. فقال: إنّك وليت منّي ما ولي هؤلاء. فرفقت بي، وأحسنت إليّ، وإنّهم صنعوا بي ما ترى ولي خمسمئة ألف عند فلان فخذها مكافأة لما أحسنت إليَّ فقلت: ما كنت لآخذ على معروفي أجراً، ولا لأرزئك على هذه الحالة شيئاً. قال: فأمّا إذ أبيت فاسمع منّي حديثاً حدّثني به بعض أهل دينك عن نبيّكم أنّه قال: «إذا رضي الله عن قوم أنزل عليهم المطر في وقته، وجعل المال في سمحائهم، واستعمل عليهم خيارهم، وإذا سخط على قوم أنزل عليهم المطر في غير وقته، وجعل المال في بخلائهم واستعمل عليهم أشرارهم. فصرت إلى الحجّاج فألفيته جالساً على فراشه، والسيف مصلت بيده. فقال: أُدن فدنوت شيئاً. ثمّ قال: أدن فدنوت شيئاً، ثمّ قال في الثالثة: أُدن لا أباً لك. فقلت: مالي إلى الدنو من حاجة، وفي يدي الأمير ما أرى، فضحك وأغمد سيفه، وقال: إجلس. ما كان من حديث الخبيث؟ فقلت: والله ما غششتك مذ استنصحتني، ولا كذبتك مذ استخبرتني، ولا خنتك مذ ائتمنتني، ثمّ حدّثته. فلمّا صرت إلى ذكر الرجل الّذي كان المال عنده أعرض عنّي بوجهه، وأومأ إليّ بأن لا تسمّه. ثمّ قال: إنّ للخبيث نفساً، وقد سمع الأحاديث[1].

هذا، وفي (تاريخ بغداد): استقبل أبو هفّان المهزمي الشاعر ـ وكان على حمار مكار ـ ابن ثوابة. فقال له ابن ثوابة: تركب حمير الكراء. فأجابه من ساعته:

---

(١) كامل المبرد ٣: ١٧٤، والنقل بتصرف يسير.

ركــبت حـمير الكرا ءِ لقـلّة مــن يُـعتَرى
لأنّ ذوي المكـــــرما تِ قد غُيّبوا في الثرى

فقال له ابن ثوابة: قلت هذا البيت في وقتك هذا. قال: لا قلته غداً[١].

«**وكان أهل ذلك الزمان ذئاباً**» في (حياة الحيوان للدميري) قال الشاعر:

ليت شعري كيف الخلاص من النا س وقــد أصــبحوا ذئـاب اعـتداء
قــلت: لمّــا بـلاهم صـدق خـبري رضـــي الله عـــن أبــي الدرداء

أشار إلى قول أبي الدرداء. إيّاكم ومعاشرة الناس، فإنّهم ما ركبوا قلب امرئٍ إلّا غيّروه، ولا جواداً إلاّ عقروه، ولا بعيراً إلّا أدبـروه، والذئب إذا كـدّه الجوع عوى. فتجتمع له الذئاب، ويقف بعضها إلى بعض. فمن ولّى منها وثب إليه الباقون وأكلوه، وإذا عرض للإنسان وخـاف العـجز عـنه؛ عـوى عـواء استغاثة. فتسمعه الذئاب. فتقبل على الإنسان إقبالاً واحداً، وهـم سـواء فـي الحرص على أكله. فإن أدمى الإنسان واحداً منها وثب الباقون على المـدمى فمزّقوه، وتركوا الإنسان. وعاتب بعضـهم صديقه ـ وكان أعان عليه ـ فقال:

وكنت كذئب السوء لمّا رأى دماً بصاحبه يوماً أحـال عـلى الدم

وقال عبيد بن الأبرص للمنذر بن ماء السماء ملك الحيرة لمّا أراد قتله:

وقالوا هي الخمر تكنّى الطلا كما الذئب يكـنى أبـا جـعدة

أي: تظهر لي الإكرام، وأنت تريد قتلي كما أنّ الخمرة وإن سمّيت طلاء ففعلها قبيح، وإنّ الذئب وإن كنّى أبا جعدة ـ أي: أبا الشاة ـ ففعله قبيح[٢].

«**وسلاطينه سباعاً وأوساطه أكّالاً وفقراؤه أمـواتـاً**» روى (الروضـة): أنّ حمران بن أعين قال للباقر عليه السلام: لو حدّثتنا متى يكون هذا الأمر فسررنا بـه.

---

(١) لم أجده في تاريخ بغداد.

(٢) حياة الحيوان ١: ٣٥٩ و ٣٦١، والنقل بتصرف يسير.

فقال عليه السلام: إنّ رجلاً كان في ما مضى من العلماء، وكان له ابن لم يكن يرغب في علم أبيه، ولا يسأله عن شيء، وكان له جار يأتيه، ويسأله، ويأخذ عنه. فحضر الرجل الموت فدعا ابنه. فقال: يا بنيّ إنّك كنت تزهد في ما عندي، وتقلُّ رغبتك فيه، ولم تكن تسألني عن شيء، ولي جار قد كان يأتيني ويسألني، ويأخذ منّي، ويحفظ عنّي، فإن احتجت إلى شيء فأْته ـ وعرّفه جاره ـ فهلك الرجل، وبقي ابنه، فرأى ملك ذلك الزمان رؤيا. فسأل عن الرجل. فقيل له: قد هلك. فقال الملك: هل ترك ولداً؟ فقيل له: نعم ترك إبناً. فقال: إيتوني به. فبعث إليه. فقال الغلام: والله ما أدري لما يدعوني الملك، وما عندي علم، ولئن سألني عن شيء لأفتضحن، فذكر ما كان أوصاه أبوه. فأتى ذاك الرجل، وقال له: إنّ الملك قد بعث إليّ يسألني، ولست أدري فيم بعث به إليّ، وقد كان أبي أمرني أن آتيك إن احتجت إلى شيء.

فقال الرجل: ولكنّي أدري في ما بعث به اليك. فإن أخبرتك فما أخرج الله لك من شيء فهو بيني وبينك. فقال: نعم. فاستحلفه واستوثق منه أن يفي له. فقال له: إنّ الملك يُريد أن يسألك عن رؤيا رآها أيّ زمان هذا. فقل له: إنّ هذا زمان الذئب. فأتى الغلام الملك. فقال له الملك: لم أرسلت إليك؟ قال: تريد أن تسألني عن رؤيا رأيتها أيّ زمان هذا؟ قال له: صدقت. فقل أيّ زمان هذا؟ قال: زمان الذئب. فأمر الملك بجائزة. فقبضها الغلام وانصرف، وأبى أن يفي لصاحبه، وقال لعليّ لا أنفد هذا المال حتّى أهلك، ولعلّي لا أُسأل عن مثل هذا الّذي سئلت عنه.

فمكث برهة ثمّ إنّ الملك رأى رؤيا. فبعث إليه يدعوه. فندم على ما صنع وقال: والله ما عندي علم آتيه به، وما أدري كيف أصنع بصاحبي، وقد غدرت به ثمّ قال: لآتينّه، ولأعتذرنّ إليه، ولأحلفنّ له فلعلّه يخبرني. فأتاه فقال: إنّي صنعت الّذي صنعت، ولم أفِ لك، وتفرّق ما كان في يدي وأنا أوثق لك ألّا

يخرج لي شيء إلّا كان بيني وبينك، وقد بعث إليّ الملك، ولست أدري عمّ يسألني. فقال؛ إنّه يريد أن يسألك عن رؤيا رآها أي زمان هذا. فقل له: إنّ هذا زمان الكبش. فأتى الملك. فقال له: لم بعثت اليك؟ فقال: إنّك رأيت رؤيا، وإنّك تريد أن تسألني أيّ زمان هذا؟ فقال له: صدقت فأخبرني أيّ زمان هذا؟ فقال؛ زمان الكبش. فأمر له بصلة. فقبضها، وانصرف، وتدبر في أن يفي أم لا. فهمّ مرّة أن يفعل ومرّة أن لا يفعل ثمّ قال: لعلّي لا احتاج إليه بعد هذه المرّة أبداً. فأجمع على الغدر.

فمكث برهة ثمّ إنّ الملك رأى رؤيا. فبعث إليه. فندم، وقال بعد غدر مرّتين: كيف أصنع؟ ثمّ أجمع رأيه على إتيانه. فأتاه وناشده الله تعالى وأخبره انّ هذه المرّة يفي له، ولا يغدر. فقال: يريد أن يسألك عن رؤيا رآها أيّ زمان هذا. فإذا سألك فأخبره أنّه زمان الميزان. فأتى الملك، فقال له: لِمَ بعثت إليك؟ قال: رأيت رؤيا تريد أن تسألني أيّ زمان هذا؟ فقال: صدقت. فأخبرني أيّ زمان هذا؟ فقال: زمان الميزان، فأمر له بصلة فانطلق بها إلى الرجل فوضعها بين يديه، وقال: جئتك بما خرج لي فقاسمنيه. فقال له العالم: إنّ الزمان الأوّل كان زمان الذئب، وانّك كنت من الذئاب، وإنّ الزمان الثاني كان زمان الكبش يهمّ ولا يفعل، وكذلك أنت تهمّ ولا تفي، وهذا زمان الميزان، وكنت فيه على الوفاء. فاقبض مالك لا حاجة لي فيه[١].

«**وغار**» من غار الماء: إذا نضب، وذهب في الأرض.

«**الصدق، وفاض الكذب**» في (الكافي): عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ما يزال العبد يصدق حتّى يكتبه الله صدّيقاً، وما يزال العبد يكذب حتّى يكتبه الله كذّاباً[٢].

---

(١) الكافي ٨: ٣٦٢ ح ٥٥٢، والنقل بتصرف يسير.

(٢) الكافي ٢: ٣٣٨ ح ٢.

«**واستعملت المودّة باللسان، وتشاجرت**» هكذا في (المصرية)، والصواب: (وتشاجر) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[١].

«**الناس بالقلوب**» في (الكافي): عن الصادق عليه السلام من لقي المسلمين بوجهين ولسانين جاء يوم القيامة، وله لسانان من نار[٢].

«**وصار الفسوق نسباً**» قال تعالى ﴿وإذا قيل له اتّق الله أخذته العزّة بالإثم﴾[٣].

وفي (الاستيعاب) ـ في أبي الغادية الجهني قاتل عمّار ـ كان أبو الغادية إذا استأذن على معاوية وغيره يقول: «قاتل عمّار بالباب»، وكان يصف قتله إذا سئل عنه لا يباليه، وفي قصته عجب عند أهل العلم قال: سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «لا ترجعوا بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» ثمّ قتل عمّاراً. ومثله في (معارف ابن قتيبة) وزاد: قال ربيعة بن كلثوم: قال أبي: حدّثني أبو الغادية قال: سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «ألا لا ترجعوا بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض فإنّ الحق يومئذ لمع عمّار» ـ قال أبي: فما رأيت شيخاً أضلّ منه يروي انّه سمع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول ما قال ثمّ ضرب عنق عمّار[٤].

«**والعفاف عجباً**» لندرة المتعفّفين فإذا رأوا عفيفاً تعجّبوا منه، وينطبق جميع ما قاله عليه السلام على عصرنا في الغاية لا سيما الفقرة الأخيرة. فإنّه لكثرة النساء المتكشفات، وكثر نظر الرجال إليهنّ إذا رأوا امرأة عفيفة تتستر أو رجلاً عفيفاً لا ينظر استغربوه.

---

(١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٢٦، لكن في شرح ابن ميثم ٣: ٤١ مثل المصرية.

(٢) الكافي ٢: ٣٤٣ ح ١.

(٣) البقرة: ٢٠٦.

(٤) الاستيعاب ٣: ١٥١، والمعارف ٢٥٧.

«**ولبس الإسلام لبس الفرو مقلوباً**» فيعكسون ويبدّلون أحكامه، يحلّلون حرامه، ويحرّمون حلاله، وينكرون معروفه، ويعرفون منكره، ويعطّلون حدوده، ويتعدّون حدوده بحيث لو كان النبيّ صلى الله عليه وآله حيّاً لبدأ بقتالهم قبل قتال الكفار. فثقيف قالوا: تجارتنا من الربا، ولم نقدر على تركه فنزل ﴿فإن لم تفعلوا فأْذنوا بحرب من الله ورسوله﴾[1].

هذا، وعن بعض كتب المناقب القديمة: جاء جابر الأنصاري إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: بأبي أنت وأُميّ رأيت رؤياً هالتني. فقال عليه السلام : ما الّذي رأيت؟ فقال: رأيت كان ثيراناً سماناً تشرب من لبن عجاجيل هزال، ورأيت دوابّاً سماناً لكلّ دابّة رأسان تأكل بالرأسين، ولا تروث، ورأيت أحواضاً يابسة قد نبتت فيها أخشبة خضر، ورأيت المرضى يعودون الأصحاء، ورأيت ثوباً أبيض معلقاً من السماء الى الأرض، والناس يقطّعون منه قطعة قطعة، ورأيت طايرين في بيت مظلم يتكلّمان بكلام فصيح، ورأيت طاستين إحداهما ذهب، والأُخرى رصاص، ورجل واقف بينهما يغرف من الرصاص، يفرغ في الذهب، فلا الرصاص ينقص منه، ولا الذهب يمتلي.

فقال عليه السلام : رؤياك هذه تدلّ على آخر الزمان أما الثيران السمان الّتي تشرب ألبان العجاجيل الهزال. فإنّها سلاطينهم يأخذون أموال الفقراء والمساكين ليستغنوا. فلا يستغنون أبداً، وأما الدوابّ الّتي لكلّ واحدة رأسان تأكل بهما ولا تروث فإنّها أغنياء آخر الزمان يجمعون المال من حلال وحرام، ولا يخرجون الزكاة، وأما الأحواض اليابسة فهم العلماء، وأمّا الأخشبة الخضر فهي علومهم الّتي لا يعملون بها، وأما المرضى الّذين يعودون الأصحّاء، فإنّهم فقراء آخر الزمان يذهبون إلى الأغنياء يسألونهم، فلا

(١) البقرة: ٢٧٩.

يعطونهم شيئاً، وذلك أكبر المرض، وأما الثوب المعلق من السماء إلى الأرض، فهو دين الإسلام طاهر مطهر بيّن، فإذا كان آخر الزمان وقعت الأهواء والبدع بين الناس فترى مع كلّ واحد منهم شيئاً من الإسلام يستتر به، وأما الطائران اللّذان رأيتهما في بيت مظلم يتكلّمان بكلام فصيح أحدهما الوفاء، والآخر الأمانة. فإذا كان آخر الزمان قلّ الوفاء، وقلّت الأمانة حتّى لا تبين، ويكون مثل بيت مظلم فلا وفاء حينئذٍ ولا أمانة، وأمّا الطاستان. فالرصاص الدنيا، والذهب الآخرة، والرجل الواقف بينهما ملك الموت يحمل من الدنيا إلى الآخرة يقبض الأرواح. فلا الدنيا تفنى، ولا الآخرة تمتلي إلى الوقت المعلوم، وهو القيامة.

يا جابر! قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: ليأتينّ على الناس زمان تقصر فيه المروة، وتدقّ فيه الأخلاق، وتستغني الرجال بالرجال، والنساء بالنساء. فإذا كان كذلك فانتظروا العذاب[1].

٣١
الحكمة (١٠٢)

وَقَالَ عليه السلام:

يَأْتِي عَلَى ٱلنَّاسِ زَمَانٌ لَا يُقَرَّبُ فِيهِ إِلاَّ ٱلْمَاحِلُ، وَلَا يُظَرَّفُ فِيهِ إِلَّا ٱلْفَاجِرُ، وَلَا يُضَعَّفُ فِيهِ إِلَّا ٱلْمُنْصِفُ. يَعُدُّونَ ٱلصَّدَقَةَ فِيهِ غُرْماً. وَصِلَةَ ٱلرَّحِمِ مَنّاً. وَٱلْعِبَادَةَ ٱسْتِطَالَةً عَلَى ٱلنَّاسِ. فَعِنْدَ ذٰلِكَ يَكُونُ ٱلسُّلْطَانُ بِمَشْوَرَةِ ٱلنِّسَاءِ وَإِمَارَةِ ٱلصِّبْيَانِ وَتَدْبِيرِ ٱلْخِصْيَانِ.

أقول: رواه (روضة الكافي عن عدّته)، عن سهل، عن موسى بن عمر الصيقل عن أبي شعيب المحاملي، عن عبدالله بن سليمان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ليأتينّ على الناس زمان يظرّف فيه الفاجر،

---

(١) لم أجد موضع نقله.

ويقرّب فيه الماجن، ويضعف فيه المنصف» فقيل له: متى ذاك يا أمير المؤمنين؟ فقال: «إذا تسلطنّ النساء، وسلّطن الاماء، وأُمّر الصبيان»[١].

وقال ابن أبي الحديد: هو من باب الإخبار بالغيوب، وإحدى آياته عليه السلام والمعجزات المختص بها دون الصحابة[٢].

«**يأتي على الناس زمان لا يقرّب فيه إلّا الماحل**» أي: الساعي إلى السلطان والماكر والكائد.

«**ولا يظرّف فيه إلّا الفاجر، ولا يضعّف فيه إلّا المنصف**» وكأنّه إخبار بزمن المتوكّل. ففي (المعجم): حدّث الجهشياري عن وهب بن سليمان قال: كنت أكتب لإبراهيم بن العباس على ديوان الضياع -وكان رجلاً بليغاً، ولم يكن له في الخراج تقدم، وكان بينه وبين أحمد بن المدبر تباعد، وكان أحمد مقدّماً في الكتابة- فقال للمتوكّل: قلّدت إبراهيم بن العباس ديوان الضياع، وهو لا يحسن قليلاً ولا كثيراً -وطعن عليه طعناً قبيحاً- فقال المتوكل: في غد أجمع بينكما، واتّصل الخبر بإبراهيم. فأيقن بحلول المكروه، وعلم أنّه لا يفي بأحمد في صناعته، وغدا إلى دار السلطان آيساً من نفسه ونعمته، وحضر أحمد. فقال له المتوكّل: قد حضر إبراهيم، وحضرت، ومن أجلكم قعدت فهات اذكر ما كنت فيه أمس. فقال أحمد: أيّ شيء أذكر عنه. فإنّه لا يعرف أسماء عمّاله في النواحي، ولا يعلم ما في دساترهم من تقديراتهم وكيولهم، وحمل من حمل منهم ومن لم يحمل، ولا يعرف أسماء النواحي الّتي تقلّدها، وقد اقتطع صاحبه بناحية كذا؛ كذا ألفاً، واختلّت ناحية كذا في العمارة -وأطال في هذه الأُمور- فالتفت المتوكّل إلى إبراهيم. فقال: ما سكوتك. فقال: جوابي في بيتي شعر

---

(١) الكافي٨: ٦٩ ح ٢٥، والنقل بتقطيع.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٢٨٥.

قلتهما. فإن أذن الخليفة أنشدتهما. فقال: هات فأنشده:

ردّ قولي وصدّق الأقوالا　　وأطاع الوشاة والعذّالا
أتراه يكون شهر صدود　　وعلى وجهه رأيت الهلالا

فقال المتوكل: زهٍ زهٍ. أحسنت. إيتوني بمن يعمل لحناً في هذا، وهاتوا ما نأكل، وجيئوا بالنساء، ودعونا من فضول ابن المدبر، واخعلوا على إبراهيم. فخلع عليه وانصرف إلى منزله، قال وهب: فمكث إبراهيم يومه مغموماً. فقلت له: هذا يوم سرور وجذل بما جدّد الله لك من الانتصار على خصمك. فقال يا بني! الحق أولى بمثلي وأشبه. إنّي لم أدفع أحمد بحجّة، ولا كذب في شيء ممّا ذكر، ولا أنا ممّن يعشره في الخراج، كما انّه لا يعشرني في البلاغة، وانّما فلجت برطانة ومخرقة أفلا أبكي ـ فضلاً أن اغتم ـ من زمان يدفع ذلك كلّه[1]؟

وفي (المروج): أنشد البحتري، المتوكّل قصيدته الّتي أوّلها:

عن أيّ ثغر تبتسم　　وبأيّ طرف تحتكم

فلمّا انتهى مشى القهقرى للانصراف. فوثب أبو العنبس. فقال للمتوكّل: تأمر بردّه. فقد والله عارضته في قصيدته هذه. فأمر بردّه. فأنشد أبو العنبس:

من أيِّ سلح تلتقم　　وبأيِّ كفٍّ تلتطم
أدخلت رأس البحتر　　ي أبي عبادة في الرحم

ووصل ذلك بما أشبهه من الشتم. فضحك المتوكّل حتّى استلقى على قفاه وفحص برجله اليسرى، وقال: يدفع إلى أبي العنبس عشرة آلاف درهم. فقال الفتح يا سيّدي، البحتري الّذي هُجي، وأُسمع المكروه ينصرف خائباً. قال: ويدفع إلى البحتري عشرة آلاف درهم. قال: يا سيدي وهذا البصري الّذي أشخصناه من بلده ـ وكان الفتح أشخص المبرد من البصرة لوقوع الاختلاف

(١) معجم الأدباء ١: ١٩٤، والنقل بتصرف يسير.

في تأويل آية ـ لا يشركهم في ما حصّلوه. قال: ويدفع إليه عشرة آلاف درهم. فانصرفوا كلّهم في شفاعة الهزل، ولم ينفع البحتري جده واجتهاده وحزمه.

ثمّ قال المتوكّل لأبي العنبس: أخبرني عن حمارك ووفاته، وما كان شعره في الرؤيا الّتي أُريتها. قال: نعم. كان حماري أعقل من القضاة، ولم يكن له جرية ولا زلّة. فاعتلّ على غفلة. فمات منها فرأيته في ما يرى النائم. فقلت له: يا حماري! ألم أبرّد لك الماء، وانقّ لك الشعير، وأحسن إليك جهدي. فلم متّ على غفلة وما خبرك؟ قال: نعم. لمّا كان في اليوم الّذي وقفت على فلان الصيدلاني تكلّمه في كذا وكذا مرّت بي اتان حسناء. فرأيتها فأخذت بمجامع قلبي فعشقتها، واشتدّ وجدي بها. فمتّ كمداً متأسفاً. فقلت له: يا حماري فهل قلت في ذلك شعراً؟ قال: نعم، وأنشدني:

هام قلبي باتان — عند باب الصيدلاني

تيمّتني يوم رحنا — بثناياها الحسان

وبخدّين اسيليـ — ـن كلون الشنقراني

فبها متّ ولو عشـ — ـت إذن طال هواني

فقلت: يا حماري! ما الشنقراني؟ فقال: هذا من غريب الحمير، فطرب المتوكّل وأمر الملهين، والمغنّين أن يغنّوا ذلك اليوم بشعر الحمار، وفرح في ذلك اليوم فرحاً لم يرَ مثله فيه، وزاد في تكرمة أبي العنبس وجائزته[1].

وفي (الأغاني): كان أبو العبر العباسي ـ من ولد عبد الصمد بن علي ـ مستوياً إلى أن ولي المتوكّل الخلافة. فترك الجد، وعدل إلى الحمق، وقد نيّف على الخمسين، وكان المتوكّل يرمي به في المنجنيق إلى الماء، وعليه قميص حرير. فإذا علا في الهواء صاح الطريق الطريق. ثمّ يقع في الماء فيخرجه

(١) مروج الذهب ٤: ٩ ـ ١٠، والنقل بتصرف يسير.

السبّاح وكان المتوكّل يجلسه على الزلاقة فينحدر فيها حتّى يقع في البركة. ثم يطرح الشبكة فيخرجه كما يخرج السمك. ففي ذلك يقول:

ويأمــر بــي المــلك فيطرحني فــي البـرك
ويصطادني بـالشبك كأنّـي مـن السـمك[1]

وفيه: قال أبو العميس الصيمري فـي دار المـتوكّل لأبـي العـبر: ايش يحملك على هذا السخف؟ فقال: يا كشخان! أتريد أن اكسد أنـا وتـنفق أنت، وأنت تركت العلم، وصنعت في الرقاعة نيّفاً وثلاثين كتاباً لو نفق العقل أكنت تقدّم على البحتري، وقد قال في المتوكّل بالأمس:

عـن أي ثـغر تـبتسم وبأيّ طـرف تـحتكم

فلمّا خرجت أنت عليه وقلت:

فــي أيّ ســلح تــرتطم وبأيّ كـــــف تـــلتقم
أدخلت رأسك في الرحـم وعـــلمت أنك تـــنهزم

فأُعطيت الجائزة وحرم، وقُرّبت وأُبعد. قال: وخرج أبو العبر إلى الكوفة ليرمي بالبندق مع الرماة في آجامهم. فسـمعه بـعض الكـوفيّين يـقول فـي عليّ ﷺ قولاً قبيحاً. فقتله في بعض الآجام وغرقه فيها، وكان شديد البغض لعليّ ﷺ وله في العلويّين هجاء قبيح[2].

وفي (تاريخ الطبري): قال مروان بن أبي الجـنوب: أنشـدت المـتوكّل شعراً ذكرت الرافضة فيه. فعقد لي على البحرين واليمامة، وخلع عليّ أربـع خلع في دار العامة، وأمر لي بثلاثة آلاف دينار، فنثرت على رأسي وأمر ابنه

---

(١) الأغاني ٢٣: ١٩٧ و ٢٠١، والنقل بتصرف يسير.

(٢) الأغاني ٢٣: ١٩٨ و ٢٠٤، والنقل بتصرف يسير.

المنتصر وسعد الايتاخي يلقطانها لي، ولا أمسّ منها شيئاً فجمعاها لي[١].

وقلنا: كأنّه إخبار بزمن المتوكّل حيث كان له خصوصية في هذا كما عرفت من سيرته حتّى إنّه صنّف له الكتب في المجون. وقال في (المروج): «لم يكن أحد ممّن سلف من خلفاء بني العباس ظهر في مجلسه اللعب والمضاحك، والهزل مما قد استفاض من الناس تركه إلّا المتوكّل. فإنّه السابق إلى ذلك، والمحدث له، وأحدث أشياء من نوع ما ذكر فاتّبعه فيها الأغلب من خواصه، وأكثر رعيته. فلم يكن في وزرائه، والمتقدّمين من كتّابه وقوّاده من يوصف بجود ولا إفضال، أو يتعالى عن مجون وطرب»[٢]. وإلّا فكان ما قاله عليه السلام في أزمنة بعده عليه السلام أيام باقي العباسيّين، وأيام بني أُميّة له عمومية.

وفي (الأغاني): عاتب أبان اللاحقي البرامكة على تركهم إيصاله إلى الرشيد وإيصال مديحه إليه. فقالوا له: وما تريد من ذلك؟ فقال: أُريد أن أحظى منه بمثل ما يحظى به مروان بن أبي حفصة. فقالوا: إنّ لذلك مذهباً في هجاء آل أبي طالب وذمّهم، به يحظى، وعليه يعطى. فاسلكه حتّى نفعل. قال: لا استحلّ ذلك. قالوا: فما تصنع؟ لا يجيء طلب الدنيا إلّا بما لا يحلّ؟ فقال أبان:

نشدت بحق الله من كان مسلماً أُعِمّ بما قد قلته العجم والعرب

أَعمُّ رسول الله أقرب زلفة لديه أم ابن العم في رتبة النسب؟

وهي طويلة. فقال الفضل: ما يرد على الرشيد اليوم شيء أعجب من أبياتك فركب فأنشدها الرشيد. فأمر لأبان بعشرين ألف درهم ثمّ اتّصل به، وخصّ به[٣]. وفي الأمويّين كان الوليد بن يزيد أشبههم بالمتوكّل.

---

(١) تاريخ الطبري ٧: ٣٩٧ سنة ٢٤٧، والنقل بتصرف يسير.

(٢) مروج الذهب ٤: ٤.

(٣) تاريخ الطبري ٥٥: ٥٣٣، سنة ١٢٥، والنقل بتلخيص.

ففي (تاريخ الطبري): لمّا ولي الوليد بن يزيد كتب الى نصر بن سيّار بخراسان يأمره أن يتّخذ له برابط وطنابير، وأباريق ذهب وفضّة، وأن يجمع له كلّ صنّاجة بخراسان يقدر عليها.

وفي (الأغاني): كان حمّاد الراوية، ومطيع بن أياس، وعمّار ذي كناز يتنادمون وكلّهم كان متّهماً بالزندقة. قال حمّاد: إستقدمني الوليد فجعلت أنشده. فلا يهشّ حتّى جرى ذكر عمّار ذي كناز. فعرفه وسأل عنه ـ وما ظننت أنّ شعر عمار شيء يراد أو يعبأ به ـ فقال: هل عندك شيء من شعره؟ فقلت: نعم أحفظ قصيدة له فأنشدته:

حبذا أنت يا سلامة العين حبذا

اشتهى منك منك منك مكاناً مجنبذا

مفعماً في قباله بين ركنين ربّذا

مدغماً ذا مناكب حسن القد محتذى

رابياً ذا مجسّة أخنساً قد تقنفذا

لم تر العين مثله في منام ولا كذا

تامكا كالسنام إذ بذّ عنه مقذّذا

ملأ كفّي ضجيعها نال منها تفخّذا

لو تأملته دهشت وعاينت جهبذا

طيب العرف والمجسّة ذا اللمس هربذا

فأجا فيه فيه بأير كمثل ذا

ليت أيري وليت حرك جميعاً تأخذا

فآخذ ذا بشعر ذا

وأخذ ذا بقعر ذا

فضحك الوليد حتّى سقط على قفاه، وصفق بيديه ورجليه، وأمر

بالشراب فأحضر، وأكرّر الأبيات، وهو يشرب ويصفق، وأمر لي بحلّتين، وثلاثين ألف درهم. ثمّ قال: ما فعل عمّار؟ قلت: حيّ كميّت قد غشي بصره، وضعف جسمه لا حراك به، فأمر له بعشرة آلاف درهم. فقلت له: ألا أخبر الخليفة بشيء يفعله لا ضرر عليه، وهو أحبّ إلى عمّار من الدنيا بحذافيرها. قال: وما ذاك؟ قلت: إنّه لا يزال ينصرف من الحانات، وهو سكران فيرفعه الشرط. فيضرب الحد، فقد قطّع بالسياط، ولا يدع الشراب. فكتب إلى عامله بالعراق ألّا يرفع إليه أحد من الحرس عماراً في سكر ولا غيره إلّا ضرب الرافع له حدّين، وأطلق عماراً[1].

«**يعدّون الصدقة فيه غرماً**» ﴿ومن الأعراب من يتّخذ ما ينفق مغرما﴾[2].

«**وصلة الرحم منّاً، والعبادة استطالةً على الناس**» حيث إنّه ليس صلتهم وعبادتهم كصدقتهم لله تعالى بل للرّياء والسمعة.

«**فعند ذلك يكون السلطان بمشورة النساء**» هكذا في (المصرية) والصواب: بمشورة الإماء كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[3].

«**وإمارة الصبيان، وتدبير الخصيان**» بالكسر جمع الخصيّ أي: من سلّ خصيتاه، والكلام إشارة إلى خلافة المقتدر بن المعتضد بن الموفق بن المتوكّل بايعوه، وله ثلاث عشرة سنة.

ولقد كان الصادق عليه السلام أخبر عبد الله بن الحسن لمّا كان يدّعي الأمر لابنه محمّد بأنّ الأمر للسفاح ثمّ لأخيه المنصور ثمّ لبنيه حتّى يناله صبيانهم ويشاور فيه نساؤهم، ولذا كان المنصور ـ لمّا خرج محمّد وإبراهيم عليه،

---

(١) يوجد قريب منه في الأغاني ٧: ٥٦.

(٢) التوبة: ٩٨.

(٣) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٤: ٢٨٥، لكن في شرح ابن ميثم ٥: ٢٩١ مثل المصرية أيضاً.

وخاف من غلبتهما ـ يقول: أين ما وعدنا جعفر؟[١]

ففي (مقاتل أبي الفرج) عن أبي الحجّاج الجمّال قال: إنّي لقائم على رأس المنصور، وهو يسألني عن مخرج محمّد إذ بلغه أنّ عيسى بن موسى (وكان من قبله يقاتل محمّداً) هزم ـ وكان متكئاً ـ فجلس فضرب بقضيب معه مصلاه، وقال: كلّا. فأين لعب صبياننا بها على المنابر، ومشاورة النساء[٢].

وفيه: عن حفص بن حكيم قال: إنّ المنصور وجل من أمر إبراهيم حتّى جعل يقول: ويلك يا ربيع! فكيف، ولم ينلها أبناؤنا. فأين إمارة الصبيان[٣]؟

وقال الجزري ـ بعد ذكر قتل المقتدر، ورفع رأسه على خشبة، وترك جنازته مكشوف العورة ـ: انّ المقتدر أهمل من أحوال الخلافة كثيراً، وحكّم فيها النساء والخدم[٤].

٣٢
الخطبة (١٣٦)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عليه السلام يومى فيها إلى ذكر الملاحم:

يَعْطِفُ ٱلْهَوَى عَلَى ٱلْهُدَى إِذَا عَطَفُوا ٱلْهُدَى عَلَى ٱلْهَوَى، وَيَعْطِفُ ٱلرَّأْيَ عَلَى ٱلْقُرْآنِ إِذَا عَطَفُوا ٱلْقُرْآنَ عَلَى ٱلرَّأْيِ.

مِنْهَا:

حَتَّى تَقُومَ ٱلْحَرْبُ بِكُمْ عَلَى سَاقٍ بَادِياً نَوَاجِذُهَا، مَمْلُوءَةً أَخْلاَفُهَا، حُلْواً رَضَاعُهَا، عَلْقَماً عَاقِبَتُهَا. أَلاَ وَفِي غَدٍ ـ وَسَيَأْتِي غَدٌ بِمَا لاَ تَعْرِفُونَ ـ يَأْخُذُ ٱلْوَالِي مِنْ غَيْرِهَا عُمَّالَهَا عَلَى مَسَاوِئِ أَعْمَالِهَا،

---

(١) رواه ابو الفرج في المقاتل: ١٧٢.

(٢) مقاتل الطالبيين: ١٨٤ ـ ١٨٥.

(٣) مقاتل الطالبيين: ٢٣١.

(٤) الكامل ٨: ٢٤٣، سنة ٣٢٠.

وَتُخْرِجُ لَهُ ٱلْأَرْضُ أَفَالِيذَ كَبِدِهَا، وَتُلْقِي إِلَيْهِ سِلْماً مَقَالِيدَهَا. فَيُرِيكُمْ كَيْفَ عَدْلُ ٱلسِّيرَةِ. وَيُحْيِي مَيِّتَ ٱلْكِتَابِ وَٱلسُّنَّةِ.

قول المصنّف: «ومن خطبة له عليه السلام في ذكر الملاحم» هكذا في (المصرية) والصواب: (ومن خطبة له عليه السلام يومئ فيها إلى ذكر الملاحم) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[1] والملاحم: جمع الملحمة؛ الوقعة العظيمة في الفتنة.

قوله عليه السلام «يعطف الهوى على الهدى إذا عطفوا الهدى على الهوى» قال ابن أبي الحديد: أشار عليه السلام إلى إمام يخلقه الله في آخر الزمان...[2] قلت: بل يظهره الله في آخر الزمان، وكون ذاك الإمام العاشر من ولده عليه السلام والثاني عشر من الأئمّة الاثني عشر من ضروريات مذهب الإماميّة، كيف لا وقد تواتر عن أمير المؤمنين عليه السلام عند الخاصة والعامة أنّه قال لكميل -في كلام طويل- «اللّهمّ بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجّة إمّا ظاهراً مشهوراً، أو خائفاً مغموراً، لئلّا تبطل حجج الله وبيّناته»[3] وهو لا ينطبق إلّا على مذهبنا، وقد اعترف به ابن أبي الحديد عند شرح قوله عليه السلام ذاك كما مرّ في الإمامة العامة[4].

وروى النعماني عن أبي جعفر عليه السلام قال: إذا قام قائم أهل البيت قسّم بالسويّة، وعدل في الرعية. فمن أطاعه فقد أطاع الله، ومن عصاه فقد عصى الله، وإنّما سمّي المهدي مهدياً لأنّه يهدي إلى أمر خفي يستخرج التوراة، وسائر كتب الله تعالى من غار، ويحكم بين أهل التوراة بالتوراة، وبين أهل الإنجيل

(١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣٨٦، لكن في شرح ابن ميثم ٣: ١٦٨ مثل المصرية.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣٨٦.

(٣) رواه الشريف الرضي في نهج البلاغة ٤: ٣٧، ضمن الحكمة ١٤٧.

(٤) مرّ في العنوان ١ من الفصل السابع.

بالإنجيل، وبين أهل الزبور بالزبور، وبين أهل القرآن بالقرآن[١].

«**ويعطف الرأي على القرآن إذا عطفوا القرآن على الرأي**» روى النعماني مسنداً عن حبّة العرني قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: كأنّي أنظر إلى شيعتنا بمسجد الكوفة قد ضربوا الفساطيط يعلّمون الناس القرآن كما أنزل. أما إنّ قائمنا إذا قام كسره وسوّى قبلته.

وعن الأصبغ قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: كأنّي بالعجم فساطيطهم في مسجد الكوفة يعلّمون الناس القرآن كما أُنزل. قلت: يا أمير المؤمنين أو ليس هو هذا كما أُنزل؟ فقال: لا. محي منه من قريش بأسمائهم وأسماء آبائهم، وما ترك أبو لهب إلّا ازراءً على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأنّه عمّه[٢].

هذا، وعنون (معارف ابن قتيبة) أصحاب الرأي، وعدّ فيهم ابن أبي ليلى القاضي. قال: ولي القضاء لبني أُميّة، وبني العباس، وكان فقيهاً مفتياً بالرأي - وعدّ فيهم الأوزاعي، وسفيان الثوري.

قال: وأوصى إلى عمارة بن يوسف في كتبه فمحاها وأحرقها، وزفر صاحب الرأي وربيعة الرأي - وعدّ مالك بن أنس قال: وحمل بمالك ثلاث سنين - وعدّ أبا حنيفة وقال: قيل فيه:

إذا ذو الرأي خاصم عن قياس	وجاء ببدعة هنة سخيفة
أتيناهم بقول الله فيها	وآثار مبرّزة شريفة
فكم من فرج محصنة عفيف	أحلّ حرامُه بأبي حنيفة

وعدّ فيهم أبا يوسف القاضي. قال: كان صاحب حديث ثمّ لزم أبا حنيفة، فغلب عليه الرأي، وعدّ فيهم محمّد بن الحسن الشيباني. قال: جالس أبا

---

(١) غيبة النعماني: ١٥٧.

(٢) غيبة النعماني: ٢١٧ ـ ٢١٨.

حنيفة وسمع منه، ونظر في الرأي. فغلب عليه، وعرف به[١]. وفي (القاموس): «ربيعة الرأي شيخ مالك، وهلال الرأي من أعيان الحنفية»[٢].

«(منها) **حتى تقوم الحرب بكم على ساق**» أي: تقيمكم الحرب على ساق والقيام على ساق كناية عن الجد. كما أنّ الكشف عن الساق كناية عن الشدّة.

«**بادياً**» وفي نسخة من (ابن أبي الحديد) «بادية» وهو الأصحّ. فبعده «مملوة»[٣].

«**نواجذها**» جمع الناجذ. قال الجوهري «للإنسان أربعة نواجذ في أقصى الأسنان بعد الأرحاء، ويسمّى ضرس الحلم لأنّه ينبت بعد البلوغ، وكمال العقل يقال: ضحك حتّى بدت نواجذه»[٤].

وفي (النهاية): في حديث عليّ عليه السلام: «إنّ الملكين قاعدان على ناجذي العبد يكتبان» يعني سنّيه الضاحكين بين الناس والأضراس[٥].

وفي (الأساس): أبدى ناجذه إذا بالغ في ضحكه أو غضبه، ومن المجاز أبدت الحرب ناجذيها. قال بشر:

إذا ما الحرب أبدت ناجذيها غداة الروع والتقت الجموع[٦]

وفي (الجمهرة): النواجذ أقاصي الأضراس، وهي أربعة تنبت بعد أن يشب الإنسان، وتسمّيها العامة أضراس العقل، وكذلك تسمّيها الفرس «خرد دندان» وقال قوم: بل النواجذ الضواحك، واحتجّوا

(١) المعارف: ٤٠٩ ـ ٥٠٠، والنقل بتلخيص.

(٢) القاموس المحيط ٤: ٣٣٢، مادة (رأي).

(٣) في نسختنا من شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣٨٦ «بادياً».

(٤) صحاح اللغة ٢: ٥٧١، مادة (نجذ).

(٥) النهاية ٥: ٢٠، مادة (نجذ).

(٦) اساس البلاغة: ٤٤٧، مادة (نجذ).

بحديث النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم «ضحك حتّى بدت نواجذه» وتلك النواجذ لا يبديها الضحك...[١]، والمفهوم منه خلط الجوهري، كما أنّ الظاهر وهم الزمخشري في كون «أبدى ناجذيه» للمبالغة في الغضب والشعر أعم كقوله عليه السلام بل هو ظاهر في الأوّل بقرينة بعده.

هذا، وفي (الشعراء): دخلت ليلى الأخيلية ـ وقد أسنّت ـ على عبد الملك فقال لها: ما رأى توبة فيك حين عشقك. قالت: ما رأى الناس فيك حين جعلوك خليفة، فضحك حتّى بدت له سنّ سوداء كان يخفيها[٢].

«مملوءة أخلافها» جمع الخِلف بالكسر، وهو الضرع.

«حلواً رضاعها» كحلو لبن الأمهات عند الأطفال.

«علقماً» أي: مرّاً والأصل في العلقم: شجر مرّ، فقيل لكلّ مرّ.

«عاقبتها» روى النعماني عن ابن عقدة، عن يحيى بن زكريا بن شيبان، عن يوسف بن كليب، عن الحسن بن علي بن أبي حمزة، عن عاصم بن حميد الحنّاط عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام ـ في خبر ـ لا يقوم القائم عليه السلام إلّا على خوف شديد، وزلازل وفتنة وبلاء يصيب الناس، وطاعون قبل ذلك، وسيف قاطع بين العرب، واختلاف شديد بين الناس، وتشتّت في دينهم، وتغيّر من حالهم حتّى يتمنّى المتمنّي الموت صباحاً ومساءً من عظم ما يرى من كلب الناس وأكل بعضهم بعضاً، وخروجه إذا خرج عند الإياس، والقنوط، فيا طوبى لمن أدركه، وكان من أنصاره ـ إلى أن قال ـ:

يقوم بأمر جديد، وسنّة جديدة، وقضاء جديد على العرب شديد ليس شأنه إلّا القتل[٣].

---

(١) جمهرة اللغة ٢: ٧٣، والنقل بتصرف يسير.

(٢) لم أجده في الشعر والشعراء.

(٣) غيبة النعماني: ١٥٤.

هذا، وفي (شعراء ابن قتيبة): سأل عمر بن الخطاب عمرو بن معد يكرب عن الحرب. فقال: مرّة المذاق إذا كشفت عن ساق، من صبر فيها عرف، ومن ضعف فيها تلف، وهي كما قال الشاعر:

الحرب أوّل ما تكون فتيّة — تسعى بزينتها لكلّ جهول

حتّى إذا استعرت وشبّ ضرامها — عادت عجوزاً غير ذات حليل

شمطاء جزّت رأسها وتنكّرت — مكروهة للشم والتقبيل[1]

«**ألا وفي غد -وسيأتي غد بما لا تعرفون-**» صدّر الخبر الّذي أرادعليه السلام بيانه بكلمة «ألا» وعرّضه بجملة «وسيأتي...» دلالة على عظمه وأهميته.

«**يأخذ الوالي من غيرها عمّالها على مساوي أعمالها**» قال ابن أبي الحديد: هذا كلام منقطع عمّا قبله، وقد كان تقدّم ذكر طائفة من الناس ذات ملك وإمرة فذكرعليه السلام أنّ الوالي -يعني الإمام الذي يخلقه الله في آخر الزمان- يأخذ عمّال هذه الطائفة على سوء أعمالهم[2].

قلت: لم يعلم انقطاعه، ولو أراد الرضي رحمه الله قطع الكلام لقال: «منها» كما قال هنا «منها: حتّى تقوم الحرب...» وكما قال بعد «منها»: «كأنّي به قد نعق بالشام...» لكن الظاهر كون الكلام مصحّفاً وأنّ الأصل: «يأخذ الوالي غير عمّالها على مساوي أعمالها».

فروى (العلل والعيون): أنّ أبا الصلت الهروي قال للرضاعليه السلام: ما تقول في حديث روي عن الصادقعليه السلام أنّ القائمعليه السلام إذا خرج قتل ذراري قتلة الحسينعليه السلام بفعال آبائها؟ فقالعليه السلام: هو كذلك. قال: فقول الله تعالى ﴿ولا تزر وازرة وزر أُخرى﴾[3] ما معناه؟ فقال صدق الله في جميع أقواله، لكن ذراري

---

(١) الشعر والشعراء: ١٣٨.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣٨٨.

(٣) فاطر: ١٨.

قتلة الحسين عليه السلام يرضون بفعال آبائهم، ويفتخرون بها، ومن رضي شيئاً كان كمن أتاه، ولو أنّ رجلاً قُتل في المشرق. فرضي بقتله رجل في المغرب لكان الراضي عند الله تعالى شريك القاتل، وإنّما يقتلهم القائم إذا خرج لرضاهم بفعل آبائهم. قال: بأيّ شيء يبدأ القائم إذا قام؟ قال: يبدأ ببني شيبة ويقطع أيديهم لأنّهم سرّاق بيت الله تعالى[١].

«**وتخرج له الأرض من أفاليذ**» هكذا في (المصرية)، والصواب: (أفاليذ) بدون «من» كما في الثلاثة[٢]، وهي جمع فلذة أي: قطعة.

«**كبدها**» وفي الخبر «إنّ من أشراط الساعة أن ترمي الأرض بأفلاذ كبدها»[٣].

قال ابن أبي الحديد: قوله عليه السلام: «وتخرج له الأرض من أفاليذ كبدها» كناية عن الكنوز الّتي تظهر للقائم عليه السلام بالأمر وقد جاء ذكر ذلك في خبر مرفوع، ولفظه: «وقاءت له الأرض أفلاذ كبدها» وقد فسّر قوله تعالى: ﴿وأخرجت الأرض أثقالها﴾[٤] بذلك في بعض التفاسير[٥].

قلت: وفي خبر عن الباقر عليه السلام يجمع إليه أموال الدنيا من بطن الأرض وظهرها. فيقول للناس: تعالوا إلى ما قطعتم فيه الأرحام، وسفكتم فيه الدماء الحرام، وركبتم فيه ما حرّم الله تعالى فيعطي شيئاً لم يعطه أحد كان قبله ويملأ الأرض عدلاً وقسطاً ونوراً، كما ملئت ظلماً وجوراً وشرّاً[٦].

---

(١) علل الشرائع ١: ٢٩٩ ح ١، وعيون الاخبار ١: ٢١٢ ح ٥.

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣٨٦، لكن لفظ شرح ابن ميثم ٣: ١٦٩ مثل المصرية.

(٣) أخرجه أبو يعلى في مسنده وابن أبي شيبة في مسنده وابن حبّان في صحيحه، عنهم المطالب العالية وذيله ٤: ٣٥٣ ح ٤٥٨٣، وغيرهم والنقل بالمعنى.

(٤) الزلزلة: ٢.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣٨٨.

(٦) أخرجه النعماني في الغيبة: ١٥٧ .

هذا، وفي (تاريخ الطبري): أنّ أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أصابوا راوية لقريش فأتوا بهم إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في بدر. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: لهم: من فيهم من أشراف قريش؟ قالوا: عتبة وشيبة إبنا ربيعة، وأبو جهل بن هشام، وأبو البختري بن هشام وحكيم بن حزام، ونوفل بن خويلد، والحارث بن عامر، وطعيمة بن عدي والنضر بن حارث، وزمعة بن الأسود، وأُميّة بن خلف، ونبيه، ومنبه ابنا الحجّاج، وسهيل بن عمرو، وعمرو بن عبد ود. فأقبل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم على الناس. فقال: هذه مكّة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها[١].

«وتلقي إليه سلماً مقاليدها» أي: مفاتيحها، ومثله الأقلاد جمع الاقليد قال الشاعر:

واعطته بالأقلاد كلّ قبيلة ومدّت إليه بالركاب الجحاجح[٢]

وفي (تفسير غريب القرآن للسجستاني): مقاليد: جمع مقليد، ومقلاد ومقلد ويقال: هو جمع لا واحد له من لفظه، وهي الإقليد أيضاً الواحد أقليد. وفي الجمهرة: الإقليد المفتاح فارسي معرّب، والأقاليد والمقاليد المفاتيح، ولم يتكلّم فيها الأصمعي، وقال غيره: واحد المقاليد مقلد، ومقليد، وواحد الأقاليد إقليد[٣].

في خبر عليّ بن عقبة عن أبيه قال: إذا قام القائم عليه السلام حكم بالعدل، وارتفع في أيّامه الجور، وآمنت به السبل، وأخرجت الأرض بركاتها، وردّ كلّ حقّ إلى أهله، ولم يبق أهل دين حتى يظهروا الإسلام ويعترفوا بالايمان اما سمعت الله سبحانه يقول: ﴿وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ١٤٢، سنة ٢، والنقل بتلخيص.

(٢) أورده أساس البلاغة: ٣٧٥، مادة (قلد).

(٣) جمهرة اللغة ٢: ٣٩٢.

وكرهاً﴾[١] وحكم بين الناس بحكم داود، وحكم محمد صلى الله عليه وآله وسلم فحينئذٍ تظهر الأرض كنوزها، وتبدي بركاتها، ولا يجد الرجل منكم يومئذٍ موضعاً لصدقته...[٢].

وروى (الاكمال): عن أبي الجارود عن الباقر عليه السلام إذا خرج القائم عليه السلام من مكّة ينادي مناديه: ألا لا يحملنّ أحد طعاماً ولا شراباً، وحمل معه حجر موسى بن عمران عليه السلام وهو وقر بعير. فلا ينزل منزلاً إلّا انفجرت منه عيون، فمن كان جائعاً شبع، ومن كان ظمآناً روي ورويت دوابهم حتّى ينزلوا النجف من ظهر الكوفة[٣].

«**فيريكم كيف عدل السيرة**» روى النعماني عن عبد الله بن عطا قال: سألت شيخاً من الفقهاء ـ يعني أبا عبد الله عليه السلام ـ عن سيرة المهدي عليه السلام فقال: يصنع كما صنع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يهدم ما كان قبله كما هدم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أمر الجاهلية، ويستأنف الإسلام جديداً[٤].

وفي (الإرشاد): وأمّا سيرة القائم عليه السلام عند قيامه. فروى المفضّل عن الصادق عليه السلام إذا أذن الله تعالى للقائم عليه السلام في الخروج صعد المنبر. فدعا الناس إلى نفسه، وناشدهم بالله، ودعاهم إلى حقّه، وأن يسير فيهم بسنّة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ويعمل فيهم بعمله. فيبعث الله تعالى جبرئيل حتّى يأتيه. فينزل على الحطيم يقول: إلى أيّ شيء تدعو؟ فيخبره القائم عليه السلام فيقول جبرئيل: أنا أوّل من يبايعك ابسط يدك. فيمسح على يده، وقد وافاه ثلاثمئة، وبضعة عشر رجلاً. فيبايعونه ويقيم بمكّة حتّى يتمّ أصحابه عشرة آلاف

---

(١) آل عمران: ٨٣.

(٢) رواه المفيد في الأرشاد: ٣٦٤.

(٣) كمال الدين ٢: ٦٧٠ ح ١٧.

(٤) غيبة النعماني: ١٥٢.

نفس. ثمّ يسير منها إلى المدينة.

وروى أبو بصير عنهعليه السلام قال: إذا قام القائمعليه السلام هدم المسجد الحرام حتّى يردّه إلى أساسه، وحوّل المقام إلى الموضع الّذي كان فيه.

وروى عليّ بن عقبة عن أبيه عنهعليه السلام قال: إنّ دولتنا آخر الدول، ولم يبق أهل بيت لهم دولة إلّا ملكوا قبلنا لئلّا يقولوا إذا رأوا سيرتنا إذا ملكنا سرنا بمثل سيرة هؤلاء، وهو قول الله ﴿والعاقبة للمتقين﴾ [١].

«ويحيي ميّت الكتاب والسنّة» روى النعماني عن أبي جعفرعليه السلام قال: كأنّني بدينكم هذا لا يزال مولّياً يفحص بدمه ثمّ لا يردّه عليكم إلّا رجل منّا أهل البيت، فيعطيكم في السنة عطاءين، ويرزقكم في الشهر رزقين، وتؤتون الحكمة في زمانه، حتّى إنّ المرأة لتقضي في بيتها بكتاب الله وسنّة رسول الله [٢].

وروى محمّد بن النعمان عنهعليه السلام قال: إذا قام القائم سار إلى الكوفة فهدم بها أربعة مساجد، ولم يبق مسجد على وجه الأرض له شُرَفٌ إلّا هدمها، وجعلها جماء، ووسّع الطريق الأعظم، وكسر كلّ جناح خارج في الطريق، وأبطل الكنيف والميازيب إلى الطرقات، ولا يترك بدعة إلّا أزالها، ولا سنّة إلّا أقامها.

وعنهعليه السلام إذا قام القائمعليه السلام ضرب فساطيط، ويعلّم الناس القرآن على ما أنزل الله، فأصعب ما يكون على من حفظه اليوم لأنّه يخالف فيه التأليف [٣].

وممّا أخبرعليه السلام بالمهديعليه السلام ما رواه النعماني عن الأصبغ قال: أتيت

(١) الارشاد: ٣٦٣ ـ ٣٦٥، والنقل بتقطيع. والآيات ١٢٨ من سورة الأعراف و ٨٣ من سورة القصص.

(٢) غيبة النعماني: ١٥٨.

(٣) الارشاد: ٣٦٥.

أمير المؤمنين عليه السلام ذات يوم فوجدته مفكّراً ينكت في الأرض. فقلت: يا أمير المؤمنين أرغبة منك فيها؟ فقال لا والله ما رغبت فيها ولا في الدنيا ساعة قط، ولكن فكري في مولود يكون من ظهري الحادي عشر من ولدي هو المهدي الّذي يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. له حيرة وغيبة يضلّ فيها أقوام، ويهتدي فيها آخرون. فقلت: يا أمير المؤمنين فكم تكون تلك الحيرة والغيبة؟ فقال: سبت من الدهر. فقلت ان هذا لكائن؟ فقال: نعم. كما انّه مخلوق. قلت: أدرك ذلك الزمان؟ قال: قال: أنّى لك يا أصبغ بهذا الأمر. أُولئك خيار هذه الأُمة مع أبرار هذه العترة. قلت نعم ما يكون بعد ذلك؟ قال: ثمّ يفعل الله ما يشاء فانّ له إرادات، وغايات، ونهايات[1].

وروى أيضاً: أنّه جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين نبئنا بمهديكم هذا. فقال: «إذا درج الدارجون، وقلّ المؤمنون، وذهب المجليون، فهناك» فقال: يا أمير المؤمنين! ممّن الرجل؟ قال: من بني هاشم من ذروة طود العرب، وبحر مفيضها إذا وردت ومجفو أهلها إذا أتت، ومعدن صفوتها إذا تكدّرت. لا يجبن إذا المنايا هلعت، ولا يجوز إذاالمنون اكتنفت، ولا ينكل إذا الكماة اصطرعت. مشمر مغلولب ظفر ضرغامة. حصد مخدش ذكر، سيف من سيوف الله، رأس قثم، بسق رأسه في باذخ السؤدد، وغارز مجده في أكرم المحتد. فلا يصرفنّك عن تبعته صارف عارض، ينوص إلى الفتنة كلّ مناص، إن قال فشرّ قائل، وان سكت فذو دعائر.

ثمّ رجع إلى صفة المهدي عليه السلام فقال: أوسعكم كهفاً وأكثركم علماً، وأوصلكم رحماً. اللّهم فاجعل بعثه خروجاً من الغمّة، واجمع به شمل الأُمّة فان خار الله لك فاعزم ـ إلى أن قال ـ:

---

(١) غيبة النعماني: ٤١ وأيضاً الكافي ١: ٣٣٨ ح ٧.

هاه ـ وأومأ إلى صدره ـ شوقاً إلى رؤيته[١].

وروى ابن بابويه مسنداً عن أبي جعفر عليه السلام أنّ عمر قال لأمير المؤمنين عليه السلام: يا ابن أبي طالب أخبرني عن المهدي ما اسمه؟ قال: أمّا اسمه فلا. إنّ حبيبي وخليلي عهد إليّ لا أُحدّث باسمه حتّى يبعثه الله تعالى، وهو ممّا استودع الله تعالى رسوله في علمه[٢].

٣٣

(فَصْلٌ نَذْكُرُ فِيهِ شَيْئاً مِنْ ٱخْتِيَارِ غَرِيبِ كَلاَمِهِ ٱلْمُحْتَاجِ إِلَى ٱلتَّفْسِيرِ) فِي حَدِيثِه عليه السلام:

فَإِذَا كَانَ ذٰلِكَ ضَرَبَ يَعْسُوبُ ٱلدِّينِ بِذَنَبِهِ فَيَجْتَمِعُونَ إِلَيْهِ كَمَا يَجتَمِعُ قَزَعُ ٱلْخَرِيفِ.

(الْيَعْسُوبُ: السَّيِّدُ ٱلْعَظِيمُ ٱلْمَالِكُ لِأُمُورِ ٱلنَّاسِ يَوْمَئِذٍ، وَٱلْقَزَعُ: قِطَعُ ٱلْغَيْمِ ٱلَّتِي لَا مَاءَ فِيهَا).

قول المصنّف: (فصل نذكر فيه شيئاً من اختيار غريب كلامه عليه السلام المحتاج إلى التفسير) ذكر في فصله تسعة عناوين، وفسّرها، ونقل ابن أبي الحديد عن أبي عبيد، وعن ابن قتيبة مقداراً من كلامه عليه السلام الغريب بالمناسبة من شاء راجعه[٣].

هذا، وما نقلنا من كلام المصنّف على ما في (المصرية) وصدّقه ابن ميثم ولكن في (ابن أبي الحديد) بدله «ومن كلامه عليه السلام المتضمن ألفاظاً من الغريب يحتاج إلى تفسير»[٤]. ولعلّه نقله بالمعنى.

---

(١) غيبة النعماني: ١٤٣.

(٢) أخرجه الصدوق في كمال الدين ٢: ٦٤٨ ح ٣.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٣٦٥.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٣٥٥.

«فإذا كان ذلك ضرب يعسوب الدين» قال في (الجمهرة): في باب ما جاء على يفعول «يعسوب» دويبة شبيهة بالجرادة لا تضمّ جناحيها إذا سقطت، ويعسوب النحل: الذكر العظيم منها الّذي تتبعه، وكثر ذلك حتّى سمّوا كل رئيس يعسوباً(١).

«بذنبه» واحد الأذناب، والمراد بذلك وقت ظهور القائم عليه السلام شبهه عليه السلام بملك النحل يضرب ذنبه في موضع فيجتمع عليه النحل.

«فيجتمعون إليه كما يجتمع قزع الخريف» قال في (النهاية): «وما في السماء قزعة» أي: قطعة من الغيم، ومنه حديث عليّ عليه السلام فيجتمعون إليه كما يجتمع قزع الخريف(٢).

قال ابن أبي الحديد بعد العنوان: الخبر من أخبار ملاحمه التي كان يخبر بها عليه السلام وهو يذكر فيه المهدي عليه السلام »(٣) -قلت: وروى النعماني مسنداً عن الأحنف بن قيس قال: دخلت على عليّ عليه السلام في حاجة لي. فجاء ابن الكوّا. وشبث بن ربعي فاستأذنّا عليه. فقال لي عليّ عليه السلام: إن شئت فأْذنْ لهما فإنّك أنت بدأت بالحاجة. قلت: يا أمير المؤمنين فأذن لهما. فلمّا دخلا قال لهما عليّ عليه السلام: ما حملكما على أن خرجتما عليّ بحروراء؟ قالا: أحببنا أن نأمن من الغضب. قال: ويحكما وهل في ولايتي غضب؟ أو يكون الغضب حتّى يكون من البلاء كذا وكذا ثم يجتمعون قزعا كقزع الخريف من القبائل ما بين الواحد والاثنين والثلاثة والأربعة والخمسة والستة والسبعة والثمانية والتسعة والعشرة.

وعن المفضل بن عمر قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: إذا اذن للامام عليه السلام دعا

---

(١) جمهرة اللغة ٣: ٣٨٤.

(٢) النهاية ٤: ٥٩، مادة (قزع).

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٣٥٥.

الله باسمه العبراني. فأُتيحت له صحابته الثلاثمئة والثلاثة عشر قزع كقزع الخريف. فهم أصحاب الألوية منهم من يُفقد عن فراشه ليلاً فيصبح بمكّة، ومنهم من يرى يسير في السحاب نهاراً يعرف باسمه، واسم أبيه، وحليته ونسبه. قلت: جعلت فداك أيّهم أعظم إيماناً؟ قال: الّذي يسير في السحاب نهاراً، وهم المفقودون، وفيهم نزلت هذه الآية ﴿أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً﴾ (١).

وفي (فتن نعيم بن حماد) ـ من العامة ـ عن أبي جعفر عليه السلام قال: يظهر المهدي بمكّة عند العشاء، ومعه راية النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وقميصه، وسيفه. فيظهر في ثلاثمئة، وثلاثة عشر رجلاً عدّة أهل بدر على غير ميعاد، قزعاً كقزع الخريف، رهبان بالليل أسد بالنهار... (٢).

هذا، وممّا ورد عنه عليه السلام من الغريب في ذكر القائم عليه السلام أيضاً ما رواه النعماني مسنداً عن الأصبغ قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول: إنّ بين يدي القائم عليه السلام سنين خدّاعة يكذب فيها الصادق، ويصدق فيها الكاذب، ويقرّب فيها الماحل ـ وفي حديث ـ وينطق فيها الرويبضة، قلت: وما الرويبضة، وما الماحل؟ قال: أو ما تقرؤون القرآن ﴿وهو شديد المحال﴾ (٣) ـ يريد المكر ـ... (٤)، وفيه سقط. وفي النهاية في حديث أشراط الساعة وأن ينطق الرويبضة في أمر العامة، قيل وما الرويبضة يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: الرجل التافه ينطق في أمر العامة (٥).

---

(١) غيبة النعماني: ٢١٢ ـ ٢١٣. والآية ١٤٨ من سورة البقرة.

(٢) رواه عن فتن نعيم بن حماد ابن طاووس في الملاحم: ٦٤، والسيوطي في العرف الوردي: ١٤٤. والنقل بتقطيع.

(٣) الرعد: ١٣.

(٤) غيبة النعماني: ١٨٦.

(٥) أُسد الغابة ٢: ١٥٨، مادة (ربض).

وما رواه أبو عبيد في (غريبه): أنّ الأشعث قال له عليه السلام وهو على المنبر غلبتنا عليك هذه الحمراء. فقال عليه السلام: من يعذرني من هؤلاء الضياطرة ـ إلى أن قال ـ:

والله ليضربنّكم على الدين عوداً كما ضربتموهم عليه بدءاً[١].

قول المصنّف: «اليعسوب السيّد العظيم المالك لأُمور الناس» ما قاله بيان للمراد من يعسوب الدين، وإلّا فقد عرفت أنّ الأصل في اليعسوب ملك النحل.

«يومئذٍ» إشارة إلى المشار إليه في قوله عليه السلام «فإذا كان ذلك».

«والقزع: قطع الغيم الّتي لا ماء فيها» قال ابن أبي الحديد: لا يشترط فيها أن تكون خالية من الماء بل القزع قطع من السحاب رقيقه سواء كان فيها ماء أو لم يكن الواحدة قزعه بالفتح، وإنّما غرّه قول الشاعر يصف جيشاً بالقلّة والخفة «كان دعالة قزع الهجام» وليس يدلّ ذلك على ما ذكره لأنّ الشاعر أراد المبالغة. فإنّ الجهام الّذي لا ماء فيه إذا كان أقطاعاً متفرّقة خفيفة كان ذكره أبلغ في ما يريده من التشبيه[٢].

قلت: لم يحتج إلى هذا التطويل، وكان يكفيه أن يقول انّ الشاعر أضاف القزع إلى الجهام «أي: سحاب لا ماء فيه» فلم أضفت معنى المضاف إليه على معنى المضاف.

ثمّ كما لا يشترط في القزع أن تكون قطعاً من السحاب بلا ماء كما قال المصنّف لا يشترط فيها أن تكون قطعاً رقيقة كما قال ابن أبي الحديد، وإنّما غرّه قول الجوهري، وهو وهم من الجوهري. فلم يقل ذلك غيره بل أطلقوا،

---

(١) رواه أبو عبيد في غريب الحديث ٣: ٤٨٤، والثقفي في الغارات ٢: ٤٩٨، والمبرد في الكامل ٤: ١٩٦.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٣٥٥.

الأزهري وابن دريد، والفيومي، والفيروز آبادي، والزمخشري، والجزري. ففي (الجمهرة): «القزع قطع الغيم المتفرقة في السماء» وفي (المصباح): «القزع: القطع من السحاب المتفرقة الواحدة قزعة مثل قصب وقصبة». قال الأزهري: «كلّ شيء يكون قطعاً متفرّقة فهو قزع» وفي (القاموس): «والقزع محركة قطع من السحاب الواحدة بهاء» ومثله في (النهاية)[1].

هذا، وفي (القاموس): في المثل «كما تجمع قزع الخريف» لا في الحديث كما توهم الجوهري»[2].

قلت: بل الوهم منه، فقد ورد في الحديث وهو العنوان وقد ورد من طريقهم وبه صرح في (النهاية) الّذي هذا فنه وموضوع كتابه وقد عرفت نصّه وقد عرفت أنّ نعيم بن حمّاد من رجالهم أيضاً رواه في (فتنه) فضلاً عن رواية النعماني منّا ذلك في خبرين بل ورد الكلام عنه عليه السلام بهذا اللفظ في شيعة بني العباس حين يجتمعون لاستيصال بني أُميّة أيضاً كما عرفته في العنوان (٢٤) من الفصل[3].

هذا، وفي (المعجم): كان المتوكّل يروي صدراً من الأخبار والأنساب، ويمتحن من يراه بما يقع فيها من غريب اللغة فقال للمبرد، وبندار بن لرة الإصبهاني: ما معنى هذه الأحرف التي جاءت في هذا الخبر وهو - «ركبت الدجوجي، وأمامي قبيلة. فنزلت ثمّ شربت الصباح. فمررت، وليس أمامي الا نجيم فركضت أمامي النحوص والمسحل والعمرد. فقنصت ثمّ عطفت ورائي

---

(١) صحاح اللغة ٣: ١٢٦٥، مادة (قزع)، وتهذيب اللغة ١: ١٨٤، وجمهرة اللغة ٣: ٦، والمصباح ٢: ١٨٤، والقاموس ٣: ٦٨، والأساس: ٣٦٥، والنهاية ٤: ٥٩.

(٢) لفظ القاموس ٣: ٦٨، مادة (قزع) «وفي كلام علي عليه السلام: كما يجتمع قزع الخريف لا في الحديث كما توهم الجوهري».

(٣) نهج البلاغة ٢: ٣٥، الخطبة ١٤٨.

إلى قلّوب. فلم أزل به حتّى أذقته الحمام. ثمّ رجعت ورائي، فلم أزل أمارس الأغضف في قتله. فحمل عليّ، وحملت عليه حتّى خر صريعاً».

فلم يعلما معناها فاستمهلاه، وراجع المبرد دفاتره حتّى وجده في أخبار الأعراب فباكر إليه. فرواه وفسّره له وقال «الأجوجي» الناقة السوداء، و«القبيلة» صخرة على بئر و «النحوص» الاتان الوحشية الحائل، و «المسحل» امام الحمر الوحشية كاليعسوب في النحل، و «العمرّد» الأسد و «القلّوب» الذئب و «الأغضف» الأسد المتثني أو الذي استرخت أجفانه العليا غضباً وكبراً[1].

٣٤
الخطبة (١٤٨)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عليه السلام يومي فيها إلى ذكر الملاحم:

وَأَخَذُوا يَميناً وَشِمَالًا ظَعْناً فِي مَسَالِكِ ٱلْغَيِّ، وَتَرْكاً لِمَذَاهِبِ ٱلرُّشْدِ. فَلاَ تَسْتَعْجِلُوا مَا هُوَ كَائِنٌ مُرْصَدٌ، وَلَا تَسْتَبْطِئُوا مَا يَجِيءُ بِهِ ٱلْغَدُ. فَكَمْ مِنْ مُسْتَعْجِلٍ بِمَا إِنْ أَدْرَكَهُ وَدَّ أَنَّهُ لَمْ يُدْرِكْهُ. وَمَا أَقْرَبَ ٱلْيَوْمَ مِنْ تَبَاشِيرِ غَدٍ! يَا قَوْمِ، هذَا إِبَّانُ وُرُودِ كُلِّ مَوْعُودٍ. وَدُنُوٌّ مِنْ طَلْعَةِ مَا لَا تَعْرِفُونَ. أَلَا وَمَنْ أَدْرَكَهَا مِنَّا يَسْرِي فِيهَا بِسِرَاجٍ مُنِيرٍ، وَيَحْذُو فِيهَا عَلَى مِثَالِ ٱلصَّالِحِينَ لِيَحُلَّ فِيهَا رِبْقاً، وَيُعْتِقَ رِقّاً، وَيَصْدَعَ شَعْباً، وَيَشْعَبَ صَدْعاً، فِي سُتْرَةٍ عَنِ ٱلنَّاسِ لَا يُبْصِرُ ٱلْقَائِفُ أَثَرَهُ وَلَوْ تَابَعَ نَظَرَهُ. ثُمَّ لَيُشْحَذَنَّ فِيهَا قَوْمٌ شَحْذَ ٱلْقَيْنِ ٱلنَّصْلَ. تُجْلَى بِالتَّنْزِيلِ أَبْصَارُهُمْ وَيُرْمَى بِالتَّفْسِيرِ فِي مَسَامِعِهِمْ وَيُغْبَقُونَ كَأْسَ ٱلْحِكْمَةِ بَعْدَ ٱلصَّبُوحِ.

---

(١) معجم الأدباء ٧: ١٣٠.

مِنْهَا:

وَطَالَ ٱلْأَمَدُ بِهِمْ لِيَسْتَكْمِلُوا ٱلْخِزْيَ، وَيَسْتَوْجِبُوا ٱلْغِيَرَ حَتَّى إذَا ٱخْلَوْلَقَ ٱلْأَجَلُ، وَٱسْتَرَاحَ قَوْمٌ إِلَى ٱلْفِتَنِ، وَٱشْتَالُوا عَنْ لَقَاحِ حَرْبِهِمْ؛ لَمْ يَمُنُّوا عَلَى ٱللهِ بِالصَّبْرِ، وَلَمْ يَسْتَعْظِمُوا بَذْلَ أَنْفُسِهِمْ فِي ٱلْحَقِّ. حَتَّى إِذَا وَافَقَ وَارِدُ ٱلْقَضَاءِ ٱنْقِطَاعَ مُدَّةِ ٱلْبَلاَءِ؛ حَمَلُوا بَصَائِرَهُمْ عَلَى أَسْيَافِهِمْ وَدَانُوا لِرَبِّهِمْ بِأَمْرِ وَاعِظِهِمْ.

قول المصنّف: «في الملاحم» هكذا في (المصرية)، والصواب: «يومئ فيها إلى الملاحم» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[١].

قوله عليه السلام «وأخذوا يميناً وشمالاً» الأصل فيه قوله تعالى: ﴿وأنّ هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوه ولا تتّبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله﴾[٢].

وروى (الروضة): أنّ سعيد بن يسار، والحرث بن مغيرة، ومنصور الصيقل وردوا على الصادق عليه السلام. فقال لهم: الحمد لله الّذي ذهب الناس يميناً وشمالاً فرقة مرجئة، وفرقة خوارج، وفرقة قدرية، وسميتم أنتم الترابية، اما والله ما هو إلّا الله، وحده لا شريك له، ورسوله، وآل رسوله، وشيعتهم، وما كان سوى ذلك فلا. كان عليّ عليه السلام والله أولى الناس بالناس بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم[٣].

«طعناً في مسالك الغيّ، وتركاً لمذاهب الرشد» الأصل فيه قوله تعالى: ﴿وان يروا سبيل الرشد لا يتّخذوه سبيلاً وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً﴾[٤].

«فلا تستعجلوا ما هو كائن مرصد، ولا تستبطئوا ما يجيءُ به الغد» الظاهر

---

(١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤١٥، لكن لفظ شرح ابن ميثم ٣: ٢١٣ مثل المصرية.

(٢) الانعام: ١٥٣.

(٣) الكافي ٨: ٣٣٣ح ٥٢٠ و: ٨٠ ح ٣٦.

(٤) الاعراف: ١٤٦.

أنّ مراده عليه السلام استعجال الشيعة لقيام القائم عليه السلام.

فروى النعماني: أنّ مهزم الأسدي قال للصادق عليه السلام جعلت فداك! متى هذا الأمر الذي ننتظره، متى هو؟ فقال عليه السلام: يا مهزم كذب الوقّاتون، وهلك المستعجلون، ونجا المسلّمون[1].

وروى: أنّ الصادق عليه السلام قال في قوله تعالى ﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه﴾[2]: هو أمرنا أمر الله تعالى لا نستعجل به. يؤيّده ثلاثة أجناد: الملائكة، والمؤمنون والرعب.

وعن الباقر عليه السلام: «أُسكُنوا ما سكنت السماوات والأرض».

وعن الصادق عليه السلام: «هلكت المحاضير. قيل: وما المحاضير؟ قال: المستعجلون، ونجا المقرّبون، وثبت الحصن على أوتادها. كونوا أحلاس بيوتكم. فإنّ الفتنة على من أثارها. وإنّهم لا يريدونكم بجائحة إلاّ أتاهم الله بشاغل لأمر يعرض لهم»[3].

وعنه عليه السلام: لمّا التقى أمير المؤمنين عليه السلام وأهل البصرة نشر راية النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فتزلزلت أقدامهم. فما اصفرّت الشمس حتّى قالوا: آمنّا يا ابن أبي طالب. فعند ذلك قال: لا تقتلوا الأسرى، ولا تجهزوا على جريح، ولا تتبعوا مولّياً، ومن ألقى سلاحه فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن. ولمّا كان يوم صفين سألوه نشر الراية. فأبى عليهم. فتحمّلوا عليه بالحسن والحسين عليهما السلام وعمّار، فقال: للحسن يا بني إنّ للقوم مدّة يبلغونها، وانّ هذه راية لا ينشرها بعدي إلّا القائم عليه السلام. وفي خبر أنّ تلك الراية كانت من

---

(١) غيبة النعماني: ١٩٨ و ١٣١.

(٢) النحل: ١.

(٣) غيبة النعماني: ١٣٢ و ١٣٤ و ١٣١.

ورق الجنّة نزل بها جبرئيل يوم بدر[١].

وروى أنّ إبراهيم بن هليل قال لأبي الحسنعليه السلام: مات أبي على هذا الأمر وقد بلغت من السنين ما قد ترى؛ أموت ولا تخبرني بشيء؟ فقال له: أنت تعجل. فقال أي: والله أعجل، ومالي لا أعجل، وقد بلغت من السن ما قد ترى. فقال: أما والله يا أبا إسحاق ما يكون ذلك حتّى تميّزوا...[٢].

«**فكم من مستعجل بما إن أدركه ودّ أنّه لم يدركه**» روى النعماني: أنّ الباقرعليه السلام قال: لو يعلم الناس ما يصنع القائمعليه السلام إذا خرج؛ لأحبّ أكثرهم ألّا يروه ممّا يقتل من الناس. أما إنّه لا يبدأ إلّا بقريش. فلا يأخذ منها إلّا السيف، ولا يعطيها إلّا السيف حتّى يقول كثير من الناس: ليس هذا من آل محمّد لو كان من آل محمّد لرحم[٣].

«**وما أقرب اليوم من تباشير غد**» أي: أوائله، قال الزمخشري: «كأنها جمع تبشير وهو مصدر بشر»[٤] إلّا أنّهم قالوا إنّ المصدر لا يثنّى ولا يجمع، وإنّما قالعليه السلام «ما أقرب اليوم من تباشير غد» حيث إنّ اليوم متّصل بآخره إلى أوائل الغد، وهو نظير قوله تعالى ﴿أليس الصبح بقريب﴾[٥].

«**يا قوم هذا إبّان**» بالكسر والتشديد الوقت.

«**وورود كلّ موعد**» هكذا في (المصرية) والصواب: (موعود) كما (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية)[٦].

---

(١) غيبة النعماني: ٢٠٨ و ٢٠٩.

(٢) غيبة النعماني: ١٣٩.

(٣) غيبة النعماني: ١٥٣.

(٤) أساس البلاغة: ٢٣، مادة (بشر).

(٥) الأعراف: ٨١.

(٦) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤١٥، لكن لفظ شرح ابن ميثم ٣: ٢١٣ «موعد».

«ودنوٌ من طلعةِ ما لا تعرفون» قال ابن أبي الحديد: أي: دنا وقت القيامة، وظهور الفتن التي تظهر أمامها، وإبّان الشيء بالكسر والتشديد وقته وزمانه، وكنّى عن تلك الأهوال بقوله: ودنوٌّ من طلعة ما لا تعرفون، لأن تلك الملاحم والآثار الهائلة غير معهود مثلها نحو دابّة الأرض، والدجّال وفتنته و ما يظهر على يده من المخاريق والأُمور الموهمة، وواقعة السفياني[1].

قلت: بل مراده عليه السلام فتن تأتي بعده من بني أُميّة، وبني العباس إلى علامات القائم عليه السلام لأنّ قوله عليه السلام: «هذا إبّان...» يدلّ على أنّ حين خاطبهم بهذا الكلام صار زمان ما وعدهم، وقرب ما أخبرهم.

روى النعماني: أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال على منبر الكوفة: «إنّ من ورائكم فتناً مظلمة عمياء منكسفة لا ينجو منها إلّا النؤمة»[2].

وروى أنّه عليه السلام قال: لا يقوم القائم عليه السلام حتّى تفقأ عين الدنيا، وتظهر الحمرة في السماء، وتلك دموع حملة العرش على أهل الأرض، حتّى يظهر فيهم أقوام لا خلاق لهم يدعون لولدي، وهم بُرءَاءُ من ولدي تلك عصابة ردّية لا خلاق لهم. على الأشرار مسلّطة، وللجبابرة مفتّنة، وللملوك مبيرة، تظهر في سواد الكوفة يقدمهم رجل أسود اللون والقلب، رثّ الدين، لا خلاق له، مهجن زنيم عتل تداولته أيدي العواهر من الأُمّهات من شر نسل، لا سقاها الله المطر من سنة اظهار غيب المتغيب من ولدي صاحب الراية الحمراء، والعلم الأخضر، أيّ يوم للمجنبين بين الأنبار وهيت ذلك يوم فيه صيلم الأكراد والشراة، وخراب دار الفراعنة، ومسكن الجبابرة، ومأوى الولاة الظلمة، وأمّ البلاء، واخت العار تلك وربّ عليٍّ، بغداد.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤١٦.

(٢) غيبة النعماني: ٩٢.

ألا لعنة الله على العصابة من بني أُميّة، وبني فلان الخؤنة الّذين يقتلون الطيّبين من ولدي لا يراقبون فيهم ذمّتي، ولا يخافون الله في ما يفعلونه بحرمتي. إنّ لبني العباس يوم الطموح، ولهم فيه صرخة كصرخة الحبلى، والويل لشيعة ولد العباس من الحرب الّتي يفتح من نهاوند، والدينور، تلك حرب صعاليك شيعة عليٍّ يقدّمهم رجل من همدان إسمه على اسم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم منعوت موصوف باعتدال الخلق، وحسن الخلق، ونضارة اللون، له في صوته ضحك، وفي اشفاره وفي عنقه سطح، فرق الشعر مفلّج الثنايا، على فرسه كبدر التمام تجلّى عنه الغمام. يسير بعصابةٍ خير عصابة، آوت وتقرّبت ودانت الله بدين. تلك الأبطال من العرب الّذين يلحقون حرب الكريهة والدبرة يومئذٍ على الأعداء. انّ للعدوّ يوم ذلك، الصيلم والاستيصال[١].

وروى أنّه عليه السلام قال: لا تنفك هذه الشيعة حتّى تكون بمنزلة المعز لا يدري الحاس على أيّها يضع يده. فليس لهم شرف يشرّفونه، ولا سناد يستندون إليه في أُمورهم[٢].

وروى انّه عليه السلام قال: يأتيكم بعد الخمسين والمئة أُمراء كفرة، وأُمناء خونة وعرفاء فسقة. فتكثر التجار، وتقلّ الأرباح، ويفشو الربا، ويكثر أولاد الزنا، وتتناكر المعارف، وتعمر السباخ، وتعظم الأهلّة، وتستكفي النساء بالنساء، والرجال بالرجال. قال: فقام إليه رجل. فقال: يا أمير المؤمنين وكيف نصنع في ذلك الزمان؟ فقال: الهرب الهرب. فإنّه لا يزال عدل الله مبسوطاً على هذه الأُمّة ما لم يمل قرّاؤهم إلى أُمرائهم، وما لم يزل أبرارهم ينهى فجّارهم. فإن لم يفعلوا ثم استنفروا. فقالوا: لا إله إلّا الله

---

(١) غيبة النعماني: ٩٦ والنقل بتصرف يسير.

(٢) غيبة النعماني: ١٢٧.

قال الله في عرشه: كذبتم لستم بها صادقين[١].

وروى أنّ ابن الكوّا سأله عليه السلام عن الغضب. فقال عليه السلام: هيهات الغضب هيهات، موتات فيهن موتات، وراكب الذعلبة، وما راكب الذعلبة؟ مختلط جوفها بوضينها يخبرهم بخبر فيقتلونه ثمّ الغضب عند ذلك[٢].

وروى انّه عليه السلام حدّث عن أشياء تكون بعده إلى قيام القائم. فقال الحسين عليه السلام يا أمير المؤمنين: متى يطهّر الله الأرض من الظالمين؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام ـ في حديث طويل بعد ذكر بني أُميّة وبني العباس ـ إذا قام القائم بخراسان، وغلب على أرض كرمان، ومُلْتان، وحاز جزيرة بني كاوان، وقام منّا قائم بجيلان، واجابته الأبر والديلم، وظهرت لولدي رايات الترك متفرّقات في الأقطار والخبات وكانوا بين هنات وهنات إذا خربت البصرة، وقام أمير الأمراء ـ إلى أن قال ـ إذا جهّزت الألوف وصفّت الصفوف، وقتل الكبش الخروف هناك يقوم الآخر ويثور الثائر، ويهلك الكافر، ثمّ يقوم القائم المأمول والامام المجهول. له الشرف والفضل هو من ولدك يا حسين، لا إبنَ مثله يظهر بين الركبتين في دريسين باليين، يظهر على الثقلين، ولا يترك في الأرض دمين...[٣].

ويمكن أن يريد عليه السلام بقوله «هذا إبّان ورود كلّ موعود» الفتن الّتي حدثت بعده عليه السلام من بني أُميّة، وبني العباس، وغيرهما، وبقوله: «ودنو من طلعة ما لا تعرفون» الخوارق الّتي قبل قيام القائم.

فروى النعماني: أنّ أمير المؤمنين عليه السلام سئل عن قوله تعالى: ﴿فاختلف

---

(١) غيبة النعماني: ١٦٦.

(٢) غيبة النعماني: ١٧٩.

(٣) غيبة النعماني: ١٨٣.

الأحزاب من بينهم﴾[١] فقال: إنتظروا الفرج من ثلاث. قيل: وما هنّ؟ قال: اختلاف أهل الشام بينهم، والرايات السود من خراسان، والفزعة في شهر رمضان. قيل: وما الفزعة؟ فقال: أو ما سمعتم قوله تعالى ﴿إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلّت أعناقهم لها خاضعين﴾[٢] هي آية تُخرج الفتاة من خدرها، وتُوقظ النائم، وتُفزع اليقظان.

وروى عن الصادق عليه السلام قال: العام الّذي فيه الصيحة قبله الآية في رجب. قيل: وما هي؟ قال: وجه يطلع في القمر، ويد بارزة.

وروى أنّ أبا بصير سأل الصادق عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿عذاب الخزي في الحياة الدنيا﴾[٣] ما هو عذاب خزي الدنيا. فقال: وأيّ خزي أخزى من أن يكون الرجل في بيته وحجاله، ومع إخوانه، وسط عياله إذ شقّ أهله الجيوب عليه، وصرخوا. فيقول الناس: ما هذا؟ فيقال: مسخ فلان الساعة قال: قبل قيام القائم أو بعده؟ قال: بل قبله.

وعن الباقر عليه السلام: شيئان يكونان قبل القائم عليه السلام لم يكونا منذ أهبط الله آدم عليه السلام أبداً، وذلك أنّ الشمس تنكسف في النصف من شهر رمضان، والقمر آخره ـ وزاد في خبر آخر ـ وعنده يسقط حساب المنجّمين.

وعنه عليه السلام إذا رأيتم ناراً من المشرق شبه الهردى العظيم تطلع ثلاثة أيّام أو سبعة. فتوقعوا فرج آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم إن شاء الله، ثمّ قال: الصيحة لا تكون إلّا في شهر رمضان، لأنّ شهر رمضان شهر اللّه، وهي صيحة جبرئيل عليه السلام إلى هذا الخلق، ثمّ قال: ينادي مناد من السماء باسم القائم عليه السلام.

---

(١) الزخرف: ٦٥.

(٢) الشعراء: ٤.

(٣) يونس: ٩٨.

فيسمع من بالمشرق ومن بالمغرب...»[١].

«ألا ومن أدركها منّا يسري فيها بسراج منير، ويحذو فيها على مثال الصالحين ليحلّ فيها رِبقاً» في (الصحاح): الربق بالكسر حبل فيه عدّة عرى تشدّ به البهم، الواحدة من العرى: ربقة، وفي الحديث: خلع ربقة الإسلام من عنقه[٢].

«ويعتق رقّاً» بالكسر أي: مملوكاً.

«ويصدع شعباً» في (الصحاح): الصدع: الشق، وصدعت الشيء: أظهرته[٣].

«ويشعب صدعاً» في (الصحاح): الشعب الصدع في الشيء وإصلاحه، وشعبته فرّقته، وجمعته تقول إلتأم شعبهم: إذا اجتمعوا بعد التفرّق، وتفرّق شعبهم إذا تفرّقوا بعد الإجتماع قال الطرماح: «شتّ شعب الحي بعد التيام»[٤].

قال ابن أبي الحديد: أرادعليه السلام بقوله: «من أدركها منّا» يسري في ظلمات هذه الفتن بسراج منير وهو المهدي واتّباع الكتاب والسنّة، ويحذو فيها يقتفي، ويتّبع مثال الصالحين ليحلّ في هذه الفتن وربقاً: أي: حبلاً معقوداً، ويعتق رقّاً: أي: يستفك أسرى، وينقذ مظلومين من أيدي ظالمين، ويصدع شعباً: أي: يفرّق جماعة من جماعات الضلال، ويشعب صدعاً يجمع ما تفرّق من كلمة أهل الهدى[٥].

قلت: لم يعلم أنّهعليه السلام أراد بقوله المهديعليه السلام بالخصوص بل الظاهر أنّهعليه السلام أراد جميع عترته المعصومين. فقلنا: إنّهعليه السلام أخبر بجملة ما يحدث

---

(١) غيبة النعماني: ١٦٨ و ١٧٠ و ١٨٠ و ١٨٢.

(٢) صحاح اللغة ٤: ١٤٨٠، مادة (ربق).

(٣) صحاح اللغة ٣: ١٢٤١ ـ ١٢٤٢، مادة (صدع).

(٤) صحاح اللغة ١: ١٥٦، مادة (شعب).

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤١٦.

بعد عصره من فتن بني أُميّة، وبني العباس، وغيرهما إلى ظهور المهدي عليه السلام وهو الظاهر من قوله «منّا» بلفظ العموم، فهو نظير قوله عليه السلام في موضع آخر «نحن أهل البيت منها بمنجاة»[1].

وصدق عليه السلام. فجميع المعصومين من عترته عليه السلام كانوا كما وصف عليه السلام مثله في أيّام الثلاثة يسيرون في الفتن بسراج منير، ويحذون على مثال الصالحين فيحلّون في تلك الفتن ربقاً، ويعتقون رقاً، ويصدعون شعباً ويشعبون صدعاً.

روى (الكافي): أنّ الربيع حاجب المنصور قال له وهو في الطواف: إنّ فلاناً مولاك مات البارحة. فقطع فلان مولاك رأسه بعد موته. فاستشاط وغضب. فقال لابن شبرمة وابن أبي ليلى، وعدّة معه من القضاة والفقهاء: ما تقولون في هذا فكلّ منهم قال: ما عندي في هذا شيء. فجعل يقول أقتله أم لا؟ فقيل له: قد قدم الساعة جعفر بن محمّد عليه السلام وقد دخل المسعى. فإن كان عند أحد شيء فعنده. فقال للربيع: إذهب إليه. فقل له: أجبنا في كذا وكذا. فقال عليه السلام له: قد ترى شغل ما أنا فيه، وقِبَلَكَ الفقهاء. فسلهم. فقال: قد سألهم، ولم يكن عندهم فيه شيء. فقال عليه السلام: قل: له عليه مئة دينار. فابلغه فقالوا له: فسله كيف صار عليه مئة دينار. فقال عليه السلام في النطفة عشرون، وفي العلقة عشرون، وفي المضغة عشرون، وفي العظم عشرون، وفي اللحم عشرون. ثمّ أنشأناه خلقاً آخر، وهذا هو ميّت بمنزلته قبل أن ينفخ فيه الروح في بطن أُمّه جنيناً فاخبر المنصور بالجواب فأعجب الفقهاء ذلك. فقالوا: إرجع إليه. فسله الدنانير لمن هي لورثته أم لا؟ فقال عليه السلام: ليس لورثته شيء إنّما هذا شيء أتى إليه في بدنه بعد موته يحجّ بها عنه أو يتصدّق بها عنه أو تصير في سبيل

---

(١) نهج البلاغة ١: ١٨٤، ضمن الخطبة ٩١.

من سبل الخير ـ وفي خبر آخر ـ قال عليه السلام: ديّة الجنين لورثته دون هذا لأنّ الجنين أمر مستقبل مرجو نفعه وهذا قد مضى وذهبت منفعته[١].

وروى عن عمر بن أبي المقدام قال: كنت شاهداً عند البيت الحرام، ورجل ينادي بأبي جعفر المنصور ـ وهو يطوف ـ إنّ هذين الرجلين طرقا أخي ليلاً فأخرجاه من منزله. فلم يرجع إليّ، والله ما أدري ما صنعوا به. فقال لهما: وافياني غداً صلاة العصر في هذا المكان. فوافوه من الغد، وحضر ذاك الوقت أبو عبد الله عليه السلام. فقال المنصور له عليه السلام وهو قابض على يده: إقض بينهم. فقال: أنت اقض بينهم. فقال: بحقّي إلّا قضيت. فخرج عليه السلام فطرح له مصلّى قصب. فجلس عليه. ثمّ جاء الخصماء. فجلسوا قدامه. فقال؛ ما تقول؟ فقال: يا ابن رسول الله إنّ هذين طرقا أخي ليلاً. فأخرجاه من منزله. فوالله ما رجع إليّ، و والله ما أدري ما صنعا به. فقال: ما تقولان؟ قال: كلّمناه ثمّ رجع إلى منزله. فقال أبو عبدالله عليه السلام: يا غلام! أُكتب: «بسم الله الرحمن الرحيم قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: كلّ من طرق رجلاً بالليل. فأخرجه من منزله. فهو له ضامن إلّا أن يقيم البيّنة أنّه قد ردّه إلى منزله» يا غلام نحِّ هذا الواحد منهما. فاضرب عنقه. فقال: يا ابن رسول الله ما أنا قتلته، ولكنّي أمسكته ثمّ جاء هذا فوجأه فقتله. فقال عليه السلام أنا ابن رسول الله يا غلام نحّ هذا، واضرب عنق الآخر. فقال: يا ابن رسول الله، والله ما عذّبته، ولكنّي قتلته بضربة واحدة. فأمر أخاه فضرب عنقه ثمّ أمر بالآخر فضرب جنبيه، وحبسه في السجن، ووقّع على رأسه يحبس عمره، ويضرب كلّ سنة خمسين جلدة[٢].

وروى الصدوق عن وصي علي بن السري قال: قلت للكاظم عليه السلام: إنّه

(١) الكافي ٧: ٣٤٧ و ٣٤٩ ح ١ و ٤، والنقل بتصرف يسير.

(٢) الكافي ٧: ٢٨٧ ح ٣، والنقل بتصرف يسير.

أوصى إليّ، وإنّ ابنه جعفراً وقع على أُمّ ولد له. فأمرني أن أخرجه من الميراث. فقال لي: أخرجه إن كان صادقاً. فسيصيبه خبل. فقدّمني ابنه إلى أبي يوسف القاضي. فقال له: أنا جعفر بن علي السري، وهذا وصيّ أبي فمره أن يدفع إليّ ميراثي من أبي. فقال: ما تقول؟ قلت: نعم هذا ابن علي بن السري، وأنا وصيّ أبيه، قال: فادفع إليه ماله. فقلت له: إنّي أُريد أن أُكلمك. قال: فادن. فدنوت حيث لا يمسع أحد كلامي. فقلت له: هذا وقع على أُم ولد أبيه فأمرني أن لا اورثّه شيئاً. فأتيت موسى بن جعفر عليه السلام بالمدينة. فأخبرته، وسألته. فأمرني أن أخرجه. فقال: الله إنّ أبا الحسن أمرك. فقلت: نعم، فاستحلفني ثلاثاً ثمّ قال لي: «انفذ ما أمرك فالقول قوله». قال الوصيّ فأصابه الخبل بعد ذلك[1].

وجعفر الوارد في الخبر هو جعيفران الموسوس المعروف، وأبوه علي بن أصفر بن السري، روى (الأغاني): في جعيفران أنّ أباه كان دهقان الكرخ ببغداد وكان يتشيّع. فظهر على ابنه أنّه أتى سرية له. فحجّ وشكا ذلك إلى موسى بن جعفر عليه السلام. فقال له: إن كنت صادقاً فليس يموت حتّى يفقد عقله، ولا تطعمه شيئاً من مالك في حياتك، وأخرجه عن ميراثك بعد وفاتك. فقدم فطرده، وسأل الفقهاء عن حيلة حتّى يخرجه عن ميراثه، فدلّوه على سبيل فأشهد به، وأوصى إلى رجل. فلمّا مات حاز الوصيُّ ميراثه. فاستعدى جعيفران عليه أبا يوسف القاضي. فسأل جعيفران البيّنة على نسبه، وعلى تركة أبيه. فأقام، وأحضر الوصي بيّنة يشهدون على أبيه بما كان احتال به عليه. فلم ير أبو يوسف ذلك شيئاً، وعزم على أن يورّثه. فكتب الوصي رقعة بما أفتى به موسى بن جعفر عليه السلام فلمّا قرأها أبو يوسف دعا الوصي،

---

(١) أخرجه الصدوق في الفقيه ٤: ١٦٣ ح ١، والكليني في الكافي ٧: ٦١ ح ١٥، والطوسي في التهذيب ٩: ٢٣٥ ح ١٠، وفي الاستبصار ٤: ١٣٩ ح ٢، والنقل بتصرف يسير.

واستحلفه أنّه قد صدق في ذلك فحلف باليمين الغموس. فقال له: أُغد عليّ مع صاحبك. فلمّا حضرا حكم أبو يوسف للوصي على جعيفران. فلمّا أمضى الحكم عليه، وسوس جعيفران، واختلط منذ يومئذٍ[1]. قلت: الظاهر أنّه عليه السلام أمر عليّاً بقطع جعفر من ميراثه لعلمه بكونه من الزنا لا لمجرد زناه بسرية أبيه.

فروى (الأغاني): أنّ جعيفران اطلّع يوماً في الحبّ. فرأى وجهه. فقال:

ما جعفر لأبيه	ولا له بشبيه
أضحى لقوم كثير	فكلّهم يدّعيه
هذا يقول بنيّ	وذا يخاصم فيه
والأمّ تضحك منهم	لعلمها بأبيه[2]

فالقول بعدم إرث كلّ من زنا بأُمّ ولد أبيه كما مال إليه ابن بابويه مشكل، ولم يكن عترته عليهم السلام يدخلون في أمر من أُمور خلفاء الجور حتّى أنّ المأمون مع كونه أعلمهم، وأعدلهم، وجعله الرضا عليه السلام ولي عهده شرط عليه السلام في قبول الولاية ألّا يتصرّف في شيء من أُموره.

ففي (مروج المسعودي): أنّ المأمون أمر في سنة مئتين بإحصاء ولد العباس من رجالهم، ونسائهم، وصغيرهم، وكبيرهم. فكان عددهم ثلاثة وثلاثين ألفاً، وأمر بجمع خواص الأولياء، وأخبرهم أنّه نظر في ولد العباس، وولد علي. فلم يجد في وقته أحداً أفضل، ولا أحقّ بالأمر من علي بن موسى فبايع له بولاية العهد، وضرب اسمه على الدنانير والدراهم...[3].

وفي (عيون ابن بابويه): عن ياسر الخادم، والريّان بن الصلت، وصالح

---

(١) الأغاني ٢٠: ١٨٨.

(٢) الأغاني ٢٠: ١٩٥.

(٣) مروج الذهب ٣: ٤٤٠ ـ ٤٤١.

بن سعيد الكاتب الراشدي قالوا: لمّا انقضى أمر المخلوع، واستوى أمر المأمون كتب الى الرضاعليه السلام يستقدمه إلى خراسان فاعتلّ عليه الرضاعليه السلام بعلل كثيرة. فما زال المأمون يكاتبه ويسأله حتّى علم الرضاعليه السلام أنّه لا يكفّ عنه. فخرج حتّى وافى مرو. فعرض عليه أن يتقلّد الإمرة والخلافة، فأبى الرضاعليه السلام وجرت في هذه مخاطبات كثيرة، وبقوا في ذلك نحواً من شهرين كلّ ذلك يأبى الرضاعليه السلام فلمّا كثر الخطاب في هذا. قال المأمون: فولاية العهد قال: على أن لا آمر، ولا أنهي، ولا أقضي، ولا أُغيّر شيئاً...(١).

وفي (مقاتل أبي الفرج): بعد ذكر حمل الرضاعليه السلام إلى خراسان وجّه المأمون إلى الفضل بن سهل. فأعلمه أنّه يريد العقد، وأمره بالاجتماع مع أخيه الحسن بن سهل على ذلك. فجعل الحسن يعظّم ذلك عليه ويعرّفه ما في إخراج الأمر من أهله عليه. فقال له: إنّي عاهدت الله أن أُخرجها إلى أفضل آل أبي طالب إن ظفرت بالمخلوع، وما أعلم أحداً أفضل من هذا الرجل. فأرسلهما إليه. فعرضا ذلك عليه فأبى -إلى أن قال-:

قال له أحدهما: والله أمرني بضرب عنقك إن خالفت. ثمّ دعا به المأمون. فخاطبه في ذلك. فامتنع. فقال له: ان عمر جعل الشورى في ستّة أحدهم جدّك وقال: من خالف فاضربوا عنقه، ولابدّ من قبول ذلك فأجابه -إلى أن قال-.

وأمر المأمون ابنه العباس. فبايع له أوّل الناس. فرفع الرضاعليه السلام يده فتلقى بظهرها وجه نفسه وبطنها وجوههم. فقال له المأمون: ابسط يدك للبيعة. فقال له: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله هكذا كان يبايع فبايعه الناس -إلى أن قال-:

قال المأمون للرضاعليه السلام: قم فاخطب الناس. فقام: وقال -بعد حمد الله تعالى-«إنّ لنا عليكم حقّاً برسول الله صلى الله عليه وآله ولكم علينا حقّ به. فإذا أدّيتم إلينا

---

(١) عيون أخبار الرضا: ٢: ١٤٧ ح ٢١، والنقل بتلخيص.

ذلك وجب علينا الحق لكم» ـ ولم يذكر عنه غير هذا في ذلك المجلس. ـ إلى أن قال ـ:

سمع عبد الجبار بن سعيد يخطب تلك السنة على منبر المدينة ويقول: «اللّهمّ واصلح ولي عهد المسلمين عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب:

ستّة آباؤهم ما هم هم   خير من يشرب من صوب الغمام

ـ إلى أن قال ـ ومات الرضا عليه السلام فحضره المأمون قبل أن يحفر قبره وأمر أن يحفر إلى جانب أبيه. قال أبو الصلت: ثمّ أقبل المأمون علينا. فقال: حدّثني صاحب هذا النعش أنّه يحفر له قبر فيظهر فيه ماء وسمك. احفروا فحفروا. فلمّا انتهوا إلى اللحد نبع ماء، وظهر فيه سمك ثمّ غاض الماء. فدفن فيه الرضا عليه السلام[1].

«في سترةٍ عن الناس» قال ابن أبي الحديد: يدلّ على استتار المهدي عليه السلام وليس تصريحاً بقول الإمامية لأنّه يمكن أن يخلق في آخر الزمان، ويكون مستتراً مدّة ثمّ يظهر[2].

قلت: لم يعلم إرادة المهدي عليه السلام به بالخصوص وإلّا فالإماميّة يكفيهم في مذهبهم قوله عليه السلام المتواتر: «لا تخلو الأرض لله من قائم بحجّة إمّا ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مغموراً». كما أقر به في ما مرّ[3]. فيمكن أن يريد به كون مقام الإمام مستوراً عن الناس لعجزهم عن إدراكه.

قال الرضا عليه السلام: إنّ الإمامة أجل قدراً، وأعظم شأناً، وأعلى مكاناً وأمنع

(١) مقاتل الطالبيين: ٣٧٥ ـ ٣٨٠.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤١٦، والنقل بالمعنى.

(٣) مر في العنوان ١ من الفصل السابع وهو في نهج البلاغة ٤: ٣٧، الحكمة ١٤٧.

جانباً، وأبعد غوراً من أن يبلغها الناس بعقولهم أو ينالوها بآرائهم، أو يقيموا إماماً باختيارهم. إنّ الإمامة خصّ الله تعالى بها إبراهيم الخليل عليه السلام بعد النبوّة والخلة مرتبة ثالثة، وفضيلة شرّفه بها، وشاد بها ذكره. فقال تعالى ﴿إنّي جاعلك للناس إماماً﴾ فقال الخليل عليه السلام مسروراً بها ﴿ومن ذريّتي﴾ قال الله تعالى ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾[1] فأبطلت هذه الآية امامة كلّ ظالم إلى يوم القيامة، وصارت في الصفوة...[2].

«**لا يبصر القائف أثره**» في (الصحاح): القائف الّذي يعرف الآثار يقال قفت أثره إذا اتّبعته مثل قفوت أثره، قال القطامي:

كذبت عليك لا تزال تقوفني كما قاف آثار الوسيقة قائف[3]

«**ولو تابع نظره**» أي: كرّره كقوله تعالى: ﴿فارجع البصر هل ترى من فطور ثمّ ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير﴾[4].

«**ثمّ ليُشحذنّ**» بلفظ المجهول من شحذت السكين أي: حددته.

«**فيها قوم شحذ القين**» أي: الحدّاد.

«**النصل**» أي: حديد السيف والسكّين.

روى النعماني أنّ الباقر عليه السلام قال لأصحابه: إنّ حديثكم هذا لتشمئزّ منه قلوب رجال. فانبذوه إليهم نبذاً. فمن أقرّ به فزيدوه، ومن أنكر فذروه. إنّه لابدّ من أن تكون فتنة يسقط فها كلّ بطانة ووليجة، حتّى يسقط فيها من يشق الشعرة بشعرتين حتّى لا يبقى إلّا نحن وشيعتنا[5].

---

(١) البقرة: ١٢٤.

(٢) رواه الصدوق في عيون الأخبار ١: ١٧١ ح ١.

(٣) صحاح اللغة ٤: ١٤١٨، مادة (قوف).

(٤) الملك: ٣ ـ ٤.

(٥) غيبة النعماني: ١٣٦.

«تُجلَى بالتنزيل أبصارهم، ويرمى بالتفسير في مسامعهم» ﴿وما يعلم تأويله إلّا الله والراسخون في العلم﴾[(١)].

«ويُغبَقون» بلفظ المجهول، والغبوق الشرب بالعشي تقول غبقته فاغتبق.

«كاس» قال ابن الأعرابي: لا تسمّى الكأس كأساً إلّا وفيها الشراب[(٢)].

«الحكمة» أي: اتقان الأمور، والأصل فيها حكمة اللّجام، وهي ما أحاط بالحنك.

«بعد الصبوح» الشرب في الصباح، والغبوق، والصبوح بكأس الحكمة استعارة كقول زرقاء اليمامة لمّا سئلت عن سبب قوّة عينيها «كنت أكحلهما بصبوح من صبر، وغبوق من أثمد».

عن الصادق عليه السلام شيعتنا من لا يهرّ هرير الكلب، ولا يطمع طمع الغراب ولا يسأل الناس بكفّه، وإن مات جوعاً. قيل له: أين نطلبهم؟ قال: أُطلبهم في أطراف الأرض، أُولئك الخشن عيشهم، المنتقلة ديارهم الّذين إن شهدوا لم يعرفوا، وإن غابوا لم يفتقدوا، وإن مرضوا لم يعادوا، وإن خطبوا لم يزوّجوا، وإن ماتوا لم يشهدوا. أُولئك الّذين في أموالهم يتواسون، وفي قبورهم يتزاورون، ولا تختلف أهواؤهم، وإن اختلفت بهم البلدان[(٣)].

(منها) ﴿وطال الأمد بهم ليستكملوا الخزي ويستوجبوا الغير﴾ ﴿فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون﴾[(٤)] ﴿ولا يحسبنّ الّذين كفروا أنّما نملي لهم خير لأنفسهم إنّما نملي لهم ليزدادوا إثماً

(١) آل عمران: ٧.

(٢) لسان العرب ٦: ١٨٩، مادة (كأس).

(٣) رواه النعماني في الغيبة: ١٣٦.

(٤) الحديد: ١٦.

ولهم عذاب مهين﴾[١] ﴿فلمّا نسوا ما ذكّروا به فتحنا عليهم أبواب كلّ شيء حتّى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون﴾[٢] ﴿فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾[٣].

«حتّى إذا اخلولق الأجل» أي: قرب كثيراً. قال الجزري: هذا البناء للمبالغة وهو إفعوعل كاغدودق، واعشوشب، وفي خطبة ابن الزبير «إنّ الموت قد تغشّاكم سحابه، وأحدق بكم ربابه، واخلولق بعد تفرّق» وفي (الصحاح): «إخلولق السحاب أي: استوى، ويقال صار خليقاً للمطر. واخلولق الرسم أي: استوى بالأرض» وفي (القاموس): «إخلولق السحاب استوى وصار خليقاً للمطر، والرسم استوى بالأرض ومتن الفرس أملس»[٤].

هذا ولم نقف على ذكر «إخلولق» في غير (النهاية)، و (القاموس)، والمفهوم منها عدم استعمالها ناقصة، وممّا ذكرنا يظهر لك ما في قول ابن مالك في أفعال المقاربة «وألزموا اخلولق أن مثل حرى» وقوله:

بعد عسى اخلولق أوشك قد يرد ... غنى بأن يفعل عن ثان فقد[٥]

والظاهر أنّه أخذه من سيبويه.

ففي شرح ابنه قال سيبويه: تقول «عسيت أن تفعل كذا» فإنّ هاهنا بمنزلتها في «قاربت أن تفعل» وبمنزلة دنوت أن تفعل، واخلولقت السماء أن تمطر[٦]. إلّا أنّ الظاهر أنّه خلط بين المعنى، والاستعمال.

---

(١) آل عمران: ١٧٨.

(٢) الانعام: ٤٤.

(٣) النحل: ١١٢.

(٤) النهاية ٢: ٧٢، مادة (خلق)، وصحاح اللغة ٤: ١٤٧٢، مادة (خلق). والقاموس٣: ٢٢٩، مادة (خلق).

(٥) شرح الألفية لابن عقيل: ١٢٤ و ١٢٨.

(٦) شرح ابن ناظم: ٧٩.

وممّا ذكرنا يظهر لك ما في قول الخوئي «قول ابن ميثم معنى إخلولق صار خليقاً ليس بشيء. فإنّه في ما إذا كان ناقصة في مثل اخلولقت السماء أن تمطر لا هنا فإنّه تامة بمعنى قرب»[١].

«واستراح قوم إلى الفتن» هكذا في (النسخ)[٢]، ولا يبعد أن يكون «إلى الفتن» محرّف «في الفتن».

روى النعماني عن أبي بكر الحضرمي قال: دخلت أنا وأبان على أبي عبدالله عليه السلام حين ظهرت الرايات السود بخراسان. فقلنا: ما ترى؟ فقال اجلسوا في بيوتكم. فإذا رأيتمونا قد اجتمعنا على رجل فانهدوا إلينا بالسلاح[٣].

«وأشالوا» هكذا في (المصرية)، والصواب: (واشتالوا) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٤].

قال ابن أبي الحديد: «يقال شال فلان كذا أي: رفعه، واشتال افتعل هو في نفسه»[٥] قلت: بل شال لازم قال ابن دريد «شال هو إذا ارتفع، واشلته أنا إذا رفعته»[٦] ويقال شال الميزان إذا ارتفعت احدى كفّتيه، وشال ذنبها إذا ارتفع، وقال الراجز:

تأبّري يا خيرة الفسيل ... تأبّري من حنذ فشولي

وقال الأخطل في جرير:

وإذا وضعت أباك في ميزانهم ... رجحوا وشال أبوك في الميزان

---

(١) شرح الخوئي ٤: ١٦٣، وشرح ابن ميثم ٣: ٢١٦، والنقل بالمعنى.

(٢) نهج البلاغة ٣: ٣٦، وشرح ابن أبي الحديد ٢: ٤١٦، وشرح ابن ميثم ٣: ٢١٥.

(٣) غيبة النعماني: ١٣١.

(٤) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤١٦، لكن في شرح ميثم ٣: ٢١٥ مثل المصرية.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤١٦.

(٦) جمهرة اللغة ١: ٢٣٥.

وقال النمر بن تولب في فرس:

جموم السد شائلة الذنابى تخال بياض غرّتها سراجا[١]

بل ظاهر (الصحاح): عكس ما قال. فقال: «شالت الناقة بذنبها تشوله واشتالته أي: رفعته»[٢] فعدّى شال بالباء، وعدّى اشتال بالنفس لكن الظاهر أنّه رأى «وأشالته» فقرأه «واشتالته» ولا ريب في أنّ أشال متعدّ. قال:

ءأبلي تأكلها مصنّا خافض سنّ ومشيل سنا[٣]

ومن الغريب أنّ (القاموس): قال: «شالت الناقة بذنبها شولاً وشولاناً، وأشالته رفعته. فشال الذنب نفسه، لازم متعد»[٤] فلا يلزم ممّا ذكر إلّا كون شال لازماً.

«عن لقاح حربهم» في (الصحاح): ألقح الفحل الناقة (أي: أحبلها) ولقحت الناقة بالكسر لقحاً، ولقاحاً بالفتح، واللقاح بالكسر الابل بأعيانها الواحدة لقوح وهي الحلوب[٥].

قال ابن أبي الحديد: معنى قوله عليه السلام «واشتالوا عن لقاح حربهم» رفعوا أيديهم وسيوفهم عن أن يشبّوا الحرب بينهم وبين هذه الفئة مهادنة[٦]. قلت: من المحتمل أن يكون المعنى أن تولّد حربهم صار قريباً كناقة صار وضعها قريباً. قال الجوهري: الشول النوق الّتي خفّ لبنها، وارتفع ضرعها، وأتى عليها من نتاجها سبعة أشهر أو ثمانية...[٧]، وقال

---

(١) أورد هذه الشواهد لسان العرب ١١: ٣٧٤ و ٣٧٥، مادة (شول).

(٢ و ٣) صحاح اللغة ٥: ١٧٤١ مادة (شول).

(٤) القاموس ٣: ٤٠٤ مادة (شول).

(٥) صحاح اللغة ١: ٤٠١ مادة (لقح).

(٦) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤١٦.

(٧) صحاح اللغة ٥: ١٧٤٢، مادة (شول).

الشاعر: «حتّى إذا ما العشر عنها شوّلا»[١].

«ولم يمنّوا على الله بالصبر، ولم يستعظموا بذل أنفسهم في الحق» قال ابن أبي الحديد: لم يمنّوا هذا جواب قوله حتى إذا، والضمير في يمنّوا راجع إلى العارفين الذين تقدم ذكرهم[٢].

قلت: بل حال من قوله «واستراح قوم» ولا يصحّ أن يكون جواباً لأنّ عدم منّتهم على الله بصبرهم، وعدم عدّ بذل أنفسهم في الحق عظيماً كانا من الابتداء لا بعد اخليلاق الأجل، وإنّما الجواب «حملوا» كما يأتي.

«حتّى» هكذا في (النسخ)[٣]، ولا يبعد أن يكون مصحف (وحتّى) حتّى يكون عطفاً على «حتّى» الأُولى.

«إذا وافق وارد القضاء انقطاع مدّة البلاء» والمراد صيرورة وقت ظهور المهدي عليه السلام. روى النعماني عن الصادق عليه السلام أنّ قوله تعالى ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكنن لهم دينهم الّذي ارتضى لهم وليبدّلنّهم من بعد خوفهم أمناً﴾[٤]، نزلت في القائم عليه السلام وأصحابه.

وعنه عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً﴾[٥] نزلت في القائم عليه السلام وأصحابه يجتمعون على غير ميعاد[٦].

«حملوا بصائرهم على أسيافهم» روى النعماني عن الصادق عليه السلام في قوله

---

(١) أورده لسان العرب ١١: ٣٧٥، مادة (شول).

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤١٧.

(٣) نهج البلاغة ٢: ٣٦، وشرح ابن أبي الحديد ٢: ٤١٧، وشرح ابن ميثم ٣: ٢١٦.

(٤) النور: ٥٥.

(٥) البقرة: ١٤٨.

(٦) غيبة النعماني: ١٦٠.

تعالى: ﴿يعرف المجرمون بسيماهم﴾[١] قال: الله يعرفهم ولكن نزلت في القائم عليه السلام يعرفهم بسيماهم فيخبطهم بالسيف هو وأصحابه خبطاً[٢].

وروى عن أبان بن تغلب قال: كنت مع جعفر بن محمّد عليه السلام في مسجد مكّة وهو آخذ بيدي. فقال: يا أبان! سيأتي الله بثلاثمئة وثلاثة عشر رجلاً في مسجدكم هذا. يعلم أهل مكّة أنّه لم يخلق آباؤهم، ولا أجدادهم بعد، عليهم السيوف، مكتوب على كلّ سيف اسم الرجل، واسم أبيه، وحليته، ونسبه، ثم يأمر منادياً فينادي، هذا المهدي يقضي بقضاء داود وسليمان لا يسأل على ذلك بيّنة[٣].

هذا، وفي (الصحاح): قال أبو زيد: البصيرة من الدم ما كان على الأرض والجدية ما لزق بالجسد، وقال الأصمعي: البصيرة: شيء من الدم يستدلّ به على الرمية[٤].

وفي (الجمهرة): البصيرة: القطعة من الدم تستدير على الأرض أو على الثوب كالترس الصغير، وأنشد بيت الاسعر:

جاءوا بصائرهم على أكتافهم وبصيرتي يعدو بها عتدواى

ـ ويروى: راحوا[٥].

«ودانوا لربهم بأمر واعظهم» روى النعماني عن الباقر عليه السلام: كأنّي بدينكم هذا لا يزال مولّياً يفحص بدمه ثمّ لا يردّه عليكم إلّا رجل منّا أهل البيت. فيعطيكم في السنة عطاءين، ويرزقكم في الشهر رزقين، وتؤتون الحكمة في

---

(١) الرحمن: ٤١.

(٢) غيبة النعماني: ١٦٠.

(٣) غيبة النعماني: ٢١٤.

(٤) صحاح اللغة ٢: ٥٩٢، مادة (بصر).

(٥) جمهرة اللغة ١: ٢٥٩.

زمانه حتّى أنّ المرأة لتقضي في بيتها بكتاب الله تعالى وسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[(١)].

٣٥
الخطبة (١١٤)

مِنْهَا:

لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ مِمَّا طُوِيَ عَنْكُمْ غَيْبُهُ، إِذاً لَخَرَجْتُمْ إِلَى ٱلصُّعُدَاتِ تَبْكُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ، وَتَلْتَدِمُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ. وَلَتَرَكْتُمْ أَمْوَالَكُمْ لَا حَارِسَ لَهَا وَلَا خَالِفَ عَلَيْهَا، وَلَهَمَّتْ كُلَّ ٱمْرِئٍ نَفْسُهُ لَا يَلْتَفِتُ إِلَى غَيْرِهَا. وَلكِنَّكُمْ نَسِيتُمْ مَا ذُكِّرْتُمْ، وَأَمِنْتُمْ مَا حُذِّرْتُمْ، فَتَاهَ عَنْكُمْ رَأْيُكُمْ، وَتَشَتَّتَ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ. وَلَوَدِدْتُ أَنَّ ٱللهَ فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَأَلْحَقَنِي بِمَنْ هُوَ أَحَقُّ بِي مِنْكُمْ. قَوْمٌ وَٱللهِ مَيَامِينُ ٱلرَّأْيِ، مَرَاجِيحُ ٱلْحِلْمِ، مَقَاوِيلُ بِالْحَقِّ، مَتَارِيكُ لِلْبَغْيِ. مَضَوْا قُدُماً، عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ وَأَوْجَفُوا عَلَى ٱلْمَحَجَّةِ، فَظَفِرُوا بِالْعُقْبَى ٱلدَّائِمَةِ وَٱلْكَرَامَةِ ٱلْبَارِدَةِ.

«ولو» في (المصرية) «لو» وليس بصواب.

«تعلمون ما أعلم» من استيلاء الجبابرة عليكم عقوبة من الله تعالى في وهنكم في أمر الله تعالى في حقّه عليه السلام يوم السقيفة، ويوم الشورى، ويوم رفع المصاحف، وأيام غارات معاوية إلى أن ينجرّ إلى تسلّط الحجّاج عليهم، وقد أفصح عليه السلام عنه في ذيل كلامه بعد العنوان.

«ممّا طوى عنكم غيبه» وخفى عليكم خبره.

«إذن لخرجتم إلى الصُّعُدات» أي: الطرق، وتركتم البيوت.

«تبكون على أعمالكم» قال تعالى ﴿فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً

(١) غيبة النعماني: ١٥٨.

جزاءً بما كانوا يكسبون﴾[١].

«وتلتدمون» أي: تضربون صدوركم كالنساء في النياحة.

«على أنفسكم» أي: على مأتم أنفسكم.

«ولتركتم أموالكم لا حارس» أي: حافظ.

«لها، ولا خالف عليها» فإنّ الناس إذا غابوا عن أموالهم يخلفون عليها من يحفظها.

«ولهمّت كلّ امرئٍ نفسه» هكذا في (المصرية)، والصواب: (منكم نفسه) كما في الثلاثة[٢]. قال ابن أبي الحديد: ويروى «ولأهمّت» وهو أصح[٣] ـ قلت: ويشهد لأصحيته لفظ القرآن قال تعالى ﴿وطائفة قد أهمّتهم أنفسهم﴾[٤] أي: يكون يومئذٍ همّ كلّ امرئٍ نجاة نفسه.

«لا يلتفت إلى غيرها» كيوم القيامة.

«ولكنّكم نسيتم ما ذُكّرتم، وأمنتم ما حُذّرتم» من أن من أعان ظالماً ـ بل لو عذره ـ سلّط الله تعالى عليه قال تعالى: ﴿وكذلك نولّي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون﴾[٥].

وفي (خلفاء ابن قتيبة) ـ في طي خطبته عليه السلام لما دعاهم إلى حرب معاوية بعد انقضاء أمر الخوارج، وتركهم له عليه السلام في نفر ـ «والله يا أهل العراق ما أظن هؤلاء القوم من أهل الشام إلّا ظاهرين عليكم» ـ فقالوا: أبعلم تقول ذلك يا أمير المؤمنين؟ ـ فقال: نعم، والّذي فلق الحبّة، وبرأ النسمة إنّي أرى أُمورهم

---

(١) التوبة: ٨٢.

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٥٧، لكن لفظ شرح ابن ميثم ٣: ١٠٧ مثل المصرية أيضاً.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٥٧.

(٤) الأنعام: ١٢٩.

(٥) آل عمران: ١٥٤.

قد علت، وأرى أُموركم قد خبت، وأراهم جادّين في باطلهم، وأراكم وانين في حقكم، وأراهم مجتمعين، وأراكم متفرّقين، وأراهم لصاحبهم معاوية مطيعين، وأراكم لي عاصين، أما والله لئن ظهروا عليكم بعدي لتجدنّهم أرباب سوء.

كأنّهم والله عن قريب قد شاركوكم في بلادكم، وحملوا إلى بلادهم منكم.

وكأنّي أُنظر إليكم تكشّون كشيش الضباب لا تأخذون لله حقّاً، ولا تمنعون له حرمة.

وكأنّي أنظر إليهم يقتلون صلحاءكم، ويخيفون علماءكم.

وكأنّي أنظر اليكم يحرمونكم، ويحجبونكم، ويدنون الناس دونكم. فلو قد رأيتم الحرمان، ولقيتم الذل والهوان، ووقع السيف، ونزل الخوف لندمتم، وتحسّرتم على تفريطكم في جهاد عدوّكم، وتذكّرتم ما أنتم فيه من الخفض، والعافية حين لا ينفعكم التذكار. فقال الناس: قد علمنا يا أمير المؤمنين أنّ قولك كلّه وجميع لفظك يكون حقّاً أترى معاوية يكون علينا أميراً؟ فقال عليه السلام: لا تكرهون إمرة معاوية. فإنّ إمرته سلم وعافية. فلو قد مات رأيتم الرؤوس تندر عن كواهلها كأنّها الحنظل. وعداً كان مفعولاً. فأمّا إمرة معاوية فلست أخاف عليكم شرّها، وما بعدها أدهى وأمرّ[1].

«**فتاه**» أي: وقع في الحيرة.

«**عنكم رأيكم**».

«**وتشتّت**» أي: تفرّق.

«**عليكم أمركم. ولوددت**» هكذا في (المصرية)، والصواب: (لوددت)

(١) الإمامة والسياسة ١: ١٥٢.

كما في الثلاثة[١]، ولأنّ المقام مقام الفصل.

«أنّ الله فرّق بيني وبينكم، وألحقني بمن هو أحقّ بي منكم» قال ابن أبي الحديد: أي: النبيّ صلى الله عليه وآله والصالحين من أصحابه كحمزة، وجعفر، وأمثالهما ممّن كان عليه السلام يثني عليه[٢]. قلت: وكذلك شيعته العارفون بحقّه كسلمان، وأبي ذر، والمقداد، وعمار، ونظراؤهم.

«قوم والله ميامين» جمع ميمون.

«الرأي مراجيح الحلم» بالكسر الاناة، وفعله حلم بالضم.

«مقاويل» جمع مقوال مبالغة قائل.

«بالحقّ» في (سفيانية الجاحظ): كان أبو ذر يصرخ كلّ يوم على باب قصر معاوية: «أتاكم القطار يحمل النار. اللّهمّ اللعن الآمرين بالمعروف التاركين له. اللّهمّ العن الناهين عن المنكر المرتكبين له»[٣].

وفي (طبقات ابن سعد): أنّه قيل له: ألم ينهك عثمان عن الفتيا. فقال أبو ذر: والله لو وضعتم الصمصامة على هذا -وأشار إلى حلقه- على أن أترك كلمة سمعتها من النبيّ صلى الله عليه وآله لأنفذتها قبل أن يكون ذلك[٤].

«متاريك» جمع متراك مبالغة تارك.

«للبغي، مضوا قدماً على الطريقة» بضمتين أي: أقداماً يأتي للواحد، والتثنية، الجمع، والمذكر، والمؤنث. قال الشاعر «تمضي إذا زجرت عن سوأة قدما»[٥].

(١) لفظ شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٥٧، وشرح ابن ميثم ٣: ١٠٧ مثل المصرية أيضاً.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٥٧.

(٣) رواه عنه ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ٣٥٦، شرح الخطبة ١٢٨.

(٤) طبقات ابن سعد ٢: ق ٢: ١١٢.

(٥) أورده لسان العرب ١٢: ٤٧١، مادة (قدم).

«وأوجفوا» أي: أسرعوا في السير قال تعالى: ﴿فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب﴾[١].

«على المحجّة» جادّة الطريق، والمراد سبيل الشريعة.

«فظفروا بالعقبى الدائمة، والكرامة الباردة» أي: الثابتة وفي الديوان:

فقد أعرف أقواماً	وإن كانوا صعاليكا
مساريع إلى النجدة	للبغي متاريكا[٢]

٣٦
من الكتاب (١٠)

وَزَعَمْتَ أَنَّكَ جِئْتَ ثَائِراً بِعُثْمَانَ. وَلَقَدْ عَلِمْتَ حَيْثُ وَقَعَ دَمُ عُثْمَانَ فَاطْلُبْهُ مِنْ هُنَاكَ إِنْ كُنْتَ طَالِباً، فَكَأَنِّي قَدْ رَأَيْتُكَ تَضِجُّ مِنَ ٱلْحَرْبِ إِذَا عَضَّتْكَ ضَجِيجَ ٱلْجِمَالِ بِالْأَثْقَالِ وَكَأَنِّي بِجَمَاعَتِكَ تَدْعُونِي جَزَعاً مِنَ ٱلضَّرْبِ ٱلْمُتَتَابِعِ وَٱلْقَضَاءِ ٱلْوَاقِعِ وَمَصَارِعَ بَعْدَ مَصَارِعَ ـ إِلَى كِتَابِ ٱللهِ، وَهِيَ كَافِرَةٌ جَاحِدَةٌ، أَوْ مُبَايِعَةٌ حَائِدَةٌ.

«وزعمت أنك جئت ثائراً بعثمان» أي: طالباً لدمه.

«ولقد علمت حيث وقع دم عثمان فاطلبه من هناك ان كنت طالباً» فجميع الناس كانوا يعلمون أنّ المسبب لقتله إنما كان طلحة والزبير، وعائشة، ومن كان معهم. فقال ابن أبي كلاب لعائشة ـ وكان من أخوالها ـ لما قالت: لأُطلبنّ بدم عثمان لمّا سمعت أنّ الناس قتلوه، وبايعوا أمير المؤمنين عليه السلام ـ والله إنّ أوّل من أمال حرف عثمان لأنتِ، ولقد كنتِ تقولين: أُقتلوا نعثلاً فقد كفر[٣].

---

(١) الحشر: ٦.

(٢) اسقط الشارح شرح فقرة «فظفروا بالعقبى الدائمة والكرامة الباردة».

(٣) رواه الطبرسي في تاريخه ٤: ٤٧٧، سنة ٣٦.

ولمّا بلغ أصحاب عائشة وطلحة والزبير ذات عرق في مسيرهم إلى البصرة -وكان تبعهم مروان، وغيره من بني اُميّة هرباً من أمير المؤمنين عليه السلام- ولم يكن معهم سعيد بن العاص. فلقي سعيد، مروان وأصحابه من بني اُميّة فقال لهم -كما في (كامل الجزري)- أين تذهبون وتتركون ثاركم على أعجاز الابل وراءكم -يعني عائشة وطلحة والزبير- اُقتلوهم ثمّ ارجعوا إلى منازلكم[1].

«**فكأنّي قد رأيتك تضجّ من الحرب إذا عضّتك ضجيج الجمال بالأثقال**» في (تاريخ الطبري): لمّا قتلت الزبّاء جذيمة الأبرش جدع قصير أنفه وأثّر آثاراً بظهره، وخرج إلى الزبّاء. فقالت: ما الّذي أرى بك؟ فقال: زعم عمرو بن عدي أنّي غررت خاله، وزيّنت له السير إليك. ففعل بي ما ترين فأقبلت إليك. فأكرمته فلمّا عرف أنّها وثقت به قال لها: إنّ لي بالعراق أموالاً، وطرائف، فابعثيني إليها. فلا طرائف كطرائف العراق -إلى أن قال-:

ثمّ عاد قصير الثالثة إلى العراق. فقال قصير لعمرو بن عدي: إجمع لي ثقات أصحابك وجندك، وهيئ لهم الغرائر، والمسوح، واَحمل كلّ رجلين على بعير في غرارتين، واجعل معقد رؤوس الغرائر من باطنها ففعل -إلى أن قال-:

فخرجت الزبّاء فرأت الإبل تكاد قوائمها تسوخ في الأرض من ثقل أحمالها فقالت:

ما للجمال مشيُها وئيدا أجندلاً يحملن أم حديدا

أم صرفاناً بارداً شديدا[2]

---

(١) الكامل ٣: ٢٨، سنة ٣٦.

(٢) تاريخ الطبري ١: ٤٤٧ ـ ٤٤٨، والنقل بتصرف يسير.

قيل: أي: جنس من التمر.

«وكأنّي بجماعتك تدعوني جزعاً من الضرب المتتابع، والقضاء الواقع، ومصارع بعد مصارع إلى كتاب الله» في (صفين نصر بن مزاحم) ـ في طي ذكر ليلة الهرير ـ فقام علي عليه السلام خطيباً ثمّ قال: «أيّها الناس! قد بلغ بكم الأمر، وبعدوّكم ما قد رأيتم، ولم يبق منهم إلّا آخر نفس، وإنّ الأُمور إذا أقبلت اعتبر آخرها بأوّلها وقد صبر لكم القوم على غير دين حتّى بلغنا منهم ما بلغنا، وأنا غاد عليهم بالغداة أُحاكمهم إلى الله ـ عزّ وجلّ ـ» فبلغ ذلك معاوية فدعا عمرو بن العاص فقال: يا عمرو! إنّما هي الليلة حتّى يغدو علينا عليٌّ بالفيصل. فما ترى؟ قال: إنّ رجالك لا يقومون لرجاله، ولستَ مثله هو يقاتلك على أمر، وأنت تقاتله على غيره، أنت تريد البقاء، وهو يريد الفناء، وأهل العراق يخافون منك إن ظفرت بهم، وأهل الشام لا يخافون عليّاً إن ظفر بهم، ولكن ألق إليهم أمراً إن قبلوه اختلفوا، وإن ردّوه اختلفوا. أُدعهم إلى كتاب الله حكماً في ما بينك وبينهم، فإنّك بالغ به حاجتك في القوم، فإنّي لم أزل أُؤخّر هذا الأمر لوقت حاجتك إليه. فعرف ذلك معاوية. فقال: صدقت[1].

«وهي» أي: تلك الدعوة.

«كافرة» بالله.

«جاحدة» لكتاب الله.

«أو مبايعة حائدة» أي: مائلة عن الإسلام.

روى (نصر بن مزاحم): عن تميم بن حذيم قال: لمّا أصبحنا من ليلة الهرير نظرنا فإذا أشباه الرايات أمام صف أهل الشام، وسط الفيلق من حيال موقف معاوية. فلمّا أسفرنا إذا هي المصاحف قد ربطت على أطراف الرماح،

---

(١) وقعة صفين: ٤٧٦.

وهي عظام مصاحب العسكر، وقد شدّوا ثلاثة أرماح جميعاً، وقد ربطوا عليها مصحف المسجد الأعظم يمسكه عشرة رهط. وقال أبو جعفر، وأبو الطفيل استقبلوا عليّاًعليه السلام بمئة مصحف، ووضعوا في كلّ مجنبة مئتي مصحف، وكان جميعها خمسمئة مصحف قال أبو جعفر ثمّ قام الطفيل بن أدهم حيال عليّعليه السلام وقام أبو شريح الجذامي حيال الميمنة، وقام ورقاء بن المعمر حيال الميسرة. ثمّ نادوا، يا معشر العرب الله الله في نسائكم وبناتكم. فمن للروم والأتراك وأهل فارس غداً إذا فنيتم، الله الله في دينكم، هذا كتاب الله بيننا وبينكم. فقال عليّعليه السلام: اللّهمّ انّك تعلم أنّهم ما الكتاب يريدون فاحكم بيننا وبينهم[1].

قال ابن أبي الحديد: إنّ قولهعليه السلام: «فكأنّي رأيتك تضجّ من الحرب...» إمّا ان يكون فراسة نبويّة صادقة ـ وهذا عظيم ـ وإمّا أن يكون إخباراً عن غيب مفصّل وهو أعظم وأعجب، وعلى كلا الأمرين فهو غاية العجب، وقد رأيت له ذكر هذا المعنى في كتاب غير هذا وهو:

«أما بعد، فما أعجب ما يأتيني منك، وما أعلمني بمنزلتك الّتي أنت إليها صائر ونحوها سائر. وليس إبطائي عنك إلّا لوقت أنا به مصدّق، وأنت به مكذّب وكأنّي أراك وأنت تضجّ من الحرب، وإخوانك يدعونني خوفاً من السيف إلى كتاب هم به كافرون وله جاحدون».

ووقفت لهعليه السلام على كتاب آخر إلى معاوية يذكر فيه هذا المعنى أوّله: أما بعد. فطالما دعوت أنت وأولياؤك أولياء الشيطان الحق أساطير، ونبذتموه وراء ظهوركم، وحاولتم اطفاءه بأفواهكم ﴿ويأبى الله إلّا أن يتمّ نوره

---

(١) وقعة صفين: ٤٧٨.

ولو كره الكافرون﴾(١) ولعمري لينفذن العلم فيك، وليتمّنّ النور بصغرك، وقماءتك ولتخسأنَّ طريداً مدحوراً، أو قتيلاً مثبوراً، ولتجزين بعملك حيث لا ناصر لك، ولا مُصرِّخ عندك، وقد أسهبت في ذكر عثمان ولعمري ما قتله غيرك، ولا خذله سواك، ولقد تربصّت به الدوائر، وتمنّيت له الأماني طمعاً في ما ظهر منك، ودلّ عليه فعلك. وإنّي لأرجو أن اُلحقك به على أعظم من ذنبه، وأكبر من خطيئته.

فأنا إبن عبد المطلب صاحب السيف، وانّ قائمه لفي يدي، وقد علمت من قتلت به من صناديد بني عبد شمس، وفراعنة بني سهم، وجمح وبني مخزوم وأيتمت أبناءهم وأيّمت نساءهم، وأُذكّرك ما لست له ناسياً؛ يوم قتلت أخاك حنظلة، وجررت برجله إلى القليب، وأسرتُ أخاك عمراً فجعلت عنقه بين ساقيه رباطاً، وطلبتك ففررتَ، ولك حُصاص، فلولا أنّي لا أتبع فاراً لجعلتك ثالثهما، وأنا أُولِي لك بالله ألِيّة برّة غير فاجرة. لئن جمعتني وإيّاك جوامع الأقدار لأتركنّك مثلاً يتمثّل به الناس أبداً، ولأجعجعنّ بك في مناخك حتّى يحكم الله بيني وبينك، وهو خير الحاكمين.

ولئن أنسأ الله في أجلي قليلاً لأغزينّك سرايا المسلمين، ولأنهدنّ اليك في جحفل من المهاجرين والأنصار. ثمّ لا أقبل لك معذرة ولا شفاعة، ولا أجيبك إلى طلب وسؤال، ولترجعنّ إلى تحيّرك، وتردّدك وتلدّدك، فقد شاهدت وأبصرت ورأيت سحب الموت كيف هطلت عليك بصيّبها حتّى اعتصمت بكتاب أنتَ وأبوك أوّل من كفر وكذّب بنزوله، ولقد كنتُ تفرّستُها، وآذنتكَ أنّكَ فاعلُها، وقد مضى منها ما مضى، وانقضى من كيدك فيها ما انقضى، وأنا سائرٌ نحوك على أثر هذا الكتاب. فاختر لنفسك، وانظر لها، وتداركها؛ فإنّك إن

---

(١) التوبة: ٣٢.

فرّطت واستمررت على غيّك وغلوائك حتّى ينهد إليك عباد الله، أُرتِجَتْ عليك الأُمور، ومُنِعتَ أمراً هو اليوم منك مقبول.

يا ابن حرب! إنّ لجاجك في منازعة الأمر أهله من سفاه الرّأي، فلا يطمعنّك أهل الضلال، ولا يوبقنّك سفه رأي الجهّال. فوالّذي نفس عليّ بيده لئن برقت في وجهك بارقة من ذي الفقار؛ لتصعقنّ صعقة لا تُفيق منها حتّى ينفخ في الصور النفخة الّتي يئست منها ﴿كما يئس الكفار من أصحاب القبور﴾ [(١)].

قلت: كتابه عليه السلام هذا وإن كان بعد وقوع الأمر إلّا أنّه تضمّن أنّه عليه السلام قال لمعاوية إنّي أعلمتك قبل بأنّك تفعل ذلك.

٣٧
الخطبة (٦٩)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عليه السلام فِي ذَمّ أَهْلِ الْعِرَاقِ:

أَمَّا بَعْدُ؛ يَا أَهْلَ ٱلْعِرَاقِ! فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَالْمَرْأَةِ ٱلْحَامِلِ حَمَلَتْ فَلَمَّا أَتَمَّتْ أَمْلَصَتْ وَمَاتَ قَيِّمُهَا، وَطَالَ تَأَيُّمُهَا، وَوَرِثَهَا أَبْعَدُهَا أَمَا وَٱللهِ مَا أَتَيْتُكُم ٱخْتِيَاراً وَلكِنْ جِئْتُ إِلَيْكُمْ سَوْقاً، وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تَقُولُونَ عَلِيٌّ يَكْذِبُ. قَاتَلَكُمُ ٱللهُ فَعَلَى مَنْ أَكْذِبُ أَعَلَى ٱللهِ؟ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ. أَمْ عَلَى نَبِيِّهِ؟ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ. كَلَّا وَٱللهِ وَلكِنَّهَا لَهْجَةٌ غِبْتُمْ عَنْهَا وَلَمْ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهَا. وَيْلُمِّهِ كَيْلاً بِغَيْرِ ثَمَنٍ لَوْ كَانَ لَهُ وِعَاءٌ، وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ.

أقول: رواه (الإرشاد) مع اختلاف وزيادات. فقال: قال عليه السلام: يا أهل الكوفة أنتم كأُمّ مجالد حملت فأملصت. فمات قيّمها. فطال تأيُّمها، وورثها أبعدها،

(١) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٤١٩ و ٤٢٠. والآية ١٢ من سورة الممتحنة.

والّذي فلق الحبّة، وبرأ النسمة إنّ من ورائكم الأعور الأدبر جهنم الدنيا لا تبقي ولا تذر، ومن بعده النّهاس الفراس. الجموع المنوع، ثم ليتوارثنكم من بني أُميّة عدّة ما الآخِرُ بارأف بكم من الأوّل ما خلا رجلاً واحداً، بلاء قضاه الله على هذه الأمّة لا محالة كائن، يقتلون خياركم، ويستعبدون أرذالكم، ويستخرجون كنوزكم وذخائركم في جوف حجالكم. نقمة بما ضيّعتم من أُموركم، وصلاح أنفسكم ودينكم. يا أهل الكوفة! أُخبركم بما يكون قبل أن يكون لتكونوا منه على حذر، ولتنذروا به من اتّعظ واعتبر. كأنّي بكم تقولون إنّ عليّاً يكذب كما قالت قريش لنبيّها صلى الله عليه وآله وسلم، فيا ويلكم أفعلى من أكذب؟ أعلى الله، فأنا أوّل من عبده ووحّده، أم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فأنا أوّل من آمن به وصدّقه ونصره. كلّا والله، ولكنّها لهجة خدعة كنتم عنها أغنياء، والّذي فلق الحبّة، وبرأ النسمة لتعلمن نبأها بعد حين، وذلك إذا صيّركم إليها جهلكم، ولا ينفعكم عندها علمكم[1].

قول المصنّف: «ومن خطبة له عليه السلام» ـ إلخ ـ هكذا في (المصرية) والصواب: (ومن كلام له عليه السلام ...) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[2].

قوله عليه السلام: **«أما بعد يا أهل العراق»** قال الفيروز آبادي: العراق من عبادان إلى موصل طولاً، ومن القادسية إلى حلوان عرضاً، سمّيت بها لتواشج عراق النخل، والشجر فيها...[3].

وعن الأصمعي: أنّها معرّبة إيران شهر[4]، وقيل معرّبة إيراف بالفاء

(١) الارشاد ٦: ١٤٨.

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٧، لكن في شرح ابن ميثم ٢: ١٩٢ مثل المصرية.

(٣) القاموس المحيط ٣: ٢٦٣، مادة (عرق).

(٤) معجم البلدان ٤: ٩٣.

ومعناه مغيض الماء لأنّ دجلة والفرات وتامرّا تنصب من نواحي أرمينية وبند، من الروم إلى العراق، وبها يقرُّ قرارها، وقيل: العراق بمعنى الاستواء. قال: «سياق من ليس له عراق»[1] أي: استواء. والعراق مستوية خالية من جبال تعلو، وأودية تنخفض، وقيل: إنّها بمعنى الشاطئ، والعراق على شاطئ دجلة والفرات. وقيل من عراق المزادة لكون العراق بين الريف والبر.

«فإنّما أنتم» في ما فعلتم في صفين من الحرب حتّى ظهرت لكم آثار الغلبة، ثمّ انخذلتم بخدعة العدو. ثمّ اختلافكم، وخروج فرقة منكم على وليّكم، وإقراركم بالخسف في غارات العدو على بلادكم حتّى صاروا مستولين على بلادكم مضافاً إلى استقلالهم في بلادهم.

«كالمرأة الحامل حملت فلمّا أتمّت» أيّام حملها.

«أملصت» أي: أسقطت.

«ومات قيّمها، وطال تأيُّمها» بقاؤها بلا قيّمٍ بموت زوجها.

«وورثها أبعدها» حين موتها لعدم زوج وولد لها. ولمّا أراد معاوية أن يبعث جنداً لأخذ مصر خطب أهل الشام، وقال: رأيتم كيف صنع الله لكم في حربكم هذه، لقد جاءكم عدوّكم لا يشكّون أنّهم يستأصلون بيضتكم، ويحوزون بلادكم ما كانوا إلّا أنّكم في أيديهم. فردّهم بغيظهم لم ينالوا خيراً، وكفاكم مؤونتهم، وحاكمتموهم إلى الله فحكم لكم عليهم. ثمّ جمع كلمتنا، وأصلح ذات بيننا، وجعلهم أعداء متفرّقين يشهد بعضهم على بعض بالكفر، ويسفك بعضهم دم بعض.

وقد أخذ ابن كوجك الوراق أو أبوه معنى كلامه عليه السلام «أنتم كالمرأة الحامل» مع أدنى تصرف. فقال:

---

(١) أورده معجم البلدان ٤: ٩٣.

وما ذات بعل مات عنها فجاءه وقد وجدت حملاً دوين الترائب
بأرض نأت عن والديها كليهما تعاورها الورّاث من كلّ جانب
فلمّا استبان الحمل منها تنهنهوا قليلاً ودبّوا... دبيب العقارب
فجاءت بمولود غلام فحوّزت تراث أبيه الميت دون الأقارب
فلمّا غدا للمال ربّاً ونافست لإعجابها فيه عيون الكواعب
وأصبح مأمولاً يخاف ويرتجى جميل المحيا ذا عذار وشارب
أُتيح له عبل الذراعين محدر جريء على أقرانه غير هائب
فلم يبق منه غير عظم مجزّر وجمجمة ليست بذات ذوائب
بأوجع منّي يوم ولّت حدوجهم يؤمُّ بها الحادون وادي غباغب

هذا، وفي (الأغاني): كان ابن هرمة جالساً على دكان في بني زريق وقال بيتاً ثمّ انقطع عليه الرويّ، وبيته:

فإنّك وأطّراحك وصل سعدى لأُخرى في مودتها نكوب

فمرّت عليه جارية مليحة كان يستحسنها أبداً، ويكلّمها إذا مرّت به فرآها قد ورم وجهها، وأُذناها. فسألها عن خبرها. فقالت: استعار لي أهلي حليّاً لأروح إلى عرس. فثقبوا أُذني لألبسه. فورم وجهي، وأُذناي كما ترى. فردّوه، ولم أشهد العرس؛ فاطّرد لابن هرمة الرويُّ. فقال:

كثاقبة لحِلي مستعار بأُذنيها فشأنهما الثقوب
فردّت حِلِيَ جارتها إليها وقد بقيت بأُذنيها ندوب

«أما والله ما أتيتكم اختياراً، ولكن جئت إليكم سوقاً» فاضطر عليه السلام لأمر معاوية أن يأتي من البصرة إلى الكوفة، ولولاه لرجع، وقال ابن أبي الحديد: «لأنّه لولا يوم الجمل لم يحتج إلى الخروج من المدينة

إلى العراق»[١] وهو كما ترى.

«ولقد بلغني أنكم تقولون عليّ يكذب» هكذا في (المصرية وابن أبي الحديد) وليس في (ابن ميثم والخطية) كلمة «عليّ»[٢].

«قاتلكم الله. فعلى من الكذب» هكذا في (المصرية) والصواب: (أكذب) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٣].

«أعلى الله؟ فأنا أوّل من آمن به. أم على نبيّه؟ فأنا أوّل من صدّقه» قال ابن أبي الحديد: كان عليه السلام كثيراً ما يخبر عن الملاحم، والكائنات، ويؤمي إلى أُمور أخبرهُ بها النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فيقول المنافقون من أصحابه: يكذب، كما كان المنافقون الأولون في حياة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يقولون عنه يكذب. وإذا تأملت أحواله في خلافته كلّها وجدتها هي مختصرة من أحوال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في حياته كأنّها نسخة منتسخة منها في حربه وسلمه، وسيرته وأخلاقه، وكثرة شكايته من المنافقين[٤].

روى (صاحب الغارات) عن الأعمش عن رجاله. قال خطب عليّ عليه السلام فقال: «والله لو أمرتكم فجمعتم من خياركم مئة ثمّ لو شئت لحدّثتكم من غدوة إلى أن تغيب الشمس لا أخبرتكم إلّا حقّاً ثمّ لتخرجن فلتزعمن أنّي أكذب الناس وأفجرهم».

وروى هو وغيره أنّه عليه السلام قال: «إنّ أمرنا صعب مستصعب لا يحمله إلّا ملك مقرّب أو نبيٌّ مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للايمان»[٥].

وروى المدائني في (صفّينه) قال: خطب عليّ عليه السلام بعد النهروان. فذكر

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٧.

(٢ و ٣) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٧، لكن في شرح ابن ميثم ٢: ١٩٢ مثل المصرية.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٧.

(٥) رواه عن الغارات ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ٤٧، لكن لم يوجد في النسخة المطبوعة.

طرفاً من الملاحم قال: إذا كثرت فيكم الأخلاط، واستوت الأنباط، دنا خراب العراق. ذاك إذا بنيت مدينة ذات أثل وأنهار. فإذا غلت فيها الأسعار، وشيّد فيها البنيان، وحكم فيها الفسّاق، واشتدّ البلاء، وتفاخر الغوغاء، دنا خسوف البيداء، وطاب الهرب والجلاء، وستكون قبل الجلاء أُمور يشيب منها الصغير، ويعطب الكبير، ويخرس الفصيح ويبهت اللبيب. يعاجلون بالسيف صلتا. وقد كانوا قبل ذلك في غضارة من عيشهم يمرحون. فيالها من مصيبة حينئذٍ من البلاء العقيم، والبكاء الطويل، والويل والعويل، وشدّة الصريخ، ذلك أمر الله وهو كائن وفناء سريع.

فيا ابن خيرة الآباء متى تنتظر؟! أبشر بنصر قريب من ربّ رحيم. ألا فويل للمتكبّرين عند حصاد الحاصدين، وقتل الفاسقين، عصاة ذي العرش العظيم. فبأبي وأُمّي من عدّة قليلة أسماؤهم في الأرض مجهولة. قد دان حينئذٍ ظهورهم ولو شئت لأخبرتكم بما يأتي، ويكون من حوادث دهركم، ونوائب زمانكم. وبلايا أيّامكم، وغمرات ساعاتكم، ولكنّه أفْضيه إلى من أفضيه إليه مخافة عليكم، ونظراً لكم، علماً منّي بما هو كائن، وما يلقون من البلاء الشامل. ذلك عند تمرّد الأشرار، وطاعة أُولي الخسار. ذاك أوان الحتف والدمار. ذاك إدبار أمركم، وانقطاع أصلكم وتشتت أنفسكم، وإنّما يكون ذلك عند ظهور العصيان، وانتشار الفسوق حيث يكون الضرب بالسيف أهون على المؤمن من اكتساب درهم حلال، حين لا تنال المعيشة إلّا بمعصية الله في سمائه، حين تسكرون من غير شراب، وتحلفون من غير اضطرار، وتظلمون من غير منفعة، وتكذبون من غير إحراج. تتفكهون بالفسوق، وتبادرون بالمعصية. قولكم البهتان، وحديثكم الزور، وأعمالكم الغرور. فعند ذلك لا تأمنون البيات. فياله من بيات ما أشدّ ظلمته، ومن صائح ما أفظع صوته. ذلك بيات لا يتمنّى صباحه صاحبه. فعند ذلك تقتلون، وبأنواع البلاء تضربون، وبالسيف

تحصدون، وإلى النار تصيرون، ويعضُّكم البلاء كما يعضّ الغارب القتب. يا عجباً كلّ العجب بين جمادى ورجب، من جميعٍ أشتات، وحصد نبات، ومن أصوات بعدها أصوات. ثم قال: سبق القضاء سبق القضاء. قال رجل من أهل البصرة لرجل من أهل الكوفة إلى جانبه: أشهد أنّه كاذب على الله ورسوله. قال الكوفي: وما يدريك؟ قال فوالله ما نزل عليه السلام عن المنبر حتّى فلج الرجل. فحمل إلى منزله في شق محمل فمات من ليلته.

وروى المدائني أيضاً: أنّ عليّاً عليه السلام خطب فذكر الملاحم. فقال: سلوني قبل أن تفقدوني. أما والله لتشغرن الفتنة الصمّاء برجلها، وتطافي خطامها. يالها من فتنة شبّت نارها بالحطب الجزل. مقبلة من شرق الأرض، رافعة ذيلها، داعية ويلها، بدجلة أو حولها. ذاك إذا استدار الفلك. قلتم مات أو هلك، بأيّ واد سلك. فقال قوم تحت منبره: لله أبوه ما أفصحه كاذباً[١].

وروى صاحب (الغارات) عن المنهال بن عمرو عن عبدالله بن الحارث قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول على المنبر: ما أحد جرت عليه المواسي إلّا وقد أنزل الله فيه قرآناً. فقام إليه رجل. فقال: يا أمير المؤمنين فما أنزل الله فيك ـ يريد تكذيبه ـ فقام الناس يلكزونه في صدره وجنبه. فقال: دعوه. أقرأت سورة هود؟ قال: نعم. قال: أقرأت قوله سبحانه: ﴿أفمن كان على بيّنة من ربّه ويتلوه شاهد منه﴾[٢] قال: نعم. قال: صاحب البيّنة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم والتالي الشاهد أنا[٣].

قلت: وقال المفيد في (إرشاده): روى عبد العزيز بن صهيب، عن أبي

---

(١) رواه عن صفّين المدائني؛ ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ٤٩ ـ ٥٠.

(٢) هود: ١٧.

(٣) رواه عن الغارات ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ٥٠، لكن لم يوجد في النسخة المطبوعة.

العالية قال: حدثني مزرع بن عبدالله. قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: أم والله ليقبلنّ جيش حتّى إذا كان بالبيداء خسف بهم. فقلت له: إنّك لتحدّثني بالغيب؟ قال: إحفظ ما أقول لك. والله ليكوننّ ما أخبرني به أمير المؤمنين عليه السلام وليؤخذنّ رجل فليقتلنّ وليصلبنّ بين شرفتين من شرف هذا المسجد. قلت: إنّك لتحدّثني بالغيب؟ قال: حدّثني الثقة المأمون عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال أبو العالية: فما أتت علينا جمعة حتّى أُخذ مزرع. فقتل وصلب بين الشرفتين وقد كان حدّثني بثالثة فنسيتها[1].

وعن الطبراني في (أوسطه) وأبي نعيم في (دلائله) عن زاذان، أنّ علياً حدّث بحديث. فكذّبه رجل. فقال له عليّ عليه السلام: أدعو عليك إن كنت كاذباً. قال: أُدع. فدعا عليه. فلم يبرح حتّى ذهب بصره[2].

ثمّ أنّ (ابن أبي الحديد) لم يفد كون أحواله عليه السلام مختصرة من أحوال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بزمان خلافته عليه السلام بل كان كذلك في خلافته، وفي أيّام الثلاثة. فعاملوه عليه السلام في أيّامهم معاملتهم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في أوّل أمره، وعاملوه في خلافته عليه السلام معاملتهم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بعد اقتداره حتّى أنّهم كما حجروا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عن الوصية؛ إضطروه عليه السلام إلى أن يخفي قبره مدّة.

ثمّ كونه عليه السلام أوّل من آمن بالله، وصدق رسوله من البديهيّات، كادّعاء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم النبوّة، ومع ذلك شكك اخواننا فيه كما شككوا في يوم الغدير مع كونه من المتواترات كما التزموا في دينهم بالمتناقضات.

«**كلا والله ولكنّها لهجة غبتم عنها**» الظاهر أنّ المراد أنّ إخباره عليه السلام عن

---

(١) الارشاد: ١٧٢.

(٢) رواه عنهما السيوطي في تاريخ الخلفاء: ١٧٩، وأخرجه أيضاً أحمد في الفضائل والملّا في السيرة، عنهما ذخائر العقبى: ٩٧، وغيرهم.

الملاحم الّذي أعطاه الله تعالى ليسوا بقابلين لفهمه لعدم استعدادهم، كمن يتكلّم لقوم بغير لغتهم. فلا يفهموه لعدم علمهم بتلك اللغة، يشهد لذلك قوله عليه السلام بعده.

«**ولم تكونوا من أهلها**» وقال ابن أبي الحديد: يمكن أن يعني بها لهجة النبيّ صلى الله عليه وآله فيقول شهدتُ وغبتم، ويمكن أن يعني بها لهجته هو فيقول إنّها لهجة غبتم عن منافعها...[1] وهو كما ترى. هذا، وقد عرفت أنّ (الإرشاد) بدّله بقوله: «ولكنّها لهجة خدعة كنتم عنها أغنياء» ولا يبعد تصحيفه.

«**ويلمّه**» هكذا في (المصرية وابن ميثم) ولكن في (ابن أبي الحديد): «ويل أُمه» والأوّل مخففة[2].

«**كيلاً بغير ثمن**» والأصل يكون ما أخبركم من الملاحم كيلاً بغير ثمن، ويجوز أن يكون الأصل أكيل لكم كيلاً بغير ثمن.

«**لو كان له وعاء**» أي: ظرف حتّى يحفظ.

«**ولتعلمنّ نبأه بعد حين**» أي: إذا وقع ما أخبرتكم به تعلمون صدقي. روى (أمالي الصدوق) مسنداً عن هرثمة بن مسلم قال: غزونا مع عليّ عليه السلام صفّين. فلمّا انصرفنا نزل كربلاء فصلّى بها الغداة. ثمّ رفع إليه من تربتها فشمّها. ثمّ قال: واهاً لك أيّها التربة، ليحشرنّ منك أقوام يدخلون الجنّة بغير حساب. فلمّا رجعت أخبرت زوجتي ـ وكانت شيعة لعليّ عليه السلام فقالت: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يقل إلّا حقّاً ـ فلمّا قدم الحسين عليه السلام كنت في البعث الذين بعثهم عبيدالله. فلمّا رأيت المنزل، والشجر ذكرت الحديث. فجلست على بعيري. ثمّ صرت إلى الحسين عليه السلام فسلمت عليه فأخبرته بما سمعت من أبيه

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٩.

(٢) شرح ابن ميثم ٢: ١٩٢، وشرح ابن أبي الحديد ٢: ٤٧.

في ذلك المنزل الذي نزل به الحسين عليه السلام. فقال: معنا أنت أو علينا. فقلت: لا معك ولا عليك. خلّفت صبية أخاف عليهم عبيدالله. فقال: فامض لا ترى لنا مقتلاً، ولا تسمع لنا صوتاً فوالّذي نفس حسين بيده لا يسمع اليوم واعيتنا أحد فلا يعيننا إلّا أكبّه الله لوجهه في جهنّم[١].

وقد أخبر عليه السلام بالنساء العاريات اللّاتي ظهرن في عصرنا. ففي (الفقيه): روى الأصبغ عن أمير المؤمنين عليه السلام في آخر الزمان واقتراب الساعة وهو شرّ الأزمنة نسوة كاشفات عاريات، متبرجات (خارجات) من الدين، داخلات في الفتن، مائلات إلى الشهوات، مسرعات إلى اللّذات، مستحلّات للمحرّمات، في جهنّم خالدات[٢].

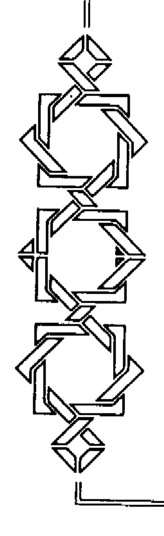
---

(١) امالي الصدوق: ١١٧ ح ٦، المجلس ٢٨.

(٢) الفقيه ٣: ٢٤٧ ح ٥.

الفصل العاشر

في علمه عليه السلام وفي صفحه ومكارم أخلاقه



ومر في ٨/١٧/ قوله عليه السلام «بل اندمجت عليّ مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الارشية في الطوى البعيدة».

١
الحكمة (١٤٧)

ومن كلام له عليه السلام لكميل بن زياد النخعي. قال كُمَيل بنُ زياد: أخذ بيَدِي أميرُ المؤمنين عليُّ بنُ أبي طالبٍ عليه السلام فأخرجَني إلى الجَبّانِ، فلمّا أصحَرَ تَنَفَّس الصُّعداءَ، ثمَّ قالَ:

يَا كُمَيْلَ بْنَ زِيَادٍ. إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ، فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا، فَاحْفَظْ عَنِّي مَا أَقُولُ لَكَ. النَّاسُ ثَلاثَةٌ: فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ، وَمُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاةٍ، وَهَمَجٌ رِعَاعٌ، أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ، يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلمِ، وَلمْ يَلْجَأُوا إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ. يَا كُمَيْلُ، الْعِلمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ. الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ وَأَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ. الْمَالُ تَنْقُصُهُ النَّفَقَةُ وَالْعِلمُ يَزْكُو عَلَى الْانْفَاقِ، وصَنِيعُ الْمَالِ يَزُولُ بِزَوَالِهِ. يَا كُمَيْلَ بْنَ زِيَادٍ مَعْرِفَةُ الْعِلْمِ دِينٌ يُدَانُ بِهِ، بِهِ يَكْسِبُ الْإِنْسَانُ الطَّاعَةَ فِي حَيَاتِهِ، وَجَمِيلَ الْأُحْدُوثَةِ بَعْدَ

وَفَاتِهِ. وَالْعِلْمُ حَاكِمٌ، وَالْمَالُ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ. يَا كُمَيْلُ؛ هَلَكَ خُزَّانُ الْأَمْوَالِ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَالْعُلَمَاءُ بَاقُونَ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ. أَعْيَانُهُمْ مَفْقُودَةٌ، وَأَمْثَالُهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ. هَا إِنَّ هاهُنَا لَعِلْماً جَمّاً ـ وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ ـ لَوْ أَصَبْتُ لَهُ حَمَلَةً، بَلَى أَصَبْتُ لَقِناً غَيْرَ مَأْمُونٍ عَلَيْهِ، مُسْتَعْمِلاً آلَةَ الدِّينِ لِلدُّنْيَا، وَمُسْتَظْهِراً بِنِعَمِ اللّهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَبِحُجَجِهِ عَلَى أَوْلِيَائِهِ، أَوْ مُنْقَاداً لِحَمَلَةِ الْحَقِّ، لَا بَصِيرَةَ لَهُ فِي أَحْنَائِهِ، يَنْقَدِحُ الشَّكُّ فِي قَلْبِهِ لِأَوَّلِ عَارِضٍ مِنْ شُبْهَةٍ. أَلَا لَاذَا وَلَا ذَاكَ، أَوْ مَنْهُوماً بِاللَّذَّةِ، سَلِسَ الْقِيَادِ لِلشَّهْوَةِ، أَوْ مُغْرَماً بِالْجَمْعِ وَالادِّخَارِ، لَيْسَا مِنْ رُعَاةِ الدِّينِ فِي شَيْءٍ، أَقْرَبُ شَيْءٍ شَبَهاً بِهِمَا الْأَنْعَامُ السَّائِمَةُ، كَذَلِكَ يَمُوتُ الْعِلْمُ بِمَوْتِ حَامِلِيهِ.

أقول: مرَّ في الإمامة العامّة في عنوان ذيله «اللّهمّ بلى لا تخلو الأرض من حجّة» ـ الخ ـ، أنّه روى كلامه عليه السلام هذا أبو هلال، وابن عبد ربه وسبط ابن الجوزي من العامّة وابن بابويه والمفيد وابن شعبة من الخاصة ويأتي رواية الجاحظ له أيضاً[1].

قول المصنف: «ومن كلامه عليه السلام» هكذا في (المصرية)، وفي (ابن أبي الحديد وابن ميثم): «ومن كلام له عليه السلام»[2] وفي (الخطّية): «كلامه عليه السلام».

«لكميل بن زياد النخعي» روى الطبري في ذيله: أنّ الحجاج قال للعريان: أليس كميل قد خرج علينا في الجماجم، ثم جاء كميل يأخذ عطاءه فقال له: أنت الذي فعلت بعثمان ـ وكلّمه بشيء ـ فقال: لا تكثر عليَّ اللّوم ولا

---

(١) رواه أبو هلال العسكري في ديوان المعاني ١: ١٤٦، وابن عبد ربه في العقد الفريد ٢: ٦٩، وسبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص: ١٤١، وابن بابويه في كمال الدين ١: ٢٨٩ ح ٢، وفي الخصال ١: ١٨٦ ح ٢٥٧، والمفيد في أماليه: ٢٤٧ ح ٣، المجلس ٢٩، وفي الإرشاد: ١٢١، وابن شعبة في تحف العقول: ١٦٩.

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٣٤٦، لكن في شرح ابن ميثم ٥: ٣٢١ «وقال عليه السلام»

تهل عليَّ الكثيب، وما ذاك إلّا رجل لطمني فأصبرني فعفوت عنه، فأيُّنا كان المسيء فأمر به فضُربت عنقه[١].

وروى الشيخ المفيد في (الإرشاد): أن كميلاً قال للحجاج: لقد أخبرني أمير المؤمنين عليه السلام أنك قاتلي. فقال له الحجاج: كنت فيمن قتل عثمان، اضربوا عنقه[٢].

«قال كميل بن زياد: أخذ بيدي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام» وهذا دليل على كون كميل كان من أصحاب أسرار الإمام ومن ثقاته.

ففي خبر (رسائل الكليني) المتضمن لشكايته عليه السلام عن الثلاثة لمّا سألوه عنهم بعد غلبة معاوية على مصر أنّه قال لعبيد الله بن أبي رافع كاتبه: أَدخِلْ عليّ عشرة من ثقاتي ـ وعدّ كميلاً في العشرة[٣] هذا، وليس في (ابن ميثم) «علي بن أبي طالب»[٤].

«فأخرجني إلى الجبّان» بالتشديد، أي: الصحراء «فلما أصحر» أي: صار في الصحراء «تنفّس الصعداء»، الصعداء مفعول مطلق، أي: نفسة الصعداء، وتأتي غير مفعول أيضاً، قال الهذلي:

وإن سيادة الأقوام فاعلم | لها صعداء مطلعها طويل

وقال البحتري:

وصعداء أنفاس إذا | ذكر الفراق أقمن عوج الأضلع

وتأتي بمعنى آخر، قال ذو الرَّمة:

(١) منتخب ذيل المذيل: ١٤٨.

(٢) الإرشاد: ١٧٢.

(٣) رواه الكليني ابن طاووس في كشف المحجّة: ١٧٤، عن رسائل الكليني.

(٤) شرح ابن ميثم٥: ٣٢١.

قطعت بنهاض الى صعدائه إذا شمّرت عن ساق خمس ذلاذلة[١]

«ثم قال يا كميل بن زياد» ليس عبارة «بن زياد» في (ابن ميثم)، بل موجودة في (ابن أبي الحديد): «**إنّ لهذِهِ القُلوبَ أوعيةً**»[٢] أي: أواني «**فخيرها أوعاها**» أي: أكثرها سعة.

هذا وقال المصنف في (مجازاته النبوية): ومن ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «القلوب أوعية بعضها أوعى من بعض»، وهذه استعارة والمراد تشبيه القلوب بالأوعية وهي الأواني والعياب التي تحرز فيها الأمتعة وغيرها من الأشياء المحفوظة، وهي كالآنية لايداع الأشياء المائعة، إلا أن الأوعية تختص بالجامدات كما أنّ الآنية تختص بالمائعات، فالقلب من حيث الحفظ والوعي، كالوعاء من حيث الجمع والسعة. وربما نسب هذا الكلام إلى أمير المؤمنين عليه السلام على خلاف في لفظه، وقد ذكرناه في جملة كلامه عليه السلام لكميل في كتاب نهج البلاغة[٣].

قلت: نسبته إليه عليه السلام متواترة، فرواه من عرفت، وغيرهم مع أنّه لا منافاة فيه بعد إرجاعه إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

وكيف كان، فقد نقل (الكافي) عن إسحاق بن عمار قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: الرجل آتيه وأُكلّمه ببعض كلامي فيعرفه كلّه، ومنهم من آتيه فأُكلمه بالكلام فيستوفي كلامه كلّه ثمَّ يردُّه عليّ كما كلَّمته، ومنهم من آتيه فأُكلمه فيقول: أعد عليّ! فقال: يا إسحاق! وما تدري لِمَ هذا؟ قلت: لا، قال: الذي تكلّمه ببعض كلامك فيعرفه كلّه فذاك من عجنت نطفته بعقله، وأمّا الذي تكلّمه

(١) أورد الشاهد الأول والأخير في أساس البلاغة: ٢٥٤، مادة (صعد).

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٣٤٦، وشرح ابن ميثم ٥: ٣٢١.

(٣) المجازات النبوية: ٣٩٠.

فيستوفي كلامك ثمّ يجيبك على كلامك فذاك الذي ركّب عقله فيه في بطن أُمّه، وأمّا الذي تكلّمه بالكلام فيقول: أعد عليّ، فذاك الذي ركّب عقله فيه بعدما كَبر فهو يقول: أعد عليّ[١].

«**فاحفظ عنّي ما أقول لك**» قدّم عليه السلام امره بحفظ مقاله دلالة على أهمية المطلب.

«**الناس ثلاثة فعالم ربّاني**» أي: المتأله العارف بالله تعالى، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يؤتِيَهُ اللهُ الكتابَ والحكمَ والنبوّةَ ثمَّ يقول للناسِ كُونُوا عباداً لي من دون الله، ولكنْ كُونُوا ربّانيّين بما كُنتم تُعلّمون الكتابَ وَبِمَا كُنتم تَدْرُسُون﴾[٢].

«**ومتعلّم على سبيل نجاة**» جاء في (الكافي) عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «لا خير في العيش إلا لرجلين: عالم مطاع، أو مستمع واعٍ».

وعن الصادق عليه السلام قال لأبي حمزة: أغدُ عالماً أو متعلّماً أو أحبَّ أهل العلم، ولا تكن رابعاً فتهلك ببغضهم[٣].

وعنه عليه السلام: العلم خزائن والمفاتيح السؤال، فاسألوا يرحمكم الله فانه يؤجر في العلم أربعة: السائل، والمتكلّم، والمستمع، والمحبّ لهم[٤].

«**وهمج**» في (جمهرة ابن دُرَيْد): الهمج من الناس الذين لا نظام لهم ولا عقول، قال ابن حلزة:

يترك ما رقح من عيشه يعيث فيه همج هامج

---

(١) الكافي ١: ٢٦ ح٢٧.

(٢) آل عمران: ٧٩.

(٣) الكافي ١: ٣٣ ح٧ و ٣٤ ح٣.

(٤) أخرجه الصدوق في الخصال ١: ٢٤٤ ح١٠١.

وبه سمّى البقّ هَمَجاً[١]، وفي (الصحاح): الهمج: ذباب صغير كالبعوض يسقط على وجوه الغنم والحمير وأعينها[٢].

«رعاع» قال الجوهري: أي: احداث طغام[٣].

وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام: ان الناس آلوا بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى ثلاثة: آلوا إلى عالمٍ على هدى من الله قد أغناه الله بما علم عن علم غيره، وجاهل مدّع للعلم لا علم له معجب بما عنده قد فتنته الدنيا وفَتَنَ غيره، ومتعلّمٍ من عالمٍ على سبيل هدى من الله ونجاة ثمّ هلك من ادّعى وخاب من افترى.

وعنه عليه السلام: يغدو الناس على ثلاثة أصناف: عالم ومتعلّم وغثاء، فنحن العلماء، وشيعتنا المتعلّمون، وسائر الناس غثاء[٤].

«أتباع كلّ ناعق» من نعق الراعي بغنمه ينعق ـ بالكسر ـ نعيقاً ونعاقاً بالضم ونعاقاً بالكسر: أي: صاح بها وزجرها، قال تعالى: ﴿كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء﴾[٥].

«يميلون مع كلّ ريح» في (المروج): قال الجاحظ: سمعت رجلاً من العامة وهو حاجّ وقد ذكر له البيت يقول: إذا أتيته من يكلّمني منه؟!!

وأخبرني صديق لي قال: سمعني رجل من العامّة أُصلّي على محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: ما تقول في محمد هذا، أربّنا هو؟

وذكر ثمامة بن اشرس قال: كنت مارّاً في السوق ببغداد، فإذا أنا برجل اجتمع عليه الناس، فنزلت عن بغلتي وقلت: ما هذا الاجتماع ودخلت بينهم، وإذا

---

(١) جمهرة اللغة ٢: ١١٦.

(٢) صحاح اللغة ١: ٣٥١ مادة (همج).

(٣) صحاح اللغة ٣: ١٢٢٠ مادة (رعَ).

(٤) الكافي ١: ٣٣ ح١ و: ٣٤ ح٤، والحديث الأول عن علي عليه السلام.

(٥) البقرة: ١٧١.

برجل يصف كحلاً معه انّه ينجع من كل داء يصيب العين، فنظرت إليه فإذا عينه الواحدة برشاء والأُخرى مأسوكة، فقلت له: يا هذا لو كان كحلك كما تقول نفع عينيك!! فقال لي: يا جاهل أهاهنا اشتكت عيناي؟ انما اشتكتا بمصر، فقال كلّهم صَدَقَ؛ وما انفلتّ من نعالهم إلّا بعد كدّ.

وذكر لي بعض اخواني: أنّ رجلاً من مدينة السلام رفع إلى بعض الولاة الطالبين لأصحاب الكلام على جارٍ له انّه تزندق، فسأله عن مذهبه فقال: انّه مرجئ قدري ناصبي رافضي، فلما قصّه عن ذلك قال: انّه يبغض معاوية ابن الخطاب الذي قاتل علي بن العاص. فقال له الوالي: ما أدري على أي شيء أحسدك: على علمك بالمقالات أو بصرك بالأنساب؟

وأخبرني رجل من أهل العلم قال: كنّا نقعد نتناظر في أبي بكر، وعمر، وعلي، ومعاوية، ونذكر ما يذكره أهل العلم، وكان قوم من العامة يأتون فيستمعون منّا، فقال لي ذات يوم بعضهم وكان من أعقلهم وأكبرهم لحية: كم تُطْنبون في عليّ ومعاوية وفلان وفلان؟ فقلت له: ما تقول أنت في ذلك؟ قال: من تريد؟ قلت: علي ما تقول فيه؟ قال: أليس هو أبو فاطمة. قلت: ومَنْ كانت فاطمة؟ قال: امرأة النبيّ صلى الله عليه وآله بنت عائشة أُخت معاوية، قلت: فما كان قصّة عليّ؟ قال: قتل في غزاة حنين مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم !!

وكان ببغداد في أيام هارون رجل يظهر انّه من أهل السنّة ويلعن أهل البدع ويعرف بالسنّي تنقاد اليه العامّة، فكان يجتمع إليه في كلّ يوم بقوارير الماء خلق من الناس، فإذا اجتمعوا وثب قائماً على قدميه فقال لهم: معاشر المسلمين قلتم لا ضار ولا نافع إلّا الله، فلأيّ شيء تسألوني عن منافعكم ومضاركم، إلجأوا إلى ربّكم، وتوكّلوا على بارئكم حتى يكون فعلكم مثل قولكم. فيُقبل بعضهم على بعض فيقولون: أي والله قد

صَدَقنا، فكم من مريض لم يُعالج حتى مات[١].

وفي (المروج) أيضاً: توفى أحمد بن حنبل سنة (٢٤١) وحضر جنازته خلق من الناس لم يُرَ مثله فيمن قبله، وكان للعامة فيه كلام كثير جرى بينهم بالعكس والضدّ في الأُمور؛ منها: أن رجلاً منهم كان ينادي إلعنوا الواقف عند الشبهات، يريد ابن حنبل وهذا بالضد عمّا جاء عن صاحب الشريعة[٢].

وقال الجاحظ: ومن أخلاق العامّة أن يسوّدوا غير السيّد، ويفضّلوا غير الفاضل ويقولوا بغير علم، وهم أتباع من سَبَقَ اليهم من غير تمييز بين الفاضل والمفضول والفضل والنقصان، ولا معرفة للحق من الباطل عندهم، ولا ترى العامة الدهر إلا مُرْقلين إلى قائد دَبٍّ، وضارب بدف على سياسة قرد، أو متشوقين إلى اللهو واللعب، أو مختلفين إلى مشعبد متنمس ممخرق، أو مستمعين إلى قاصّ كذّاب، أو مجتمعين حول مضروب، أو وقوفاً عند مصلوب يُنْعَق بهم ويصاح بهم، لا ينكرون منكراً، ولا يعرفون معروفاً ولا يبالون أن يلحقوا البارّ بالفاجر والمؤمن بالكافر، وقد بيّن ذلك النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حيث يقول «الناس اثنان: عالم، ومتعلّم، وما عدا ذلك هَمَجٌ رعاع لا يعبأ الله بهم»، وكذلك ذكر عن عليّ عليه السلام وقد سُئِل عن العامّة فقال «أتباع كلّ ناعق، لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا إلى ركن وثيق».

قال: وانظر إلى ان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قام يدعو الخلق إلى الله اثنتين وعشرين سنة، وهو ينزل عليه الوحي ويمليه على أصحابه فيكتبونه ويدوّنونه ويلتقطونه لفظة لفظة، وكان معاوية في هذه المدّة بحيث علم الله، ثم كتب له صلى الله عليه وآله وسلم قبل وفاته بشهور فأشادوا بذكره ورفعوا من منزلته، بأن جعلوه

---

(١) مروج الذهب ٣: ٣٢ ـ ٣٤، والنقل بتصرف يسير.

(٢) مروج الذهب ٤: ٢٠.

كاتباً للوحي وعظّموه بهذه الكلمة، وأضافوه إليها، وسلبوها عن غيره، واسقطوا ذكر سواه[١].

وفي (المروج) أيضاً: أتيَ بأبي الفوارس القرمطي في سنة (٢٨٠) فقطعت يداه ورجلاه وصلب، وكان لأهل بغداد في قتله أراجيف، فلما قدّم ليضرب عنقه أشاعت العامّة انّه قال لمن حضر قتله: هذه عمامتي تكون قبلك فإني راجع بعد أربعين يوماً!، فكان يجتمع في كلّ يوم خلائق من العوام تحت خشبته ويحصون الأيام ويقتتلون ويتناظرون في الطرق في ذلك، فلما تمت الأربعون ليلة وقد كان كثر لغطهم، واجتمعوا، فكان بعضهم يقول: هذا جسده، ويقول آخر قد مر، وانما السلطان قتل رجلاً آخر وصلبه موضعه[٢].

«**لم يستضيؤا بنور العلم**» في (معجم الحموي): كان عبدالله بن المبارك يقول: أنفقت في الحديث أربعين ألفاً وفي الأدب ستين ألفاً، وليت ما أنفقته في الحديث أنفقته في الأدب. قيل له: كيف؟ قال: لأن النصارى كفروا بتشديدة واحدة خففوها، قال الله «ياعيسى اني ولّدتك من عذراء بتول» فقالت النصارى «ولدتك»[٣].

«**ولم يلجأوا إلى ركن وثيق**» وهو حجّة الله في أرضه. قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إلى الرسول وإلى أُولي الأمر منهم لعلِمَه الذينَ يستنبطونهُ منهم﴾[٤].

«**يا كميل العلم خير من المال**» روى صاحب (تحف العقول) وغيره أنّه عليه السلام قال أيضاً: «انّ طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال، إن المال مقسوم بينكم مضمون لكم قد قسمه عادل بينكم وضمنه وسيفي لكم به، والعلم مخزون

---

(١) هذا كلام المسعودي في مروج الذهب ٣: ٣٤ و ٣٥، ولم ينسبه الى الجاحظ.

(٢) مروج الذهب ٤: ١٨١، والنقل بتصرف يسير.

(٣) معجم الأدباء ١: ٧١.

(٤) النساء: ٨٣.

عليكم عند أهله قد أمرتم بطلبه»[١].

وقالوا: العالم كالأسد أينما توجه معه قوّته التي يعيش بها، والغني كثيراً ما يكون في غير بلده فقيراً.

«**العلم يحرسك وأنت تحرس المال**» في (أدب كتّاب الصولي): كتب إبراهيم ابن العباس يوماً كتاباً فأراد محو حرف منه فلم يجد سبيلاً، فمحاه بكُمّه فقيل له في ذلك فقال: المال فرع والقلم أصل فهو أحق بالصون منه، وانما بلغنا هذه الحال واعتقلنا الأموال بهذا القلم والمداد.

«**المال تنقصه النفقة والعلم يزكو**» أي: ينمو «على الانفاق» وقال عليه السلام ـ كما في (أُدباء الحموي)، و(صناعة العسكري) ـ كلّ شيء يعزّ إذا نزر ما خلا العلم فإنّه يعزّ إذا غزر[٢].

«**وصنيع المال يزول بزواله**» قال أبو الأسود:

العلم ذخر وكنز لا نفاد له نعم القرين ونعم الخدن ان صحبا

قد يجمع المال شخص ثم يحرمه عمّا قليل فيلقى الذلّ والخزيا

وجامع العلم مغبوط به أبدا ولا تحاذر فيه الفوت والسلبا

يا جامع العلم نعم الذخر تجمعه لا تعدلنّ به درّاً ولا ذهبا

وفي (عيون ابن قتيبة): قال ابن المقفع: إذا أكرمك الناس لمال أو سلطان فلا يعجبنّك ذلك، فإن زوال الكرامة بزوالهما، ولكن ليعجبك إن أكرموك لدين أو أدب[٣].

«**ياكميل بن زياد معرفة العلم دين يدان به**» ونقله (مناقب ابن الجوزي)

(١) رواه ابن شعبة في تحف العقول: ١٩٩، والكليني في الكافي ١: ٣٠ ح ٤.

(٢) رواه الحموي في معجم الأُدباء ١: ٦٧، والعسكري في الصناعتين: ٣٣١.

(٣) عيون ابن قتيبة ٢: ١٢١.

و(مناقب سبطه): «ومحبّة العالم دين يدان به» ونقله (أمالي المفيد): «محبة العلم خير ما يدان به» ونقله (إرشاده) «محبة العلم دين يدان به»[(١)].

«به» هكذا في (المصرية) وهو زائد، فليس في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[(٢)].

«يكسب الانسان الطاعة في حياته وجميل الاحدوثة» في (الصحاح): الاحدوثة ما يتحدث به، وقال الفرّاء نرى أن واحد الأحاديث أحدوثة ثم جعلوه جمعاً للحديث «بعد وفاته»[(٣)] وفي الكافي عنه عليه السلام: اعلموا ان صحبة العالم واتباعه دين يدان الله به، وطاعته مكسبة للحسنات ممحاة للسيئات، وذخيرة للمؤمنين ورفعة في حياتهم وجميل بعد مماتهم[(٤)].

وفيه أيضاً عنه عليه السلام: تعلّموا العلم، فان تعلُّمه حسنة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وهو عند الله لأهله قُربة، لأنّه معالم الحلال والحرام وسالك بطالبه سبيل الجنّة، وهو أنيس في الوحشة، وصاحب في الوحدة، وسلاح على الأعداء، وزين الأخلّاء، يرفع الله به أقواماً يجعلهم في الخير أئمة يقتدى بهم، تُرمق أعمالهم وتُقتبس آثارهم وترغب الملائكة في خلّتهم، يمسحونهم بأجنحتهم في صلاتهم، لأن العلم حياة القلوب ونور الأبصار من العمى وقوّة الأبدان من الضعف، يُنزل الله حامله منازل الأبرار ويمنحه مجالسة الأخيار في الدنيا والآخرة، وبالعلم يطاع الله

---

(١) كذا في ما نقل المجلسي في البحار ٧٨: ٧٦، عن مناقب ابن الجوزي لكن هذا خطأ منه بل الكتاب نفس تذكرة الخواص لسبطه ولفظ تذكرة الخواص: ١٤١، «ومحبة العلم دين يدان به» ولفظ الأمالي: ٢٤٨، مختلف في النسخ أقربها «محبة العلم خير ما يدان الله به» ولفظ الإرشاد: ١٢١، كما قال.

(٢) توجد لفظة «به» في شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٣٤٦، وشرح ابن ميثم ٥: ٣٢١.

(٣) صحاح اللغة ١: ٢٧٨، مادة (حدث).

(٤) الكافي ١: ١٨٨ ح١٤.

ويعبد، بالعلم يعرف الله ويوحّد، بالعلم توصل الأرحام وبه يعرف الحلال والحرام، والعلم أمام العقل والعقل تابعه، يلهمه الله السعداء ويحرمه الأشقياء[1].

«والعلم حاكم والمال محكوم عليه» في (عيون القتيبي) قال أبو الأسود: الملوك حكّام على الناس، والعلماء حكّام على الملوك. وقال يونس بن حبيب: علمك من روحك، ومالك من بدنك[2].

وفي (المعجم) قال علي عليه السلام: كفى بالعلم شرفاً إنّه يدّعيه من لا يُحسنه، ويفرح إذا نسب إليه من ليس من أهله، وكفى بالجهل خمولاً، انّه يتبرّأ منه من هو فيه، ويغضب إذا نُسِب إليه.

قال ونظمه من قال:

كفى شرفاً للعلم دعواه جاهل ... ويفرح ان يدعى إليه ويُنسب

ويكفي خمولاً بالجهالة انني ... اراع متى انسب اليها وأغضب[3]

ولأبي حاتم السجستاني:

ان الجواهر درّها ونضارها ... هن الفداء لجوهر الآدابِ

فإذا اكتنزت أو ادخرت ذخيرة ... تسمو بزينتها على الأصحابِ

فعليك بالأدب المزيّن أهله ... كيما تفوز ببهجة وثوابِ

فلرُبَّ ذي مال تراه مبعّداً ... كالكلب ينبح من وراء حجابِ

وترى الأديب وان دهته خصاصة ... لايستخفُّ به لدى الأتراب

«يا كميل هلك خزّان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر» قال

(١) لم يوجد الحديث في الكافي نعم أخرجه الصدوق في أماليه: ٤٩٢، ح١، المجلس ٩.

(٢) عيون ابن قتيبة ٢: ١٢١.

(٣) معجم الأدباء ١: ٦٧.

ابن الرقاع:

والمرء يوجب خلده انباؤه ويموت آخر وهو في الأحياء

والقوم أشباه ومن حلومهم تفاضل كذلك تفاضل الأشياء

وقال دعبل:

يموت ردي الشعر من قبل أهله وجيّده يبقى وإن مات قائله

ولآخر:

يموت قوم فيحيي العلمُ ذكرَهم ويلحق الجهل أحياء بأموات

«**أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة**» قيل في ثعلب:

فان تولى أبو العباس مفتقداً فلم يمت ذكره في الناس والكتب

«**ها إنَّ ها هنا لعلماً جمّاً وأشار بيده**» هكذا في (المصرية) و «بيده» زائد «**إلى صدره**» روى أحمد بن حنبل في (فضائله)، و(مسنده) ومحمد بن إسحاق في (مغازيه)، كما نقل سبط ابن الجوزي في (تذكرته) عنه عليه السلام قال: بعثني النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى اليمن وأنا شاب، فقلت: تبعثني إلى قوم لأقضي بينهم وأنا شاب لا علم لي بالقضاء. فقال: أدنُ منّي، فدنوت منه فضرب في صدري وقال «اللهمّ اهدِ قلبه وثبّت لسانه»، فما شككت بعد في قضاء بين اثنين[1].

وفي (التذكرة) أيضاً: روى أحمد بن حنبل في (فضائله) عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: أنا مدينة العلم وعليّ بابها[2].

وفيه: روى ابن عساكر في (تاريخه): أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: «عليّ عيبة علمي»[3].

---

(١) تذكرة الخواص: ٤٤، وهو في مسند أحمد ١: ٨٣ و ٨٨ و ١١١ و ١٣٦ و ١٥٦.

(٢) تذكرة الخواص: ٤٧.

(٣) جاء هكذا في كفاية الطالب، لا في تذكرة الخواص وهذا في الكفاية: ٨٥.

وروى الطبراني في (معجمه) مسنداً قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وتعيها أذنٌ واعية﴾[١] قال النبيّ صلى الله عليه وآله: سألت الله عزّوجلّ أن يجعلها أذنك يا عليّ.

قال عليّ عليه السلام: فما نسيت شيئاً بعد وما كان لي أن أنسى[٢].

وفيه روى مسنداً عن ابن عباس قال: بينما النبيّ صلى الله عليه وآله في جماعة من أصحابه إذ أقبل عليّ عليه السلام، فلما بصر به النبيّ صلى الله عليه وآله قال: من أراد منكم أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في حكمته، وإلى ابراهيم في حلمه، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب.

قال السبط ابن الجوزي: تشبيه النبيّ صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام بآدم في علمه لأنّ الله تعالى علّم آدم صفة كلّ شيء كما قال عزّوجلّ: ﴿وعلّم آدم الأسماء كلّها﴾[٣]، فما من شيء ولا حادثة ولا واقعة إلّا وعند عليّ عليه السلام فيها علم وله في استنباط معناها فهم[٤].

قلت: ولنعم ما قيل بالفارسية:

آنچه خوبان همه دارند تو تنها داری

وروى السبط أيضاً مسنداً عن حذيفة قال: قالوا: يا رسول الله؛ ألا تستخلف عليّاً؟ قال: إن تولوا عليّاً تجدوه هادياً مهديّاً، يسلك بكم الطريق المستقيم[٥].

وروى مسنداً عن ابن عباس قال: ستكون فتنة فمن أدركها منكم فعليه بخصلة من كتاب الله تعالى، وعليّ بن أبي طالب عليه السلام، فإنّي سمعت

---

(١) الحاقة : ١٢.

(٢) كفاية الطالب : ٤٠.

(٣) البقرة : ٣١.

(٤) كفاية الطالب: ٤٦.

(٥) كفاية الطالب: ٦٧.

النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول «هذا أوّل من آمن بي وأوّل من يصافحني، وهو فاروق هذه الأُمّة يفرّق بين الحق والباطل، وهو يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الظَلمة، وهو الصدّيق الأكبر، وهو بابي الذي أُوتى منه، وهو خليفتي من بعدي». قال السبط: هكذا أخرجه محدّث الشام في الجزء (٣٤٩) من كتابه بطرق شتّى[١].

وفي (فواتح الميبدي): روى الثعلبي في (تفسيره) عن عبدالله بن سلّام قال: من عنده علم الكتاب في آية ﴿قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾[٢] هو علي.

وفيه: روى أحمد بن حنبل عن معقل بن يسار أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال لفاطمة: أما ترضين أنّي زوّجتك أقدم أُمتي سلماً، وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلماً.

وفيه: وروى الثعلبي أن ابن عباس كان يتلو «حم عسق» ويقول: كان علي عليه السلام يعلم الفتن بهذين اللفظين.

وفي (تذكرة سبط ابن الجوزي) مسنداً عنه عليه السلام قال: كنت أدخل على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ليلاً ونهاراً، فكنت إذا سألته أجابني وإن سكتّ ابتدأني، وما نزلت عليه آية إلّا قرأتها وعلمت تفسيرها وتأويلها، ودعا الله لي أن لا أنسى شيئاً علّمني إيّاه، فما نسيته من حرام وحلال وأمر ونهي وطاعة ومعصية، وقد وضع يده على صدري وقال «اللهم املأ قلبه علماً وفهماً وحكماً ونوراً» . ثم قال لي: أخبرني ربّي عزّوجلّ أنّه استجاب لي فيك. قال السبط: هكذا رواه الحافظ الدمشقي في (مناقبه)[٣].

---

(١) كفاية الطالب: ٧٩.

(٢) الرعد: ٤٣.

(٣) كفاية الطالب: ٨٥ .

وفيه أيضاً مسنداً عنه عليه السلام قال: والله ما نزلت آية إلّا وقد علمت فيمن نزلت وأين نزلت وعلى مَنْ نزلت، انَّ ربِّي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً طلقاً[١].

وفيه أيضاً عنه عليه السلام قال: قلت يا رسول الله أوصني. قال: قل «الله ربِّي» ثمَّ استقم. فقلت: ربيِّ الله وما توفيقي إلّا بالله عليه توكلت وإليه أُنيب. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: ليهنك العلم يا أبا الحسن لقد شربت العلم شرباً ونهلته نهلاً. قال السبط: هذا سياق أبي نعيم في (حليته)[٢].

روى السبط أيضاً عن ابن عباس قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: مَنْ سرَّه أن يحيا حياتي ويموت مماتي ويسكن جنّات عدن التي غرسها ربي عزَّوجل فليوالِ عليّاً من بعدي وليُوالِ وَلِيَّه وليقتد بالأئمة بعدي، فانّهم عترتي خلقوا من طينتي ورُزِقوا فهماً وعلماً، ويلٌ للمكذبين بفضلهم من أُمَّتي القاطعين فيهم صلتي، لا أنالهم الله شفاعتي[٣].

وفي (تذكرته) أيضاً: ذكر الثعلبي في (تفسيره) عن زاذان قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول: والذي فلق الحبة وبرأ النَّسَمَة لو ثُنِّيَتْ لي وسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم وبين أهل الزبور بزبورهم وبين أهل الفرقان بفرقانهم، والذي نفسي بيده ما من رجل من قريش جرت عليه المواسي إلّا وأنا أعرف له آية تسوقه إلى الجنّة أو تقوده إلى النار. فقال له رجل: فما آيتك التي أنزلت فيك؟ فقال: ﴿أفمن كان على بيّنة من ربّه ويتلوه شاهد منه﴾[٤]. فرسول الله صلى الله عليه وآله على بيّنة وأنا شاهد منه[٥].

---

(١) كفاية الطالب: ٩٠.

(٢) كفاية الطالب: ٩١.

(٣) كفاية الطالب: ٩٤.

(٤) هود: ١٧.

(٥) تذكرة الخواص: ١٦.

وروى السبط عن ابن مسعود قال: ان القرآن أُنزل على سبعة أحرف، ما منها إلّا وله ظهر وبطن، وأن علي بن أبي طالب عليه السلام عنده علم الظاهر منه والباطن.

قال السبط: هكذا رواه أبو نعيم في (حليته)[١].

وروى السبط أيضاً عن سلمان قال: قلت يا رسول الله لكلّ نبيّ وصيّ فمن وصيّك؟ فسكت عنّي، فلمّا كان بعدُ رآني، قال: يا سلمان؛ فأسرعت إليه فقلت: لبَّيك، قال: تعلم من وصي موسى؟ قلت: نعم، يوشع بن نون. قال: لِمَ؟ قلت: لأنّه كان أعلمهم يومئذٍ، قال: فإن وصيِّي وموضع سرّي وخير من أترك بعدي ينجز عدتي ويقضي ديني علي بن أبي طالب.

قال السبط: رواه الطبراني في (معجمه الكبير) في ترجمة أبي سعيد[٢].

وروى الشيخ الطوسي في (الأمالي) عن سعيد بن المسيّب قال: سمعت رجلاً يسأل ابن عباس عن عليّ عليه السلام فقال له: إنّ علياً عليه السلام صلّى القبلتين وبايع البيعتين ولم يعبد صنماً ولا وثناً، ولم يضرب على رأسه بزكم ولا بقدح، وولِدَ على الفطرة ولم يشرك بالله طرْفَة عين. فقال له الرجل: إني لم أسألك عن هذا وإنّما أسألك عن حمله سيفه على عاتقه يختال به، حتى أتى البصرة فقتل بها أربعين ألفاً، ثم سار إلى الشام، فلقى حواجب العرب، فضرب بعضهم ببعض حتى قتلهم، ثم أتى النهروان وهم مسلمون، فقتلهم عن آخرهم. فقال له: أعلي أعلم عندك أمْ أنا؟ فقال: لو كان عليّ عندي أعلم منك لما سألتك! فغضب ابن عباس وقال: ثكلتك أُمّك؛ عليٌّ علّمني، وكان علمه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم والنبيّ علّمه الله من فوق عرشه، فعلمُ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من الله، وعلم عليّ من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم،

---

(١) كفاية الطالب: ١٥٨.

(٢) كفاية الطالب: ١٥٩.

وعلمي من علم عليّ، وعلم أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله وسلم كلّهم في علم عليّ عليه السلام كالقطرة الواحدة في سبعة أبحر[١].

وروى ابن بابويه في (توحيده) مسنداً عن الأصبغ، قال: لما جلس عليٌّ عليه السلام في الخلافة وبايعه الناس، خرج إلى المسجد متعمماً بعمامة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، لابساً بردة النبيّ، متنعّلاً نعل النبيّ، متقلّداً سيف النبيّ، فصعد المنبر فجلس متمكّناً ثمَّ شبّك بين أصابعه فوضعها أسفل بطنه، ثمَّ قال: يا معشر الناس سلوني قبل أن تفقدوني، هذا سقط العلم، هذا لعاب رسول الله، هذا ما زقّني رسول الله زقّاً، سلوني فإن عندي علم الأولين والآخرين؛ أما والله لو ثنّيت لي الوسادة فجلست عليها لأفتيت أهل التوراة بتوراتهم حتى تنطق التوراة فتقول: صدق عليٌّ ما كذب، فقد افتاكم بما أنزل الله فيَّ، وأفتيت أهل الإنجيل بإنجيلهم حتى ينطق الإنجيل فيقول صدق عليٌّ ما كذب، لقد افتاكم بما أنزل الله في، وأفتيت أهل القرآن بقرآنهم حتى ينطق القرآن فيقول صدق علي ما كذب لقد افتاكم بما أنزل الله في، وأنتم تتلون القرآن ليلاً ونهاراً، فهل فيكم أحد يعلم ما نزل فيه؟ ولولا آية في كتاب الله لأخبرتكم بما كان وبما يكون وماهو كائن إلى يوم القيامة، وهي هذه الآية ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أُمُّ الكتاب﴾[٢]. ثمَّ قال: سلوني قبل أن تفقدوني، فوالذي فلق الحبة وبرأ النَّسَمة؛ لو سألتموني عن آية آية في ليل أُنزلت أو في نهار أُنزلت، مكيّها، ومدنيّها، سفريها وحضريها، ناسخها، ومنسوخها، محكمها، ومتشابهها، وتأويلها وتنزيلها لأخبرتكم ـ الخبر[٣].

---

(١) أمالي أبي علي الطوسي ١: ١٠ ح١.

(٢) الرعد: ٣٩.

(٣) توحيد الصدوق: ٣٠٥.

وفي الخبر انّه عليه السلام لمّا قال ذلك قام رجل يقال له ذعلب فقال: هل رأيت ربّك؟ فأجابه، وقام إليه الأشعث فسأله عن قبول الجزية من المجوس مع عدم كونهم من أهل الكتاب فأجابه، وقام إليه رجل آخر فسأله عن سبب النجاة فأجابه، ثم غاب الرجل فقال عليه السلام انّه كان أخي الخضر[1].

هذا وللطغرائي في احتوائه على العلم الكثير وان كان ادّعاء منه:

أمّا العلوم فقد ظفرت ببغيتي	منها فما أحتاج أن أتعلّما
وعرفت أسرار الخليقة كلّها	علماً أنار لي البهيم المظلما
وورثت «هرمس» سر حكمته الذي	مازال ظنّاً في الغيوب مرجما
وملكت مفتاح الكنوز بحكمة	كشفت لي السرّ الخفيَّ المبهما

«لو أصبت له حملة» «لو» هنا للتمنّي، مثلها في قوله تعالى: ﴿لو أنَّ لي بكم قوّة أو آوي إلى ركن شديد﴾[2].

روى الصدوق في (توحيده) عن الباقر عليه السلام قال: لو وجدت لعلمي الذي آتاني الله تعالى حملة لنشرت التوحيد والاسلام والإيمان والدين والشرائع من «الصمد»، وكيف لي بذلك ولم يجد جدّي عليّ عليه السلام حملة لعلمه حتى كان يتنفّس الصعداء، ويقول على المنبر: سلوني قبل أن تفقدوني، فإن بين الجوانح منّي علماً جمّاً[3].

ولقد علّم عليه السلام أبا الأسود الدؤلي علم النحو، فروى معجم (أُدباء الحموي) مسنداً عن أبي الأسود قال: دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام فرأيته مطرقاً مفكّراً، فقلت: فيمَ تفكّر؟ قال: سمعت ببلدكم لحناً فأردت أن أضع كتاباً

---

(١) رواه الصدوق في التوحيد: ٣٠٦.

(٢) هود: ٨٠.

(٣) توحيد الصدوق: ٩٢.

في أُصول العربية. فقلت: إنْ فعلت هذا أحييتنا وبقيت فينا هذه اللغة، ثمّ أتيته بعد أيّام فألقى إليّ صحيفة فيها «بسم الله الرحمن الرحيم؛ الكلام كلّه اسم وفعل وحرف، والاسم ما أنبأ عن المسمّى، والفعل ما انبأ عن حركة المسمّى، والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل» ثم قال لي: تتبّعه وزد فيه ما وقع لك، واعلم أنَّ الأشياء ثلاثة، ظاهر ومضمر، وشيء ليس بظاهر ولا مضمر. قال أبو الأسود: فجمعت منه أشياء وعرضتها عليه، وكان من ذلك حروف النصب فكان منها: إنَّ وأنَّ وليت ولعل وكأنَّ ـ ولم أذكر لكنَّ ـ فقال لي: لِمَ تركتها؟ فقلت: لم أحسبها منها، فقال: بل هي منها فزدها فيها!

قال الحموي: قال الزجّاج: «شيء ليس بظاهر ولا مضمر» نحو «هذا» و«من» و «ما» و «أي» و «كم» و «متى» و «أين» وما أشبهها[1].

هذا، وفي (عيون ابن قتيبة): قال أبو يعقوب الخزيمي: تلقّاني سعيد بن وهب مع طلوع الشمس، فقلت: أين تريد؟ قال: عندي حديث حسن فأنا أطلب له إنساناً حسن الفهم، حسن الاستماع؛ فقلت: حدِّثني به؛ فقال: أنت حسن الفهم سيئ الاستماع[2]. وقال أبو تمام:

وكنت أعزّ عزاً من قنوع	تعوّصه صفوح من جهول
فصرت أذل من معنى دقيق	به فقر إلى فهم جليل

«بلى أصبتُ لقناً» أي: رجلاً سريع الفهم «غير مأمون عليه» والمأمون في الناس قليل.

وفي (أذكياء ابن الجوزي): سمع رجل أنَّ ذا النون المصري يعرف اسم الله الأعظم، فذهب إلى مصر وخدمه سنة ثمَّ قال له: قيل لي إنّك تعرف اسم الله

(١) معجم الأدباء ١٤: ٤٩، والنقل بتصرف يسير.

(٢) عيون ابن قتيبة ٢: ١٢٨.

الأعظم، وقد وجب حقّي عليك بخدمتك في المدة فأحب أن تعلّمنيه؛ فسكت عنه وأومأ إليه أنّه يخبره، فتركه ستة أشهر ثم أخرج له من بيته طبقاً ومكبّة مشدودة في منديل وقال له: تعرف صديقنا من الفسطاط. قال: نعم، قال: أحب أن تؤدي هذا إليه. فأخذ الطبق وجعل يتفكّر في الطريق ان مثل ذي النون يوجّه إلى فلان بهديّة أي شيء هي؟ فلم يصبر لمّا بلغ الجسر ان حلَّ المنديل ورفع المكبّة، فإذا فأرة قفزت من الطبق ومرت! فاغتاظ وقال: ذو النون يسخر بي يوجّه مع مثلي فأرة، فرجع، وعرف ذو النون في وجهه الغضب، فقال له: يا أحمق إنّما ائتمنتك على فأرة فخنتني، أفأيتمنك على اسم الله الأعظم، مرّ عنّي فلا أراك[1].

«مستعملاً آلة الدين للدنيا» قال شاعر:

إنّي رأيت الناس في دهرنا	لا يطلبون العلمَ للعلمِ
إلّا مباهاة لأصحابهم	وعزّة للخصمِ والظلمِ

قال ابن جريج: لقد منعتني هذه الأبيات عن أشياء كثيرة من طلب العلم.

وروى صاحب (تحف العقول) عنه عليه السلام قال: لو أن حملة العلم حملوه بحقه لأحبّهم الله وملائكته وأهل طاعته من خلقه، ولكنهم حملوه لطلب الدنيا فمقتهم الله وهانوا على الناس[2].

وعن (المُنية) عن الصادق عليه السلام: كان لموسى بن عمران جليس من أصحابه قد وعى علماً كثيراً، فاستأذن موسى عليه السلام في زيارة أقارب له، فقال له موسى عليه السلام: ان لصلة القرابة حقّاً؛ ولكن إيّاك أن تركن إلى الدنيا، فإن الله قد حمّلك علماً فلا تضيّعه وتركن إلى غيره؛ فقال الرجل: لا يكون إلّا خيراً،

---

(١) الأذكياء: ٨٤، والنقل بتصرف يسير.

(٢) تحف العقول: ٢٠١.

ومضى نحو أقاربه فطالت غيبته، فسأل موسى عليه السلام عنه فلم يخبره أحد بحاله، فسأل جبرئيل عليه السلام عنه فقال: هو ذا على الباب قد مسخ قرداً في عنقه سلسلة؛ ففزع موسى عليه السلام إلى ربّه وقام إلى مصلّاه يدعو الله ويقول: يا رب صاحبي وجليسي، فأوحى الله إليه: يا موسى لو دعوتني حتى ينقطع ترقوتاك ما استجبت لك فيه، انّي كنت حمّلته علماً فضيّعه وركن إلى غيري[١].

«**ومستظهراً بنعم الله على عباده**» «على عباده» متعلّق بقوله «ومستظهراً» «**وبحججه على أوليائه**» «على أوليائه» أيضاً متعلّق بقوله «ومستظهراً».

وروى (أمالي المفيد) بدل الكلام «ويستظهر بحجج الله على خلقه، وبنعمه على عباده، ليتخذه الضعفاء وليجة دون وليّ الحق»[٢].

«**أو منقاداً لحملة الحقّ لا بصيرة له**» هكذا في النسخ[٣]، والظاهر أنَّ الأصل «ولكن لا بصيرة له» «**في أحنائه**» أي: جوانبه، قال لبيد:

فقلت ازدجر أحناء طيرك واعلمن بأنّك إنْ قدَّمت رجلك عاثر

وقال الكميت:

وألُوا الأُمورَ واحناءَها فلم يُبْهِلُوها ولم يُهمِلوا[٤]

«**ينقدح**» أي: ينكشف كانكشاف الشيء عند ظهور النار في الظلمة «**الشك في قلبه لأوّل عارض من شبهة**» شبّه عليه السلام عروض الشك لغير ذوي البصيرة بخروج النار من الزند عند قدحه.

«**ألا لاذا**» أي: لا هذا المنقاد الذي ليس بأهل بصيرة وتميز «**ولا ذاك**» أي:

---

(١) نقله عن المجلسي في البحار ٢: ٤٠ ح٧.

(٢) أمالي المفيد: ٢٤٩.

(٣) نهج البلاغة ٤: ٣٧، وشرح ابن أبي الحديد١٨: ٣٤٧، وشرح ابن ميثم ٥: ٣٢٢.

(٤) أورد الاوّل في الصحاح٦: ٢٣٣١ مادة (حنا)، والأخير أساس البلاغة: ٩٨، مادة (حنى)، ولسان العرب ١٤: ٢٠٤، مادة (حنا).

ولا ذاك اللَقِن الذي ليس بمؤتمن.

«أو منهوماً» عطف على «لقناً» أي حريصاً «باللذة»، وفي الخبر: منهومان لا يشبعان: منهوم بالعلم ومنهوم بالمال[١].

«سلس القياد» أي: سريع الانقياد «للشهوة» قال تعالى: ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتّبعوا الشهوات فسوف يلقون غيّاً﴾[٢].

«أو مغرماً» أيضاً عطف على «لقناً» أي: ولعاً «بالجمع» أي: جمع المال «والادخار» لأيّامه الآتية.

في (عيون القتيبي) عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: من تعلم العلم لأربعة دخل النار، ليباهي به العلماء، أو يماري به السفهاء، أو يميل به وجوه الناس، أو يأخذ به من الأُمراء[٣].

«ليسا» أي: الأخيران المنهوم باللذة المنقاد للشهوة والحريص بجمع الدنيا وادخارها.

«من رعاة الدين في شيء» وفي (الخصال) عنه عليه السلام: الدينار داء الدين، والعالم طبيب الدين، فإذا رأيتم الطبيب يجر الداء إلى نفسه فاتهموه، واعلموا انّه غير ناصح لغيره. وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: لا تجعل بيني وبينك عالماً مفتوناً بالدنيا فيصدّك عن طريق محبتي، فإن أولئك قطّاع طريق عبادي المريدين، إنّ أدنى ما أنا صانع بهم أن أنزع حلاوة مناجاتي من قلوبهم[٤].

---

(١) لفظه المشهور «طالب علم وطالب دنيا» أخرجه ابن عدي في الكامل والبزار في مسنده، عنهما الجامع الصغير ٢: ١٨٤، والقاضي القضاعي في شهاب الأخبار: ١٣٥ ح٢٥٦، عن النبيّ صلى الله عليه وآله ورواه الشريف الرضي في نهج البلاغة ٤: ١٠٥، الحكمة ٤٥٧، عن علي عليه السلام.

(٢) مريم: ٥٦.

(٣) عيون ابن قتيبة ٢: ١١٩.

(٤) هذا تلفيق حديثين الأول حديث علي عليه السلام عن عيسى بن مريم عليه السلام. أخرجه الصدوق في الخصال ١: ١١٣،

وفي (أمالي الشيخ الطوسي) عنه عليه السلام قال عيسى عليه السلام لأصحابه: كيف يكون من أهل العلم من مصيره إلى آخرته وهو مقبل على دنياه، وما يضرّه أشهى إليه مما ينفعه[١].

وفي (عقاب الأعمال) عنه عليه السلام قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: سيأتي على أُمتي زمان لا يبقى من القرآن إلّا رسمه، ولا من الاسلام إلّا اسمه، يسمّون به وهم أبعد الناس منه، مساجدهم عامرة وهي خراب من الهدى، فقهاء ذلك الزمان شرّ فقهاء تحت ظل السماء، منهم خرجت الفتنة وإليهم تعود[٢].

وفي (الكافي) عنه عليه السلام قال: طلبة هذا العلم على ثلاثة أصناف، ألا فاعرفوهم بصفاتهم وأعيانهم: صنف منهم يتعلّمون العلم للمراء والجدل، وصنف منهم يتعلّمون للاستطالة والختل، وصنف منهم يتعلمون للفقه والعقل؛ فأما صاحب المراء والجدل فتراه مؤذياً ممارياً للرجال في أندية المقال، قد تسربل بالتخشُّع وتخلّى من الورع، فدقّ الله من هذا حيزومه وقطع منه خيشومه؛ وأما صاحب الاستطالة والختل، فإنّه يستطيل على اشباهه من أشكاله، ويتواضع للأغنياء من دونهم، فهو لحلوائهم هاضم ولدينه حاطم، فأعمى الله على هذا خبره، وقطع من آثار العلماء أثره، وأما صاحب الفقه والعقل، فتراه ذا كآبة وحزن، قد قام الليل في حندسه، وانحنى في برنسه، يعمل ويخشى خائفاً وجلاً من كلّ أحد، الا من كلّ ثقة من اخوانه، فشدّ الله من هذا أركانه وأعطاه يوم القيامة أمانه[٣].

«**أقرب شيء شبهاً بهما**» أي: بهذين الصنفين «**الأنعام السائمة**» أي: الراعية،

ح٩١، والثاني حديث الصادق عليه السلام عن داود عليه السلام أخرجه هو في العلل، عن البحار ٢: ١٧، ح٨.

(١) أمالي أبي علي الطوسي ١: ٢١١ جزء ٨.

(٢) عقاب الأعمال: ٣٠١ ح٤.

(٣) الكافي ١: ٤٩ ح٥، والنقل بتصرف يسير.

قال تعالى: ﴿ان هم إلا كالأنعام بل هم أضلّ﴾[١] وقال جلّ وعلا: ﴿مثل الذين حمّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفاراً بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين﴾[٢] وقال جلّ ثناؤه: ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذّبوا بآياتنا﴾[٣].

«**كذلك يموت العلم بموت حامليه**» يعني بعد أن لا يصاب للعلم حملة لكونهم غير قابلين للإستضاءة من أنواره.

وروى صاحب (الإرشاد) عنه عليه السلام قال في خطبة له: أيّها الناس اني ابن عمّ نبيّكم وأولاكم بالله ورسوله؛ فاسألوني ثم اسألوني فكأنكم بالعلم قد نفد وانّه لا يهلك عالم إلا يهلك معه بعض علمه، وانما العلماء في الناس كالبدر في السماء يضيىء نوره على سائر الكواكب، خذوا العلم ما بدا لكم وإيّاكم ان تطلبوه لخصال أربع: لتباهوا به العلماء، أو تماروا به السفهاء، أو تراءوا به في المجالس، أو تصرفوا به وجوه الناس اليكم للترؤس، لا يستوي عند الله في العقوبة الذين يعلمون والذين لا يعلمون[٤].

وجاء في كتاب (الكافي) عن أبي عبدالله عليه السلام إن أبي كان يقول: إن الله تعالى لا يقبض العلم بعدما يهبطه، ولكن يموت العالم فيذهب بما يعلم، فتليهم الجفاة فيضلون ويضلون، ولا خير في شيء ليس له أصل[٥].

---

(١) الفرقان: ٤٤.

(٢) الجمعة: ٥.

(٣) الاعراف: ١٧٦.

(٤) الإرشاد: ١٢٢.

(٥) الكافي ١: ٣٨، ح٥.

ومن كلام الحكماء: النار لا ينقصها ما أُخِذَ منها، ولكن يخمدها أن لا يجد حطباً، وكذلك العلم لا يفنيه الاقتباس ولكن فقد الحاملين له سبب عدمه.

٢
الحكمة (٤٢٠)

وَروَى أنهُ عليه السلام كَانَ جالساً في أصحابهِ، فمرَّتْ بهمُ امرَأَةٌ جَمِيلَةٌ، فَرَمَقَهَا القوْمُ بأبصارِهم، فقَالَ عليه السلام :

إنَّ أَبْصَارَ هَذِهِ الفُحُولِ طَوَامِحُ، وَإِنَّ ذَلِكَ سَبَبُ هَبَابِهَا، فَإِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى آمْرَأَةٍ تُعْجِبُهُ، فَلْيُلامِسْ أَهْلَهُ، فَإِنَّمَا هِيَ آمْرَأَةٌ كَامْرَأَتِهِ.

فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ ٱلْخَوَارِجِ: قَاتَلَهُ ٱللّهُ كَافِراً، مَا أَفْقَهَهُ، فَوَثَبَ ٱلْقَوْمُ لِيَقْتُلُوهُ. فَقَالَ عليه السلام:

رُوَيْداً إِنَّمَا هُوَ سَبٌّ بِسَبٍّ أَوْ عَفْوٌ عَنْ ذَنْبٍ.

أقول: روى (تحف عقول ابن شعبة الحلبي) في حديث الأربعمائة عنه عليه السلام قال: إذا رأى أحدكم امرأة تعجبه فليلق أهله، فان عندها مثل الذي رأى، ولا يجعل للشيطان على قلبه سبيلا، وليصرف بصره عنها فإن لم يكن له زوجة فليصلّ ركعتين ـ الخبر[1].

«وروى انّه عليه السلام كان جالساً في أصحابه فمرت» هكذا في (المصرية) والصواب: «إذ مرت» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[2] «بهم امرأة جميلة فرمّقها» بالتشديد أي: ادام النظر إليها «القوم بأبصارهم» في (عيون ابن قتيبة): مرت اعرابية بقوم من بني نمير فقالت: يا بني نمير والله ما أخذتم بواحدة من اثنتين، لا بقول الله تعالى: ﴿قل للمؤمنين يغضّوا

---

(١) رواه ابن شعبة في تحف العقول: ١٢٥، وأيضاً الصدوق في الخصال ٢: ٦٣٨.

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ٦٣، لكن لفظ شرح ابن ميثم ٥: ٤٤٦ مثل المصرية.

من أبصارهم﴾[١]، ولا بقول جرير:

فغضّ الطرف انك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا

فاستحيا القوم من كلامها وأطرقوا[٢].

وفي (تاريخ بغداد): قال محمد بن أحمد القاضي: حضرت مجلس موسى بن إسحاق القاضي بالري سنة (٢٨٦) وتقدمت امرأة فادّعى وليها على زوجها خمسمأة دينار مهراً فأنكر، فقال القاضي للولي: شهودك؛ قال: قد أحضرتهم، فاستدعى بعض الشهود أن ينظر إلى المرأة ليشير إليها في شهادته، فقام الشاهد وقال للمرأة: قومي؛ فقال: تفعلون ماذا؟ قال الوكيل: ينظرون إلى امرأتك وهي مسفرة لتصح عندهم معرفتها، فقال الزوج: ان لها عليّ هذا المهر الذي تدّعيه ولا تسفر عن وجهها، فردّت المرأة وأخبرت بما كان من زوجها، فقالت المرأة: فإنّي أشهد القاضي انّي قد وهبت له هذا المهر وابرأته منه في الدنيا والآخرة. فقال القاضي: يكتب هذا في مكارم الأخلاق[٣].

«فقال عليه السلام ان أبصار هذه الفحول» في (شعراء القتيبي): ومن الشعراء علقمة الفحل، واختلف في تسميته بالفحل، قيل سمّي بذلك لأنّه احتكم مع امرئ القيس إلى امرأته أُم جندب لتحكم بينهما، فقالت لهما قولا شعراً تصفان فيه الخيل على روي واحد وقافية واحدة لأحكم بينكما، فقال امرؤ القيس:

خليلي مُرّا بي على أُم جندب لتقضي حاجات الفؤاد المعذب

وقال علقمة:

ذهبت من الهجران في كلّ مذهب ولم يك حقّاً كلّ هذا التجنّب

---

(١) النور: ٣٠.

(٢) عيون ابن قتيبة ٤: ٨٥.

(٣) تاريخ بغداد١٣: ٥٣، والنقل بتصرف يسير.

ثم أنشداها جميعاً، فقالت لأمرئ القيس: علقمة أشعر منك. قال: وكيف؟ قالت: لأنك قلت:

فللسوط ألهوب وللساق درة وللزجر منه وقع أخرج مهذب

فجهدت فرسك بسوطك ومريته بساقك ـ وقال علقمة:

فأدركهن ثانياً من عنانه يمر كمر الرائح المتحلّب

فأدرك طريدته وهو ثانٍ من عنان فرسه لم يضربه بسوط ولا مراه بساق ولا زجره، فقال لها امرؤ القيس: ماهو بأشعر منّي ولكنّك له وامق، فطلّقها فخلفه عليها علقمة فسمّى بذلك الفحل. وقيل بل سمّيَ بالفحل لأن في قومه رجل يقال له علقمة الخصي، ففرّقوا بينهما بهذا الاسم.

وقالوا: العرب تسمّي سهيلاً بالفحل، تشبيهاً له بفحل الإبل لاعتزال سهيل النجوم، كما أن الفحل إذا قرع الإبل اعتزلها، قال الشاعر:

أما ترى الفحل كيف يزهر[١]

«**طوامح**» أي: مرتفعات «**وان ذلك سبب هبابها**» في (الصحاح) «الهبّة» بالكسر: هياج الفحل، تقول: هب التيس يهب ـ بالكسر ـ هبيباً وهباباً: إذا نبّ للسفاد[٢].

وفي الخبر: لا يزني فرجك ما غضضت بصرك[٣].

وفي (عيون القتيبي): نظر أشعب يوماً إلى ابنه، وهو يديم النظر إلى امرأة، فقال: يا بني نظرك هذا يحبل. وقال بعضهم:

ولي نظرة لو كان يحبل ناظر بنظرته انثى لقد حبلت منّي[٤].

---

(١) الشعر والشعراء: ٥٨، والنقل بتصرف يسير.

(٢) صحاح اللغة ١: ٢٣٦، مادة (هبّ).

(٣) رواه ابن قتيبة في عيون الاخبار ٤: ٨٤، عن عيسى عليه السلام.

(٤) عيون ابن قتيبة ٤: ٨٤.

هذا وكما للرجال الطموح إليهن كذلك لهن الطموح إليهم، بل في الخبر إنّ همّ الرجال في البناء والطين، وهمّ النساء في الرجال[١].

وفي خبرٍ، أربعة لا يشبعن من أربعة: عين من نظر، وانثى من ذكر، وأرض من مطر، واذن من خبر[٢]. وقال الفرزدق:

فلا تدخل بيوت بني كليب ... ولا تقرب لهم أبداً رحالا

فإن بها لوامع مبرقات ... يكدن ينكن بالحدق الرجالا

وفي (الجمهرة): قالت امرأة لأمَة لها: مري ببنتي على ذوي النظرى لا ذوات النقرى؛ أي مري بها على الرجال الذين يرضون بالنظر، لا على النساء اللواتي ينقرن عن الخبر[٣].

وعن أبي حازم: بينما أرمي الجمار رأيت امرأة سافرة حسنة فقلت لها: أما تتقين الله تسفرين في هذا الموضع فتفتنين الناس. قالت: أنا والله ممّن قيل فيهنَّ:

من اللاء لم يحججن يبغين حُسبة ... ولكن ليقتلن البرئ المغفّلا

وفي (الأغاني): كان ابن الغز الأيادي، فكان إذا انعظ احتكت الفصال بأيره، وكان في اياد امرأة تستصغر أيور الرجال، فجامعها ابن الغز، فقالت: يا معشر اياد؛ أبالركب تجامعون النساء، فضرب بيده على إليتها وقال: ماهذا؟ فقالت: وهي لا تعقل ما تقول! هذا القمر، فضربت العرب بها المثل «أريها استها وتريني القمر»[٤].

وجاء في (الكافي): أنّ رجلاً أتى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال: انّي أحمل أعظم ما

---

(١) أخرجه الصدوق في العلل ٢: ٤٩٨.

(٢) أخرجه الصدوق في الخصال ١: ٢٢١ ح٤٧ و ٤٨، والنقل بفرق في اللفظ.

(٣) جمهرة اللغة ٢: ٤٠٩.

(٤) نقله الميداني في مجمع الأمثال ١: ٢٩١.

يحمل الرجال، فهل يصلح لي أن آتي بعض مالي من البهائم ناقة أو حمارة فإن النساء لا يقوين على ما عندي؛ فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم له: ان الله تعالى لم يخلقك حتى خلق لك ما يحتملك من شكلك، فانصرف الرجل، ولم يلبث ان عاد فقال له مثل مقالته أوّل مرّة فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: فأين أنت من السوداء العنطنطة ـ أي: الطويلة العنق ـ فانصرف الرجل فلم يلبث ان عاد فقال: أشهد انّك رسول الله حقّاً، إنّي طلبت ما أمرتني به فوقعت على شكلي مما تحملني[1].

«**فإذا نظر أحدكم إلى امرأة تعجبه فليلامس**» وفي (ابن ميثم): «فليلمس» وفي (ابن أبي الحديد النسختان)[2]: «**أهله فانما هي امرأة كامرأة**» وفي (ابن أبي الحديد) «**كامرأته**»[3] وهو الأنسب بالمقام.

وفي (أُسْد الغابة) في عبدالله بن نعيم بن النحام عن جابر، بينا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في أصحابه إذ مرت به امرأة، فدخل على زينب بنت جحش فقضى حاجته وخرج فقال: إذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله، فإن المرأة تقبل في صورة شيطان، وتدبر في صورة شيطان[4].

هذا وفي (كامل الجزري) كان يوسف بن تاشفين ملك العرب والأندلس حليماً كريماً خيّراً يحب أهل العلم والدين ويحكّمهم في بلاده، وكان يحب العفو عن الذنوب العظام، فمن ذلك ان ثلاثة نفر اجتمعوا فتمنّى أحدهم ألف دينار يتّجر بها، وتمنّى الآخر عملاً يعمل فيه ليوسف، وتمنّى الآخر زوجته النفزاوية وكانت من أحسن الناس ولها الحكم في بلاده، فبلغه الخبر، فأحضرهم وأعطى متمنّي المال ألف دينار، واستعمل الآخر وقال للذي تمنّى

---

(١) الكافي ٥: ٣٣٦ ح١.

(٢) في نسختنا من شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ٦٣، وشرح ابن ميثم ٥: ٤٤٦، مثل المصرية.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ٦٣.

(٤) أُسد الغابة ٣: ٢٦٨ و ٢٦٩.

زوجته: يا جاهل ما حملك على هذا الذي لا تصل إليه، ثم أرسله إليها فتركته في خيمة ثلاثة أيام تحمل إليه كلّ يوم طعاماً واحداً، ثم أحضرته وقالت له: ما أكلت هذه الأيام؟ قال: طعاماً واحداً؛ فقالت: كلّ النساء شيء واحد، وأمرت له بمال وكسوة وأطلقته[1].

وفي (أمثال الكرماني): أن الحكم بن صخر الثقفي سأل امرأة عن اختها وكان رآها عام أوّل، فقالت تزوجها ابن عم لها، فقال لها: لو أدركتها لتزوجتها! فقالت له: ما يمعنك من شريكتها في حسنها، قال: يمنعني قول كثير:

إذا وصلتنا خلة كي تزيلها ... أبينا وقلنا الحاجبية اول

فقالت: كثير بيني وبينك؛ أليس الذي يقول:

هل وصل عزّة الاّ وصل غانية ... في وصل غانية من وصلها خلف

فعيّ عن جوابها[2].

في (الكافي) عن الباقر عليه السلام: استقبل شاب من الأنصار امرأة بالمدينة، وكان النساء يتقنعن خلف آذانهن، فنظر اليها وهي مقبلة، فلما جازت نظر اليها ودخل في زقاق، فجعل ينظر خلفها، واعترض وجهه عظم في الحائط أو زجاجة فشق وجهه، فلما مضت المرأة نظر فإذا الدماء تسيل على صدره وثوبه، فقال: والله لآتين النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ولأخبرنّه، فأتاه فأخبره، فهبط جبرئيل بهذه الآية ﴿قل للمؤمنين يغضّوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون﴾[3].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: النظر سهم من سهام ابليس مسموم، وكم

(١) الكامل ١٠: ٤١٧، أحداث سنة ٥٠٠، والنقل بتصرف يسير.

(٢) مجمع الأمثال ٢: ٨٢.

(٣) النور: ٣٠.

من نظرة أورثت حسرة طويلة(١).

وفي (الفقيه) عنه عليه السلام: النظرة سهم من سهام ابليس مسموم، من تركها لله تعالى لا لغيره أعقبه الله ايماناً يجد طعمه.

وعن الرضا عليه السلام: وحرّم النظر لما فيه من التهييج، وما يدعو التهييج إليه من الفساد.

وعن الصادق عليه السلام: من نظر إلى امرأة فرفع بصره إلى السماء أو غضّ بصره لم يرتدّ إليه بصره حتى يزوّجه الله من الحور العين(٢).

«فقال رجل من الخوارج قاتله الله كافراً ما أفقهه» قال الجوهري «ابل مسبّه» أي خيار لأنّه يقال لها عند الاعجاب بها قاتلها الله(٣).

وفي (العيون): شكا الفرزدق امرأته، فقال له شيخ من بني مضر كان أسنَّ منه: أفلا تكسعها بالمحرجات ـ يعني الطلاق ـ فقال له الفرزدق: قاتلك الله! ما أعلمك من شيخ(٤).

ونظير قولهم عند الاعجاب «قاتله الله» قولهم عنده «لله دره» وان كان هو لفظاً حسناً، والأوّل لفظاً قبيحاً. وروى المدائني سبّ آخر له عليه السلام معجباً بالأخير، فقال خطب عليّ عليه السلام فذكر الملاحم فقال «سلوني قبل أن تفقدوني، أما والله لتشغرن الفتنة الصماء برجلها، وتطأ في خطامها، يالها من فتنة شبّت نارها بالحطب الجزل، مقبلة من شرق الأرض رافعة ذيلها، داعية ويلها، بدجلة أو حولها، ذاك إذا استدار الفلك، وقلتم مات أو هلك، بأيّ وادٍ سلك» فقال قوم

---

(١) الكافي ٥: ٥٣١ ح ٥ و ٥٥٩ ح ١٢.

(٢) أخرج الأوّل والأخير الصدوق في الفقيه ٤: ١١ ح ١ و ٣: ٣٠٤ ح ٤١، والحديث الثاني لم يوجد في الفقيه؛ بل أخرجه الصدوق في عيون الأخبار ٢: ٩٦، وفي العلل ٢: ٥٦٤ ح ١.

(٣) صحاح اللغة ١: ١٤٥، مادة (سبّ).

(٤) عيون ابن قتيبة ٤: ١٢٦.

تحت منبره: لله أبوه، ما أفصحه كاذباً[١].

ونظير الأوّل عند الاعجاب ما في (أمالي القالي): أن الحجاج كان ينشد قول مالك بن أسماء:

يا منزل الغيث من بعد ما قنطوا	ويـــا وليَّ النـــعماء والمـــنن
يكون ما شئت ان يكون، ومـا	قـــدرت ألّا يكـــون لم يكـن
لو شئت إذ كـان حـبها عـرضاً	لم تُـرِني وجـــهها ولم تَـرني
يا جارة الحي إذ كنتِ لي سكناً	إذ ليس بعض الجيران بالسكن
اذكـــر مـن جـارتي ومـجلسها	طـرائـفاً مـن حـديثها الحسـن
ومـن حـديث يـزيدني مـقة	ما لحديث الـمـوموق مـن ثـمن

ثم يقول: أحسن، فضّ الله فاه[٢].

«فوثب» زاد ابن ميثم «اليه»[٣] «القوم ليقتلوه فقال عليه السلام رُوَيْداً» رويداً تصغير الترخيم من «أرواداً» والأصل «أرودوه ارواداً» أي: أمهلوه إمهالاً.

ونظير ما رواه صاحب (الغارات) أنّ علياً عليه السلام قال على المنبر: ما أحد جرت عليه المواسي إلّا وقد أنزل الله فيه قرآناً، فقام إليه رجل فقال: فما أنزل الله فيك ـ يريد تكذيبه ـ فقام الناس إليه يضربونه؟ فقال عليه السلام دعوه وقال له: أتقرأ سورة هود؟ قال: نعم؛ فقرأ قوله سبحانه ﴿أفمن كان على بيّنة من ربه ويتلوه شاهد منه﴾[٤]. ثم قال: الذي كان على بيّنة من ربّه محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، والشاهد الذي يتلوه أنا[٥].

---

(١) نقله عن المدائني ابن أبي الحديد في شرحه ٦: ١٣٦.

(٢) لم أجده فيه.

(٣) لم توجد لفظة «اليه» في نسختنا ٥: ٤٤٦.

(٤) هود: ١٧.

(٥) لم يوجد في النسخة المطبوعة من الغارات لكن نقله عنه ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ٢٨٧.

«انما هو سبّ بسبّ» بأن يقال له «بل قتلك الله وأنت كافر» «أو عفو عن ذنب» بأن يترك على عمهه.

وقد وقع نظير ذلك للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ففي (تاريخ الطبري) في ذهاب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى أحد: قال النبيّ لأصحابه: من يخرج بنا على القوم من كثب لا يمر بنا عليهم؟ فقال أبو خيثمة أخو بني حارثة: أنا، فقدمه، فنفذ به في حرّة بني حارثة، وبين أموالهم حتى سلك به في مال المربع بن قيظي، وكان رجلاً منافقاً ضرير البصر، فلما سمع حسّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ومن معه، قام يحثي في وجوههم التراب ويقول: ان كنتَ رسولاً فإني لا أحلّ لك أن تدخل حائطي، وذكر أنه أخذ حفنة من تراب، ثم قال: لو أعلم أني لا أُصيب بها غيرك يامحمّد لضربت بها وجهك. فابتدره القوم ليقتلوه، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : لا تفعلوا فهذا الأعمى البصر الأعمى القلب. وقد بدر إليه سعد بن زيد اخو بني عبد الأشهل حين نهى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عنه، فضربه بالقوس في رأسه فشجّه[1].

وهذا الخارجي، وان نسب إليه عليه السلام الكفر حسب عقيدة الخوارج الفاسدة الوضوح عند جميع المسلمين، أنهم كفروا بالتبرّي منه، إلا انّه لمّا وصفه بكثرة الفقه ومدحه بذلك نهى عليه السلام عن قتله وقال: امّا سبوه بسبه وامّا اعفوا عنه وأهانه عليه السلام خارجي آخر بنسبة الجور إليه عليه السلام ، فدعا عليه بالمسخ ليصير عبرة للآخرين فإن العزّة لله ولرسوله وللمؤمنين.

ففي (خصائص المصنف): روى أن أمير المؤمنين عليه السلام كان جالساً في المسجد ودخل عليه رجلان واختصما لديه وكان احدهما من الخوارج، فتوجّه الحكم عليه فحكم عليه، فقال له: والله ما حكمت بالسوية، ولا عدلت في القضية، وما قضيتّك عند الله بمرضيّة. فقال عليه السلام له ـ وأومأ إليه بيده ـ: إخسأ

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ١٩١، سنة ٣، والنقل بتصرف يسير.

عدوّ الله! فاستحال كلباً أسود!! فقال من حضره: فوالله لقد رأينا تطاير لباسه عنه في الهواء، وجعل يبصبص له عليه السلام ودمعت عيناه ورأيناه قد رقّ فلحظ السماء وحرّك شفتيه بكلام لم نسمعه، فوالله لقد رأيناه وقد عاد إلى حاله وتراجعت ثيابه من الهواء حتى سقطت على كتفيه! فرأيناه وقد خرج من المسجد وان رجليه لتضطربان! فبهتنا ننظر إليه فقال عليه السلام: ما بالكم تنظرون وتعجبون؟ فقلنا: كيف لا نتعجب وقد صنعت ما صنعت. فقال: أما تعلمون أنّ آصف بن برخيا وصيّ سليمان بن داود قد صنع ما هو قريب من هذا الأمر، فقصّ الله جلّ اسمه قصّته حيث يقول: ﴿أيّكم يأتيني بعرشها ـ إلى قوله ـ قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتّد إليك طرفك﴾[1] ـ الآية، فأيّما أكرم عليه نبيّكم أم سليمان؟ قالوا: بل نبيّنا، قال: فوصي نبيّكم أكرم من وصيّ سليمان؛ وانما كان عند وصي سليمان من اسم الله الأعظم حرف واحد، فسأل الله تعالى فخسف به الأرض ما بينه وبين سرير بلقيس، فتناوله في أقلّ من طرفة عين! وعندنا من اسم الله الأعظم اثنان وسبعون حرفاً، وحرف عند الله استأثر به دون خلقه! فقالوا: فإذا كان هذا عندك فما حاجتك إلى الأنصار في قتال معاوية؟ فقال: بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، إنّ الله تعالى ممتحن خلقه بما يشاء. قالوا: فنهضنا ونحن نعظّم ما أتى به[2].

٣
الحكمة (٣٧)

وقال عليه السلام ـ وَقَدْ لَقِيَهُ عِنْدَ مَسيرِهِ إلى الشّامِ دَهَاقينُ الأَنْبارِ فَتَرَجَّلُوا

---

(١) النمل: ٣٨ ـ ٤٠.

(٢) خصائص الرضي: ١٢، والنقل بتصرف يسير.

لَهُ واشْتَدُّوا بَيْنَ يَدَيْهِ. فقال عليه السلام:

مَا هَذَا الَّذِي صَنَعْتُمُوهُ؟ فَقَالُوا: خُلُقٌ مِنَّا نُعَظِّمُ بِهِ أُمَرَاءَنَا. فَقَالَ عليه السلام: وَاللّهِ مَا يَنْتَفِعُ بِهَذَا أُمَرَاؤُكُمْ! وَإِنَّكُمْ لَتَشُقُّونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ فِي دُنْيَاكُمْ، وَتَشْقَوْنَ بِهِ فِي آخِرَتِكُمْ، وَمَا أَخْسَرَ الْمَشَقَّةَ وَرَاءَهَا الْعِقَابُ، وَأَرْبَحَ الدَّعَةَ مَعَهَا الْأَمَانُ مِنَ النَّارِ.

أقول: رواه نصر بن مزاحم في (صفينه) هكذا، فقال: وجاء عليّ عليه السلام حتّى مرّ بالأنبار فاستقبله بنو خُشنوشَك دهاقنتها. قال سليمان «خُشْ» طيب «نُوشَك» راضٍ، يعني «بني الطيّب الراضي» بالفارسية، فلما استقبلوه نزلوا ثم جاؤا يشتدّون معه، قال: ما هذه الدوابّ التي معكم وما أردتم بهذا الذي صنعتم؟ قالوا: أمّا هذا الذي صنعنا فهو خُلُق منّا نعظّم به الأمراء، وأما هذه البراذين فهديّة لك وقد صنعنا لك وللمسلمين طعاماً وهيَّأْنا لدوابّكم علفاً كثيراً. فقال عليه السلام: امّا هذا الذي زعمتم أنّه منكم خُلقٌ تعظّمون به الأُمراء فوالله ما ينفع هذا الأمراء، وإنّكم لتشقّون به على أنفسكم وأبدانكم فلا تعودوا له، واما دوابُّكم هذه فان أحببتم أن نأخذها منكم فنحسبها من خراجكم أخذناها مِنْكم، وأما طعامكم الذي صنعتم لنا فإنّا نكره أن نأكل من أموالكم شيئاً إلّا بثمن. قالوا: نقوّمه ثمَّ نقبل ثمنه. قال: إذنْ لا تقوّمونه قيمته، نحن نكتفي بما هو دونه. قالوا: يا أمير المؤمنين فإنّ لنا من العرب مواليَ ومعارف فتمنعُنا أن نهدي لهم وتمنعُهم أن يقبلوا منّا؟ قال: كلّ العرب لكم موالٍ وليس ينبغي لأحدٍ من المسلمين أن يقبل هديّتكم، وإن غصبكم أحد فأَعلِمونا؛ قالوا: يا أمير المؤمنين انّا نحبُّ أن تقبل هديتنا وكرامتنا. قال لهم: ويحكم، نحن أغنى منكم. فتركهم ثم سار[1].

---

(١) وقعة صفين: ١٤٣.

قول المصنف: «وقال عليه السلام وقد لقيته عند مسيره» من الكوفة «إلى الشّام» في طريقه «دهاقين الأنبار» جمع دهقان. قال الجوهري: الدهقان، معرب، إن جعلت النون أصلية من قولهم «تدهقن الرجل» صرفته لأنّه فعلال، وان جعلته من الدهق لم تصرفه لأنّه فعلان[١].

قلت: لا وجه لاحتمال كونه من الدهق، لأن الكلمة معرّبة مركبة من «ده» بمعنى القرية و «قان» مبدل «پان» مخفّف «پاينده» بمعنى الحافظ[٢].

وفي (تاريخ الطبري): منوشهر أوّل من خندق الخنادق وجمع آلة الحرب، وأوّل من وضع الدهقنة فجعل لكلّ قرية دهقاناً وجعل أهلها له خولاً وعبيداً وأمرهم بطاعته[٣].

«فترجلوا له» أي: نزلوا من مراكبهم وقاموا على أرجلهم «واشتدوا» أي: عدوا. قال الشاعر:

هذا أوان الشدّ فاشتدّي زيم[٤]

«بين يديه» أي: قُدّامه «فقال عليه السلام» هكذا في (المصرية)، والكلمة زائدة فليست في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٥]، ولأنها تكرار لأنه قال أولاً «وقال عليه السلام».

«ما هذا الذي صنعتموه» من الاشتداد والعدو بين يديّ **«فقالوا**

(١) صحاح اللغة ٥: ٢١١٧، مادة (دهقن).

(٢) الاشتقاق الذي ذكره الشارح غير صحيح، بل كلمة «دهقان» تعريب «دهگان» الفارسي و«دهيگان» الفهلوي، وهو مركب من جزئين، الأول «ده» بمعنى «القرية» والثاني «گان» أو «ايكان» الذي يدل على النسبة والتعلّق، فمعنى «دهگان» أو «دهيكان» هو «الزارع» أو «مالك الزرع والقرية».

(٣) تاريخ الطبري ١: ٢٦٦.

(٤) أورده لسان العرب ٣: ٢٢٤، مادة (شدّ).

(٥) في شرح ابن أبي الحديد ١٨: ١٥٦، «وقال» وفي شرح ابن ميثم ٥: ٢٦٠ «فقال».

خلق» بضمتين أي: عادة «منّا نعظّم به امراءنا. فقال عليه السلام : والله ما ينتفع بهذا امراؤكم» بل يضرّ بهم لأنّه يحدث لهم خيلاء وكبراً «وإنكم لتشقّون» بالتشديد من المشقّة «على أنفسكم» هكذا في (المصرية) والصواب: «به على أنفسكم» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[١] «في دنياكم» متعلّق بقوله «لتشقّون» «وتشقون» بالتخفيف من الشقاء «به في آخرتكم» لفعلكم العبث «وما أخسر المشقة وراءها العقاب» فالمشقة ان لم يكن وراءها ثواب، كالمشقة لتحصيل دنياً أو آخرة خسارة، فان كان وراءها عقاب فهي أخسر.

«وأربح الدعة» أي: الاستراحة «معها الأمان من النار» فالدعة ان لم يكن وراءها شيء، ربح، فإن كان معها أمان من النار، بأن يكون ضدّها موجباً للنار وتركها الإنسان لذلك فهي أربح.

هذا، ومرَّ في فصل صفين أن حرب بن شرحبيل الشبامي أقبل يمشي معه عليه السلام وهو راكب، فقال عليه السلام له: ارجع، فان مشي مثلك مع مثلي فتنة للوالي ومذلّة للمؤمن[٢].

وفي (معجم بلدان الحموي): قال أحمد بن يحيى بن جابر: مرَّ علي بن أبي طالب عليه السلام بالأنبار فخرج إليه أهلها بالهدايا إلى معسكره فقال: إجمعوا الهدايا واجعلوها باجاً واحداً. ففعلوا فسمّي موضع معسكره بالأنبار الباج الى الآن[٣].

---

(١) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١٨: ١٥٦، وشرح ابن ميثم ٥: ٢٦١، مثل المصرية.

(٢) روى الحديث ابن مزاحم في وقعة صفين: ٥٣٢ وموضعه في الفصل الثاني والثلاثين من الكتاب.

(٣) معجم البلدان ١: ٣١٣.

٤
الحكمة (١٠٠)

وَمَدَحَهُ قَوْم في وَجْهِهِ فَقَالَ:

اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَعْلَمُ بِي مِنْ نَفْسِي وَأَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْهُمْ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنا خَيْراً مِمَّا يَظُنُّون وَاغْفِرْ لنا مَا لَا يَعْلَمُونَ.

كان عليه السلام إمام المتقين، ومن صفات المتقين انّه إذا زُكِّي أحدهم خاف ممّا يقال له فيقول: أنا أعلم بنفسي من غيري، وربّي أعلم بي منّي بنفسي، اللّهمّ لا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني أفضل ممّا يظنون واغفر لي ما لا يعلمون.

وقال ابن أبي الحديد: وقال عليه السلام لرجل مدح رجلاً في وجهه «عقرت الرجل عقرك الله». وقال عليه السلام: لو مشى رجل إلى رجل بسيف مرهف كان خيراً له من أن يثني عليه في وجهه[١].

قلت: وفي الخبر «أُحثُوا في وجوه المدّاحين التراب»[٢] وعمل به أبو ذر في من مدح عثمان، فانّه مذموم لو كان حقّاً، فكيف لو كان باطلاً!

٥
الحكمة (٨٣)

وَقَالَ عليه السلام لِرَجُلٍ أفرطَ في الثَّناءِ عَلَيهِ ـ وكانَ لَهُ مُتَّهِماً ـ:

أَنَا دُونَ مَا تَقُولُ، وفَوْقَ مَا فِي نَفْسِكَ.

أقول: قال الجاحظ في (بيانه) والرضيّ في (خصائصه): قال الأصمعي

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٢٥٦.

(٢) أخرجه ابن داود في سننه ٤: ٢٥٤ ح ٤٨٠٤، والترمذي في سننه ٤: ٥٩٩ و ٦٠٠ ح ٢٣٩٣ و ٢٣٩٤، وابن ماجة في سننه ٢: ١٢٣٢ ح ٣٧٤ وغيرهم بلفظ «احثوا التراب...».

اثنى رجل على عليّ عليه السلام فأفرط، فقال علي عليه السلام وكان يتّهمه: انا دون ما تقول، وفوق ما في نفسك[١].

هذا، وروى (الكافي) أنّه عليه السلام بعث إلى بشر بن عطارد التميمي في كلام بلغه عنه، فمرّ به رسوله في بني أسد فقام إليه نعيم بن دجاجة الأسدي فأفلته، فبعث عليه السلام إليه فأتوه به، وأمر به أن يضرب، فقال له نعيم: أما والله ان المقام معك لذلّ وان فراقك لكفر. فقال عليه السلام له: قد عفونا عنك، ان الله عزوجل يقول: ﴿ادفع بالتي هي أحسن السيئة﴾[٢] اما قولك ان المقام معك لذلّ فسيئة اكتسبتها، وأما قولك ان فراقك لكفر فحسنة اكتسبتها، فهذه بهذه، ثم أمر أن يخلى عنه[٣].

هذا وذكروا أن صديقاً لعيسى بن هبة الله البزاز كتب إليه رقعة فزاد في خطابه فأجابه:

قد زدتني في الخطاب حتى | خشيت نقصاً في الزيادة
فاجعل خطابي خطاب مثلي | ولا تغيّر عليّ عادة

ونقل ابن أبي الحديد هنا: ان عمر كان جالساً وعنده الدِّرَّة، إذ أقبل الجارود العبدي، فقال رجل: هذا سيّد ربيعة؛ فسمعها عمر ومن حوله، وسمعها الجارود، فلما دنا منه خفقه بالدِّرة، فقال لعمر: مالي ولك. قال: أما لقد سمعتها؛ قال: وما سمعتها فمه! قال: ليخالطن قلبك منها شيء وأنا أحب أن أطأطئ منك[٤].

قلت: الجناية للمادح لا للممدوح، فكان على عمر أن يؤنّب المادح، مع

---

(١) البيان والتبيين ٢: ٧٩ وخصائص الرضي: ٧٠.

(٢) المؤمنون: ٩٦.

(٣) الكافي ٧: ٢٦٨ ح٤.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٢٣٣.

ان المادح انّما يؤنب اذا كان مدح رجلاً في وجهه، وهو لم يذكر ذلك للجارود، بل لجلسائه، وكلامه كان كلام حقيقة.

مع ان الضرب بالدِّرّة انما يكون لمن جنى جناية لا في مثله!

روى (الكافي) عن رزين قال: كنت اتوضأ في ميضاة الكوفة، فإذا رجل قد جاء فوضع نعليه ووضع دِرَّته فوقها ثم دنا فتوضأ معي فزحمته فوقع على يديه، فقام فتوضأ فلما فرغ ضرب رأسي بالدِّرَّة ثلاثاً ثم قال: إيّاك أن تدفع فتكسر فتغرم! فقلت: من هذا؟ فقالوا: أمير المؤمنين، فذهبت أعتذر إليه. فمضى ولم يلتفت إليّ[1].

وإنَّما الأصل في عمل عمر مع الجارود ضغن في قلبه منه، لما أراد عمر تضييع حدّ الشرب على قدامة بن مظعون صهره فألزمه الجارود بذلك.

٦
الحكمة (١٩٤)

وكان عليه السلام يقول:

مَتَى أَشْفِي غَيْظِي إذَا غَضِبْتُ؟ أَحِينَ أَعْجِزُ عَنِ ٱلانْتِقِامِ فَيُقَالُ لِي لَوْ صَبَرْتَ؟ أَمْ حِينَ أَقْدِرُ عَلَيْهِ فَيُقَالُ لِي: لَوْ عَفَوْتَ.

أقول: هذا نظير قوله عليه السلام في عدم المورد في الحذر من الموت، لأنّه ان لم يقدر في ذاك الوقت فهو لغو، وان قدر لم يقدر على الفرار.

وقالوا: لمّا أمر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بقتل أحد اسراء قريش في بدر قالت أخته ابياتاً منها قولها:

مَا ضَرَّكَ لَو مننت وربّما ... مَنَّ الفتى وهو المَغِيظ المُحنق

---

(١) الكافي ٧: ٢٦٨ ح٤١.

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله : لو بلغني أبياتها قبل قتله ما قتلته[1].

هـذا، وقـالوا أسـر مـعاوية يـوم صـفين رجـلاً مـن أصـحاب أمـير المؤمنين عليه السلام ، فلمّا اقيم بين يديه قال: الحمد لله الذي أمكنني منك؛ فقال الرجل: لا تقل ذلك فإنّها مصيبة، قال: وأية نعمة أعظم من أن يكون ظفرت برجل قتل في ساعة واحدة جماعة من أصحابي، اضربا عنقه. فقال الرجل: اللّهمّ اشهد أنّ معاوية لم يقتلني فيك، ولا لأنّك ترضى قتلي، ولكن قتلني في الغلبة عـلى حطام هذه الدنيا، فان فعل فافعل به ما هو أهله، وان لم يفعل فافعل به ما أنت أهله، فقال معاوية: قاتلك الله! لقد سببت فأوجعت في السبّ ودعوت فأبلغت في الدعاء، خَلِيا سبيله.

وقالوا: ضرب الحجّاج أعناق أسارى أُتي بهم، فقال رجل منهم: والله لئن كنّا أسأنا في الذنب فما أحسنت في المكافأة! فقال الحجاج: أفٍّ لهذه الجيف، أما كان فيهم من يحسن مثل هذا؟ وكفّ عن القتل.

هذا وصفة عفوه عليه السلام كباقي صفاته، عجيبة، فقد ظفر بمروان وعداوته له عليه السلام وجساراته معه عليه السلام أيام عـثمان لاسـيّما فـي قـضية أبـي ذر ـوهـي معروفة ـفعفا عنه.

وعفا عن ابن الزبير مع انّه كان يبغضه ويسبّه وقال عليه السلام فيه: إنّ أبـاه الزبير كان منهم، وأنّه هو الذي قطعه عنهم.

وعفوه عليه السلام عن عائشة وأهل البصرة لا يحتاج إلى بيان.

ومن كرم أخلاقه عليه السلام معاملته في الحرب مع طلحة بن عثمان يوم أُحد وعمرو بن عبد ود يوم الخندق وعمرو بـن العـاص وبسـر بـن ارطأة يـوم صفين.

---

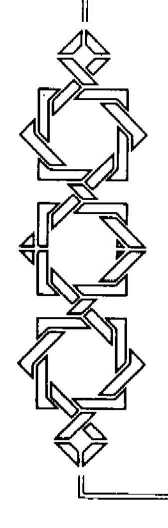
(١) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ١٤: ١٧١ و ١٧٢، والنقل بتصرف يسير.

وفي (تأريخ الطبري) في الأول ضرب علي عليه السلام طلحة صاحب لواء المشركين فقطع رجله، فسقط، فانكشفت عورته، فقال: أنشدك الله والرحم يا ابن عم! فتركه فكبّر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال لعليّ عليه السلام أصحابه: ما منعك أن تجهز عليه؟ قال: ان ابن عمّي ناشدني حين انكشفت عورته فاستحييت منه[1].

(١) تاريخ الطبري ٢: ١٩٤، سنة ٣.

الفصل الحادي عشر

في تفسيره عليه السلام لآيات ولغيرها واستشهاده بآيات



١
الحكمة (٩٩)

وَسَمِعَ عليه السلام رَجُلاً يَقُولُ ﴿ إِنَّا لِلهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، فَقَالَ: إِنَّ قَوْلَنَا ﴿ إِنَّا لِلهِ﴾ إِقْرَارٌ عَلَى أَنْفُسِنَا بِالْمُلْكِ، وَقَوْلَنَا ﴿ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ إِقْرَارٌ عَلَى أَنْفُسِنَا بِالْهُلْكَ.

أقول: ومثله قال الرضيّ في (خصائصه)، والأصل فيه ما رواه محمد بن يعقوب في (الكافي) عن علي بن محمد عن صالح بن أبي حماد قال: جاء أمير المؤمنين عليه السلام إلى الأشعث بن قيس يعزّيه بأخٍ له يقال له عبدالرحمن، فقال له: إن جزعت فحقّ الرحم أتيت، وإن صبرت فحقّ الله أدّيت، على انّك إن صبرت جرى عليك القضاء وأنت محمود، وان جزعت جرى عليك القضاء وأنت مذموم؛ فقال الأشعث: إنّا لله وإنّا إليه راجعون. فقال عليه السلام: أتدري ما تأويلها؟ قال: لا أنت غاية العلم ومنتهاه! فقال عليه السلام له: أما قولك «إنّا لله» فإقرار بالمُلك، وأما قولك «وإنّا إليه راجعون» فإقرار بالهلاك.

ورواه ابن أبي شعبة الحلبي في تحفه مرفوعاً مثله[١].

قول المصنّف «وسمععليه السلام رجلاً يقول: انّا لله وانّا إليه راجعون» قد عرفت من خبر الكليني أن الرجل كان أشعث بن قيس في موت أخيه.

«فقالعليه السلام: **إنّ قولنا إنّا لله إقرار على أنفسنا بالمُلك**» فهو الإقرار بالمبدأ، وقولنا: «**وإنّا إليه راجعون إقرار على أنفسنا بالهُلك**» فهو الإقرار بالمعاد.

ويجوز في «المُلك» و «الهُلك» الضم والفتح. قال ابن السكّيت: يقال «لأذهبن فأما ملك وأما هلك» بالضم والفتح فيهما[٢].

قلت: لكن «الملك» في كلامهعليه السلام بمعنى المملوكية وفي كلام ابن السكّيت بمعنى المالكية.

وقد فسرعليه السلام قوله تعالى ﴿قل الروح من أمر ربّي﴾[٣] بما هو قريب من المعنى مع زيادة تفسير الروح، ففي (تذكرة سبط ابن الجوزي) عن (فضائل أحمد بن حنبل): أنّ قيصراً كتب إلى عمر يسأله عن مسائل عويصة معضلة، فكتب عليعليه السلام جوابها خلف الكتاب، فلما قرأ قيصر الكتاب قال: ما خرج هذا الكلام إلّا من بيت النبوّة؛ فسأل عن المجيب فقيل له ابن عم محمّد، فكتب قيصر إلى عليعليه السلام: وقفت على جوابك فعلمت أنّك من أهل بيت النبوّة، ومعدن الرسالة، وأوثر أن تكشف لي عن مذهبكم في الروح التي ذكرها الله في كتابكم في قوله ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾[٤] فكتب عليعليه السلام اليه: أما بعد... فالروح نكتة لطيفة ولمعة شريفة من صنعة باريها

---

(١) خصائص الرضي: ٧١، والكافي ٣: ٢٦١ ح ٤٠، وتحف العقول: ٢٠٩.

(٢) نقله عنه الصحاح ٤: ١٦١١، مادة (ملك).

(٣) الاسراء: ٨٥.

(٤) المصدر السابق.

وقدرة منشيها، أخرجها من خزائن ملكه وأسكنها في ملكه، فهي عنده لك سبب، وله عندك وديعة، فإذا أخذت مالك عنده أخذ ماله عندك. والسلام[١].

قلت: مالنا عنده هو الرزق؛ وماله عندنا هي الروح.

قال السبط: ومن هنا أخذ ابن سينا قوله:

هبطت اليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تعزّز وتمنع[٢]

٢
الحكمة (٢٢٩)

وسئل عليه السلام عن قول تعالى ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ فَقَالَ:

هِيَ ٱلْقَنَاعَةُ.

أقول: تمام الآية قبل الجملة وبعدها ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أُنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾[٣].

قلت: وإذا كانت القناعة حياة طيبة فالحرص حياة خبيثة، وقال شاعر:

إذا شئت أن تحيا سعيداً فلا تكن على حالة إلّا رضيت بدونها

ومن طلب العليا من العيش لم يزل حقيراً وفي الدنيا كثير غبونها

وقالوا: القانع بما قسم الله تعالى في حدائق النعيم. قال شاعر:

إذا شئت أن تحيا حياة حلوة المحيا

فلا تحسد ولا تحقد ولا تأسف على الدنيا

(١) تذكرة الخواص: ١٤٦، والنقل بتصرف يسير.

(٢) تذكرة الخواص: ١٤٧.

(٣) النحل: ٩٧.

٣
الحكمة (٢٣١)

وَقالَ عليه السلام فِي قَوْلِهِ تَعَالى: ﴿ إِنَّ اللّهَ يَأمُرُ بالْعَدْلِ والإحْسَانِ﴾: الْعَدْلُ: الإنْصافُ، والإحْسانُ: التَّفضُّلُ.

أقول: ويجمعهما المروءة كما يشهد له مستند الكلام.

وروى ابن بابويه في (معانيه)، والعياشي في (تفسيره) عن عمرو بن عثمان التيمي القاضي قال: خرج عليّ عليه السلام على أصحابه وهم يتذاكرون المروّة، فقال: أين أنتم من كتاب الله؟ قالوا : في أيّ موضع؟ فقال: في قوله عزّوجلّ ﴿إنّ الله يأمر بالعدل والإحسان﴾[١] فالعدل: الانصاف، والاحسان: التفضل[٢].

وكذلك ما رواه السبط ابن الجوزي: أن رجلاً سأله عليه السلام عن المروّة فقال: إطعام الطعام، وتعاهد الإخوان، وكفّ الأذى عن الجيران، ثم قرأ ﴿ان الله يأمر بالعدل والاحسان﴾[٣].

ولا تنافي بين الخبرين في تفسير الآية، وإنّما هما مجمل ومفصل، فكفّ الأذى إنصاف، والإطعام والتعاهد إحسان.

وفسّر المروّة في السفر والحضر بتفصيل أكثر في خبر آخر. هذا وبقية الآية ﴿وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلّكم تذكرون﴾[٤].

---

(١) النحل: ٩٠.

(٢) معاني الاخبار: ٢٥٧ ح١، وتفسير العياشي ٢: ٢٦٧ ح٦١.

(٣) تذكرة الخواص: ١٤٠. والآية ٩٠ من سورة النحل.

(٤) النحل: ٩٠.

٤
الحكمة (٤٠٤)

وقَالَ عليه السلام: وَقَدْ سُئِلَ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِمْ: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّهِ»: إِنَّا لَا نَمْلِكُ مَعَ ٱللهِ شَيْئاً، وَلَا نَمْلِكُ مَا مَلَّكَنَا؛ فَمَتَى مَا مَلَّكَنَا مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنَّا كَلَّفَنَا. وَمَتَى أَخَذَهُ مِنَّا وَضَعَ تَكْلِيفَهُ عَنَّا.

«وقال عليه السلام: وقد سُئِلَ عن معنى قولهم لا حول ولا قوّة إلّا بالله» قلت: روى سبط ابن الجوزي في (تذكرته) معنى آخر لقولهم ذاك عنه عليه السلام فقال: قال عليّ عليه السلام في معنى «لا حول ولا قوّة إلّا بالله»: إنّه لا حول عن معصية الله إلّا بعصمته ولا قوّة على طاعته إلّا بمعونته[1].

ولكن رواه الخطيب في (تاريخ بغداده) عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولا منافاة فهو عليه السلام والنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كانا نفساً واحدة كما يشهد له القرآن[2].

«**انا لا نملك مع الله شيئاً**» ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار﴾[3]، ﴿قل فمن يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضرّاً أو أراد بكم نفعاً بل كان الله بما تعلمون خبيراً﴾[4]، ﴿لقد كفر الذين قالوا إنّ الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمّه ومن في الأرض جميعاً ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما

---

(١) تذكرة الخواص: ١٥٧.

(٢) أخرجه ابن النجار في تاريخه والديلمي في الفردوس، عنهما كنز العمال ٢: ٢٥١ ح٣٩٤٦ و ٣٩٤٧، والبزار في مسنده، عنه الفتوحات الربانية ١: ٢٤١، لكن لم أجده في تاريخ بغداد.

(٣) يونس: ٣١.

(٤) الفتح: ١١.

يخلق ما يشاء والله على كلّ شيء قدير﴾[١].

«ولا نملك إلّا ما ملّكنا» في (تحف العقول للحلبي): سأله عليه السلام عباية بن ربعي عن الاستطاعة التي بها نقوم ونقعد ونفعل. فقال عليه السلام له: سألت عن الاستطاعة فهل تملكها من دون الله أو مع الله؟ فسكت عباية فقال عليه السلام: إن قلت تملكها مع الله قتلتك، وإن قلت تملكها دون الله قتلتك؛ فقال عباية: فما أقول؟ قال: تقول إنّك تملكها بالله الذي يملكها من دونك، فإن ملّكك إيّاها كان ذلك من عطائه وان سلبكها كان ذلك من بلائه، فهو المالك لما ملّكك والقادر على ما عليه أقدرك[٢].

وفي (تفسير القمي): لما أُسرِيَ بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وجد ريحاً مثل المسك الأذفر، فسأل جبرئيل عنها، فقال: إنّها تخرج من بيت عذّب فيه قوم في الله حتى ماتوا، إنّ الخضر كان من أبناء الملوك، فآمن بالله وتخلى في دار أبيه في بيت يعبد الله، ولم يكن لأبيه ولد غيره، فأشاروا عليه أن يزوّجه ليكون له الملك في عقبه، فخطب له امرأة بكراً وأدخلها عليه، فلم يلتفت إليها، فلما كان في اليوم الثاني قال لها: تكتمين؟

قالت: نعم. قال: إن سألك أبي هل كان منّي ما يكون من الرجال إلى النساء؛ قولي نعم؟ فقالت: أفعل! فسألها فقالت: نعم؛ فقال له الناس مر النساء بتفتيشها، فكانت كما كانت فقالوا: زوجت الغر من الغرة زوّجه امرأة ثيباً، ففعل، فلما دخلت عليه سألها الخضر الكتمان فقالت: نعم، ولما سألها الملك قالت: ابنك امرأة فهل تلد المرأة من المرأة فغضب؛ وأمر بردم الباب عليه، فلمّا كان اليوم الثالث حرّكته رقّة الآباء، فأمر بفتح الباب، ففتح فلم يجدوه، فأعطاه

---

(١) المائدة: ١٧.

(٢) تحف العقول: ٢١٣.

الله من القوّة أنّه يتصوّر كيف شاء، ثمّ كان على مقدّمة ذي القرنين وشرب من الماء الذي من شرب منه بقي إلى الصيحة! فخرج من مدينة أبيه رجلان في تجارة، فوقعا في جزيرة فوجدا فيها الخضر قائماً يصلّي، فلما انفتل سألهما عن خبرهما فأخبراه، فقال: هل تكتمان على أمري إن رددتكما في يومكما إلى منازلكما. فقالا: نعم، فنوى أحدهما أن يكتم فكتم، وذهب الآخر إلى الملك فأخبره، فقال له: من يشهد لك؟ قال: فلان التاجر، فأحضر فأنكر فقال الأول: إبعث معي خيلاً إلى هذه الجزيرة واحبس هذا حتى آتيك بابنك، فبعث معه خيلاً فلم يجدوه، فأطلق الرجل الذي كتم عليه.

ثمَّ إنَّ القوم عملوا بالمعاصي فأهلكهم الله وجعل عالي مدينتهم سافلها، وابتدرت الجارية التي كتمت عليه أمره؛ والرجل الذي كتم عليه كلّ واحد منهما ناحية من المدينة، فلما أصبحا إلتقيا فأخبر كلّ واحد منهما صاحبه بخبره، فقال: ما نجونا إلّا بذلك، فآمَنَا بربّ الخضر، وحسن إيمانهما وتزوّج بها الرجل ووقعا إلى مملكة ملك آخر، وتوصلت المرأة إلى ابنة الملك وكانت تزيّنها، فبينا هي يوماً تمشّطها، سقط من يدها المشط فقالت «لا حول ولا قوّة إلّا بالله» فقالت بنت الملك: ما هذه الكلمة؟ فقالت لها: إنّ لي إلهاً تجري الأُمور كلّها بحوله وقوّته. فقالت لها: ألك إله غير أبي؟ قالت: نعم وهو إلهك وإله أبيك! فدخلت على أبيها فأخبرته، فدعاها الملك فسألها فأخبرته، فقال: مَنْ عَلَى دينك؟ قالت: زوجي وولدي؛ فدعاهم الملك إلى الرجوع فأبوا، فدعا بمرجل من ماء فأسخنه فألقاهم فيه وأدخلهم بيتاً وهدم عليهم البيت، فقال جبرئيل للنبيّ صلى الله عليه وآله: فهذه الرائحة التي شممتها من ذاك البيت[1].

وعن (نوادر محمد بن علي بن محبوب): كان أمير المؤمنين عليه السلام يبرأ

---

(١) تفسير القمي ٢: ٤٢ ـ ٤٤، والنقل بتصرف يسير.

من القدرية ويقول في كلّ ركعة: «بحول الله (وقوّته) أقوم وأقعد»[١].

هذا وروى الخطيب في (تاريخ بغداده) في عبد العزيز التميمي عنه عن آبائه -إلى تسعة آباء- أنّ عليّاً عليه السلام سُئِلَ عن «الحنّان المنّان» فقال: الحنّان الذي يقبل على من أعرض عنه، والمنّان الذي يبدأ بالنوال قبل السؤال[٢][٣].

٥
الحكمة (٤٣٩)

وقالَ عليه السلام:

الزُّهْدُ كُلُّهُ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ مِنَ ٱلْقُرْآنِ، قَالَ ٱللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ وَمَنْ لَمْ يَأْسَ عَلَى المَاضِي وَلَمْ يَفْرَحْ بالآتِي فَقَدْ أَخَذَ الزُّهْدَ بِطَرَفَيْهِ.

«الزهد كلّه بين كلمتين من القرآن» وقال الجاحظ في (بيانه): قد جمع محمد بن علي بن الحسين -أي الباقر عليه السلام- صلاح شأن الدنيا بحذافيرها في كلمتين، فقال: إصلاح شأن جميع التعايش والتعاشر ملأ مكيال ثلثاه فطنة، وثلثه تغافل.

قال: فلم يجعل لغير الفطنة نصيباً من الخير، ولا حظّاً في الصلاح، لأن الإنسان لا يتغافل إلّا عن شيء قد فطن له وعرفه[٤].

«قال الله سبحانه» في سورة الحديد «لكيلا» علّة لقوله تعالى قبله: ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلّا في كتاب من قبل أن

---

(١) رواه عنه الحر العاملي في الوسائل ٤: ٩٦٧ ح٧.

(٢) لم يوجد في ترجمة عبد العزيز التميمي ولا عبد العزيز آخر في تاريخ بغداد.

(٣) لم يتعرض الشارح بشرح فقرة «فمتى ما ملكنا»... الخ.

(٤) البيان والتبيين ١: ١٠٧.

نبرأها إنّ ذلك على الله يسير﴾[١] «تأسو» أي: تتأسفوا «على ما فاتكم» من الدنيا «ولا تفرحوا بما آتاكم» أعطاكم منها.

وفي (الكافي) عن الرضا عليه السلام قال عيسى عليه السلام للحواريين: لا تأسوا على ما فاتكم من الدنيا؛ كما لا يأسى أهل الدنيا على ما فاتهم من دينهم، إذا أصابوا دنياهم.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ علامة الراغب في ثواب الآخرة زهده في عاجل زهرة الحياة الدنيا، أما إنّ زهد الزاهد في هذه الدنيا لا ينقصه ممّا قسم الله تعالى له فيها وإن زهد، وإنّ حرص الحريص على عاجل زهرة الحياة الدنيا لا يزيده فيها وإن حرص، فالمغبون من حرم حظّه من الآخرة.

وعنه عليه السلام: جُعل الخير كلّه في بيت وجُعل مفتاحه الزهد في الدنيا، قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: لا يجد الرجل حلاوة الإيمان في قلبه حتى لا يبالي من أكل الدنيا.

وعنه عليه السلام: من زهد في الدنيا أثبت الله الحكمة في قلبه، وأنطق بها لسانه، وبصّره عيوب الدنيا داءها ودواءها، وأخرجه من الدنيا سالماً إلى دار السلام[٢].

«ومن لم يأسَ على الماضي» الذي فات «ولم يفرح بالآتي» الذي يؤتيه الله «فقد أخذ الزهد بطرفيه» اللذين مرَّ ذكر القرآن لهما.

وفي (تفسير القمي): قال يزيد لعلي بن الحسين عليه السلام: الحمد لله الذي قتل أباك! فقال عليه السلام: لعن الله من قتل أبي! أفترى ألعن ربّي، فغضب يزيد وأمر بضرب عنقه، فقال عليه السلام: فإذا قتلتني فبنات رسول الله من يردّهن وليس لهن محرم غيري. قال: أنت تردّهن. ثم قال يزيد ﴿وما أصابكم من مصيبة

---

(١) الحديد: ٢٢.

(٢) الكافي ٢: ١٣٧ ح٢٥ و: ١٢٨ و ١٢٩ ح١ و ٢ و ٦، والأخيران عن الصادق عليه السلام.

فيما كسبت أيديكم﴾[١] فقال عليه السلام: كلّا ما هذا فينا نزلت إنما نزلت فينا ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلّا في كتاب من قبل أن نبرأها إنّ ذلك على الله يسير* لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾[٢] فنحن الذين لا نأسى على ما فاتنا من الدنيا ولا نفرح بما آتانا منها[٣].

٦
الحكمة (٣٧٧)

وقال عليه السلام:

لَا تَأْمَنَنَّ عَلَى خَيْرِ هَذِهِ ٱلْأُمَّةِ عَذَابَ ٱللهِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَاسِرُونَ﴾، وَلَا تَيْأَسَنَّ لِشَرِّ هَذِهِ ٱلْأُمَّةِ مِنْ رَوْحِ ٱللّـهِ تَعَالَى : ﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ ٱللهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَافِرُونَ﴾ .

«**لا تأمنن على خير هذه الأمة**» وفي الخبر عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: خيركم من أطعم الطعام، وأفشى السلام، وصلّى والنّاس نيام[٤].

«**عذاب الله لقوله تعالى**» هكذا في (المصرية) والصواب: «لقول الله سبحانه» كما في (ابن ميثم والخطيّة)، ولكن في (ابن أبي الحديد): «لقوله سبحانه»[٥] ﴿فلا يأمن مكر الله﴾ أي: تدبيره تعالى في أُمور عبيده كما يريد ﴿إلا القوم الخاسرون﴾ لقلّة معرفتهم، وغفلتهم.

وقد كان الزبير بن العوام في الظاهر من خيار الأُمّة حتى أنّه دافع يوم

---

(١) الشورى: ٣٠.

(٢) الحديد: ٢٣.

(٣) تفسير القمي ٢: ٣٥٢، والنقل بتصرف يسير.

(٤) أخرجه البرقي في المحاسن: ٣٨٧ ح ٢، والصدوق في الخصال ١: ٩١ ح ٣٢، وأخرجه بفرق يسير أبو يعلى في مسنده، عنه الجامع الصغير ٢: ١١، والصدوق في عيون الأخبار ٢: ٦٥ ح ٢٩٠.

(٥) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٣١٤، واما في شرح ابن ميثم ٥: ٤٣١ فنحو المصرية.

السقيفة عن أمير المؤمنين عليه السلام حتى كسر عمر سيفه، ومع كونه من أسد قريش، كان يعدّ في عداد بني هاشم، وازدادت أمواله، ونشأ ولده عبدالله، وفتن به، كما قال تعالى ﴿إنّما أموالكم وأولادكم فتنة﴾[١] حتى صار محارباً لله ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم بمحاربته أمير المؤمنين عليه السلام، فقد قال له النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «حربك حربي، وحربي حرب الله»[٢] وصار سبباً لقتل آلافٍ من المسلمين.

قال ابن أبي الحديد لقائل أن يقول: الآية لا تدلّ على ما أفتى به، لأن معنى الآية أنّه لا يجوز للعاصي أن يأمن مكر الله على نفسه وهو مقيم على عصيانه، ألا ترى أن قبلها ﴿أفأمن أهل القرى ـ إلى ـ وهم يلعبون﴾[٣].

قلت: خصوص المورد لا يخصص عموم العلة، وأغلب جمل القرآن كالكلام المستقل.

«ولا تيأسن لشرّ هذه الأمة» وقد جعل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم شرار الأُمّة طبقات.

وروى (الكافي): أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم خطب فقال: ألا أخبركم بشراركم. قالوا: بلى. قال: الذي يمنع رفده، ويضرب عبده، ويتزوّد وحده، فظنوا أنّ الله لم يخلق خلقاً هو شرّ من هذا، فقال: ألا أخبركم بمن هو شرّ من ذلك؟ قالوا: بلى. قال المتفحّش اللعّان، الذي إذا ذكر عنده المؤمنون لعنهم، وإذا ذكروه لعنوه[٤].

﴿من روح الله﴾ أي: رحمته لقوله تعالى: ﴿انّه لا ييأس من روح الله إلّا القوم الكافرون﴾ بالله.

---

(١) الانفال: ٢٨ والتغابن: ١٥.

(٢) هذا المعنى أخرجه ابن المغازلي في مناقبه: ٥ ح٧٣ و ٢٣٧ ح٢٨٥، والصدوق في أماليه: ٨٦ ح١ المجلس ٢١، والكراجكي في كنز الفوائد: ٢٨١، والخزاز في كفاية الأثر: ١٥٧ في ضمن أحاديث.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٣١٤، والآيات ٩٧، ٩٨ من سورة الأعراف.

(٤) الكافي ٢: ٢٩٠ ح٧، والنقل بتقطيع.

في (كشكول البهائي): قال بعض أصحابه عليه السلام له: هل نسلم على مذهب هذه الأمة؟ فقال: يراه الله للتوحيد أهلاً ولا تراه للسلام أهلاً.

وفي (ذيل الطبري): أصاب الزهري دماً خطأً، فخرج وترك أهله، وضرب فسطاطاً وقال: لا يظلّني سقف بيت أبداً؛ فمر به علي بن الحسين عليه السلام فقال له: يا ابن شهاب قنوطك أشدّ من ذنبك، فاتق الله واستغفره وابعث إلى أهله بالديّة وارجع إلى أهلك وكان يقول علي بن الحسين عليه السلام أعظم الناس عليّ منة[1].

وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أن رجلاً قال: لا والله لا يغفر الله لفلان! فقال عزّوجل: من ذا الذي تألى عليّ أن لا أغفر لفلان، فإنّي قد غفرت لفلان، وأحبطت عمل ذاك القائل[2].

وروي: أنّ رجلاً كان في بني إسرائيل منهمكاً في المعاصي، فأتى في بعض أسفاره على بئر فإذا كلب قد لهث من العطش فرقّ له، فأخذ عمامته وشدّها بخفه واستقى الماء وأروى الكلب، فأوحى الله تعالى إلى نبي ذاك الزمان: إنّي قد غفرت ذنبه بشفقته على خلق من خلقي، فسمع ذلك فتاب.

وروي: أنّ عابداً عبد الله ثمانين سنة ثمّ أشرف على امرأة فوقعت في نفسه، فنزل إليها، فراودها عن نفسها فطاوعته، فلمّا قضى منها حاجته طرقه الموت، فاعتقل لسانه، فمرّ سائل فأشار إليه أن خذ رغيفاً كان في كسائه، فأحبط الله عمل ثمانين سنته بتلك الزنية، وغفر الله له بذلك الرغيف.

وروي: انّه كان في بني إسرائيل عابد غائظ إبليس، فاحتال عليه فجاء

---

(١) منتخب ذيل المذيل: ١١٩.

(٢) أخرجه أبو علي الطوسي في أماليه ١: ٥٧، جزء ٢.

عنده، وقام إلى الصلاة ليلاً ونهاراً بدون ملل، فتعجب العابد وقال له: من أين لك هذه القوة في العبادة؟ فقال له: لأني زنيت بفلانة الفاجرة، فانخدع العابد، فذهب اليها وقصّ عليها قصّته، فقالت له: إنّه كان الشيطان فلا تنخدع. فماتت من ليلتها، فأصبحت، واذا على بابها مكتوب احضروا فلانة فانها من أهل الجنّة، فارتاب الناس ومكثوا ثلاثة أيام لا يدفنونها، فأوحى تعالى إلى نبيّهم أن ائت فلانة فصلّ عليها ومر الناس أن يصلّوا عليها؛ فإنّي أوجبت لها الجنّة بتثبيطها عبدي فلاناً عن معصيتي[1].

وفي (الخصال)، عن الصادق عليه السلام: تبع حكيم حكيماً سبعمائة فرسخ في سبع كلمات، فلما لحق به قال له: يا هذا؛ ما أرفع من السماء وأوسع من الأرض وأغنى من البحر، وأقسى من الحجر، وأشدّ حرارة من النار، وأشد برداً من الزمهرير، وأثقل من الجبال الراسيات؟ فقال له: الحقّ أرفع من السماء، والعدل أوسع من الأرض، وغنى النفس أغنى من البحر، وقلب الكافر أقسى من الحجر، والحريص الجشع أشد حرارة من النار، واليأس من روح الله أشدّ برداً من الزمهرير، والبهتان على البريء أثقل من الجبال الراسيات[2]!

ومرّ في فصل الإمامة العامّة قوله عليه السلام: «لتعطفن الدنيا علينا بعد شماسها عطف الضروس على ولدها»[3] وتلا عقيب ذلك ﴿ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمّة ونجعلهم الوارثين﴾[4].

---

(١) أخرجه الكليني في الكافي ٨: ٣٨٤ ح ٥٨٤، والنقل بتصرف يسير.

(٢) الخصال ٢: ٣٤٨ ح ٢١.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) القصص: ٥.

٧
الحكمة (١٣٥)

وقال عليه السلام:

مَنْ أَعْطِيَ أَرْبَعاً لَمْ يُحْرَمْ أَرْبَعاً: مَنْ أُعْطِيَ الدُّعَاءَ لَمْ يُحْرَمِ الْاِجَابَةَ، وَمَنْ أُعْطِيَ التَّوْبَةَ لَمْ يُحْرَمِ الْقَبُولَ، وَمَنْ أُعْطِيَ الاِسْتِغْفَارَ لَمْ يُحْرَمِ الْمَغْفِرَةَ، وَمَنْ أُعْطِيَ الشُّكْرَ لَمْ يُحْرَمِ الزِّيَادَةَ.

قال الرَّضيّ: وتَصْديقُ ذَلِكَ كتابُ اللهِ، قالَ الله في الدُّعاء ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ وقالَ في الاسْتِغْفَار ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُوراً رَحِيماً﴾ وقالَ في الشُّكْرِ ﴿ لِئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ وقالَ في التَّوْبَةِ ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾.

أقول: نقلناه في هذا الفصل لكون جملة «وتصديق ذلك» إلى آخرها من كلامه عليه السلام على الأصح دون كونه من كلام الرضي، ولخلو ابن ميثم الذي نسخته بخط مصنّفه من فقرة «قال الرضي»[1] و(الخطية) أيضاً خالية منها و(المصرية) الأُولى أيضاً خالية منها، وانما زادها في الثانية اخذاً من ابن أبي الحديد، لكن ابن أبي الحديد وإن زادها إلّا انّه قال: في بعض الروايات أن الجملة من كلامه عليه السلام ...الخ[2].

قلت: ولو كانت الجملة من كلام الرضي رحمه الله عنه لقال: «وتصديق قوله عليه السلام» لا أن يقول: «وتصديق ذلك»، فان التعبير يشهد بكونه كلامه عليه السلام

(١) شرح ابن ميثم ٥: ٣١٧.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٣٣١.

ذكره شاهداً ومستنداً، وإنّما توهم من زاد الجملة أنّه كلام الرضي لسوء فهمه فزادها توضيحاً لما زعم.

ثم ما نقلناه «وتصديق ذلك كتاب الله» إنّما هو في (المصرية)، والصواب: «وتصديق ذلك في كتاب الله سبحانه» كما في (ابن ميثم) الذي نسخته بخط مصنّفه، وكذا في (ابن أبي الحديد والخطية) ذلك لكن فيهما بدل سبحانه «تعالى»[١].

ثم نظير ذلك في استشهاده عليه السلام بالآيات ما رواه في (مهج الدعوات) علي بن طاووس عن خط ابن الباقلاني النحوي المتكلّم، قال حدّثني السيّد الأوحد العالم مؤيد الدين شرف القضاة عبد الملك أنّه كان مريضاً فجاءه أمير المؤمنين عليه السلام ـ أي في المنام ـ وكأنّه قد نزل من الهواء وقال له «الشفاء» وأمرّ يده على ذراعه الأيمن ثمّ قال له قل ثلاث مرّات «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، الذين قال لهم النّاس إنّ النّاس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل[٢]، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وأفوض أمري إلى الله إنّ الله بصير بالعباد[٣]، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم»[٤] إذا قلت «الّذين قال لهم النّاس» قال تعالى ﴿فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء﴾[٥] واذا قلت

(١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٣٣١، وشرح ابن ميثم ٥: ٣١٧.

(٢) آل عمران: ١٧٣.

(٣) غافر: ٤٤.

(٤) فاطر: ٢.

(٥) آل عمران: ١٧٤.

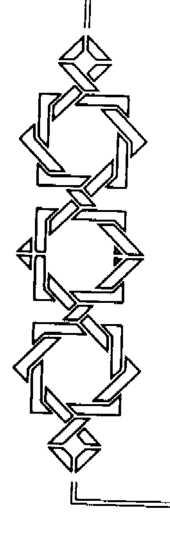
﴿وأفوض أمري إلى الله﴾ قال تعالى ﴿فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب﴾[1] واذا قلت «ما يفتح الله» فهذا الايمان التام ـ الخبر[2].

(١) فاطر: ٤٥.

(٢) مهج الدعوات: ٩٧.

الفصل الثاني عشر

في قضاياه عليه السلام





١

الحكمة (٢٧٠)

وَرُوِيَ أَنهُ ذُكِرَ عِنْدَ عمر بن الخطابِ في أيّامِهِ حلي الكَعبةِ وكثرَتُهُ، فقالَ قوْمٌ: لوْ أخذْتَهُ فَجَهَّزْتَ بِهِ جيوشَ المسلمين، كانَ أعظمَ للأجرِ، وما تَصْنعُ الكعبةُ بالْحُلِي، فهمَّ عُمرُ بذلك، وسأَلَ أمير المؤمنين عليه السلام فقال:

إنَّ القُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى النبيّ صلى الله عليه وآله والأَمْوَالُ أرْبَعَةٌ: أَمْـوَالُ المُسْـلِمينَ فَقَسَّمَها بَيْنَ الْوَرَثَةِ في الْفَرائِضِ، وَالْفَيءُ فَـقَسَّمَهُ عَـلَى مُسْـتَحِقِّيهِ، وَالخُمُسُ فَوَضَعَهُ اللهُ حَيْثُ وَضَـعَهُ، والصَّـدَقاتُ فَـجَعَلَهَا اللهُ حَـيْثُ جَعَلَها، وكَانَ حَلْيُ الْكَعْبَةِ فِيها يَوْمِئِذٍ فَتركَهُ اللهُ عَلَى حالِهِ وَلَم يَتْرُكْهُ نِسْياناً، وَلَمْ يَخْفَ عليه مَكاناً، فَأَقِرَّهُ حَيْثُ أَقَرَّهُ ٱللهُ وَرَسُولُهُ. فَقَالَ له عُمر: لَوْلَاكَ لاَفْتَضَحْنَا، وَتَرَكَ ٱلحلْيَ بِحَالِهِ.

«وروي أنّه ذكر عند عمر بن الخطاب في أيامه حلي الكعبة وكثرته فقال قوم: لو أخذته فجهّزت به جيوش المسلمين كان أعظم للأجر وما تصنع

الكعبة بالحلي» أقول: في تاريخ الطبري كان تبّع وقومه أصحاب أوثان يعبدونها، فأتاه نفر من هذيل فقالوا له: ألا ندلّك على بيت مال قد أغفلته الملوك قبلك فيه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضة؛ قال: بلى، قالوا: بيت بمكة يعبده أهله ويصلّون عنده ـ وانما أراد الهذليون بذلك هلاكه لما قد عرفوا من هلاك من أراده من الملوك وبغى عنده ـ فلمّا أجمع لما قالوا، أرسل إلى حبرين من أحبار اليهود كانا أعلم أهل زمانهما وكان خرج بهما معه، فقالا له: ما أراد القوم إلاّ هلاكك وهلاك جندك، ولئن فعلت ما دعوك إليه لتهلكن وليهلكن من معك من جندك؛ قال: فماذا تأمرانني أن أصنع؟ قالا: ما يصنع أهله! تطوف به وتعظّمه وتحلق عنده رأسك، وتتذلل له حتى تخرج من عنده؛ قال: فما يمنعكما أنتما من ذلك؟ قالا: أما والله انّه لبيت أبينا إبراهيم، ولكن أهله حالوا بينه وبيننا بالأوثان التي نصبوا حوله، وبالدماء التي يهريقون عنده وهم نجس، فعرف نصحهما، فقرّب الهذليين فقطع أيديهم وأرجلهم، ثم مضى حتى قدم مكة وأري في المنام أن يكسو البيت فكساه بالخصف، ثم أري أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه المعافر، ثم أري أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه الملاءة والوصائل، فكان تبّع فيما يزعمون أوّل من كساه، وأوصى به ولاته من جرهم، وأمرهم بتطهيره وان لا يقرّبوه دماً ولا ميتة ولا ميلاثاً ـ وهي الحائض ـ وجعل له باباً ومفتاحاً[1].

(فهمّ عمر بذلك): في (ملاحم ابن طاووس) نقلاً عن فتن نعيم بن حمّاد ـ وهو من رجال العامة ـ في أخبار المهدي عليه السلام عن ابن وهب عن إسحاق بن يحيى عن طلحة التميمي عن طاوس قال: ودع عمر البيت ثم قال: والله ما أدري أدع خزائن البيت، وما فيه من السلاح والمال، أم أقسمه في سبيل الله؛ فقال له

(١) تاريخ الطبري ١: ٥٣١، والنقل بتصرف يسير.

علي عليه السلام: امضِ فلست بصاحبه، إنما صاحبه منّا شابّ من قريش يقسمه في سبيل الله في آخر الزمان[1].

وأخذ أموال الكعبة بغير حقّ جمع، منهم ابن الأفطس، ففي (تأريخ الطبري) جلس حسين بن الحسن الأفطس في أول يوم من محرم سنة مائتين بعد تفرّق الحاجّ خلف المقام على نمرقة مثنية، فأمر بثياب الكعبة التي عليها فجرّدت منها حتى لم يبق من كسوتها شيئاً وبقيت حجارة مجرّدة، ثم كساها ثوبين من قزّ رقيق كان أبو السرايا وجّه بها معه، وعمد إلى ما في خزانة الكعبة من مال فأخذه، وجعلوا يحكّون الذهب الرقيق الذي في رؤوس أساطين المسجد فيخرج من الاسطوانة بعد التعب الشديد قدر مثقال ذهب أو نحوه، حتى عمّ ذلك أكثر أساطين المسجد الحرام، وقلعوا الحديد الذي على شبابيك زمزم، ومن خشب الساج فبيع بالثمن الخسيس[2].

ومنهم الجنابي القرمطي، ففي (صلة تاريخ الطبري): سار الجنابي القرمطي في سنة (٣١٦) إلى مكة فدخلها وأوقع بأهلها عند اجتماع الموسم واهلال الناس بالحج يقتل المسلمين بالمسجد الحرام وهم متعلقون بأستار الكعبة واقتلع الحجر وذهب به واقتلع أبواب الكعبة وجرّدها من كسوتها، وأخذ جميع ما كان فيها من آثار الخلفاء التي زيّنوا بها الكعبة وذهبوا بدرة اليتيم وكانت فيما ذكر أهل مكة أربعة عشر مثقالاً، وقرن كبش ابراهيم وعصا موسى ملبسين بالذهب مرصّعين بالجوهر، وطبق ومكبّة من ذهب وسبعة عشر قنديلاً كانت بها من فضّة، وثلاث محاريب فضّة كانت دون

---

(١) نقله عن فتن نعيم بن حمّاد ابن طاووس في الملاحم: ٧٢، والمقدسي في عقد الدرر: ١٥٤، والسيوطي في العرف الوردي: ١٥٤.

(٢) تاريخ الطبري ٧: ١٢٤ و ١٢٥، سنة ٢٠٠، والنقل بتقطيع.

القامة منصوبة في صدر البيت، ثم ردّ الحجر بعد أعوام، ولم يرد من سائر ذلك شيء.

وقيل إنّ الجنابي صعد إلى سطح الكعبة ليقلع الميزاب وهو من خشب ملبس بالذهب، فرماه بنو هذيل الأعراب من جبل أبي قبيس بالسهام حتى أزالوه ولم يصل إلى قلعه[١].

وبعضهم بدّل كسوته وبابه، ففي (تاريخ الطبري): نزع المهدي سنة (١٦٠) كسوة الكعبة التي كانت عليها وكساها كسوة جديدة، وذلك أنّ حجبة الكعبة رفعوا إليه أنّهم يخافون على الكعبة أن تهدم لكثرة ما عليها من الكسوة، فأمر أن يكشف عنها ما عليها من الكسوة حتى بقيت مجردّة، ثم طلى البيت كلّه بالخلوق، وذكر أنّهم لمّا بلغوا إلى كسوة هشام وجدوها ديباجاً ثخيناً جيّداً، ووجدوا كسوة من كان قبله عامّتها من متاع اليمن[٢].

وفي (كامل الجزري): قلع الخليفة المقتفي في سنة (٥٥٢) باب الكعبة وعمل عوضه باباً مصفحاً بالنقرة المذهبة، وعمل لنفسه من الباب الأوّل تابوتاً يدفن فيه إذا مات[٣].

«وسأل» هكذا في (المصرية) والصواب: «وسأل عنه» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٤] «أمير المؤمنين عليه السلام» في (تاريخ الخطيب): قال المهدي لشريك القاضي: ما تقول في علي بن أبي طالب؟ قال: ما قال فيه جدّك العباس وعبدالله. قال: وما قالا فيه؟ قال: فأما العباس فمات، وعلي عنده أفضل الصحابة، وقد كان يرى كبراء المهاجرين يسألونه عمّا ينزل من النوازل، وما

---

(١) صلة تاريخ الطبري: ٥٩، والنقل بتصرف يسير.

(٢) تاريخ الطبري ج٦ ص٣٦٦، سنة ١٦٠.

(٣) الكامل في التاريخ ١١: ٢٢٨، سنة ٥٥٢.

(٤) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٩: ١٥٨. لكن في شرح ابن ميثم ٥: ٣٨١، مثل المصرية.

احتاج هو الى أحد حتى لحق بالله ـ إلى آخر ما فيه[١].

وكما أشار عليه السلام عليه بعدم تعرّضه لحلي الكعبة كذلك أشار عليه بعدم إقرار بهار كسرى. قال الجزري في (كامله) في فتح القادسية: أرسل سعد بن أبي وقاص بعد الفتح في الخمس كلّ شيء أراد أن تعجب منه العرب وأراد إخراج خمس القطيف ـ وهو بهار كسرى ـ فلم تعتدل قسمته، فقال للمسلمين: هل تطيب أنفسكم عن أربعة أخماسه فنبعث به الى عمر يضعه حيث يشاء، فانا لا نراه ينقسم وهو بيننا قليل وهو يقع من أهل المدينة موقعاً؟ قالوا: نعم، فبعثه وهو بساط طوله ستون ذراعاً وعرضه ستون ذراعاً مقدار جريب، كانت الأكاسرة تعدّه للشتاء إذا ذهبت الرياحين شربوا عليه فكأنّهم في رياض، فيه طرق كالصور، وفيه فصوص كالأنهار، أرضها مذهّبة، وخلال ذلك كالدر وفي حافاته كالأرض المزروعة والأرض المبقلة بالنبات في الربيع، والورق من الحرير على قضبان الذهب وزهره الذهب والفضة وثمره الجوهر وأشباه ذلك، وكانت العرب تسمّيه القطيف، فقال عمر: أشيروا عليّ فيه، فمن بين مشير بقبضه وآخر مفوض إليه، فقال له عليّ عليه السلام: لم تجعل علمك جهلاً ويقينك شكّاً، انّه ليس لك من الدنيا إلّا ما أعطيت فأمضيت، أو لبست فأبليت أو أكلت فأفنيت، وإنّك إن تبقهِ على هذا اليوم لم تعدم في غدٍ من يستحق به ما ليس له؟ فقال: صدقتني ونصحتني، فقطّعه بينهم فأصاب عليّاً عليه السلام منه قطعة لم تكن بأجود تلك القطع، فباعه بعشرين ألفاً[٢].

وكما أشار عليه السلام على عمر بعدم تعرّض حليّ الكعبة أشار علي بن الحسين عليه السلام على الحجاج بمنعه من هتك تراب البيت.

---

(١) تاريخ بغداد ٩: ٢٩٢.

(٢) الكامل ٢: ٥١٨، سنة ١٦، وأيضاً تاريخ الطبري ٣: ١٣٠، سنة ١٦، والنقل بتصرف يسير.

وفي (الكافي) عن أبان بن تغلب: لما هدم الحجاج الكعبة، فرّق الناس ترابها، فلما صاروا إلى بنائها فأرادوا أن يبنوها، خرجت عليهم حيّة فمنعت الناس البناء حتى هربوا، فأتوا الحجاج فأخبروه، فخاف أن يكون قد منع بناءها، فصعد المنبر ثم قال: أنشد الله عبداً عنده ممّا ابتلينا به علم لمّا أخبرنا به! فقام إليه شيخ فقال: إن يكن عند أحد علم فعند رجل رأيته جاء إلى الكعبة فأخذ مقدارها ثم مضى، فقال الحجاج: من هو؟ فقال: علي بن الحسين. فقال: معدن ذلك، فبعث اليه عليه السلام فأخبره بما كان من منع الله إيّاه البناء، فقال له: إنّك عمدت إلى بناء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، فألقيته في الطريق وانهبته كأنّك ترى انّه تراث لك! إصعد المنبر وأنشد الناس أن لا يبقى أحد عنده شيء إلّا ردّه، فردّوه؛ فلما جمع التراب أتى عليه السلام، فوضع الأساس وأمرهم أن يحفروا فتغيّبت عنهم الحيّة، وحفروا حتى انتهوا إلى موضع القواعد، قال عليه السلام لهم: تنحّوا، فتنحّوا فدنا منها فغطّاها بثوبه، ثم غطّاها بالتراب بيده ثم دعا الفعلة فقال: ضعوا بناءكم...الخبر[1].

«فقال عليه السلام: إنَّ القرآن أنزل على النبيّ» هكذا في (المصرية وابن ميثم والخطية) ولكن في (ابن أبي الحديد) «على محمّد صلى الله عليه وآله وسلم»[2] «والأموال أربعة» إن عمر لم يكن يعرف ما يعرفه باقي الصحابة والتابعين.

فقال ابن عبد البر في (استيعابه) في عنوان صعصعة: صعصعة هو القائل لعمر حين قسّم المال الذي بعث اليه أبو موسى وكان ألف ألف درهم، وفضلت منه فضلة؛ فاختلفوا عليه حيث يضعها، فقام خطيباً وقال: أيّها الناس إنّه قد بقيت لكم فضلة بعد حقوق الناس؛ فما تقولون فيها؟ فقام صعصعة،

---

(١) الكافي ٤: ٣٢٢ح٨، والنقل بتصرف يسير.

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٩: ١٥٨، لكن في شرح ابن ميثم ٥: ٣٨١، مثل المصرية.

وهو غلام شاب فقال: إنّما تشاور الناس في ما لم ينزل الله فيه قرآناً، وأما ما أنزل الله به القرآن ووضعه مواضعه فضعه في مواضعه التي وضعه الله تعالى فيها! فقال صدقت[١].

«أموال المسلمين فقسّمها بين الورثة في الفرائض» فقال في الطبقة الاولى: ﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظّ الأنثيين فإن كنّ نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكلّ واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمّه الثلث فإن كان له إخوة فلأمّه السدس من بعد وصية يوصي بها أو دين﴾[٢].

وقال في الطبقة الثانية: ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وإن كانوا إخوة رجالاً ونساءً فللذّكر مثل حظّ الأنثيين يبيّن الله لكم أن تضلّوا والله بكلّ شيءٍ عليم﴾[٣].

وقال جل وعلا: ﴿وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكلّ واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصي بها أو دين غير مضارّ﴾[٤].

وقال في الطبقة الثالثة: ﴿وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعضٍ في كتاب الله﴾[٥].

وذكر ميراث الأزواج فقال: ﴿ولكم نصف ما ترك أزواجكم ـإلى قوله ـ

---

(١) الاستيعاب ٢: ١٩٦.

(٢) النساء: ١١.

(٣) النساء: ١٧٦.

(٤) النساء: ١٢ .

(٥) الانفال: ٧٥.

فلهن الثّمن مما تركتم من بعد وصيّة توصون بها أو دين﴾[١].

وذكر إبطال العصبة في مورد البنات والأخوات التي يقول بها مخالفونا فقال: ﴿للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنّساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ممّا قلّ منه أو كثر نصيباً مفروضاً﴾[٢].

ودلّ على بطلان العول وورود النقص على البنات والأخوات دون الأزواج والآباء والأُمهات، بأن جعل للأُولى فريضة واحدة وللأخيرة فريضتان. قال ابن عباس: وأول من أعال عمر فقال ما أدري أيكم قدّم وأيكم أخر، ولو قدّم من قدّم الله وأخّر من أخّر الله ما عالت فريضة؛ فقيل له: فما قدّم وما أخّر؟ فقال: المقدّم فريضة الزوجين والأُمهات والمؤخر فريضة البنات والأخوات. فقيل له: فما منعك أن تشير بهذا على عمر؟ قال: هَبْتَه[٣].

«والفيء فقسّمه على مستحقيه» فقال جلّ وعلا: ﴿وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيلٍ ولا ركابٍ ولكن الله يسلّط رسله على من يشاء والله على كلّ شيء قدير* ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فللّه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كيلا يكون دُولة بين الأغنياء منكم﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿يا أيها النّبيّ إنّا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أُجورهن وما ملكت يمينك ممّا أفاء الله عليك﴾[٥].

---

(١) النساء: ١٢.

(٢) النساء: ٧.

(٣) أخرجه الكليني في الكافي ٧: ٧٩ ح٣، والصدوق في الفقيه ٤: ١٨٧ ح٣، وفي العلل ٢: ٥٦٨ ح٤، والطوسي في التهذيب ٩: ٢٤٨، ح٦، والحاكم في المستدرك ٤: ٣٤٠، والبيهقي في سننه وأبو الشيخ في الفرائض، عنهما منتخب كنز العمال ٤: ٢٠٨.

(٤) الحشر: ٦ ـ ٧.

(٥) الأحزاب: ٥٠.

قالوا: أي بالسبي كصفية وجويرية.

«والخمس فوضعه الله حيث وضعه» قال تعالى: ﴿واعلموا أنّ ما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين﴾[١].

والفيء كلّه للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام، والغنيمة خمسها له ولهم.

وفي (أدب كتّاب الصولي): ولّى عمر السائب قسمة الغنائم بنهاوند لما فتحها الله على المسلمين، فجمع السائب الغنائم فقسّمها، ثم جاء من دلّه على كنز الفخيرجان وكان سفطين من جوهر، فاستخرجهما فأتى بهما عمر، فأمره أن يبيعهما ويقسّم ثمنها بين الذرية ولم يأمره أن يخمسه، فتبيّن أنّه جعله فيئاً ولم يجعله غنيمة[٢].

وعن كتاب (خراج أبي يوسف) أن نجدة بن عامر سأل ابن عباس عن سهم ذي القربى، فكتب إليه: هو لنا وإن عمر دعانا إلى أن ننكح منه أيّمنا ونقضي به عن مغرمنا ونخدم منه عائلنا، فأبينا إلّا أن يسلمه إلينا وأبى ذلك علينا[٣].

«والصدقات فجعلها الله حيث جعلها» فقال تعالى: ﴿إنّما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلّفة قلوبهم وفي الرّقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل﴾[٤].

«وكان حَلْي» بالفتح فالسكون وجمعه «حُلِي» بالضم فالكسر من حُلِي المرأة «الكعبة فيها يومئذ فتركه الله على حاله ولم يتركه نسياناً ولم يخفَ» بالفتح من خفي «عليه» هكذا في (المصرية) والصواب: «عنه» كما في (ابن أبي الحديد

---

(١) الانفال: ٤١.

(٢) أدب الكتّاب: ١٩٨.

(٣) الخراج: ٢٠.

(٤) التوبة: ٦٠.

والخطيّة)[١] «مكاناً فأقرّه» بكسر القاف «حيث أقرّه الله ورسوله».

إنّما أمر عليه السلام بإقرار حليها على حالها، وأما ما يهدى اليها لا حَلْياً، فلحاجٍّ لم يكن له نفقة الرجوع. ففي الكافي: أنَّ قوماً أقبلوا من مصر فمات منهم رجل فأوصى بألف درهم للكعبة، فلما قدم الوصي مكة سأل فدلّوه على بني شيبة، فأتاهم فأخبرهم فقالوا: قد برئت ذمّتك ادفعها إلينا؛ فسأل الناس فدلوه على أبي جعفر الباقر عليه السلام، فأتاه فسأله فقال: إنَّ الكعبة لغنية عن هذا، انظر إلى من أمّ هذا البيت، فقُطع به أو ذهبت نفقته أو ضلّت راحلته أو عجز أن يرجع إلى أهله فادفعها إليه. فأتى الرجل بني شيبة فأخبرهم بقوله عليه السلام، فقالوا له: هذا ضالّ مبتدع ليس له علم ولا يؤخذ عنه، ونحن نسألك لمّا أبلغته عنّا هذا الكلام، فأتاه فقال له: زعموا أنّك كذا وكذا وسألوني بالعظيم ألّا بلّغتك ما قالوا، قال: وانا أسألك بما سألوك لمّا آتيتهم فقلت لهم: إنّه يقول إنَّ من علمي أن لو ولّيت شيئاً من أُمور المسلمين لقطعت أيديهم ثمّ علقتها في أستار الكعبة ثم أقمتهم على المصطبة ثم أمرت منادياً ينادي: ألا إنّ هؤلاء سرّاق الله فاعرفوهم.

وفيه عن الكاظم عليه السلام: جعل رجل جاريته هدياً للكعبة، فقال له أبي عليه السلام: قوّم الجارية أو بعها ثم مُرْ منادياً يقوم على الحجر فينادي: ألا من قصرت به نفقته أو قُطع به أو نفد طعامه فليأت فلان بن فلان، ومره أن يعطي أولاً، فأوّلاً حتى ينفد ثمن الجارية[٢].

«فقال له» هكذا في (المصرية)، وكلمة «له» زائدة لعدم وجودها في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطيّة)[٣] «عمر لولاك لافتضحنا وترك الحَلْي بحاله»

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ١٥٨.

(٢) الكافي ٤: ٢٤١ و ٢٤٢ ح١ و ٢، والنقل بتصرف يسير.

(٣) توجد لفظة «له» في شرح ابن أبي الحديد ١٩: ١٥٨، وشرح ابن ميثم ٥: ٣٨١.

وعرف خطأ المشيرين عليه بأخذه.

وورد شكر عمر له عليه السلام لما أرشده في مواضع أُخر في أُمور شخصه وفي أُمور غيره بألفاظ مختلفة:

منها: ما روي عن الربيع بن زياد -وقد نقله ابن أبي الحديد في موضع آخر- قال: قدمت على عمر بمال من البحرين، فصلّيت معه العشاء ثم سلّمت عليه فقال: ما قدمت به؟ قلت: خمسمائة ألف. قال: ويحك إنّما قدمت بخمسين ألفاً؛ قلت: بل خمسمائة الف، قال: كم يكون ذلك. قلت: مائة ألف ومائة ألف حتى عددت خمساً. فقال: إنّك ناعس، ارجع إلى بيتك ثم اغد عليّ، فغدوت عليه فقال: ما جئت به؟ قلت: ما قلت لك؛ فاستشار الصحابة فيه فأشير عليه بنصب الديوان، فنصبه وقسّم المال بين المسلمين ففضلت عنده فضلة، فأصبح فجمع المهاجرين والأنصار وفيهم علي بن أبي طالب عليه السلام وقال للناس: ما ترون في فضل، فضل عندنا من هذا المال؟ فقال الناس: إنّا شغلناك بولاية أُمورنا عن أهلك وتجارتك وصنعتك فهو لك، فالتفت إلى عليّ عليه السلام فقال: ما تقول أنت؟ قال: قد أشاروا عليك! قال: فقل أنت؛ فقال له: لِمَ تجعل يقينك ظنّاً. فلم يفهم عمر ما قال؛ فقال له: لتخرجن ممّا قلت. قال: أجل والله لأُخرجن منه، أتذكر حين بعثك النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ساعياً فأتيت العباس فمنعك صدقته فكان بينكما شيء، فجئتما إليّ وقلتما: انطلق معنا إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، فجئنا اليه فوجدناه خاثراً، فرجعنا ثم غدونا عليه فوجدناه طيّب النفس، فأخبرته بالذي صنع العباس فقال لك: يا عمر أما علمت أنّ عمّ الرجل صنو أبيه! فذكرنا له ما رأينا من خثوره في اليوم الأول وطيب نفسه في اليوم الثاني، فقال: إنّكم أتيتم في اليوم الأول وقد بقي عندي من مال الصدقة ديناران، فكان ما رأيتم من خثوري، وأتيتم في اليوم الثاني وقد وجّهتهما فذاك الذي رأيتم من طيب نفسي. أشير عليك أن لا تأخذ من هذا الفضل شيئاً وان تفضّه على فقراء

المسلمين، فقال عمر: صدقت والله لأشكرن لك الاولى والأخيرة[١].

ومنها: ما روي عن أبي سعيد الخدري ـ ونقله ابن أبي الحديد في موضع آخر قال: حججنا مع عمر أوّل حجّة حجّها في خلافته، فلما دخل المسجد الحرام، دنا من الحجر الأسود فقبّله واستلمه، وقال: إنّي لأعلم أنّك حجر لا تضرّ ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبيّ قبّلك واستلمك لما قبّلتك ولا استلمتك. فقال له عليّ عليه السلام: بلى إنّه يضر وينفع، ولو علمت تأويل ذلك من كتاب الله لعلمت أنّ الذي أقول لك كما أقول، قال الله تعالى: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرّيتهم وأشهدهم على أنفسهم ألستُ بربّكم قالوا بلى﴾[٢]، فلما أشهدهم وأقرّوا له أنّه الربّ وأنّهم العبيد كتب ميثاقهم في رَقّ، ثم ألقمه هذا الحجر، وإنّ له لعينين ولساناً وشفتين تشهد لمن وافاه بالموافاة، فهو أمين الله تعالى في هذا المكان. فقال عمر: لا أبقاني الله بأرض لست بها يا أبا الحسن[٣].

وروى الكافي عن الصادق عليه السلام قال: إنّ الله تعالى لما أخذ مواثيق العباد أمر الحجر فالتقمها ولذلك يقال «أمانتي أدّيتها وميثاقي تعاهدته لتشهد لي بالموافاة»[٤].

ومنها: ما رواه الكافي عن الصادق عليه السلام: إن امرأة كانت تؤتى، فبلغ ذلك عمر فبعث إليها فروّعها وأمر أن يُجاء بها إليه، ففزعت المرأة، فأخذها الطلق فانطلقت إلى بعض الدور فولدت غلاماً فاستهلّ الغلام ثمّ مات، فدخل عليه من روعة المرأة ومن موت الغلام، فقال له بعض جلسائه ما عليك من هذا شيء،

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٢: ٩٩، والنقل بتصرف يسير.

(٢) الاعراف: ١٧٢.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٢ و ١٠٠، والنقل بتصرف يسير.

(٤) الكافي ٤: ١٨٤ ح١.

وقال بعضهم وما هذا؟ فقال لهم سلوا أبا الحسن! فقال عليه السلام لهم: إن كنتم اجتهدتم ما أصبتم، ولئن كنتم قلتم برأيكم لقد أخطأتم، ثم قال لعمر: عليك دية الصبيّ. رواه ابن أبي الحديد في موضع آخر وقال: وفي خبره «عليك غرة» يعني عتق رقبة[١].

ومنها: ما رواه السروي في مناقبه أن عمر أمر برجل يمني محصن فجر بالمدينة أن يرجم، فقال له علي عليه السلام: لا يجب عليه الرجم، لأنه غائب عن أهله، وأهله في بلد آخر، انّما يجب عليه الحدّ، فقال عمر: لا أبقاني الله لمعضلة لم يكن لها أبو الحسن[٢].

ومنها: ما رواه (مناقب الخوارزمي) أن عمر أتي بإمرأة حامل، فسألها فاعترفت بالفجور، فأمر بها أن ترجم، فلقيها علي عليه السلام فقال: ما بال هذه المرأة؟ فقالوا له: أمر عمر بها أن ترجم. فردّها، وقال لعمر: أمرت بها أن ترجم؟ قال: نعم، اعترفت بالفجور. فقال عليه السلام له: هذا سلطانك عليها، فما سلطانك على ما في بطنها؟ ثم قال له: لعلّك انتهرتها أو أخفتها! فقال: قد كان ذلك، فقال له: أو ما سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول: لا حدّ على معترف بعد البلاء. إنّه من قيّدت أو حبست أو تهدّدت فلا إقرار له، فخلّى عمر سبيلها ثم قال: عجزت النساء أن يلدن مثل عليّ! لولا علي لهلك عمر[٣].

ومنها: مارواه (فتوح البلاذري) أنّ رجلاً يقال له معن بن زائدة انتقش على خاتم الخلافة على عهد عمر، فأصاب مالاً من خراج الكوفة. قال: فلمّا صلّى عمر صلاة الصبح قال للنّاس: مكانكم؛ وذكر قصّته لهم وقال:

---

(١) الكافي ٧: ٣٧٤ ح١١، لكن لم اظفر عليه في شرح ابن أبي الحديد.

(٢) مناقب السروي ٢: ٣٦٠.

(٣) أخرجه الخوارزمي في مناقبه: ٣٨ عن طريق زيد بن علي والحديث جاء في مسند زيد: ٣٣٥.

ما تقولون فيه؟ فقال قائل اقطع يده، وقال قائل اصلبه، وعلي عليه السلام ساكت، فقال له عمر: ما تقول أبا الحسن؟ قال: رجل كذب كذبة عقوبته في بشره، فضربه عمر ضرباً شديداً وحبسه[1]!

ومنها: ما رواه (الكافي) عن عاصم السلولي قال: سمعت غلاماً يقول: يا أحكم الحاكمين؛ احكم بيني وبين أُمّي، فقال له عمر: لِمَ تدعو على أُمّك؟ قال: إنّها حملتني في بطنها تسعة أشهر وارضعتني حولين، فلما ترعرعت، وعرفت الخير من الشر طردتني، وزعمت أنّها لا تعرفني، فقال عمر: يا هذه ما يقول الغلام؟ فقالت: والذي احتجب بالنور، فلا عين تراه، ما أعرفه ولا أدري من أيّ الناس هو؟ يريد أن يفضحني في عشيرتي، وانّي جارية من قريش لم تتزوج قط؛ فقال عمر: ألكِ شهود؟ فقالت: نعم هؤلاء إخوتي؛ فتقدّم أربعون قسامة فشهدوا عند عمر؛ أنّ الغلام يريد أن يفضحها وأنّها جارية من قريش بخاتم ربّها؛ فقال عمر: خذوا هذا الغلام وانطلقوا به الى السجن حتى نسأل عن الشهود، فان عدلوا جلدته حدّ المفتري، فأخذوه للسجن، فتلقّاهم أمير المؤمنين عليه السلام في بعض الطريق، فنادى الغلام: يا ابن عمّ النبي؛ أنا غلام مظلوم وأعاد عليه الكلام الذي كلّم به عمر. فقال عليه السلام: ردّوه؛ فقال لهم عمر: أمرت به الى السجن! قالوا: أمرنا علي عليه السلام أن نردّه وسمعناك تقول: لا تعصوا لعليّ أمراً؛ فبينا هم كذلك إذ أقبل عليّ عليه السلام فقال: علي بأُمّ الغلام. فأُتي بها فقال علي عليه السلام: يا غلام ما تقول؟ فأعاد الكلام، فقال عليّ عليه السلام لعمر: أتأذن لي أن أقضي بينهم؟ فقال عمر: سبحانه الله! كيف لا وقد سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «أعلمكم عليّ»، ثم قال عليه السلام للمرأة: يا هذهِ ألك شهود؟ قالت: نعم، فتقدّم الأربعون قسامة فشهدوا بالشهادة الأولى. فقال عليه السلام: لأقضين اليوم بقضية

---

(١) فتوح البلدان: ٤٤٩.

هي مرضاة للربّ علّمني حبيبي النبيّ صلى الله عليه وآله. ثم قال لها: ألكِ وليّ؟ قالت: نعم إخوتي، فقال عليه السلام لهم: أمري فيكم وفي أختكم جائز؟ قالوا: نعم يا ابن عمّ النبيّ، فقال عليه السلام: أُشهد الله ومن حضر من المسلمين أنّي قد زوّجت هذا الغلام من هذه الجارية بأربعمائة درهم والنقد من مالي! يا قنبر عليّ بالدراهم، فأتاه قنبر بها فصبّها في يد الغلام وقال له: خذها فصبّها في حجر امرأتك، ولا تأتِني إلّا وبك أثر العرس يعني الغُسل! فقام الغلام فصبّ الدراهم في حجر المرأة ثم تلببها، فقال لها قومي، فنادت المرأة: النار! النار! يا ابن عم رسول الله، تريد أن تزوّجني من ولدي هذا، والله ولدي زوّجني اخوتي هجيناً فولدت منه هذا الغلام، فلما ترعرع وشبّ أمروني أن انتفي منه وأطرده، هذا والله ولدي وفؤادي يتقلّى أسفاً عليه!! ثم أخذت بيد الغلام وانطلقت، فنادى عمر: واعُمَراه لولا علي لهلك عمر[1].

وما رواه محمد بن محمد بن النعمان المفيد في (إرشاده): أنّ امرأتين تنازعتا على عهد عمر في طفل ادّعته كلّ واحدة منهما ولداً لها بغير بيّنة، ولم ينازعهما فيه غيرهما؛ فالتبس الحكم في ذلك على عمر، وفزع فيه الى أمير المؤمنين عليه السلام، فاستدعى المرأتين ووعظهما وخوّفهما، فأقامتا على التنازع فقال عليه السلام عند تماديهما: إيتوني بمنشار، فقالت المرأتان: ما تصنع؟ فقال: أقدّه نصفين لكلّ واحدة منكما نصفه!! فسكتت إحداهما وقالت الأُخرى: الله الله يا أبا الحسن! ان كان لابدّ من ذلك فقد سمحت به لها. فقال عليه السلام: الله أكبر هذا ابنك دونها، ولو كان ابنها لرقّت عليه وأشفقت، فاعترفت المرأة الأُخرى أنّ الحقّ مع صاحبتها والولد لها دونها، فسري عن عمر (غمّه) ودعا له عليه السلام بما فرّج عنه في القضاء.

---

(١) الكافي ٧: ٤٢٣ ح٦، والنقل بتصرف يسير.

ورواه السروي في (مناقبه) وقال: وهذا حكم سليمان في صغره(١).

وما رواه الكافي؛ أن عمر أتي بجارية قد شهدوا عليها أنها قد بغت، وكانت من قصتها أنّها كانت يتيمة عند رجل، وكان الرجل كثيراً ما يغيب عن أهله، فشبّت اليتيمة فتخوفت المرأة أن يتزوّجها زوجها، فدعت بنسوة فأمسكتها فأخذت عذرتها باصبعها، فلما قدم زوجها رمتها بالفاحشة وأقامت البينة من جاراتها اللاتي ساعدنها على ذلك، فرفع ذلك إلى عمر، فلم يدرِ كيف يقضي فيها، ثم قال: نأت علي بن أبي طالب، فأتوه وقصوا عليه القصة فقال لامرأة الرجل: ألك بيّنة؟ قالت: هؤلاء جاراتي يشهدن عليها، وأحضرتهن، فأخرج علي عليه السلام السيف من غمده، وطرحه بين يديه وأمر بكل واحدة منهم فأدخلت بيتاً، ثم دعا امرأة الرجل فأدارها بكلّ وجه، فأبت أن تزول عن قولها، فردّها إلى البيت الذي كانت فيه ودعا احدى الشهود وجثا على ركبتيه ثمّ قال: تعرفيني أنا علي بن أبي طالب وهذا سيفي وقد قالت امرأة الرجل ما قالت ورجعت إلى الحقّ وأعطيتها الأمان وإن لم تصدّقيني لأمكنن السيف منك، فالتفتت المرأة إلى عمر وقالت له: الأمان على الصدق. فقال لها علي عليه السلام: فاصدقي. فقالت: لا والله إلّا أنّها رأت جمالاً وهيئة، فخافت فساد زوجها، فسقتها المسكر ودعتنا، فأمسكناها فافتضتها بأصبعها. فقال عليّ عليه السلام: الله أكبر، أنا أوّل من فرق بين الشهود إلا دانيال النبيّ عليه السلام، وألزمهن حد القاذف وألزمهن جميعاً العقر وجعل عقرها أربعمائة درهم، وأمر بالمرأة أن تنفى من الرجل ويطلقها زوجها وزوجه الجارية وساق عنه المهر. فقال عمر له عليه السلام: حدثنا بحديث دانيال ـ الخبر(٢).

---

(١) الإرشاد: ١١٠، ومناقب السروي ٢: ٣٦٧.

(٢) الكافي ٧: ٤٢٥ ح ٩، والنقل بتصرف يسير.

وما رواه عن الأصبغ أن عمر أُتي بخمسة نفر أخذوا في الزنا، فأمر أن يقام على كلّ واحد منهم حدّ، وكان عليّ عليه السلام حاضراً، فقال: يا عمر! ليس هذا حكمهم؛ قال: فأقم أنت عليهم الحكم؛ فقدّم واحداً فضرب عنقه، وقدّم الثاني فرجمه، وقدّم الثالث فضربه الحدّ، وقدّم الرابع فضربه نصف الحدّ، وقدّم الخامس فعزّره، فتحيّر عمر وتعجّب الناس من فعله، فقال له عمر: خمسة نفر في قضية واحدة، أقمت عليهم خمس حدود، ليس شيء منها يشبه الآخر. فقال عليه السلام: أمّا الأوّل فكان ذمياً خرج عن ذمّته لم يكن له حكم إلا السيف، وأمّا الثاني فرجل محصن كان حدّه الرجم، وأما الثالث فغير محصن حدّه الجلد، وأمّا الرابع فعبد ضربناه نصف الحدّ، وأمّا الخامس، فمجنون مغلوب على عقله[1].

وما روي عن (فضائل العشرة): أن عمر أُتي بابن أسود انتفى منه أبوه، فأراد عمر أن يعزّره، فقال عليّ عليه السلام للرجل: هل جامعت أمّه في حيضها؟ قال: نعم، قال: فلذلك سوّده الله. فقال عمر: لولا علي لهلك عمر[2].

وما رواه (مناقب السروي)، أن الهيثم كان في جيش، فلمّا جاءت امرأته بعد قدومه بستّة أشهر بولد، فأنكر ذلك منها، وجاء به الى عمر وقصّ عليه، فأمر برجمها فأدركها عليّ عليه السلام قبل أن ترجم، ثمّ قال لعمر: أربع على نفسك أنّها صدقت يقول تعالى: ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾[3] ويقول: ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين﴾[4] فالحمل والرضاع ثلاثون

(١) الكافي ٧: ٢٦٥ ح٢٦.

(٢) نقله عنه السروي في مناقبه ٢: ٣٦٣.

(٣) الاحقاف: ١٥.

(٤) البقرة : ٢٣٣.

شهراً، فقال عمر: لولا علي لهلك عمر[١].

وما رواه عن الصادق عليه السلام: أنّ عقبة بن أبي عقبة مات، فحضر علي عليه السلام جنازته وجماعة من أصحابه وفيهم عمر، فقال علي عليه السلام لرجل كان حاضراً: إنّ عقبة لمّا توفي حرمت امرأتك فاحذر أن تقربها! فقال عمر: كلّ قضاياك عجيبة وهذه من أعجبها، يموت انسان فتحرم على آخر امرأته! فقال: نعم؛ انّ هذا عبد كان لعقبة تزوج امرأة حرّة، وهي اليوم ترث بعض ميراث عقبة، فقد صار بعض زوجها رِقّاً لها، وبضع المرأة حرام على عبدها حتى تعتقه ويتزوّجها؛ فقال عمر: لمثل هذا نسألك عمّا اختلفنا فيه[٢].

وروى عليّ بن طاووس في كتابه (تشريف المنن) عن مجموع محمد بن الحسين المرزبان أن شريح القاضي قال: كنت أقضي لعمر، فأتاني رجل يوماً فقال: إن رجلاً أودعني امرأتين احداهما حرة مهيرة والأُخرى سرية، فجعلتهما في دار وأصبحت اليوم، وقد ولدتا غلاماً، وجارية، وكلتاهما تدّعي الغلام وتنتفي من الجارية، فاقض بينهما بقضائك! فلم يحضرني شيء فيهما، فأتيت عمر فقصصت عليه القصة فقال: فما قضيت؟ فقلت: لو كان عندي قضاء ما أتيتك! فجمع من حضره من الصحابة، وأمرني فقصصت القصة وشاورهم، فكلّهم ردّوا الرأي إليّ وإليه، فقال عمر: لكني أعرف حيث مفزعها وأين منتزعها؛ فقالوا: كأنّك أردت ابن أبي طالب، قال: نعم وأين المذهب عنه!

قالوا: فابعث إليه يأتِك فقال: لا، له شمخة من هاشم، وأثرة من علم يؤتى لها ولا يأتي، وفي بيته يؤتى الحكم، فقوموا بنا إليه، فأتيناه، فوجدناه في حائط له يركل فيه على مسحاة ويقرأ ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى﴾[٣]

(١) مناقب السروي ٢: ٣٦٥.

(٢) مناقب السروي ٢: ٣٦٠.

(٣) القيامة: ٣٦.

ويبكي! فأمهلوه حتى سكن ثم استأذنوا عليه، فخرج إليهم وعليه قميص قد نصّف أردانه، فقال لعمر: ما الذي جاءك به؟ فقال: أمر عرض، وأمرني فقصصت عليه القصة، فقال: فبِمَ حكمت فيها؟ قلت: لم يحضرني حكم فيها؛ فأخذ بيده من الأرض شيئاً ثم قال: الحكم فيه أهون من هذا! ثم أحضر المرأتين وأحضر قدحاً ثم دفعه إلى احداهما فقال احلبي فيه، فحلبت ثم وزن القدح ودفعه إلى الأخرى فقال احلبي فيه، فحلبت فيه ثم وزنه، فقال لصاحبة اللبن الخفيف، خُذي ابنتك، ولصاحبة اللبن الثقيل خذي ابنك، ثم التفت إلى عمر فقال: أما علمت أنَّ الله تعالى حطّ المرأة عن الرجل؛ فجعل عقلها وميراثها دون عقله وديته، وكذلك لبنها دون لبنه. فقال عمر: لقد أرادك الحق يا أبا الحسن، ولكن قومك أبوا. فقال علي عليه السلام: خفّض عليك أبا حفص ﴿ان يوم الفصل كان ميقاتاً﴾[1].

ورواه (مناقب السروي) وقال: وقد جعلت الأطباء ذلك أساساً في الاستدلال على الذكر والأُنثى[2].

وما رواه (الكافي): أنّ عمر أُتي بامرأة وزوجها شيخ فانٍ، فلمّا أن واقعها مات على بطنها، فجاءت بولد فادّعى بنوه أنها فجرت وتشاهدوا عليها. فأمر بها عمر أن تُرجم، فمرَّ بها عليّ عليه السلام فقالت: يا ابن عمّ النبيّ: ان لي حجّة! فقال: هاتي حجّتك، فدفعت إليه كتاباً فقرأه، فقال: هذه المرأة تعلمكم بيوم تزوجها، ويوم واقعها؛ ردّوا المرأة، فلما كان من الغد دعا بصبيان أتراب، ودعا بالصبي معهم فقال لهم: إلعبوا حتى إذا ألهاهم اللعب قال لهم: إجلسوا حتى اذا تمكنوا صاح بهم قوموا، فقام الصبيان، وقام الغلام فاتكى على

---

(١) الأنبياء: ١٧.

(٢) الملاحم والفتن: ١٨٦، وهو نفس الكتاب تشريف المنن، ومناقب السروي ٢: ٣٦٧.

راحتيه، فدعا به عليّ عليه السلام وورثه من أبيه، وجلد إخوته حدّ المفترين حدّاً حدّاً، فقال له عمر: كيف صنعت؟ قال: عرفت ضعف الشيخ في اتكاء الغلام على راحتيه[١].

ومما رواه أن عمر أُتي برجل قد قتل أخا رجل، فدفعه إليه وأمره بقتله، فضربه الرجل حتى رأى أنّه قد قتله، فحمل إلى منزله، فوجدوا به رمقاً فعالجوه حتى برئ، فلمّا برئ أخذه أخو المقتول فقال: أنت قاتل أخي، ولي أن أقتلك، فقال قد قتلتني مرة، فانطلق به إلى عمر فأمر بقتله، فمروا على عليّ عليه السلام فأخبره خبره، فقال: لا تعجلوا حتى أخرج، فدخل على عمر فقال له: ليس الحكم فيه هكذا، فقال: ما هو؟ فقال: يقتصّ هذا من أخ المقتول أوّلاً ما صنع به، ثم يقتله بأخيه، فنظر الرجل، إنّه إن اقتصّ منه أتى على نفسه، فعفا عنه، وتتاركا.

وروى السروي ذلك وزاد عليه: فرفع عمر يده إلى السماء، وقال: الحمد لله الذي جعلكم أهل بيت الرحمة، ثمّ قال: لولا عليّ لهلك عمر[٢].

وقال المفيد في (الإرشاد): إنّ العامّة والخاصّة روتا أن امرأة شهد عليها الشهود أنّهم وجدوا في بعض مياه العرب رجلاً يطأها ليس ببعل لها، فأمر عمر برجمها وكانت ذات بعل فقالت: اللّهم إنّك تعلم أني بريئة، فغضب عمر وقال: وتجرحين الشهود أيضاً، فقال عليّ عليه السلام: ردّوها فاسألوها فلعلّ لها عذراً، فردّت فسُئِلت فقالت: كانت لأهلي إبل فخرجت فيها، وحملت معي ماء، ولم يكن في إبل أهلي لبن، وخرج معي خليطنا وكان في إبله لبن، فنفد مائي فاستسقيته فأبى أن يسقيني حتى امكّنه من نفسي، فلما كادت نفسي تخرج

---

(١) الكافي ٧: ٤٢٤ ح٧، والنقل بتصرف يسير.

(٢) الكافي ٧: ٣٦٠ ح١، ومناقب السروي ٢: ٣٦٥، والنقل بتصرف يسير.

مكّنته كرهاً، فقال علي عليه السلام: الله اكبر ﴿فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه﴾[1] فخلّى عمر سبيلها[2].

وجاء في (مناقب السروي): صبّت امرأة بياض البيض على فراش ضرّتها وقالت: قد بات عندها رجل، وفتّش ثيابها فأصاب ذلك البياض، وقصّ على عمر فهمّ أن يعاقبها، فقال عليّ عليه السلام: إيتوني بماء حار قد أُغلي غلياناً شديداً، فلمّا أُتي به أمرهم فصبّوا على الموضع، فاشتوى ذلك البياض فرمى به اليها، وقال للمرأة: إنّه من كيدكن إنّ كيدكن عظيم، وقال للرجل أمسك عليك زوجك، فإنّها حيلة تلك التي قذفتها فضربها الحدّ[3].

وما فيه أيضاً: أن امرأة محصنة فجر بها غلام صغير، فأمر عمر أن ترجم فقال له علي عليه السلام: لا يجب الرجم، إنّما يجب الحدّ، لأن الذي فجر بها ليس بمدرك[4].

وما فيه أيضاً: أن عمر أُتي بإمرأة مجنونة حبلى قد زنت، فأمر برجمها فقال له عليّ عليه السلام: أما سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول: رفع القلم عن ثلاثة: عن المجنون حتى يبرأ ـ الخبر.

ورواه (إرشاد المفيد) وزاد: فرّج الله عنك لقد كدت أن أهلك[5]! وما في (الإرشاد) أيضاً: ان العامة والخاصة روت أن قدامة بن مظعون شرب الخمر فأراد عمر أن يحدّه فقال له قدّامة: إنّه لا يجب عليّ الحدّ لأنّ الله تعالى يقول: ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتّقوا

---

(١) البقرة: ١٧٣.

(٢) الإرشاد: ١١٠، والنقل بتصرف يسير.

(٣) مناقب السروي ٢: ٣٦٧.

(٤) مناقب السروي ٢: ٣٦٠.

(٥) رواه المفيد في الإرشاد: ١٠٩، وجاء قريب منه في مناقب السروي ٢: ٣٦٦.

وآمنوا وعملوا الصالحات﴾[١]، فدرأ عمر عنه الحدّ فبلغ ذلك عليّاًعليه السلام، فمشى إلى عمر فقال له: لم تركت الحدّ على قدّامة؟ فقال: تلا عليّ هذه الآية. فقالعليه السلام: ليس قدّامة من أهل هذه الآية، ولا من سلك سبيله في ارتكاب ما حرم، إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لا يستحلون حراماً، فاردد قدّامة واستتبه ممّا قال، فان تاب، فأقم عليه الحدّ وإن لم يتب فاقتله، فقد خرج عن الملّة، فاستيقظ عمر لذلك وعرف قدّامة الخبر فأظهر التوبة ـ الخبر[٢].

وما رواه الكافي عن زاذان: أن رجلين استودعا امرأة وديعة وقالا لها لا تدفعيها إلى واحد منّا حتى نجتمع عندك، ثم انطلقا فغابا فجاء أحدهما إليها، فقال: أعطني وديعتي وإن صاحبي قد مات، فأبت حتى كثر اختلافه ثمّ أعطته، ثم جاء الآخر فقال: هاتي وديعتي، فقالت المرأة: أخذها صاحبك، وذكر أنّك متّ، فارتفعا إلى عمر فقال لها: ما أراك إلّا وقد ضمنت! فقالت المرأة: اجعل بيني وبينه عليّاًعليه السلام. فقال عمر له: اقض بينهما. فقال عليّ: هذه الوديعة عندي، وقد امرتماها ألّا تدفعها إلى واحد منكما، حتى تجتمعا عندها، فآتني بصاحبك، ولم يضمنها[٣].

وما في (المناقب) أن مصقلة العبدي قال:

إنّا روينا في الحديث خبرا ... يعرفه سائر من كان روى
إن ابن خطاب أتاه رجل ... فقال كم عدّة تطليق الأما
فقال يا حيدر كم تطليقة ... للامة اذكره فاوما المرتضى
بإصبعيه فثنى الوجه الى ... سائله وقال اثنتان وانثنى

---

(١) المائدة: ٩٣.

(٢) الإرشاد: ١٠٨، والنقل بتصرف يسير.

(٣) الكافي ٧: ٤٢٧ ح ١٢، والنقل بتصرف يسير.

قال له تعرف هذا قال لا قال له: هذا علي ذو العلا[١]

وجاء في (الفقيه): أن حفص بن غالب الأسدي قال: بينما رجلان جالسان في زمن عمر إذ مرّ بهما عبد مقيّد، فقال أحد الرجلين: إن لم يكن في قيده كذا وكذا، فامرأته طالق ثلاثاً، فقال الآخر: إن كان فيه كما قلت، فامرأته طالق ثلاثاً، فذهبا إلى مولى العبد فقالا له: إنّا حلفنا على كذا وكذا، فحلّ قيد غلامك حتى نزنه، فقال مولى العبد: امرأته طالق ثلاثاً ان حللت قيد غلامي، فارتفعوا إلى عمر فقصّوا عليه القصّة، فقال عمر: مولاه أحق به، إذهبوا بنا إلى عليّ بن أبي طالب لعلّه يكون عنده في هذا شيء، فأتوه فقصّوا عليه فقال: ما أهون هذا! ثم أمر بجفنة وأمر بقيده فشد فيه خيطاً، وأدخل رجليه والقيد في الجفنة؛ ثم صب عليه الماء حتى امتلأت ثم قال عليه السلام: ارفعوا القيد، فرفعوه حتى أخرج من الماء، فلما أخرج نقص الماء ثم دعا عليه السلام بزبر الحديد فأرسله في الماء حتى تراجع الماء إلى موضعه والقيد في الماء ثم قال: زنوا هذه الزبر فهو وزنه.

ورواه (فضائل ابن شاذان) وزاد: فلما فعلوا ذلك وانفصلوا دخلت نساؤهم عليهم وخرجوا، وهم يقولون: نشهد أنّك عيبة علم النبوّة!

وقال الصدوق بعد نقله: إنما هدي عليه السلام إلى معرفة ذلك ليخلص الناس من أحكام من يجيز الطلاق باليمين[٢].

وما في (تذكرة سبط ابن الجوزي) نقلاً عن (فضائل أحمد بن حنبل) مسنداً أن عمر كان يقول «أعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو حسن». قال

---

(١) مناقب السروي ٢: ٣٧٠.

(٢) رواه الصدوق في الفقيه ٣: ٩ ح ٢، ونقله المجلسي في البحار ٤٠: ٢٨٠ ح ٤٣، عن كتابي الفضائل والروضة والحديث يوجد في الكتاب الروضة: ٤٠، لكن لم يوجد في الفضائل كما صرّح به في هامش البحار، والنقل بتصرف يسير.

سعيد بن المسيب: ولهذا القول سبب، وهو ان ملك الروم كتب إلى عمر يسأله عن مسائل، فعرضها على الصحابة فلم يجد عندهم جواباً، فعرضها على أمير المؤمنينعليه السلام فأجاب عنها في أسرع وقت بأحسن عبارات. كان قيصر كتب إليه: إنّي سائلك عن مسائل فأخبرني عنها: ما شيء لم يخلقه الله، وما شيء لا يعلمه الله، وما شيء ليس عند الله، وما شيء كلّه فم، وما شيء كلّه رجل، وما شيء كلّه عين، وما شيء كلّه جناح، وسائلك عن رجل لا عشيرة له، وعن أربعة لم يحمل بهم رحم، وعن شيء يتنفّس وليس فيه روح، وعن صوت الناقوس ماذا يقول، وعن ظاعن ظعن مرة واحدة، وعن شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ما مثلها في الدنيا، وعن مكان لم تطلع عليه الشمس إلا مرّة واحدة، وعن شجرة نبتت من غير ماء، وعن أهل الجنّة يأكلون ويشربون ولا يتغوطون، ولا يبولون، ما مثلهم في الدنيا، وعن موائد الجنّة عليها القصاع في كلّ قصعة ألوان لا يختلط بعضها ببعض ما مثلها في الدنيا، وعن جارية تخرج من تفاحة الجنة ولا ينقص منها شيء، وعن جارية تكون في الدنيا لرجلين وهي في الآخرة لواحد، وعن مفاتيح الجنة ما هي؟

فقرأ عليعليه السلام الكتاب وكتب في الحال خلفه:

بسم الله الرحمن الرحيم. اما بعد فقد وقفت على كتابك ايّها الملك وأنا أُجيبك بعون الله تعالى وبركة نبيّنا محمّدصلى الله عليه وآله وسلم: أما الشيء الذي لم يخلقه الله فالقرآن لأنه كلامه.

وأما الذي لا يعلمه الله فقولكم له ولد وله صاحبة وشريك ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله﴾[1] ﴿لم يلد ولم يولد﴾[2].

---

(١) المؤمنون: ٩١.

(٢) الاخلاص: ٣.

وأما الذي ليس عند الله فالظلم ﴿وما ربّك بظلّامٍ للعبيد﴾[١].

وأمّا الذي كلّه فم فالنار تأكل كلّ ما يلقى فيها، وأمّا الذي كلّه رجل فالماء. وأمّا الذي كلّه عين فالشمس، وأمّا الذي كلّه جناح فالريح، وأمّا الذي لا عشيرة له فآدم عليه السلام. وأمّا الذين لم يحمل بهم رحم فعصا موسى عليه السلام وكبش إبراهيم وشخص آدم وحوّاء. وأمّا الذي يتنفس من غير روح فالصبح قال تعالى ﴿والصبح إذا تنفس﴾[٢].

وأما الناقوس فإنّه يقول:

طـــــقاً طـــــقا حــــــقاً حـــــقا

مـــــهلاً مـــــهلا عــــدلاً عــــدلا

صــــدقاً صــــدقا ان الدنيا قد غرتنا واستهوتنا

تــمضي الدنــيا قــرناً قــرنا مــا مــن يــوم يــمضي عنّا

إلا أوهــــى مــــنا ركــــنا ان المــــوتى قــــد أخــبرنا

إنّا نرحل فاستوطنا

واما الظاعن مرة فطور سيناء لما عصت بنو إسرائيل وكان بينه وبين الأرض المقدسة أيام، فقلع الله منه قطعة وجعل لها جناحين من نور فنتقها عليهم، فذلك قوله تعالى ﴿وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنّه ظلّة وظنوا انّه واقع بهم﴾[٣]. وقال لبني اسرائيل ان تؤمنوا وإلا أوقعته عليكم، فلما تابوا ردّه إلى مكانه.

وأما المكان الذي لم تطلع عليه الشمس فأرض البحر لمّا فلقه الله تعالى

(١) فصلت: ٤٦.

(٢) التكوير: ١٨.

(٣) الاعراف: ١٧١.

لموسى، وقام الماء أمثال الجبال ويبست الأرض بطلوع الشمس عليها، ثم عاد ماء البحر إلى مكانه.

وأما الشجرة التي يسير الركب في ظلّها مائة عام فشجرة طوبى، وهي سدرة المنتهى في السماء السابعة تنتهي إليها أعمال بني آدم، وهي من أشجار الجنة ليس في الجنة قصر ولا بيت إلّا وفيه غصن من أغصانها، ومثلها في الدنيا الشمس أصلها واحد، وظلّها في كلّ مكان.

وأما الشجرة التي نبتت من غير ماء فشجرة يونس، وكان ذلك معجزة له لقوله تعالى ﴿وأنبتنا عليه شجرة من يقطين﴾[1].

وأما غذاء أهل الجنّة فمثلهم في الدنيا الجنين في بطن أُمّه، فانّه يتغذّى من سرّة أُمّه ولا يبول ولا يتغوّط. وأما الألوان في القصعة الواحدة فمثله في الدنيا البيضة فيها لونان أبيض وأصفر ولا يختلطان.

وأما الجارية التي تكون بين اثنين فالنخلة التي تكون في الدنيا لمؤمن وكافر، فهي للمؤمن في الآخرة لأنّها في الجنة، والكافر لا يدخلها، وأما مفاتيح الجنّة فلا إله إلّا الله محمّد رسول الله.

فلما قرأ قيصر الكتاب قال: ما خرج هذا الكلام إلّا من بيت النبوّة، ثم سأل عن المجيب فقيل له ابن عم محمّد صلى الله عليه وآله وسلم[2].

وروى سبط ابن الجوزي في (تذكرته) عن (فضائل أحمد بن حنبل) وعن مسنده قضايا أربع قال عمر في بعضها «لا أبقاني الله بعد ابن أبي طالب» وفي بعضها «اللّهم لا تبقني لمعضلة ليس لها ابن أبي طالب» وفي بعضها «لولا علي لهلك عمر».

---

(١) الصافات: ١٤٦.

(٢) تذكرة الخواص: ١٤٤ ـ ١٤٧، والنقل بتصرف يسير.

ثم قال السبط: وفي هذا المعنى يقول الصاحب بن عباد:

حبّ النبي وأهل البيت معتمدي ... إذ الخطوب اساءت رأيها فينا
يا مذرة الدين يا فرد الزمان اصخ ... لمدح مولى يرى تفضيلكم دينا
أيا ابن عم رسول الله أفضل من ... ساد الأنام وساس الهاشميينا
هل مثل سبقك في الاسلام لو عرفوا ... وهذه الخصلة الغراء تكفينا
هل مثل علمك ان زلوا وان وهنوا ... وقد هديت كما أصبحت تهدينا
هل مثل جمعك للقرآن تعرفه ... لفظاً ومعنى وتأويلاً وتبيينا
هل مثل صبرك إذ خانوا وإذ فشلوا ... حتى جرى ما جرى في يوم صفينا
هل مثل بذلك للعاني الاسير ولك ... طفل الصغير وقد أعطيت مسكينا
هل مثل قولك إذ قالوا مجاهرة ... لولا علي هلكنا في فتاوينا[1]

وروى الكافي: ان أبا بكر لما قام بالأمر أتى برجل قد شرب الخمر فقال أبو بكر: لم شربتها وهي محرمة؟ فقال: إني أسلمت ومنزلي بين ظهراني قوم يستحلونها ولو أعلم انّها حرام اجتنبتها. فقال أبو بكر لعمر: ما تقول في أمر هذا الرجل؟ فقال عمر: معضلة وأبو الحسن لها. فقال أبو بكر: يا غلام ادع لنا علياً. فقال عمر: يؤتى الحكم في منزله، فأتوه وعنده سلمان، فأخبروه فقال عليه السلام لأبي بكر: ابعث معه من يدور به على مجالس المهاجرين والأنصار فمن كان تلا عليه آية التحريم فليشهد، فإن لم يكن تليت عليه فلا شيء عليه؛ ففعل فلم يشهد عليه أحد فخلّي سبيله. فقال سلمان له عليه السلام: لقد أرشدتهم فقال عليه السلام: انما أردت أن أُجدد تأكيد قوله تعالى: ﴿أفمن يهدي إلى الحقّ أحقّ أن يتّبع أمّن لا يهدّي إلّا أن يُهدى فما لكم كيف تحكمون﴾[2] فيّ وفيهم[3].

---

(١) تذكرة الخواص: ١٤٤ ـ ١٤٨، والنقل بتصرف يسير.

(٢) يونس: ٣٥.

ومن أراد الوقوف على غرائب قضاياهعليه السلام أكثر من هذا فعليه بكتابنا المؤلف في قضاياهعليه السلام فقد تكفل من ذلك مقداراً مشبعاً، ولهعليه السلام قضايا في حياة النبيّصلى الله عليه وآله وسلم، وقضايا في أمرة الثلاثة، وقضايا في أيام خلافته.

٢
الحكمة (٢٧١)

ورُوِيَ أَنَّهُ عليه السلام رُفِعَ إِلَيْهِ رجُلَانِ سَرَقا مِنْ مالِ اللهِ أَحَدُهُما عَبْدٌ مِنْ مَالِ اللهِ والآخَرُ مِنْ عُروضِ النَّاسِ، فَقَالَ عليه السلام :

أَمَّا هَذَا فَهُوَ مِنْ مَالِ اللهِ وَلَا حَدَّ عَلَيْهِ، مَالُ اللهِ أَكَلَ بَعْضُهُ بَعْضاً، وَأَمَّا الآخَرُ فَعَلَيْهِ الحدُّ الشَّدِيدُ فَقَطعَ يَدَهُ.

أقول: روى الرواية (الكافي في الصحيح) هكذا: قضىعليه السلام في رجلين سرقا من مال الله أحدهما عبد لمال الله والآخر من عرض الناس فقال: أما هذا فمن مال الله، ليس عليه شيء من مال الله أكل بعضه بعضاً، وأما الآخر فقدمه فقطع يده، ثم أمر أن يطعم السمن واللحم حتى برئت منه[٤].

ثم ما في المتن «من عروض الناس» هو في (المصرية)، والصواب: «من عرض الناس» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية) بل وفي مستنده[٥].

ثم ونظير قولهعليه السلام في سرقة رجل من عرض الناس من بيت المال وسرقة عبد من بيت المال باختصاص القطع بالأول لما ذكرهعليه السلام من كونه مال الله أكل بعضه بعضاً ولأن في قطعه اضراراً أكثر ببيت المال، قولهعليه السلام

---

(٣) روى قريب منه في الكافي ٧: ٢١٦ ح١٦.

(٤) الكافي ٧: ٢٦٤ ح ٢٤.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ١٦٠، وشرح ابن ميثم ٥: ٣٨٢، والكافي ٧: ٢٦٤.

في سرقة العبد من مولاه ومن غيره، فروى الكافي أيضاً عنه عليه السلام قال: عبدي إذا سرقني لم أقطعه، وعبدي إذا سرق غيري قطعته ـ الخبر[١].

ثم ما في المتن «وأما الآخر فعليه الحد الشديد» انما هو في (ابن أبي الحديد) وأخذه عنه (المصرية) وليس في (ابن ميثم والخطية) وليس في مستنده ولا وجه له[٢].

وقال ابن أبي الحديد بعد العنوان: هذا مذهب الشيعة أن عبد المغنم إذا سرق من المغنم لم يقطع، فأما العبد الغريب يقطع إذا كان ما سرقه زائداً عمّا يستحقه بمقدار نصاب القطع ربع دينار، فأمّا الفقهاء فانّهم لا يوجبون القطع على من سرق من الغنيمة قبل الغنيمة مطلقاً لأن مخالطة حقّه شبهة تمنع من القطع[٣].

قلت: ان ابن أبي الحديد قد خبط وخلط، فالشيعة أيضاً يمنعون القطع في من سرق مما له شرك فيه مطلقاً. روى في (الكافي محمد بن يعقوب الكليني) في باب مالا يقطع فيه السارق انّه عليه السلام أتي برجل قد سرق من بيت المال فقال: لا يقطع فإن له فيه نصيباً[٤].

وروى في باب ما يجب على الطرار والمختلس عنه عليه السلام قال: أربعة لا قطع عليهم: المختلس، والغلول، ومن سرق الغنيمة، وسرقة الأجير فإنّها خيانة[٥].

---

(١) الكافي ٧: ٢٣٧ ح ٢٠.

(٢) لم توجد الفقرة في الكافي ٧: ٢٦٤، وتوجد بتمامها في شرح ابن أبي الحديد ١٩ : ١٦٠، وتوجد بلفظ «واما الآخر فعليه الحد» في شرح ابن ميثم ٥: ٣٨٢.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ١٦٠، والنقل بالمعنى.

(٤) الكافي ٧: ٢٣١ ح ٦.

(٥) الكافي ٧: ٢٢٦ ح ٦.

وروى في باب حدّ القطع وكيف هو: أن رجلاً أخذ بيضة من المغنم وقالوا له: قد سرق اقطعه. فقالعليه السلام: إنّي لا أقطع أحداً له فيما أخذ شرك[1].

وانما عنوان النهج السرقة من مال الله أي الصدقات، وحينئذ فيفصل فيه بما قالعليه السلام من اختلاف حكم سرقة عبد الصدقات من الصدقات، وسرقة غيره من العبيد بقطع الثاني دون الأول لأنه مال الله أكل بعضه بعضاً، واما الأوّل؛ فيشمله عموم الآية، ولا حقّ له في الصدقات لأن نفقته على مولاه.

ومثل الصدقات الغنائم لو سرق عبد منها منها لا يقطع للعلّة، ولو سرق منها عبد أجنبي يقطع لأن الغنائم للأحرار دون العبيد. وقول ابن أبي الحديد غلط فاحش ونسبته إلى فقهائهم انّهم لا يقطعونه بهتان.

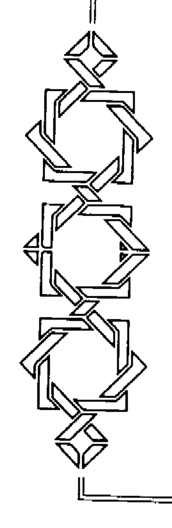
هذا وقالوا انّه فقد في دار بعض الرؤساء مشربة فضة، فوجّه ذاك الشخص إلى ابن ماهان المنجم يسأله، فقال ابن ماهان: المشربة سرقت نفسها، فكشف أن في الدار جارية اسمها فضة سرقت تلك المشربة من الفضة.

---

(١) الكافي ٧: ٢٢٣ ح٧.

الفصل الثالث عشر

في أجوبته التمثيلية
وأدب السؤال والجواب





١
الخطبة (١٤١)

ومن كلام له عليه السلام:

أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ عَرَفَ مِنْ أَخِيهِ وَثِيقَةَ دِينٍ، وَسَدَادَ طَرِيقٍ، فَلَا يَسْمَعَنَّ فِيهِ أقاوِيلَ ٱلرِّجالِ ، أَمَا إِنَّهُ قَدْ يَرْمِي الرَّامِي، وَيُخْطِيءُ السِّهامُ، وَيُحيلُ ٱلْكَلامُ، وَبَاطِلُ ذَلِكَ يَبُورُ وَٱللهُ سَميعٌ وَشَهِيدٌ ، أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ الْحَقِّ وٱلْبَاطِلِ إلاَّ أَرْبَعُ أصابعَ .

قال الشريف: فسُئِل عن معنى قَولِه هذَا، فَجَمَعَ أصابعَه، وَوَضَعهَا بَيْنَ أذُنِهِ وَعَينِه، ثمّ قال:

الْبَاطِلُ أَنْ تَقُولَ سَمِعْتُ، وَٱلحَقُّ أَنْ تَقُولَ رَأَيْتُ !

«أيّها الناس من عرف من أخيه» أي: في الدين، فقد قال تعالى: ﴿انما المؤمنون إخوة﴾[1] «وثيقة دين» أي: استحكامه في دينه «وسداد» بالفتح أي:

(١) الحجرات : ١٠ .

استقامة «طريق» أي: في عمله ومسلكه «فلا يسمعن فيه أقاويل» الظاهر كونه جمعاً ثانياً لأقوال «الرجال» بأنّه كذا وكذا.

روى الكافي عنهعليه السلام قال: ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك ما يغلبك منه، ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك سوء وأنت تجد لها في الخير محملاً[1].

«اما انه قد يرمي الرامي ويخطئ السهام» هو كالمثل.

ومن أمثالهم «قرينك سهمك يخطئ ويصيب»[2] ومنها أيضاً «رماه بنبله الصائب» قال لبيد:

فرميت القوم نبلاً صائباً ليس بالعضل ولا بالمفتعل[3]

والمراد أن أقاويل الرجال ليست دائماً حقّاً عن علم وعرفان، بل تصدر كثيراً عن حدس وتخمين وسماع أخبار أراجيف، والغالب فيها الخطأ والاشتباه، فلا يجوز أن يدع عرفانه لأقاويل هكذا.

وقال ابن أبي الحديد كلامهعليه السلام خلاصة قوله تعالى: ﴿إن جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا أن تصيبوا قوماً بجهالة﴾[4].

قلت: هو كما ترى، فالآية في مقام، وكلامه عليه السلام في مقام آخر، فمفاد الآية عدم جواز الاعتماد على خبر الفاسق مطلقاً ولو في حقّ من لا تعرفه، ومفاد كلامهعليه السلام عدم جواز قبول خبر المجاهيل على الثقات.

«ويحيل الكلام» هكذا في (المصرية) ولكن في (الخطية) «ويحيك الكلام» وكذا في (ابن ميثم) إلّا أنّه قال: وروى «ويحيل» وأشار إلى نقل ابن أبي الحديد

---

(١) الكافي ٢: ٣٦٢ ح ٢.

(٢) أورده الميداني في مجمع الأمثال ٢: ١٢٤.

(٣) أورده الميداني في مجمع الأمثال ١: ٢٩٥، والزمخشري في المستقصى ٢: ١٠٣.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٧٢. والآية ٦ من سورة الحجرات.

فانه نقله «ويحيل» ولكن قال «ومن الناس من يرويه ويحيك» وهو دليل على أن الراوندي أيضاً نقله «ويحيك» فهو الصحيح[١].

مع أنّ «ويحيل» من أحال، ومعناه أتى بالمحال لا يناسب ما بعده من قوله «وباطل ذلك يبور»، لأن المحال كلّه باطل، بخلاف «ويحيك» بالضم والفتح من «حاك السيف وأحاك» أي اثره، فان ما بعده معه في غاية المناسبة.

ومما يشهد لحيك الكلام وتأثيره، أن الربيع بن زياد العبسي كان نديماً للنعمان بن المنذر، فدخل عليه لبيد بن ربيعة وكان الربيع ذم أعمام لبيد عند النعمان ومنعه من إكرامهم، فرأى الربيع يأكل مع النعمان، فأنشأ، انتصاراً لأعمامه، يقول للنعمان مع صغره:

مهلاً أبيت اللعن لا تأكلْ معه ... إنّ استه من برص ملمعه

وإنّه يدخل فيها إصبعه ... يدخلها حتى يوارى أشجعه

كأنّه يطلب شيئاً ضيّعه

فرفع النعمان يده من الطعام وقال للربيع: اكذاك أنت؟ قال: لا، واللات كذب ابن الفاعلة ابعث من يفتشني. فقال له النعمان:

شرد برحلك عني ولا ... تكثر عليّ ودع عنك الاباطيلا

فقد رميت بداء لست غاسله ... ما جاور النيل يوماً أهل ايليلا

قد قيل ذلك، إن حقاً وإن كذباً ... فما اعتذارك من قيلٍ إذا قيلا

«وباطل ذلك يبور» أي: يكسد ويفنى، وهو نظير قوله تعالى: ﴿ومكر أولئك هو يبور﴾[٢].

---

(١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٩: ٧٣، وشرح ابن ميثم ٣: ١٧٩، واستنتاج الشارح في غير مورده إذ لفظ شرح الراوندي ٢: ٥٨ أيضاً «يحيل».

(٢) فاطر: ١٠.

وقال ابن أبي الحديد: وهو من قوله تعالى : ﴿قل جاء الحقّ وزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقاً﴾[(١)] وهو كما ترى.

«**والله سميع**» لأقوال عباده «**وشهيد**» على أعمالهم، فعليهم ألا يقولوا إلا الحقّ ولا يعملوا إلّا الصالح.

«**أما انّه ليس بين الباطل والحق**» هكذا في (المصرية) والصواب: «بين الحق والباطل» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[(٢)] «**إلا أربع أصابع**» أنّث الأصبع هنا، وقال الجوهري: يذكّر ويؤنّث[(٣)].

«قال الشريف» هكذا في (المصرية)، والجملة زائدة فليست في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[(٤)].

«فسئل عن معنى قوله هذا» أي: ليس بين الحق والباطل إلّا أربع أصابع «فجمع أصابعه ووضعها بين أُذنه وعينه ثم قال: **الباطل أن تقول سمعت**» لأن كثيراً من المسموعات لا حقيقة لها «**والحق أن تقول رأيت**» بعيني، بمعنى أنّه لا يجوز أن تخبر إلّا بما تتيقن به، إمّا برؤيتك وإمّا مثل رؤيتك ممّا اشتمل على الشواهد القطعية.

وممّا يشهد لاتفاق كون قول ما لم تره بعينك باطلاً، ما في (تاريخ الطبري) ـ في طي فتح قتيبة لبيكند ـ أنّ مسلماً الباهلي قال لوالان العدوي: إنّ عندي مالاً أحب أن استودعكه. قال: أتريد أن يكون مكتوماً أو لا؟ قال: أريد أن يكون مكتوماً! قال : إبعث به مع رجل تثق به الى موضع كذا وكذا، ومره اذا رأى رجلاً في ذلك الموضع أن يضع ما معه وينصرف؛ قال: نعم، فجعل مسلم

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٧٣. والآية ٨١ من سورة الاسراء.

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٩: ٧٢، لكن في شرح ابن ميثم ٣: ١٧٩.

(٣) صحاح اللغة ٣: ١٢٤١، مادة (صبع).

(٤) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٩: ٧٢، وهكذا توجد في شرح ابن ميثم ٣: ١٧٩.

المال في خرج ثم حمله على بغل، وقال لمولى له: إنطلق بهذا البغل إلى موضع كذا وكذا، فاذا رأيت رجلاً جالساً فخلّ عن البغل وانصرف! فانطلق الرجل بالبغل، وقد كان والان أتى الموضع لميعاده، فأبطأ عليه رسول مسلم ومضى الوقت الذي وعده، فظن أنّه قد بدا له فانصرف، وجاء رجل من بني تغلب فجلس في ذلك الموضع؛ وجاء مولى مسلم فرأى الرجل جالساً فخلّى عن البغل ورجع؛ فقام التغلبي إلى البغل، فلمّا رأى المال ولم يرَ مع البغل أحداً قاد البغل إلى منزله، وأخذ المال، وظنّ مسلم أنّ المال قد صار إلى والان، فلم يسأل عنه حتى احتاج إليه فلقيه، فقال: مالي! فقال: ما قبضت شيئاً ولا لك عندي مال! فكان مسلم يشكوه ويتنقصه، فأتى يوماً مجلس بني ضبيعة فشكاه، والتغلبي جالس، فقام إليه وخلا به، وسأله عن المال، فأخبره فانطلق به إلى منزله وأخرج الخرج فقال: أتعرفه؟ قال: نعم، قال: والخاتم؟ قال: نعم، قال: إقبض مالك وأخبره الخبر؛ فكان مسلم يأتي الناس والقبائل التي كان يشكو إليهم من والان، فيعذره ويخبرهم الخبر[1].

وما في (وزراء هلال الصابي): أنّ المقتدر قلّد في سنة (٣٠١هـ) علي بن عيسى وزارته بعد ابن الفرات والخاقاني، فعمد الى تخفيف المؤن وحذف الكلف ونقص الخرج والمضايقة في الجاري والرزق، وردّ كثيراً مما وقّع به الخاقاني من الزيادات، فأوحش بذلك خواص المقتدر، وكثرت به السعاية عليه، والوقيعة فيه، وشرعوا في إفساد أمره وتغيير رأي المقتدر فيه وردّ ابن الفرات؛ فعرف ذلك، فبدأ بالاستعفاء، وتحدّث في دار المقتدر أنّ ابن الفرات شديد العلة واتفق أن مات هارون الشاري الذي كان محبوساً في دار السلطان، وكان التدبير في أمر الشراة أن يكتم موت من يؤخذ من أئمتهم

(١) تاريخ الطبري ٥: ٢٢٠، سنة ٨٦، والنقل بتصرف يسير.

لأنّهم لا يرون إقامة غيره وهو حي، فأظهر أنّه ابن الفرات وكفّن وأُخرجت جنازته على أنها جنازة ابن الفرات، فصلّى عليه علي بن عيسى وانصرف موجعاً إلى داره وقال لخواصه: اليوم ماتت الكتابة! ومضت أيام، ووقف علي بن عيسى على ان ابن الفرات حي، وقد تمّ السعي له مع المقتدر، فعجب وقال: ما ينبغي لأحد أن يحدّث بكلّ ما يسمع ويصدق بجميع ما يخبر[1].

هذا، وفي (العقد الفريد): سأل علي بن أبي طالب عليه السلام ابنه الحسن عليه السلام كم بين الإيمان واليقين؟ قال أربع أصابع! قال: وكيف ذلك؟ قال: الإيمان كلّ ما سمعته أُذناك وصدّقه قلبك، واليقين ما رأته عيناك فأيقن به قلبك، وليس بين العين والأُذنين إلّا أربع أصابع[2].

وهو معنى آخر غير ما في العنوان، لأن هذا في الفرق بين اليقين بشيء من مشاهدته، والايمان بشيء من سماعه واعتقاد القلب به.

ولعلّه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿كلّا لو تعلمون علم اليقين* لترونّ الجحيم* ثمّ لترونّها عين اليقين﴾[3] بأن يكون علم اليقين: هو إيمان يحصل من السماع من رسل الله، وعين اليقين: ما يشاهدونه في القيامة، فيقولون هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون.

٢
الحكمة (٣٠٠)

وَسُئِلَ عليه السلام: كَيْفَ يُحَاسِبُ ٱللهُ ٱلْخَلْقَ عَلَى كَثْرَتِهِمْ؟ فَقَالَ عليه السلام: كَمَا يَرْزُقُهُمْ عَلَى كَثْرَتِهِمْ. فَقِيلَ: كَيْفَ يُحاسِبُهُمْ وَلَا يَرَوْنَهُ؟

(١) وزراء الصابي: ٣٠٦، والنقل بتصرف يسير.

(٢) العقد الفريد ٧: ٢٦٠.

(٣) التكاثر: ١ ـ ٧.

فَقَالَ: كَمَا يَرْزُقُهُمْ وَلاَ يَرَوْنَهُ.

أقول: كان السائل ـ كما في (العقد الفريد) ـ سلمان الفارسي، ففيه: وقّع علي عليه السلام في كتاب سلمان الفارسي، وسأله كيف يحاسب الناس يوم القيامة «يحاسبون كما يرزقون»[١].

ونظير جوابه عليه السلام عن محاسبة الخلق في القيامة مع كثرتهم وعدم رؤيتهم له تعالى جوابه عليه السلام عن عدم انتهاء علوم القرآن كعدم نفاد ثمار الجنّة، فروى المصنّف في خصائصه أن أسقف نجران قدم على عمر، وسأله عن مسائل، وعمر كان يحيله عليه عليه السلام، ومنها: أن الأسقف قال لعمر: أخْبِرني عن شيء في أيدي أهل الدنيا شبيه بثمار أهل الجنّة؟ فقال: سَلِ الفتى (يعنيه) فقال عليه السلام: هو القرآن يجتمع أهل الدنيا عليه، فيأخذون منه حاجتهم ولا ينقص منه شيء وكذلك ثمار الجنّة. قال الأسقف: صدقت يا فتى![٢].

وكذلك جوابه عليه السلام عن محل الجنان في القيامة، ففي (المناقب للسروي) عن (تفسير القطان) عن وكيع عن الثوري عن السّدي قال: كنت عند عمر إذ أقبل كعب بن الأشرف، ومالك بن صيفي، وحي بن أخطب فقالوا: إن في كتابكم ﴿وجنّة عرضها السماوات والأرض﴾[٣] إذا كانت سعة جنّة واحدة كسبع سماوات وسبع أرضين، فالجنان كلّها يوم القيامة أين تكون؟ فقال عمر: لا أعلم، فبينا هم في ذلك، إذ دخل عليّ عليه السلام فقال: في أي شيء أنتم؟ فذكروا، فقال: خبّروني عن النهار إذا أقبل الليل أين يكون، والليل إذا أقبل النهار أين يكون؟ قالوا: في علم الله يكون! قال عليه السلام: كذلك الجنان تكون في علم

---

(١) العقد الفريد ٤: ٢٥٦.

(٢) خصائص الرضي: ٦٧.

(٣) آل عمران: ١٣٣.

الله، فجاء إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وأخبره بذلك فنزل ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾[١].

وكذلك جوابه عليه السلام عن وجه الربّ سبحانه، فقد روى ابن بابويه في (توحيده) عن سلمان الفارسي -في خبر قدوم الجاثليق مع مائة من النصارى- بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله إلى أبي بكر، وسؤاله عن مسائل عجز عن جوابها، فأُرشِدَ إليه عليه السلام، فكان فيما سأل أن قال: أخبرني عن وجه الربّ تعالى. فدعا عليه السلام بنار وحطب فأضرمه، فلما اشتعلت قال له: أين وجه هذه النار؟! قال الجاثليق: هي وجه من جميع حدودها. فقال عليه السلام: هذه النار مدبّرة مصنوعة، لا يعرف وجهها، وخالقها لا يشبهها، ولله المشرق والمغرب، فأينما تولّوا فثمّ وجه الله لا يخفى على ربنا خافية[٢].

وكذلك جوابه عليه السلام عن مثل سدرة المنتهى في الدنيا، روى تذكرة سبط ابن الجوزي أن قيصر كتب إلى عمر كتاباً سأله فيه عن مسائل، فكتب علي عليه السلام جوابه: وأما الشجرة التي يسير الراكب في ظلّها مائة عام فشجرة طوبى، وهي سدرة المنتهى في السماء السابعة، إليها ينتهي أعمال بني آدم، وهي من أشجار الجنّة، وليس في الجنّة قصر، ولا بيت إلّا وفيه غصن من أغصانها، ومثلها في الدنيا الشمس، أصلها واحد وضوؤها في كلّ مكان[٣].

وكذلك جوابه عليه السلام عن مثل غذاء أهل الجنّة بلا مدفوع ومثل كون ألوان من طعامهم في وعاء واحد بلا اختلاط، ففي الكتاب المتقدّم: وأما غذاء أهل الجنّة فمثلهم في الدنيا الجنين في بطن أُمّه، فإنّه يتغذى من سرتها ولا يبول

---

(١) مناقب السروي ٢: ٣٥٢ والآية ٤٣ من سورة النحل.

(٢) توحيد الصدوق: ١٨٢ ح١٦. بتصرف.

(٣) تذكرة الخواص: ١٤٦.

ولا يتغوّط، واما الألوان في القصعة الواحدة فمثله في الدنيا البيضة فيها لونان أبيض وأصفر ولا يختلطان[١].

هذا، وفي (ديوان معاني أبي هلال العسكري) قال ثعلب: قلت لابن الأعرابي، من أحمق الأعراب؟ قال: أعرابي سبق الناس الى الموسم وجعل يدعو الله لحاله وشأنه ويقول: اللّهم اقض حاجاتي قبل أن يدهمك الوفد! فقلت له: أفلا أدُلك على أحمق منه الذي يقول:

خلق السماء وأرضه في ستّة   وأبوك يمدر حوضه في عام[٢]

٣
الحكمة (٣٥٦)

وقِيلَ له عليه السلام : لَوْ سُدَّ على رَجُلٍ بابُ بَيْته وتُرِكَ فِيهِ. مِنْ أيْنَ كانَ يأْتِيهِ رِزْقُهُ؟ فَقَالَ:

مِنْ حَيْثُ يأتِيهِ أجلُهُ .

أقول: مصداق ما قاله عليه السلام من إتيان الرزق على من سدّ عليه باب بيته، ما نقله الجاحظ في (حيوانه)، عن أبي اليقظان، وأبي عبيدة والمدائني: أنّ طاعوناً جارفاً جاء على أهل دار، فلم يشكَّ أهل تلك المحلّة أنّه لم يبقِ فيها صغير ولا كبير، وقد كان فيها صبي يرتضع ويحبو ولا يقوم على رجليه، فعمد من بقي من المطعونين من أهل تلك المحلة إلى باب تلك الدار فسدّه، فلما كان بعد ذلك بأشهر تحوّل فيها بعض ورثة القوم ففتح الباب، فلما أفضى إلى عرصة الدار إذا هو بصبي يلعب مع أجراء كلبة قد كانت لأهل الدار، فراعه ذلك! فلم يلبث أن أقبلت كلبة كانت لأهل الدار فلما رآها الصبي حبا إليها فأمكنته من اطبائها

---

(١) تذكرة الخواص: ١٤٦.

(٢) ديوان المعاني ١: ١٩٧.

فمصّها، فظنوا أن الصبي لمّا بقي في الدار، وبقي منسياً، واشتدّ جوعه، ورأى أجراءها تستقى من أطبائها، حبا إليها، فعطفت عليه، فلما سقته مرة أدامت ذلك له وأدام هو الطلب، والذي ألهم هذا المولود مصّ ابهامه ساعة يولد من بطن أُمّه ولم يعرف كيفية الارتضاع هو الذي هداه إلى الارتضاع من أطباء الكلبة[1].

وبالجملة؛ الرزق كالأجل يأتي صاحبه أينما كان، ولا يختصّ بالإنسان، بل يجري في كلّ ذي حياة، فكما أعطاه الحياة يعطيه الرّزق، قال تعالى: ﴿وما من دابّة في الأرض إلّا على الله رزقها ويعلم مستقرّها ومستودعها كلّ في كتاب مبين﴾[2]. وفي تفسير: القمي أتى بختنصر بعد قتل بني إسرائيل على دم يحيى بابل، فبنى بها مدينة وحفر بئراً فألقى فيها دانيال وألقى معه لبوة، فجعلت اللبوة تأكل طين البئر ويشرب دانيال لبنها، فلبث بذلك زماناً، فأوحى تعالى إلى نبي كان ببيت المقدس أن اذهب بهذا الطعام والشراب إلى دانيال واقرأه منّي السلام. قال: وأين هو؟ قال: في بئر ببابل في موضع كذا وكذا. فأتاه فاطلّع في البئر، فقال: يا دانيال! قال: لبيك صوت غريب، قال: إنّ ربّك يقرؤك السلام، وقد بعث إليك بالطعام والشراب فدلّاهما إليه، فقال: الحمد لله الذي من توكّل عليه كفاه، الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره، الحمد لله الذي لا يخيّب من دعاه، الحمد لله الذي من وثق به لم يكِلْه إلى غيره، الحمد لله الذي يجزي بالإحسان إحساناً، الحمد لله الذي يجزي بالصبر نجاة، الحمد لله الذي يكشف ضرّنا عند كربتنا، الحمد لله الذي هو ثقتنا حين تنقطع الحيل منّا، الحمد لله الذي هو رجاؤنا حين ساء ظننّا بأعمالنا.

---

(١) الحيوان ٢: ١٥٥، والنقل بتصرف يسير.

(٢) هود: ٦.

فأري بختنصر في منامه كأن رأسه من حديد ورجلاه من نحاس وصدره من ذهب، فدعا المنجمين فقال لهم: ما رأيت؟ فقال: أنا أجري عليكم الأرزاق منذ كذا وكذا ولا تدرون ما رأيت في المنام، فأمر بهم فقتلوا، فقال له بعض من كان عنده: ان كان عند أحد شيء فعند صاحب الجبّ، فإن اللبوة لم تتعرض له تأكل الطين وترضعه، فبعث إليه فقال: ما رأيت في المنام؟ قال: رأيت كأن رأسك من حديد ورجلاك من نحاس وصدرك من ذهب. قال: هكذا رأيت فما ذاك؟ قال: ذهب ملكك وأنت مقتول إلى ثلاثة أيام، يقتلك رجل من فارس ـ الخبر[1].

وفي تفسير العياشي عن الصادق عليه السلام لما قال يوسف عليه السلام لفتى ظن أنّه ناجٍ اذكرني عند ربك، أتاه جبرئيل فضرب برجله حتى كشط له عن الأرض السابعة وقال له: أنظر ماذا ترى؟ قال: أرى حجراً صغيراً، ففلق الحجر، فقال: ماذا ترى؟ قال: أرى دودة صغيرة. قال: فمن رازقها. قال: الله، قال: فإن ربك يقول لم أنس هذه الدودة في تلك الحجر في قعر الأرض السابعة، أظننت انّي أنساك حتى تقول للفتى: ﴿اذكرني عند ربك﴾[2]، لتلبثنَّ في السجن بمقالتك هذه بضع سنين[3].

هذا، والمراد أنّه لو سدّ عليه، وكان عمره باقياً يأتيه رزقه كأجله، وان لم يكن عمره باقياً يكون بالسد عليه موته كما اتفق لكثير.

وفي (معارف ابن قتيبة) في أعشى قيس: كان أبوه يُدعى قتيل الجوع، وذلك أنّه كان في جبل فدخل غاراً فوقعت صخرة من الجبل فسدّت

---

(١) تفسير القمي ١: ٨٨ و ٨٩، والنقل بتصرف يسير.

(٢) يوسف: ٤٢.

(٣) تفسير العياشي ٢: ١٧٧ ح٢٧.

فم الغار، فمات فيه جوعاً[١].

٤
الحكمة (٢٩٤)

وقَدْ سُئِلَ عليه السلام عَنْ مَسافَةِ ما بَيْنَ المَشْرِقِ والمغْرِبِ، فَقالَ عليه السلام: مَسِيرَةُ يَوْمٍ للشَّمْسِ.

أقول: هكذا في (المصرية) والصواب: «وقال عليه السلام وقد سئل عن مسافة ما بين المشرق والمغرب ـ مسيرة يوم للشمس» فهكذا في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)، لكن مع زيادة «فقال» قبل «مسيرة يوم للشمس» لكن بعد قوله أولا «وقال» هي تأكيدية أو زائدة[٢].

وكذا رواه قضايا القمي، ورواه بيان الجاحظ مع زيادة فقال: قيل لعلي عليه السلام كم بين السماء والأرض؟ فقال: دعوة مستجابة. فقالوا: كم بين المشرق والمغرب، قال: مسيرة يوم للشمس، ومن قال غير هذا فقد كذب[٣].

وفي خبر أن السائل له عمّا بين المشرق والمغرب ابن الكوّاء[٤]، وروى غارات الثقفي أنّه عليه السلام سئل عمّا بين السماء والأرض فقال: مدّ البصر ودعوة بذكر الله فيسمع[٥].

وروى أنّه قيل له عليه السلام: ما طعم الماء؟ فقال: طعم الحياة[٦].

---

(١) لم أجده في المعارف.

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٩: ١٩٩، لكن في شرح ابن ميثم ٥: ٣٩٤ مثل المصرية.

(٣) رواه القمي في عجائب أحكام أمير المؤمنين عليه السلام: ١٢٦، والجاحظ في البيان والتبيين ٣: ٢٥٣.

(٤) كما في الغارات ١: ١٧٨، ومناقب السروي ٢: ٣٨٣.

(٥) الغارات ١: ١٨٠.

(٦) رواه السروي في مناقبه ٢: ٣٨٣.

وفي (الأغاني): أنشد البحتري من شعر أبي سهل بن نوبخت، فجعل يحرّك رأسه فقيل له: ما تقول فيه؟ فقال: هو يشبه مضغ الماء ليس له طعم ولا معنى[١].

٥
الحكمة (٤٣٧)

وسُئِل عليه السلام : أيُّهما أَفْضَلُ العَدْلُ أَوِ الجُودُ ؟ فَقَالَ عليه السلام :

الْعَدْلُ يَضَعُ الأمُورَ مَواضِعَها ، والْجُودُ يُخْرِجُها مِنْ جِهَتِهَا ، والْعَدْلُ سائِسٌ عامٌّ ، والْجُودُ عارِضٌ خاصٌّ ، فالعَدْلُ أَفْضَلُهُما وأَشْرَفُهُما .

قول المصنف: «وسئل عليه السلام» زاد (المصرية) «منه» وهو غلط فليس في (ابن ميثم وابن أبي الحديد)[٢] «ايّما» هكذا في النسخ[٣] ويحتمل كون الأصل فيه «أيّهما» «أفضل» مع كون كلّ منهما ذا فضيلة «العدل أو» بمعنى الواو «الجود»؟ فقال عليه السلام **العدل يضع الأمور مواضعها**» كما أن العدلين يجب أن يكونا في موضعهما «**والجود يخرجها**» أي: يخرج الأمور والمراد بها الأموال «**من جهتها**» هكذا في (المصرية) والصواب: «عن جهتها» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٤].

«**والعدل سائس**» أي: مصلح «عامّ» للأموال والأعمال وفي جميع الأحوال «**والجود عارض خاصّ**» يختص ببذل المال «**فالعدل أفضلهما وأشرفهما**» وان كان الجود من الصفات الفاضلة والشيم الشريفة، حتى ورد أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم اتي بأسارى فقدم رجل منهم ليضرب عنقه فقال له جبرئيل: إن

---

(١) الأغاني ٢١: ٤٢.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ٨٥، وشرح ابن ميثم ٥: ٤٥٣.

(٣) نهج البلاغة ٤: ١٠٢، وشرح ابن أبي الحديد ٢٠: ٨٥، وشرح ابن ميثم ٥: ٤٥٣.

(٤) لفظ شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ٨٥، وشرح ابن ميثم ٥: ٤٥٣، أيضاً نحو المصرية.

ربّك يقول إنّ أسيرك هذا يطعم الطعام، ويقري الضيف، ويصبر على النائبة، ويحمل الحمالات. فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله: ان جبرئيل أخبرني فيك عن الله تعالى بكذا وكذا وقد اعتقتك، فقال: وان ربّك ليحبّ هذا؟ فقال: نعم؛ فقال: أشهد ألّا إله إلّا الله وأنّك رسول الله، والذي بعثك لا رددت عن مالي أحداً أبداً[1]، الا اين هو من العدل الذي به قامت السماوات والأرضون، وهو أرفع من السماء وأوسع من الأرض.

وعن الصادق عليه السلام: العدل أحلى من الشهد، وألين من الزبد، وأطيب ريحاً من المسك.

وعنه عليه السلام: العدل أحلى من الماء يصيبه الظمآن، ما أوسع العدل إذا عدل فيه[2].

هذا وروى الشيخ الطوسي في (أماليه)، عن زيد بن علي عن أبيه قال: سُئل أمير المؤمنين عليه السلام: مَنْ أفصح الناس؟ قال: المجيب المسكت عند بديهة السؤال[3].

٦
الحكمة (٣٢٠)

وقال عليه السلام لسائلٍ سَأَلَهُ عن مُعْضِلَةٍ:

سَلْ تَفَقُّهاً وَلَا تَسْأَلْ تَعَنُّتاً، فَإِنَّ الجَاهِلَ الْمُتَعَلِّمَ شَبِيهٌ بِالْعَالِمِ، وَإِنَّ العَالِمَ الْمُتَعَسِّفَ شَبِيهٌ بِالْجاهِلِ الْمُتَعَنِّتِ.

قول المصنف: «وقال عليه السلام لسائل سأله عن معضلة» أي: مسألة شديدة

---

(١) أخرجه البرقي في المحاسن: ٣٨٨ ح ١٤.

(٢) أخرجهما الكليني في الكافي ٢: ١٤٢ و ١٤٧ ح ١١ و ١٥.

(٣) أمالي أبي جعفر الطوسي ٢: ٣١٤ المجلس ٢٢.

مشكلة، والسائل كان ابن الكواء الخارجي. روى المصنف في (خصائصه) عن الأصبغ ان ابن الكواء ـ وكان متعنّتاً في المسائل ـ قال له عليه السلام: خبّرني عن الله تعالى هل كلّم أحداً من ولد آدم قبل موسى؟ فقال عليه السلام: قد كلّم الله جميع خلقه برّهم وفاجرهم، وردوا عليه الجواب. فثقل ذلك على ابن الكواء ولم يعرفه فقال: وكيف كان ذلك؟ قال عليه السلام: أما تقرأ كتاب الله تعالى إذ يقول لنبيّنا: ﴿وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألستُ بربّكم قالوا بلى﴾[١] فقد أسمعهم كلامه وردّوا عليه الجواب، كما تسمع في قول الله يا ابن الكواء![٢].

وعن (صفوة الأخبار): قام ابن الكواء إليه عليه السلام فقال: اخبرني عن بصير بالليل بصير بالنهار، وعن بصير بالنهار أعمى بالليل، وعن بصير بالليل أعمى بالنّهار؟ فقال عليه السلام له: سلّ عمّا يعنيك ودع ما لا يعنيك! أما بصير بالليل بصير بالنهار فهذا رجل آمن بالرسل الذين مضوا، وأدرك النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فآمن به فأبصر في ليله ونهاره، وأما أعمى بالليل بصير بالنهار، فرجل جحد الأنبياء الذين مضوا والكتب وأدرك النبيّ فآمن به فعمى بالليل وأبصر بالنّهار، وأما أعمى بالنّهار بصير بالليل فرجل آمن بالأنبياء وجحد النبيّ فأبصر بالليل وعمى بالنّهار[٣].

قوله عليه السلام «سل تفقّهاً» أي: تفهماً «ولا تسأل تعنّتاً» أي: بإيقاع المسؤول في المشقّة والزلّة.

روى أنّ ابن الكواء سأله عن قوله تعالى: ﴿والذّاريات ذرواً﴾[٤]

---

(١) الاعراف: ١٧٢.

(٢) خصائص الرضي: ٦٣.

(٣) نقله عنه المجلسي في البحار ٤٠: ٢٣٨ ح ٤٥.

(٤) الذاريات: ١.

فقال عليه السلام له: إجلس فانّك متعنّت ولست بمتفقّه، ولكن سلّ عمّا بدا لك إن شئت تعنتاً وإن شئت تفقّهاً، ويلك هي الرياح ـ الخبر[١].

«فان الجاهل المتعلّم شبيه بالعالم» حيث أن قصده التفقّه فيتعلّم فيصير عالماً بما تعلّمه **«وان العالم المتعسّف»** أي: الآخذ على غير الطريق **«شبيه بالجاهل»** حيث أن عمله نوع جهالة.

وزادت (المصرية) «المتعنّت» وهو غلط فليس في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٢] ولا معنى له، فإن المراد تشبيه العالم المتعسف بالجاهل كتشبيه الجاهل المتعلم بالعالم.

في (العقد الفريد): كان ابن سيرين إذا سُئِل عن مسألة فيها أغلوطة، قال للسائل: أمسكها حتى تسأل عنها أخاك إبليس!

وفيه: سأل عمرو بن قيس، مالك بن أنس عن محرم نزع نابي ثعلب، فلم يرد عليه شيئاً[٣].

٧
الحكمة (٨٥)

وقال عليه السلام:

مَنْ تَرَك قَوْلَ لَا أَدْرِي أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ.

أقول: نسبه الجاحظ في (بيانه) وابن قتيبة في (عيونه) إلى ابن عباس، إلّا أنّه نقل ذلك عنه عليه السلام قبل ذلك فلو ثبت أنّ ابن عباس قاله، فلابد انّه أخذه منه عليه السلام[٤].

---

(١) روى هذه المعنى القمي في تفسيره ٢: ٣٢٧، وابن كثير في تفسيره ٤: ٢٣١.

(٢) توجد الزيادة في شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٢٣٢، وشرح ابن ميثم ٥: ٤٠٢.

(٣) العقد الفريد ٢: ٧٨.

(٤) البيان والتبيين ١: ٤٠٩ و ٢: ٩٧، وعيون ابن قتيبة ٢: ١٢٥.

وكيف كان، فمقاتل الإنسان المواضع التي إذا أصيبت قتلته، فهو جمع المقتل لا المقتول، وفي الخبر مقتل الرجل بين فكيه[١].

وادّعى كثير أنّه يدري كلّ شيء فافتضح وأُصيبت مقاتله، ومنهم مقاتل، ففي (العقد الفريد) قال مقاتل وقد دخلته أبهة العلم: سلوني عمّا تحت العرش إلى أسفل من الثرى. فقام إليه رجل وقال: ما نسألك عمّا تحت العرش ولا أسفل من الثرى، ولكن نسألك عمّا كان في الأرض، وذكره الله في كتابه، أخبرني عن كلب أهل الكهف ما كان لونه؟ فأفحمه!

وقاله آخر: فسُئِل عن نملة سليمان، ذكراً كانت أم أُنثى؟ فلم يدر وأفحم!

وفيه أيضاً قال قتادة: ما سمعت شيئاً قط ولا حفظت شيئاً قط فنسيته، ثم قال: يا غلام هات نعلي، فقال هما في رجليك[٢].

وفي (عيون ابن قتيبة) قال الخليل: الرجال أربعة: رجل يدري، ويدري أنّه يدري فسلوه، ورجل يدري ولا يدري أنَّه يدري فذاك ناسٍ فذكّروه، ورجل لا يدري ويدري أنّه لا يدري فذاك مسترشد فعلّموه، ورجل لا يدري ولا يدري أنّه لا يدري فذاك جاهل فارفضوه[٣].

وقال ابن أبي الحديد: جاءت امرأة إلى بزرجمهر فسألته عن مسألة فقال: لا أدري! فقالت : أيعطيك الملك كلّ سنة كذا وكذا وتقول لا أدري، فقال إنّما يعطيني الملك على ما أدري، ولو أعطاني على ما لا أدري لما كفاني بيت ماله[٤].

---

(١) ليس هذا بحديث بل مثل أورده الميداني في مجمع الأمثال ٢: ٢٦٥، الزمخشري في المستقصي ٢: ٣٤٦.

(٢) العقد الفريد ٢: ٧٣ و ٧٤، وتاريخ بغداد ١٣: ٧٦.

(٣) عيون ابن قتيبة ٢: ١٢٦، والنقل بتصرف يسير.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٢٣٦.

٨
الحكمة (٣٦٤)

وقال عليه السلام: لَا تَسْأَلْ عَمَّا لا يَكُونْ، فَفِي ٱلَّذِي قَدْ كَانَ لَكَ شُغْلٌ.

أقول: هكذا في (المصرية) ونسخة (ابن ميثم) ولكن في (ابن أبي الحديد والخطية): «لا تسأل عمّا لم يكن»[١].

وكيف كان، ففي (بيان الجاحظ) قال ابن أبي الزناد: كنت كاتباً لعمر بن عبد العزيز، وكان يكتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب في المظالم، وكان عبد الحميد يراجعه ويسأله عمّا لا معنى له، فكتب إليه: إنّه يخيّل إلي أنـي لو كتبت إليك أن تعطي رجلاً شاة، لكتبت إلي أضأن أم ماعز، وإن كتبت إليك بأحدهما كتبت إلي أذكر أو أُنثى، فإن كتبت إليك بأحدهما كتبت إلي صغير أم كبير، فإذا أتاك كتابي في مظلمة فلا تراجعني[٢]!

وفي (البيان) أيضاً: كتب المنصور إلى سلم، يأمره بهدم دور من خرج مع إبراهيم وعقر نخلهم، فكتب إليه سلم: بأي ذلك نبدأ بالدور أم بالنخل؟ فكتب المنصور إليه: إنّي لو كتبت إليك بإفساد ثمرهم لكتبت إلي تستأذنني بأية نبدأ بالبرني أم بالشهريز؟[٣]

ومن السؤال عمّا لم يكن؛ الاشتغال بتعلّم فنون لا حقيقة لها ولا معنوية، كأكثر مباحث المتأخّرين: نظير بحثهم عن أصالة الوجود أم الماهية، وهل الوضع والموضوع له في أسماء الأشارات خاصّ أم عامّ، وهل الوضع

---

(١) كذا في شرح ابن ميثم ٥: ٤١٩، وشرح ابن أبي الحديد ١٩: ٢٨٢.

(٢) البيان والتبيين ٢: ٣١٤، والنقل بتصرف يسير.

(٣) البيان والتبيين ٢: ٣١٧.

للصحيح أو الأعم؟ وكذا كثير من مباحث الفن الذي سمّوه بأصول الفقه الذي أصله من أبي حنيفة، وقد قال شريك، أن أبا حنيفة أعلم الناس بما لا يكون وأجهلهم بما يكون[1].

هذا وقال ابن أبي الحديد بعد العنوان: من هذا الباب قول أبي الطيب في سيف الدولة:

ليس المدائح تستوفي مناقبه فمن كليب وأهل عصر الأول
خذ ما تراه ودع شيئاً سمعت به في طلعة البدر ما يغنيك عن زحل[2]

وقال ابن ميثم بعد العنوان: أمر عليه السلام بالسلو، عمّا لا يكون من زيادة رزق ونحوه من المطالب الدنيوية، بما قد كان ووقع من المطالب التي أعطيها الإنسان؛[3] وكلّ منهما كما ترى.

٩
الحكمة (٢٤٣)

وقال عليه السلام: إِذَا ٱزْدَحَمَ الْجَوَابُ خَفِيَ الصَّوَابُ.

أقول: وقالوا اللغط يوجب الغلط.

وفي (معجم الحموي) عن (أمالي جحظة)، قال العتابي: لو سكت من لا يعلم عمّا لا يعلم، سقط الاختلاف.

وفيه: قال المأمون لهاشمي رفع صوته على آخر: الصواب: في الأسدّ لا الأشد[4].

---

(١) رواه الجاحظ في البيان والتبيين ٢: ٢٨٢.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٢٨٢.

(٣) شرح ابن ميثم ٥: ٤١٨.

(٤) معجم الأدباء ١٧: ٢٨، ولم أجد الثاني فيه.

١٠
الحكمة (٢٦٦)

وسأله رجل أن يعرّفه الإيمان فقال عليه السلام:

إذَا كَانَ الغدُ فَأْتِنِي حَتَّى أُخْبِركَ عَلَى أسماعِ النَّاس، فإنْ نَسِيتَ مقَالِتي حَفِظها عَلَيْكَ غَيْرُك، فإنَّ الْكَلامَ كَالشَّارِدَةِ يَثْقَفُهَا هَذَا، ويُخْطِئُهَا هَذَا.

وقد ذكرنا ما أجابه به فيما تقدّم من هذا الباب، وهو قوله «الايمان على أربع شعب».

قول المصنف: «وسأله رجل» هكذا في (المصرية) وفي (ابن ميثم والخطية)، ولكن في نسخة (ابن أبي الحديد) «وقال عليه السلام حين سأله رجل»[1].

«أن يعرّفه الإيمان» هكذا في (المصرية) والصواب: «ما الايمان» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[2].

«فقال عليه السلام **إذا كان الغد**» هكذا في (المصرية) والصواب: «غد» بدون اللام كما في (ابن ميثم وابن أبي الحديد والخطية)، ولكن ابن أبي الحديد جوّز «غد» بالرفع، لكون «كان» تامّة و «غداً» بالنصب لكون «كان» ناقصة[3].

قلت: الصواب: كون «كان» تامّة، لعدم وجود اسم وخبر له، والمعنى إذا وجد غد، وكون «غد» بالضم بلا تنوين لأن المراد غد يوم السؤال، ولو نوّن يكون نكرة يشمل كلّ غد.

«**فأتني حتى أخبرك على أسماع**» بالفتح: جمع سمع «**النّاس**» حين يجتمعون عنده فيسمعون كلّ ما قاله عليه السلام «**فان نسيت مقالتي**» في حقيقة

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ١٥٤، وشرح ابن ميثم ٥: ٣٧٩.

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٩: ١٥٤، لكن في شرح ابن ميثم ٥ : ٣٧٩ مثل المصرية.

(٣) المصدر السابق.

الإيمان «حفظها عليك غيرك» حتى لا يذهب جوابه عليه السلام هدراً، ولذا قال الصادق عليه السلام - كما روى الكافي - لأبي بصير: اكتبوا فانكم لا تحفظون حتى تكتبوا[١].

«فان الكلام كالشاردة» أي: كالدابّة الشاردة، قال ابن دريد: شرد البعير إذا ذهب على وجهه نافراً، وقواف شوارد أي تشرد في البلاد كما يشرد البعير[٢].

«ينقفها» هكذا في (المصرية) والصواب: «يثقفها» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٣] بمعنى يجدها ويظفر بها، قال تعالى: ﴿فإما تثقفنَّهم في الحرب﴾[٤]، وأما النقف وهو كسر الهامة عن الدماغ فلا مناسبة له هنا.

«هذا ويخطئها» ولا يقف عليه «هذا» فلا قاعدة فيمن يجدها ومن لا يجدها.

«وقد ذكرنا ما أجابه» هكذا في (المصرية) وفيها سقط فزاد (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٥] بعده «عليه السلام» «به فيما تقدم من هذا الباب» أي: الباب الثالث «وهو قوله» هكذا في (المصرية)، وفيها ايضاً سقط فزاد (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٦] بعده «عليه السلام» «الإيمان على أربع شعب» - الخ - في العنوان الثلاثين لكن فيه «على أربع دعائم» لا شعب.

---

(١) الكافي ١: ٥٢ ح٩.

(٢) جمهرة اللغة ٢: ٢٤٦.

(٣) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٩: ١٥٤، لكن في شرح ابن ميثم ٥: ٣٧٩ مثل المصرية.

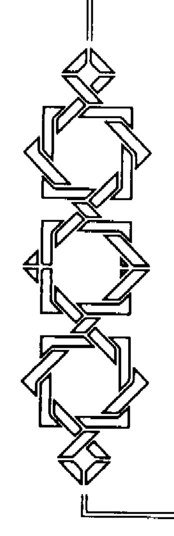
(٤) الانفال: ٥٧.

(٥) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٩: ١٥٤، لكن في شرح ابن ميثم ٥: ٣٧٩ مثل المصرية.

(٦) لم توجد الزيادة في شرح ابن أبي الحديد ١٩: ١٥٤ و شرح ابن ميثم ٥: ٣٧٩.

الفصل الرابع عشر

في زهده عليه السلام
وإعراضه عن الدّنيا
وعدله وتواضعه
وفيه ذكر الحقوق



١
الخطبة (٢٠٩)

ومن كلام له عليه السلام بالبصرة، وقد دخل على العلاء بن زياد الحارثي، وهو من أصحابه يعوده، فلما رأى سعة داره قال :

مَا كُنْتَ تَصْنَعُ بِسِعَةِ هَذِهِ الدَّارِ في الدُّنْيَا، أما أَنْتَ إِلَيْهَا في الآخِـرَةِ كُنْتَ أَحْوَجَ؟ وَبَلَى إنْ شِئْتَ بَلَغْتَ بِهَا الآخِرَةَ: تَقْرِي فِـيهَا الضَّـيْفَ، وَتَصِلُ فِيهَا الرَّحِمَ، وَتُطْلِعُ مِنْهَا ٱلْحُقُوقَ مَطَالِعَهَا، فَإِذا أَنْتَ قَدْ بَلَغْتَ بِهَا الآخِرَةَ. فَقَالَ لَهُ ٱلْعَلاَءُ : يَا أَمِـيرَ المُـؤمِنِينَ أَشْكُـو إِلَـيْكَ أَخِـي عاصمَ بنَ زِيَادٍ. قال : وماله؟ قال : لَبِسَ ٱلْعَبَاءَة وَتَخَلَّى عنَ الدنْيَا. قال : عَلَيَّ بِهِ. فلما جَاءَ قَـالَ : يَـا عُـدَيّ نَـفْسِهِ! لَـقَدِ آسْـتَهَامَ بِكَ ٱلْخَبِيثُ! أَمَا رَحِمْتَ أَهْلَكَ وَوَلَدَكَ؟ أَتَـرَى ٱللهَ أَحَـلَّ لَكَ الطَّـيِّبَاتِ، وَهُـوَ يَكْـرَهُ أَنْ تَأْخُـذَهَا؟ أَنْتَ أَهْـوَنُ عَـلَى ٱللهِ مِـنْ ذَلِكَ! قـال : يَا أمير المؤمنين، هَذَا أَنْتَ في خُشُونَةِ مَلْبَسِكَ، وَجُشُوبَةِ مـأكَـلِكَ! قَال : وَيْـحَكَ! إنِّـي لَسْتُ كأَنْتَ، إنَّ ٱللهَ فَـرَضَ عَـلَى أَئـمَّةِ ٱلْـعَدْلِ

أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعَفَةِ النَّاسِ، كَيْلَا يَتَبَيَّغَ بِالْفَقِيرِ فَقْرُهُ!

قال ابن أبي الحديد: الذي رويته عن الشيوخ ورأيته بخط ابن الخشاب أنّ الربيع بن زياد الحارثي أصابته نشابة في جبينه، فكانت تنتقض عليه في كلّ عام، فأتاه علي عليه السلام عائداً فقال له: كيف تجدك؟ قال: أجدني لو كان لا يذهب ما بي إلّا بذهاب بصري لتمنّيت ذهابه! قال: وما قيمة بصرك عندك؟ قال: لو كانت لي الدنيا لفديته بها! قال: لا جرم! ليعطينك الله على قدر ذلك، إن الله تعالى يعطي على قدر المصيبة وعنده تضعيف كثير.

قال الربيع: أشكو إليك عاصم بن زياد أخي. قال: ماله؟ قال: لبس العباء وترك الملاء وغم أهله وحزن ولده. فقال عليه السلام: ادعو لي عاصماً، فلما أتاه عبّس في وجهه، وقال: ويحك يا عاصم أترى الله أباح لك اللذّات وهو يكره ما أخذت منها؟ لأنت أهون على الله من ذلك، أو ما سمعته يقول ﴿مرج البحرين يلتقيان﴾ وقال: ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾[1] وقال: ﴿ومن كلّ تأكلون لحماً طرياً وتستخرجون حلية تلبسونها﴾[2]، اما والله ابتذال نعم الله بالفعال، أحبّ إليه من ابتذالها بالمقال، وقد سمعتم الله يقول: ﴿وأمّا بنعمة ربّك فحدّث﴾[3] ويقول: ﴿من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطّيبات من الرّزق﴾[4] إن الله تعالى خاطب المؤمنين بما خاطب به المرسلين فقال: ﴿يا أيّها الذين آمنوا كلوا من طيّبات ما رزقناكم﴾[5] وقال: ﴿يا أيّها الرّسل كلوا

---

(١) الرحمن: ١٩ و ٢٣.

(٢) فاطر: ١٢.

(٣) الضحى: ١١.

(٤) الاعراف: ٣٢.

(٥) البقرة: ١٧٢.

من الطيّبات واعملوا صالحاً﴾[١] وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لبعض نسائه: مالي أراك شعثاء مرهاء سلْتاء!

قال عاصم: فلِمَ اقتصرت يا أمير المؤمنين على لبس الخشن وأكل الجشِب؟ قال: إنَّ الله افترض على أئمة العدل أن يقدّروا لأنفسهم كيلا يتبيّغ بالفقير فقره! فما قام علي عليه السلام حتى نزع عاصم العباء ولبس مُلاءه..[٢].

قلت: لا ريب ان من دخل أمير المؤمنين عليه السلام عليه يعوده، الربيع ابن زياد الحارثي، لا العلاء بن زياد، كما قال المصنف، فقد اتّفقت الخاصّة والعامّة على جعل الربيع صاحبه عليه السلام في ذلك. رواه ابن عبد ربه في (عقده) وسبط ابن الجوزي في (تذكرته) والكليني في (كافيه).

رواه الأول مثل ابن أبي الحديد[٣]، وقال الثاني جاء الربيع بن زياد الحارثي إلى علي عليه السلام فقال: أعد لي على أخي عاصم! فقال عليه السلام: ما باله؟ فقال: لبس العباء وتنسك وهجر أهله! فقال: عليّ به، فجاء وقد ائتزر بعباءة وارتدى بأُخرى اشعث أغبر! فقال له: ويحك يا عاصم! أما استحييت من أهلك، أما رحمت ولدك، ألم تسمع إلى قوله تعالى: ﴿ويحلّ لهم الطيبات﴾[٤] أترى الله أباحها لك ولأمثالك، وهو يكره أن تنال منها، أما سمعت قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ان لنفسك عليك حقّاً! فقال عاصم: فما بالك في خشونة ملبسك وجشوبة مطعمك وإنّما تزييت بزيّك؟ فقال: ويحك! إنّ الله فرض على أئمة الحقّ أن يتّصفوا بأوصاف رعيتهم ـ أو بأفقر رعيتهم ـ لئلا يزدري

---

(١) المؤمنون: ٥١.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١١: ٣٥.

(٣) العقد الفريد ٢ : ١٨١.

(٤) الاعراف: ١٥٧.

الفقير بفقره وليحمد الله الغني على غناه[١].

وقال الثالث في كتاب (حجّة الكافي): روى علي بن محمد عن صالح بن أبي حماد وعدّة من أصحابنا عن أحمد بن محمد وغيرهما بأسانيد مختلفة في احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على عاصم بن زياد حين لبس العباء وترك الملاء وشكاه أخوه الربيع إليه عليه السلام، فلما رآه عبّس في وجهه فقال له: أما استحييت من أهلك، أما رحمت ولدك! أترى الله أحل لك الطيبات وهو يكره أخذك منها، أنت أهون على الله من ذلك! أوليس الله يقول: ﴿مرج البحرين -إلى- يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾[٢]، فبالله لابتذال نعم الله بالفعال أحب إليه من ابتذالها بالمقال، وقد قال تعالى: ﴿وأما بنعمة ربك فحدّث﴾[٣]. فقال عاصم: فعلى ما اقتصرت في مطعمك على الجشوبة؟ فقال: ويحك! إنّ الله تعالى فرض على أئمة العدل -الخ[٤]-.

هذا، وفي (فتوح البلاذري): لما توجّه عبدالله بن عامر في سنة (٣٠) إلى خراسان وجّه الربيع بن زياد الحارثي إلى سجستان، فسار الربيع حتى أتى رستاق زالق -حصن على خمسة فراسخ من سجستان- فأغار على أهله في يوم مهرجان، فأخذ دهقانه، فافتدى نفسه بأن ركز عنزته ثم غمرها ذهباً وفضة وصالح الدهقان على حقن دمه -إلى أن قال- ثم حاصر الربيع مدينة زرنج فبعث إليه مرزبانها يستأمنه ليصالحه، فأمر بجسد من أجساد القتلى فوضع له فجلس عليه واتكأ على آخر، وأجلس أصحابه على القتلى -وكان آدم أخوه طويلاً- فلما رآه المرزبان هاله فصالحه على ألف وصيف، مع كل

---

(١) تذكرة الخواص: ١١١.

(٢) الرحمن: ١٩ ـ ٢٢.

(٣) الضحى: ١١.

(٤) الكافي ١: ٤١٠ ح٣، والنقل بتلخيص.

وصيف جام من ذهب -إلى أن قال- وأتى القريتين -وهناك مربط فرس رستم- فقاتلوه فظفر بهم[١].

وفي (الأُسْد): قال عمر دلوني على رجل إذا كان في القوم أميراً فكأنّه ليس بأمير، وإذا كان في القوم وليس بأمير فكأنّه أمير بعينه. فقالوا: ما نعرف إلّا الربيع بن زياد، قال: صدقتم؛ واستعمله زياد لمّا كان على الكوفة والبصرة من قبل معاوية على خراسان، وكان لا يكتب إلى زياد إلّا في اختيار منفعة أو دفع مضرة، ولا كان في موكب قط فتقدّمت دابّته على دابّة من إلى جانبه ولا مسّ ركبته ركبته.

وقال ابن حبيب: كتب زياد الى الربيع أنّ معاوية يأمرك أن تحرز الصفراء والبيضاء وتقسّم ما سوى ذلك! فكتب اليه الربيع: إنّي وجدت كتاب الله قبل كتاب معاوية، ونادى في الناس: ان اغدوا على غنائمكم، فأخذ الخمس وقسّم الباقي على المسلمين ودعا الله أن يميته فما جمّع حتى مات، قال: ومر أن هذا القول قاله الحكم بن عمرو الغفاري، وأما الربيع فانّه لمّا أتاه مقتل حجر بن عَدِي قال: اللّهمّ إن كان للربيع عندك خير فاقبضه، فلم يبرح من مجلسه حتّى مات[٢].

قول المصنف: «وقد دخل على العلاء بن زياد الحارثي وهو من أصحابه» كما أن جعل المصنف دخوله عليه السلام على العلاء وهم، كما عرفت من الاتفاق على كون دخوله عليه السلام على الربيع -كذلك كون العلاء من أصحابه عليه السلام فكان من مبغضيه؛ ففي غارات الثقفي عن إسماعيل بن حكيم عن أبي مسعود الجريري قال: كان ثلاثة من أهل البصرة يتواصلون على بغض علي، وهم:

---

(١) فتوح البلدان: ٣٨٥ و ٣٨٦، والنقل بتصرف يسير.

(٢) أُسد الغابة ٢: ١٦٤ والنقل بتصرف يسير.

مطرف بن عبدالله بن الشخير، والعلاء بن زياد، وعبدالله بن شقيق[١].

ومن الغريب ان ابن أبي الحديد قال: وأما العلاء بن زياد الّذي ذكره الرضي فلا أعرفه، لعلّ غيري يعرفه، مع أنّه نقل الخبر في موضع آخر. كما أنّ من العجيب أن ابن ميثم مع أنّه رأي كلام ابن أبي الحديد لم يقل شيئاً في كلام المصنف بنفي ولا إثبات[٢].

«يعوده» العيادة إحدى حقوق المسلم على أخيه، وكان عليه السلام إذا مرض أحد أصحابه يعوده. روى الكشي أن صعصعة مرض فعاده عليه السلام وقال له: لا تتخذ عيادتي لك أبّهة على قومك! فقال صعصعة: بلى والله أعدّها منّة من الله عليّ وفضلا؛ فقال عليه السلام له: إن كنت ما علمتك لخفيف المؤنة حسن المعونة. فقال صعصعة له عليه السلام: وأنت والله ما علمتك إلّا بالله عليماً وبالمؤمنين رؤفاً رحيماً. وفي خبر: وكان الله في صدرك عظيماً[٣].

وفي (كامل المبرد): دخل عليّ عليه السلام على الحرب بن رويم يعود ابنه يزيد، فقال له: عندي جارية لطيفة الخدمة أبعث بها إليك فسماها يزيد لطيفة[٤].

«فلما رأى سعة داره» روى (الكافي): أنّ رجلاً من الأنصار شكا إلى النبيّ صلى الله عليه وآله ان الدور قد اكتنفته، فقال صلى الله عليه وآله: ارفع صوتك ما استطعت وسل الله أن يوسّع عليك.

وقال صلى الله عليه وآله: من سعادة المرء المسلم المسكن الواسع.

وعن أبي جعفر عليه السلام: من شقاء العيش ضيق المنزل.

وعن أبي الحسن عليه السلام: فضل العيش سعة المنزل، وكثرة المحبّين.

---

(١) الغارات ٢: ٥٥٧.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١١: ٣٧ و٤: ٩٤، وشرح ابن ميثم ٤: ١٧.

(٣) اختيار معرفة الرجال: ٦٧ ح ١٢١.

(٤) كامل المبرد ٨: ٤٤.

وعن أبي عبدالله عليه السلام: ثلاثة للمؤمن فيها راحة: دار واسعة تواري عورته وسوء حاله من الناس، وامرأة صالحة تعينه على أمر الدنيا والآخرة، وابنة أو أخت يخرجها من منزله إمّا بموت أو بتزويج.

وروى أنّ أبا الحسن عليه السلام قال لمولى له: منزلك ضيق، فاشترى له داراً وأمره بالتحوّل إليها فقال: إنّ هذه الدار قد أحدثها أبي، فقال عليه السلام: إن كان أبوك أحمق ينبغي أن تكون مثله[١].

«قال: ما كنت تصنع بسعة هذه الدار في الدنيا، اما أنت في الآخرة كنت أحوج» هكذا في (المصرية وابن أبي الحديد)، ولكن في (ابن ميثم) «ما أنت إليها في الآخرة أحوج» ونسب «اما أنت إليها في الآخرة أحوج» إلى رواية[٢]، والظاهر أنّه أشار إلى نقل ابن أبي الحديد مع أن الأصح نقله لكون نسخة الرضي عنده، وحينئذ فان «ما» في الكلام بمعنى مادام، قال تعالى: ﴿وإنّ الدار الآخرة لهي الحيوان﴾[٣].

«وبلى إن شئت بلغت بها الآخرة» الدنيا إذا كانت مقدّمة للآخرة ممدوحة، وإنّما كانت مذمومة إذا كانت منظورة من حيث هي.

«تقري فيها الضيف» عن (أخبار زمان المسعودي): إنّ الله تعالى أوحي إلى ابراهيم عليه السلام أنّك لمّا سلّمت مالك للضيفان، وولدك للقربان، ونفسك للنيران وقلبك للرحمن اتخذناك خليلاً[٤].

وفي (الكافي) عن عبدالله بن محمد الجعفري: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان في بعض مغازيه، فمرّ به ركب وهو يصلي، فوقفوا على أصحابه وسائلوهم عنه

---

(١) هذه الاحاديث أخرجها الكليني في الكافي ٦: ٥٢٥ و٥٢٦ ح ٢ ـ ٨.

(٢) كذا في شرح ابن ميثم ٤: ١٧، والفظ ابن أبي الحديد ١١: ٣٢، «وأنت إليها».

(٣) العنكبوت: ٦٤.

(٤) نقله عنه الحر العاملي في الجواهر السنية: ٢٣.

ودعوا وأثنوا وقالوا: لولا أنّا عجال لا نتظرناه، فاقرأوه منّا السلام ومضوا، فلما انصرف من صلاته قال لهم: يقف عليكم الركب ويسألونكم عني ويبلغوني السلام، ولا تعرضون عليهم الغداء ليعزّ عليّ قوم فيهم خليلي جعفر أن يجوزوه حتى يتغدّوا عنده.

وعن عبدالرحمن بن الحجاج: أكلنا مع أبي عبدالله عليه السلام فأوتينا بقصعة من ارزّ فجعلنا نعذر فقال: ما صنعتم شيئاً، إنّ أشدّكم حبّاً لنا أحسنكم أكلاً عندنا، فرفعت كسحة المائدة فأكلت، فقال: نعم، الآن، وأنشأ يحدّثنا أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أهدي إليه قصعة أرزّ من ناحية الأنصار فدعا سلمان وأبا ذر والمقداد، فجعلوا يعذرون في الأكل فقال ما صنعتم شيئاً! أشدّكم حبّاً لنا أحسنكم أكلاً عندنا، فجعلوا يأكلون اكلاً جيداً، ثمّ قال أبو عبدالله عليه السلام رحمهم الله، ورضي عنهم، وصلّى عليهم.

وعن الباقر عليه السلام: ممّا علّم النبيّ صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام -وعن الصادق عليه السلام ممّا علّم النبي فاطمة عليها السلام -من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فَلْيُكْرِمْ ضيفه.

وعن الصادق عليه السلام: إنّ يعقوب كان له منادٍ ينادي كلّ غداة من منزله على فرسخ: ألا من أراد الغداء فليأتِ إلى منزل يعقوب! وإذا أمسى ينادي: ألا من أراد العشاء فليأتِ إلى منزل يعقوب عليه السلام[1]!

«**وتصل فيها الرحم**» قال تعالى: ﴿واتقوا الله الّذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيباً﴾[2].

وفي (الكافي) عن النبيّ صلى الله عليه وآله: أوصي الشاهد من أمتي، والغائب منهم ومن في اصلاب الرجال وارحام النساء إلى يوم القيامة، أن يصل الرحم وان

---

(١) هذه الاحاديث أخرجها الكليني في الكافي ٦: ٢٧٥ ح ١ و٢٧٨ ح ٢ و٢٨٥ ح ١ و٢ و٢٨٧ ح ١.

(٢) النساء: ١.

كانت منه على مسيرة سنة، فإنّ ذلك من الدِّين[١].

وعن مولاة أبي عبدالله عليه السلام قالت: كنت عنده عليه السلام حين وفاته، فأغمي عليه فلما أفاق قال: أُعطوا الحسن بن عليّ بن الحسين ـ وهو الأفطس ـ سبعين ديناراً، فقلت: أتعطي رجلاً حمل عليك بالشفرة! قال: تريدين ألاّ أكون من الّذين قال تعالى: ﴿الذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب﴾[٢] إنَّ الله خلق الجنة وطيّب ريحها وأنّها لتوجد من مسيرة ألفي عام، ولا يجد ريحها عاقّ ولا قاطع رحم[٣]!

وعنه عليه السلام: إنّ القوم ليكونون فجرة فيصلون أرحامهم فتنمى أموالهم وتطول أعمارهم، فكيف إذا كانوا بررة[٤].

«**وتطلع منها الحقوق مطالعها**»، عن الصادق عليه السلام: من منع درهماً في حقّ أنفق درهمين في غير حقّه، ومن منع حقّاً في ماله طوّقه الله به حيّة من نار يوم القيامة!

وعنه عليه السلام يقول إبليس: ما أعياني في ابن آدم فلن يعيين منه واحدة من ثلاث: أخذ ماله من غير حلّه، أو منعه من حقّه، أو وضعه في غير وجهه.

وعن الباقر عليه السلام: يبعث يوم القيامة ناس مشدودة أيديهم إلى أعناقهم؛ معهم ملائكة يعيّرونهم يقولون: هؤلاء الذين منعوا خيراً قليلاً من خير كثير؛ هؤلاء الذين أعطاهم الله فمنعوا حقّ الله في أموالهم[٥].

---

(١) الكافي ٢: ١٥١ ح ٥.

(٢) الرعد: ٢١.

(٣) الكافي ٧: ٥٥ ح ١٠، والنقل بتلخيص.

(٤) الكافي ٢: ١٥٥ ح ٢١، والنقل بتلخيص.

(٥) أخرج الحديث الاول والاخير الكليني في الكافي ٣: ٥٠٤ و٥٠٦ ح ٧ و٢٢، وأخرج الثاني الصدوق في الخصال ١: ١٣٢ ح ١٤١.

«فاذا أنت قد بلغت بها» أي: بتلك الدار «الآخرة» لأنّه جعلها وسيلة تحصيلها.

«فقال له العلاء» قد عرفت أن الصواب «الربيع» «يا أمير المؤمنين أشكو إليك أخي عاصم بن زياد» وكان للربيع أخ آخر غير عاصم، مهاجر بن زياد قتل في كور الأهواز أيام عمر، استقتل صائماً، فشكاه الربيع أيضاً إلى أميرهم أبي موسى. ففي (فتوح البلاذري): سار أبو موسى إلى مناذر فحاصر أهلها فاشتدّ قتالهم، فكان المهاجر بن زياد الحارثي أخو الربيع في الجيش، فأراد أن يشري نفسه ـ وكان صائماً ـ فقال الربيع لأبي موسى: إنّ المهاجر عزم على ان يشري نفسه وهو صائم، فقال أبو موسى: عزمت على كل صائم أن يفطر أو لا يخرج إلى القتال، فشرب المهاجر شربة ماء وقال: قد أبررت عزمة أميري، والله ما شربتها من عطش، ثم راح في السلاح فقاتل حتى استشهد، وأخذ أهل مناذر رأسه ونصبوه على قصرهم بين شرفتين[1].

«قال: وماله؟ قال: لبس العباءة» هكذا في (المصرية) والصواب: «العباء» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[2] «وتخلّى عن الدنيا» هكذا في (المصرية) والصواب: «من الدنيا» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[3].

«قال عليّ به فلما جاء قال: يا عدّي» تصغير عدوّ «نفسه لقد استهام بك» أي: جعلك هائماً متحيراً «الخبيث» أي: الشيطان فأضلّك بهذا الطريق. فقالوا عليهم السلام: ليس منا من ترك دنياه لآخرته، كمن ترك آخرته لدنياه[4].

---

(١) فتوح البلدان: ٣٧٠.

(٢ و ٣) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١١: ٣٢، لكن في شرح ابن ميثم ٤: ١٦، نحو المصرية.

(٤) يبعد هذا ان يكون لفظ حديث، نعم، هذا المضمون جاء في أخبار كثيرة نقل بعضها المجلسي في البحار ٧٠: ١١٣، باب ٥١.

وسأل الصادق عليه السلام عن رجل، فقيل صالح، ولكنه ترك التجارة، فقال عليه السلام ـ ثلاثاً ـ عمل الشيطان، أما علم أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله اشترى عِيراً أتت من الشام فاستفضل فيها ما قضى دينه وقسّم في قرابته[١].

هذا، وفي (الأغاني) ـ بعد ذكر توبة أبي العتاهية ـ قال مخارق المغني: تشوقته فأتيته فاستأذنت عليه فأذن لي، فدخلت فاذا هو قد أخذ قوصرتين وثقب إحداهما وأدخل رأسه ويديه فيها وأقامها مقام القميص وثقب أخرى وأخرج رجليه منها وأقامها مقام السراويل، فلما رأيته نسيت كل ما كان عندي من الغمّ عليه، والوحشة لعشرته، وضحكت والله ضحكاً ما ضحكت مثله قط، فقال: من أي شيء تضحك؟ فقلت: أسخن الله عينك، هذا أي شيء هو، من بلّغك عنه أنّه فعل مثل هذا من الأنبياء والزهّاد والصحابة والمجانين، إنزع هذا عنك يا سخين العين ـ فكأنه استحى منّي[٢].

«أما رحمت أهلك وولدك»، روى الخطيب: أن زيد بن صوحان كان يقوم الليل ويصوم النّهار، وإذا كانت ليلة الجمعة أحياها، فان كان ليكرهها إذا جاءت مما كان يلقي فيها، فبلغ سلمان ما كان يصنع، فأتاه فقال: اين زيد؟ قالت أمرأته: ليس هاهنا. قال: فإنّي أقسم عليك لمّا صنعت طعاماً، ولبستِ محاسن ثيابكِ، ثمّ بعثت إلى زيد. فجاء زيد فقرب الطعام، فقال سلمان: كُلْ يا زيد. قال: إنّي صائم، قال: كُلْ يا زيد، لا ينقص دينك، إنّ شر السير الحقحقة، إنّ لعينك عليك حقاً، وإن لبدنك عليك حقّاً، وإنّ لزوجتك عليك حقّاً، كُلْ يا زيد! فأكل وترك ما كان يصنع[٣].

---

(١) أخرجه الكليني في الكافي ٥: ٧٥ ح ٨.

(٢) الأغاني ٤: ١٠٨.

(٣) تاريخ بغداد ٨: ٤٣٩.

وفي (الاستيعاب): روى أبو جحيفة أن سلمان جاء يزور أبا الدرداء، فرأى أُمّ الدرداء مبتذلة فقال: ما شأنك؟ قالت له: إنّ أخاك ليس له حاجة في شيء من الدنيا، فلما جاء أبو الدرداء رحّب بسلمان وقرب له طعاماً فقال سلمان: اطعم قال إنّي صائم، قال: أقسمت عليك أنّي لست بآكلٍ حتّى تطعم، وبات عند أبي الدرداء، فلما كان الليل قام أبو الدرداء، فحبسه سلمان وقال له: إنّ لربك عليك حقاً وإنّ لجسدك عليك حقاً فأعطِ لكلّ ذي حقّ حقّه؛ فلما كان وجه للصبح قال: قم الآن. فقاما فصلّيا ثم خرجا إلى الصلاة، فلمّا صلّى النبيّ صلى الله عليه وآله قام إليه أبو الدرداء وأخبره بما قال سلمان، فقال النبي: مثل ما قال سلمان[١].

«أترى الله أحلّ لك الطيبات» ﴿قل أحلّ لكم الطيبات﴾[٢] ﴿اليوم أحلّ لكم الطيبات﴾[٣] ﴿كُلوا ممّا في الأرض حلالاً طيباً﴾[٤].

«وهو يكره أن تأخذها» كيف وقد قال: ﴿لا تحرّموا طيبات ما أحلّ الله لكم ولا تعتدوا إنّ الله لا يحب المعتدين * وكلوا ممّا رزقكم الله حلالاً طيباً﴾[٥].

وروى الكافي: أنّه عليه السلام بعث ابن عباس إلى ابن الكواء وأصحابه وعليه قميص رقيق وحلّة، فلما نظروا إليه قالوا له: أنت خيرنا في أنفسنا، وأنت تلبس هذا اللباس؟ فقال: وهذا أول ما أخاصمكم فيه ﴿قل مَنْ حرم زينة الله الّتي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾[٦] وقال تعالى:

---

(١) الاستيعاب ٢: ٢٦٠، والنقل بتصرف يسير.

(٢) المائدة: ٤.

(٣) المائدة: ٥.

(٤) البقرة: ١٦٨.

(٥) المائدة: ٨٧ و٨٨.

(٦) الاعراف: ٣٢.

﴿خذوا زينتكم عند كلّ مسجد﴾[١].

وروى أنّ سفيان الثوري: مرّ على الصادق عليه السلام في المسجد الحرام وعليه ثياب كثيرة القيمة حِسَان، فقال: والله لآتينّه ولأوبّخنّه، فدنا منه فقال: ما لبس النبيّ عليه السلام مثل هذا اللباس ولا عليّ عليه السلام ولا أحد من آبائك، فقال عليه السلام له: كان النبيّ في زمان قتر مقتر، وكان يأخذ لقتره وإقتاره، وإنّ الدنيا بعد ذلك أرخت عزاليها، فأحقّ أهلها بها أبرارها، ثم تلا عليه السلام: ﴿قل من حرّم زينة الله الّتي أخرج لعباده والطيّبات من الرزق﴾[٢] ونحن أحق من أخذ منها ما أعطاه الله، غير أنّي يا ثوري ما ترى عليّ من ثوب إنّما ألبسه للناس ثمّ اجتذب يد سفيان فجرّها إليه ثمّ رفع الثوب الأعلى وأخرج ثوباً تحت ذلك على جلدة غليظا فقال: هذا ألبسه لنفسي وما رأيته للناس، ثم جذب ثوباً على سفيان اعلاه غليظ خشن وداخل ذلك ثوب لين، فقال: لبست هذا الأعلى للناس ولبست هذا لنفسك تسترها!

وروى أيضاً: أنّ الصادق عليه السلام بينا هو في الطواف إذا بعبّاد بن كثير البصري يجذب ثوبه، وقال: تلبس مثل هذه الثياب وأنت في هذا الموضع مع المكان الّذي أنت فيه من عليّ عليه السلام. فقال عليه السلام: ثوب فرقبي اشتريته بدينار، وكان عليّ عليه السلام في زمان يستقيم له ما لبس فيه، ولو لبست مثل ذلك اللباس في زماننا لقال الناس: هذا مراء مثل عباد[٣].

«**أنت اهون على الله من ذلك**» بأن يخصك كالأنبياء والأئمة عليهم السلام بترك لذائذ الدنيا مع حلّيتها لحكم كما يأتي في كلامه عليه السلام.

---

(١) الاعراف: ٣١.

(٢) الاعراف: ٣٢.

(٣) هذه الأحاديث أخرجها الكليني في الكافي ٤: ٤٤١ ـ ٤٤٣ ح ٦ و٨ و٩.

في (تاريخ الطبري): أنّ عبدالله بن أبي السمط قال: إنّ المأمون لا يبصر الشعر. فقال له عمارة بن عقيل: ومن ذا يكون أعلم به منه، ننشده أول البيت فيسبقنا إلى آخره! فقال: أنشدته بيتاً أجدت فيه فلم أرَهُ تحرّك له، فقال له: وما الّذي أنشدته؟ قال: أنشدته:

اضحى امام الهدى المأمون مشتغلا بالدين والناس بالدنيا مشاغيل

فقال له: إنّك والله ما صنعت شيئاً! وهل زدت على أن جعلته عجوزاً في محرابها في يدها سبحتها، فمن القائم بأمر الدنيا إذا تشاغل عنها، وهو المطوّق بها، هلاّ قلت فيه كما قال عمك جرير في عبدالعزيز بن الوليد:

فلا هو في الدنيا مضيع نصيبه ولا عرض الدنيا عن الدين شاغله

فقال الآن علمت أنّي أخطأت[١].

«قال: يا أمير المؤمنين هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك»

قال الجوهري: طعام جشب أي: غليظ، ويقال هو الّذي لا أدم معه[٢].

روى (المناقب) عن الأشعث العبدي قال: رأيت علياً عليه السلام اغتسل في الفرات يوم جمعة ثم ابتاع قميصاً كرابيس بثلاثة دراهم، فصلى بالناس الجمعة وما خيط جربانه بعد!

وروى عن جندب: أنّ علياً عليه السلام قدم إليه لحم غثّ، فقيل له نجعل لك فيه سمناً، فقال عليه السلام: إنّا لا نأكل أدامين جميعاً!

واجتمع عنده عليه السلام في يوم عيد أطعمة فقال: إجعلها بأجا وخلط بعضها ببعض فصارت كلمته عليه السلام مثلاً[٣].

---

(١) تاريخ الطبري ٧: ٢٢٠، سنة ٢١٨.

(٢) صحاح اللغة ١: ٩٩، مادة (جشب).

(٣) مناقب السروي ٢: ٩٦ و٩٩.

«قال عليه السلام: ويحك إنّي لست كأنت» فلكلّ وظيفة «إنّ الله فرض على أئمة العدل» هكذا في (المصرية)، والصواب: ما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم) «إنّ الله تعالى فرض على أئمة الحقّ»[1] «أن يقدّروا أنفسهم بضعفة الناس كيلا يتبيّغ» من تبيغ الدم به أي: هاج، قال الجوهري: وقيل أصل تبيّغ بغي فقلب مثل جبذ وجذب[2] «بالفقير فقره» فينكر على الله تعالى، ويهلك.

٢
الخطبة (١٦٠)

...وَٱللّٰهِ لَقَدْ رَقَّعْتُ مِدْرَعَتي هَذِهِ حَتَّى ٱسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِهَا، وَلَقَدْ قَالَ لِي قَائِلٌ: أَلَا تَنْبِذُهَا عنك! فَقُلْتُ: ٱعْزُبْ عَنِّي؛ «فَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ ٱلْقَوْمُ السُّرَى».

أقول: رواه (أمالي الصدوق) عن الدقاق عن محمد بن الحسن عن محمد بن الحسين عن محمد بن محسن عن المفضل عن الصادق عن آبائه عليهم السلام عنه عليه السلام مع زيادات هكذا: قال عليه السلام: والله ما دنياكم عندي إلّا كسفر على منهل حلو، إذ صاح بهم سائقهم فارتحلوا، ولا لذاذتها في عيني إلّا كحميم أشربه غساقاً وعلقم أتجرّعه زعاقاً وسم افعى أسقاه دهاقاً، وقلادة من نار أوهقها خناقاً، ولقد رقعت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها وقال لي: اقذف بها قذف الاتن لا يرتضيها ليرقعها، فقلت له: «أعزب عنّي فعند الصباح يحمد القوم السرى»، وتنجلي عنهم علالات الكرى، ولو شئت لتسربلت بالعبقري المنقوش من ديباجكم ولأكلت لباب هذا البرّ بصدور دجاجكم، ولشربت الماء الزلال برقيق زجاجكم، ولكنّي أصدّق الله جلّت عظمته حيث يقول: ﴿من كان

---

(١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١١: ٣٢، لكن في شرح ابن ميثم ٤: ١٦، مثل المصرية.

(٢) صحاح اللغة ٤: ١٣١٧، مادة (بوغ).

يريد الحياة الدنيا وزينتها نوفّ إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون * اولئك الّذين ليس لهم في الآخرة إلّا النّار﴾[1].

«**والله لقد رقعت مدرعتي هذه**» في (جمل المفيد): روى أبو مخنف أنّه عليه السلام لمّا أراد التوجه من البصرة قام فيهم فقال: ما تنقمون علّي يا أهل البصرة: والله إنّهما -واشار إلى قميصه وردائه- لمن غزل أهلي، ما تنقمون منّي يا أهل البصرة: والله ما هي -واشار إلى صرّة في يده- إلّا من غلتي بالمدينة، فان أنا خرجت من عندكم بأكثر مما ترون فأنا عندالله من الخائنين. ثم خرج وشيّعه الناس[2].

وقال ابن أبي الحديد: انه عليه السلام كان يطوف الأسواق مؤتزراً بأزار مرتدياً برداء ومعه الدِّرة كأنّه إعرابيٌّ بدوي، فطاف مرّة حتى بلغ سوق الكرابيس فقال لواحد: بعني قميصاً قيمته ثلاثة دراهم، فلما عرفه لم يشترِ منه شيئاً ثم أتى آخر، فلما عرفه لم يشترِ منه شيئاً، فأتى غلاماً حَدَثاً فاشترى منه قميصاً بثلاثة دراهم، فلما جاء أبوه، اخبروه فأخذ درهماً ثم جاء إليه عليه السلام وقال له: إنّ القميص الّذي باعك ابني كان يساوي درهمين، فلم يأخذ عليه السلام الدرهم وقال: باعني رضايَ وأخذ رضاه.

وقال: وعن أبي النوار بائع الخام بالكوفة، قال: جاءني عليّ عليه السلام إلى السوق ومعه غلام له وهو خليفة، فاشترى منِّي قميصين وقال لغلامه: اختر أيَّهما شئت، فأخذ أحدهما وأخذ عليٌّ عليه السلام الآخر، ثم لبسه ومدّ يده فوجد كُمّه فاضلة، قال: إقطع الفاضل، فقطعه ثم كفّه وذهب.

وعن الصمال بن عمير قال: رأيت قميص عليّ عليه السلام الّذي أصيب فيه

---

(١) أمالي الصدوق: ٤٩٥ ح ٧، المجلس ٩٠. والآيات ١٥ و ١٦ من سورة هود.

(٢) الجمل: ٢٢٤.

وهو كرابيس سبيلاني، ورأيت دمه سال عليه كالدردي.

وقال أحمد بن حنبل: لمّا أرسل عثمان إلى عليّ عليه السلام وجدوه مؤتزراً بعباءة محتجزاً بعقال وهو يَهْنَأ بعيراً له(١).

«**حتى استحييت من راقعها**» وللحمدوني في طيلسان مرقوع:

طيلسان رفوته ورفوت	الرفو منه حتى رفوت رقاعه
فاطاع البلى وصار حليقا	ليس يعطى الرفا على الرفو طاعه

«**ولقد قال لي قائل ألا تنبذها**» أي: تطرحها «**فقلت: اُعزب**» أي: أبعد ـ بضم الهمزة وكسرها «**عنّي فعند الصباح يحمد القوم السرى**» أي: السير بالليل. وقد عرفت من مستنده أن بعده «وتنجلي عنهم علالات الكرى» وكلاهما شعر جاء مثلا لتعب آخره راحة طويلة، ولا يعلم الأصل في المثل، وربع في الشعر فقيل:

يا نفس قومي بي فقد نام الورى	إن تفعلي خيراً فذو العرش يرى
وأنت يا عين دعي عنك الكرى	عند الصباح يحمد القوم السرى

ولكن قال العسكري: هو في شعر للخيم يقول فيه:

تسألني عن بعلها أي فتى	خب جبان وإذا جاع بكى
لا خطب القوم ولا القوم سقى	ولا ركاب القوم إذا ضاعت بغا
كأنه غرارة ملأ خشى	لما رأى الرمل وفيران الغضى
بكا! وقال هل ترون ما أرى	أليس للسير الطويل منقضى
قلت اعرى صاحبى إلا بلا	عند الصباح يحمد القوم السرى

وتنقضي عنهم غيابات الكرى(٢)

وقال في (أمثال الكرماني): قال المفضل: بعث أبوبكر إلى خالد بن

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٣٥ و٢٣٦، والنقل بتصرف يسير.

(٢) جمهرة الامثال للعسكري: ١٤٠.

الوليد وهو باليمامة أن سر إلى العراق، فأراد سلوك المفازة فقال له رافع الطائي: قد سلكتها في الجاهلية هي خمس للابل الواردة ولا أظنّك تقدر عليها إلّا أن تحمل من الماء، فاشترى ماه شارف فعطشها ثمّ سقاها الماء حتى رويت، ثم كبتها وكعم أفواهها، ثم سلك المفازة حتى إذ مضي يومان وخاف العطش على الناس والخيل، وخشي أن يذهب ما في بطون الإبل، نحر الإبل فاستخرج ما في بطونها من الماء فسقى الناس والخيل ومضى، فلما كان في الليلة الرابعة قال رافع: أنظروا هل ترون سدراً عظاماً؟ فان رأيتموها وإلّا فهو الهلاك! فنظروا فرأوا فأخبروه، فكبّر وكبّر الناس ثم هجموا على الماء، فقال خالد:

لله درّ رافع أنّى اهتدى ... فوزّ من قراقر إلى سوى

خمساً إذا ساربه الجيش بكى ... ما سارها من قبله ليس يرى

عند الصباح يحمد القوم السرى ... وتنجلي عنهم غيابات الكرى[١]

وقريب من المثل قولهم «التمر في البئر»[٢] يعني: ما لم تستقِ من البئر للنخيل؛ لم تصر صاحب التمر.

ومن أمثالهم في السّرى والصباح قولهم: «إذا سمعت بسرى القين فاعلم أنّه مصبح». قال الكرماني، قال الأصمعي: أصله أن القين بالبادية ينتقل في مياههم، فيقيم بالموضع أياماً، فيكسد عليه عمله، ثم يقول لأهل الماء: إني راحل عنكم الليلة، وإن لم يرد ذلك، ولكنه يشيعه ليستعمله من يريد استعماله، فكثر ذلك من قوله حتى صار لا يصدق[٣].

(١) مجمع الامثال ٢: ٣.

(٢) أورده الميداني في مجمع الامثال ١: ١٣٧، والزمخشري في المستقصى ١: ٣٠٧.

(٣) مجمع الامثال ١: ٤١.

عن (تفسير الثعلبي): قال جعفر بن محمّد عليه السلام: رأى النبيّ صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام وعليها كساء من جلة الإبل وهي تطحن بيدها وترضع ولدها، فدمعت عينا النبيّ فقال: يا بنتاه تعجّلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة. فقالت: الحمد لله على نعمائه والشكر لله على آلائه، فأنزل تعالى: ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾[1].

هذا، وفي السير، أن المعتز ولّى يعقوب بن الليث، وعلي بن شبل، كرمان ليغلب أحدهما الآخر، فأقبل يعقوب وطوق بن المغلس من قبل ابن شبل إلى كرمان ولم يقاتلا، وارتحل يعقوب بعد شهرين وأظهر الارتحال إلى سجستان، فقعد طوق للأكل والشرب والملاهي، وإذا هو بيعقوب قد رفع طوى مرحلتين في يوم، ففر أصحاب طوق وأسر طوق، فنزع يعقوب خفّه؛ فتساقط منه كسر خبز يابسة، فقال لطوق: هذا خِفّي لم أنزعه منذ شهرين من رجلي، وخبزي فيه آكل منه، وأنت جالس في الشراب!

وقال أبو تمام:

رب خفض تحت السّرى وغناء	من عناءٍ ونضرةٍ من شحوب
إذا شام الفتى برق المعالي	فأهون فائت طيب الرقاد

أيضاً:

فليس بياض المجد إلّا لمكتسٍ	سواد الليالي ساهراً غير راقد
وكم ليلةٍ راعيت فيها فراقداً	لكسب على فوق السها والفراقد

وذكروا، أن بقابس مناراً كبيراً، يحدو به الحادي، إذا ورد من مصر يقول:

يا قوم لا نوم ولا قرارا	حتى نرى قابس والمنارا

---

(١) نقله عن تفسير ثعلبي، وتفسير القشيري السروي في مناقبه ٣: ٣٤٢. والآية ٥ من سورة الضحى.

وقال عمر بن أبي ربيعة:

ومن أجل ذات الخال أعملت ناقتي أكلفها سير الكلال مع الظلع

ومن أجل ذات الخال أحببت منزلاً تحلّ به لا ذا صديق ولا زرع

هذا، وفي دار السلام عن زين العابدين السلماسي: رأيت في الطيف بيتاً عالياً له باب كبير وعلى جدرانه مسامير من الذهب، فسألت عن صاحبه فقيل لي: إنّه للسيد محسن الكاظمي ـ وهو صاحب الوسائل والوافي ـ فتعجّبت وقلت: داره في الكاظمية صغيرة حقيرة ضيّقة الباب والفناء؛ فمن أين أُوتي هذا البناء؟ قالوا: لمّا دخل من ذاك الباب الحقير أعطاه الله تعالى هذا البيت العالي الكبير! قال: وكان بيته في غاية الحقارة، ولم يكن له ما يضع سراجه فيه، فكان يوقد الشمعة على الطابوق والمدر[1].

٣

الحكمة (١٠٣)

وَقَدْ رُؤِيَ عَلَيْهِ إِزارٌ خَلَقٌ مَرْقُوعٌ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: يَخْشَعُ لَهُ الْقَلْبُ، وَتَذِلُّ بِهِ النَّفْسُ، وَيَقْتَدِي بِهِ الْمُؤْمِنُونَ.

أقول: رواه أحمد بن حنبل في (فضائله) هكذا: قيل لعليّ عليه السلام: لم ترقّع قميصك؟ قال: ليخشع القلب، ويقتدي بي المؤمنون[2].

روى أبو نعيم في (حليته)، عن زيد بن وهب قال: قدم على عليّ عليه السلام وفد من أهل البصرة فيهم خارجي، فعاتب علياً عليه السلام في لبوسه فقال: مالك ولبوسي، ان لبوسي أبعد من الكبر[3].

---

(١) دار السلام ٢: ٢١٣، والنقل بتصرف يسير.

(٢) رواه عنه السبط في تذكرة الخواص: ١١٣، والنقل بتصرف يسير.

(٣) أخرجه أبونعيم في حلية الأولياء ١: ٨٢، والحاكم في المستدرك ٣: ١٤٣، وأحمد في الفضائل، عنه ينابيع المودة: ٢١٧.

٤
من الكتاب (٤٥)

ومن هذا الكتاب وهو آخره :

إِلَيْكِ عَنّي يا دُنْيا، فَحَبْلُكِ على غارِبِكِ، قد انْسَلَلْتُ مِنْ مَخالِبِك، وأفْلَتُّ مِنْ حَبائِلِكِ، وَاجْتَنَبْتُ الذَّهابَ في مَداحِضِكِ. أَيْنَ الْقومُ الَّذِينَ غَرَرْتِهِمْ بِمَدَاعِبِكِ؟ أَيْنَ الأُمَمُ الَّذِينَ فَتَنْتِهِمْ بِزَخَارِفِكِ؟ هَا هُمْ رَهَائِنُ الْقُبُورِ وَمَضَامِينُ اللُّحُودِ، وَاللّهِ لَوْ كُنْتِ شَخْصاً مَرْئِياً وَقَالَباً حِسِّيًّا، لأَقَمْتُ عَلَيْكِ حُدُودَ اللهِ فِي عِبَادٍ غَرَرْتِهِمْ بِالأَمَانِيِّ، وَأُمَمٍ ألقيتهم فِي الْمَهَاوِي، وَمُلُوكٍ أَسْلَمْتِهِمْ إِلَى التَّلَفِ، وَأَوْرَدْتِهِمْ مَوَارِدَ الْبَلَاءِ، إِذْ لَا وِرْدَ وَلَا صَدَرَ! هَيْهَاتَ! مَنْ وَطِئَ دَحْضَكِ زَلِقَ، وَمَنْ رَكِبَ لُجَجَكِ غَرِقَ، وَمَنِ ازْوَرَّ عَنْ حَبَائِلِكِ وُفِّقَ، والسَّالِمُ مِنْكِ لَا يُبَالِي إِنْ ضَاقَ بِهِ مُنَاخُهُ، وَالدُّنْيَا عِنْدَهُ كَيَوْمٍ حَانَ انْسِلَاخُهُ. اعْزُبِي عَنِّي، فَوَاللهِ لَا أَذِلُّ لك فَتَسْتَذِلِّينِي، وَلَا أَسْلَسُ لَكِ فَتَقُودِينِي، وَايْمُ اللهِ يَمِيناً أَسْتَثْنِي فِيهَا بِمَشِيئَةِ اللهِ لأَرُوضَنَّ نَفْسِي رِيَاضَةً تَهَشُّ مَعَهَا إِلَى الْقُرْصِ، إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهِ مَطْعُوماً، وَتَقْنَعُ بِالْمِلْحِ مَأْدُوماً، وَلأَدَعَنَّ مُقْلَتِي كَعَيْنِ مَاءٍ نَضَبَ مَعِينُهَا، مُسْتَفْرِغَةً دُمُوعَهَا. أَتَمْتَلِئُ السَّائِمَةُ مِنْ رِعْيِهَا فَتَبْرُكَ، وَتَشْبَعُ الرَّبِيضَةُ مِنْ عُشْبِهَا فَتَرْبِضَ، وَيَأْكُلُ عَلِيٌّ مِنْ زَادِهِ فَيَهْجَعُ! قَرَّتْ إذن عَيْنُهُ، إذا اقْتَدَى بَعْدَ السِّنِينَ الْمُتَطَاوِلَةِ بِالْبَهِيمَةِ الْهَامِلَةِ، وَالسَّائِمَةِ الْمَرْعِيّةِ! طُوبَى لِنَفْسٍ أَدَّتْ إِلَى رَبِّهَا فَرْضَهَا، وَعَرَكَتْ بِجَنْبِهَا بُؤْسَهَا، وَهَجَرَتْ فِي اللَّيْلِ غَمْضَهَا، حَتَّى إِذَا غَلَبَ الْكَرَى عَلَيْها افْتَرَشَتْ أَرْضَها، وتَوَسَّدَتْ كَفَّها. فِي مَعْشَرٍ أَسْهَرَ عُيُونَهُمْ خَوْفُ مَعَادِهِمْ، وَتَجَافَتْ عَنْ مَضَاجِعِهِمْ جُنُوبُهُمْ، وَهَمْهَمَتْ بِذِكْرِ رَبِّهِمْ شِفاهُهُمْ، وَتَقَشَّعَتْ بِطُولِ اسْتِغفارِهِمْ ذُنُوبُهُمْ،

﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ، أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ .

قول المصنف: «ومن هذا الكتاب وهو آخره» هكذا في (المصرية) أخذاً من (ابن أبي الحديد) لكنّه ليس في (ابن ميثم)[1] ونسخته بخط المصنف.

قوله عليه السلام «إليك» أي: أمسكي «عنّي يا دنيا فحبلك على غاربك» الغارب ما بين سنام الإبل وعنقها، شبّه عليه السلام في هذه الفقرة حاله مع الدنيا بامرأة غير موافقة، طلّقها زوجها وأجرى صيغة طلاقها، فالفقرة من كنايات الطلاق عند العرب، وأصله أنّ الناقة إذا رعت وعليها الخطام لم يهنها شيء.

«قد انسللت» أي: خرجت خفيفة «من مخالبك» والمخالب للسباع كالأظفار للانسان. شبّه عليه السلام في هذه الفقرة حاله مع الدنيا بسبع صاد صيداً وأخذه بمخالبه، فانسلّ الصيد منها وهرب.

«وأفلت» أي: خرجت دفعة «من حبائلك» الّتي تصيد بها. شبّه عليه السلام في هذه الفقرة حاله معها بصيد وقع في حبالة صياد، فأفلت منها، فلا يقربها بعد «واجتنبت الذهاب في مداحضك» والمدحض مكان زلق. شبّه عليه السلام حاله معها في هذه الفقرة بمن كان في طريقه مواضع دحض، فاجتنب المرور عليها لئلاّ يخرّ ويهوى.

«أين القوم» هكذا في (المصرية وابن ميثم) ولكن في (ابن أبي الحديد والخطية) «القرون»[2] «الذين غررتهم بمداعبك» أي: مزاحاتك.

«أين الأُمم الذين فتنتهم بزخارفك» أي: تزويراتك وتمويهاتك.

والأقوام الذين غرّتهم والأمم الذين فتنتهم بمداعبها وزخارفها كانوا في كلّ عصر كثيرين ولم يبقَ منهم أثر.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢٩٢، وشرح ابن ميثم ٥: ١٠١.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢٩٣، وشرح ابن ميثم ٥: ١٠١.

في (المروج): كتب ملك الصين إلى أنوشروان: من فغفور ملك الصين صاحب قصر الدر والجوهر، الّذي يجري في قصره نهران يسقيان العود والكافور الّذي توجد رائحته على فرسخين، والّذي تخدمه بنات ألف ملك، والّذي في مربطه ألف فيل أبيض، إلى أخيه كِسرى انوشروان، وأهدى إلى انوشروان فرساً من در منضّداً، عينا الفارس والفرس من ياقوت أحمر، وقائم سيفه من زمرّد منضّد بالجوهر، وثوب حرير صيني عسجدي فيه صورة الملك جالساً في أيوانه وعليه حليته وتاجه، وعلى رأسه الخدم وبأيديهم المذابّ، والصورة منسوجة بالذهب وأرض الثوب لازورد، في سفط من ذهب، تحمله جارية تغيب في شعرها، تتلألأ جمالاً. وهدايا أخر من عجائب الصين.

وكتب إليه ملك الهند: من ملك الهند، وعظيم أراكنة المشرق، وصاحب قصر الذهب وأبواب الياقوت والدّر، إلى أخيه ملك فارس صاحب التاج والراية كِسرى أنوشروان، وأهدى إليه ألفاً مَنّ من عود هندي يذوب في النار كالشمع، ويختم عليه كما يختم على الشمع فتبين فيه الكتابة، وجاماً من الياقوت الأحمر فتحه شبر مملوءاً درّاً، وعشرة أمنان كالفستق واكبر من ذلك، وجارية طولها سبعة أشبار تضرب أشفار عينها خدها، وكأن بين أجفانها لمعان البرق من بياض مقلتيها مع صفاء لونها ودقّة تخطيطها وإتقان تشكيلها، مقرونة الحاجبين لها ضفائر تجرّها، وفرشاً من جلود الحيّات ألين من الحرير واحسن من الوَشي، وكان كتابه في لحاء الشجر المعروف بالكاذي، مكتوب بالذهب الأحمر، وهذا الشجر يكون بأرض الهند والصين، وهو نوع من النبات عجيب ذو لون حسن وريح طيب، لحاؤهُ أرقّ من الورق الصيني، تتكاتب فيه ملوك الصين والهند.

وأهدى إليه خاقان ملك التبت أنواعاً من العجائب الّتي تحمل من أرض

تبّت، منها أربعة آلاف مَنٍّ من المسك في نوافج غزلانه -إلى أن قال- وقال عدي بن زيد العبادي:

اين كِسرى خير الملوك انو شر ... وان؟ ام ايـن قبله سابور؟
لم يـهبه ريب المنون، فولّ ... ـى الملك عنه فبابه مهجور
حـين ولّوا كأنّهم ورق جـ ... ـفّ فَألْوَت به الصبا والدبور[1]

وقال سلم الخاسر في المنصور وبنائه بغداد:

أيـن ربّ الزوراء إذ قلدته ... الملك عشرين حِجّة واثنتان

وفي (تاريخ بغداد): قال المنصور للربيع: هل تعلم في بنائي هذا موضعاً ان أخذني فيه الحصار خرجت خارجاً منه على فرسخين؟ قال: لا. قال: بلى فيه كذا موضعاً -الخ[2]-.

قلت: ولم يُنْجِه ذلك لمّا حاصره الموت.

«هاهم رهائن القبور ومضامين اللحود» في الخبر انطلق ذو القرنين يسير في البلاد حتى مر بشيخ يقلّب جماجم الموتى، فوقف عليه بجنوده فقال له: أخبرني أيها الشيخ: لأي شيء تقلّب هذه الجماجم؟ قال: لأعرف الشريف من الوضيع والغني من الفقير فما عرفت، وإنّي لأقلبها منذ عشرين سنة. فانطلق ذو القرنين وتركه وقال: ما عنيت بهذا أحداً غيري[3].

وفي (عيون ابن قتيبة): تذاكر حذيفة وسلمان أمر الدنيا، فقال سلمان: ومن أعجب ما تذاكرنا صعود غنيمات الغامدي سرير كسرى -وفي العرصة سرير رخام كان يجلس عليه كسرى فتصعد غنيمات

---

(١) مروج الذهب ١: ٢٩٣ و٢٩٥.

(٢) تاريخ بغداد ١: ٧٧، والنقل بتصرف يسير.

(٣) أخرجه في ضمن حديث طويل الصدوق في أماليه: ١٤٥، المجلس ٣٢.

الغامدي إلى ذلك السرير[1]ـ.

وقال أبو حامد الشهرزوري:

ومن عرف الدنيا ولؤم طباعها وأصبح مغروراً بها فهو ألأم
ترديك وشياً معلماً وهو صارم وتعطيك كفاً رخصة وهو لهذم
وتصفيك ودّاً ظاهراً وهي فارك وتسقيك شهداً رائقاً وهو علقم
فأين ملوك الأرض كسرى وقيصر واين مضى من قبل عادوجرهم
كأنهم لم يسكنوا الأرض مرّة ولم يأمروا فيها ولم يتحكّموا

«والله لو كنت شخصاً مرئياً وقالباً حسياً لأقمت عليك حدود الله في عباد غررتهم بالأماني» أي: التمنيّات **«وأمم ألقيتهم في المهاوي»** جمع المهواة ما بين الجبلين.

وللوحيد البغدادي:

لو تجلّى لي الزمان للاقى مسمعيه منّي عتاب طويل
إنّما نكثر الملامة للدهر لانّ الكرام فيه قليل

«وملوك أسلمتهم إلى التلف وأوردتهم موارد» أي: مشارع **«البلاء إذ لا ورد»** في ماء رخاء **«ولا صدر»** عنه. قال:

حيران يعمه في ضلالته مستورد الشرائع الظلم

قال الفيروز آبادي في (قاموسه): المنصورة: بلدة بالسند إسلامية، وبلدة بنواحي واسط، واسم خوارزم القديمة الّتي كانت شرقي جيحون، وبلدة قرب القيروان، وبلدة ببلاد الديلم، وبلدة بين القاهرة والدمياط. ومن العجب ان كلّاً منها بناها ملك عظيم في جلال سلطانه وعلو شانه وسماها المنصورة تفاؤلاً بالنصر والدوام، فخربت

---

(١) عيون ابن قتيبة ٢: ٣٧١.

جميعها واندرست وتعفّت رسومها واندحضت[١].

«هيهات من وطئ» أي: وضع قدمه «دحضك» أي: مزلتك «زلق» وما قدر على الثبات. قال الشاعر:

إنّ هذي الديار قد نزلت قبل وحلّت فأين أهل الديار
أين أين الملوك في سالف الدهر وما أثروا من الآثار
كلّ ذي نخوة وأمر مطاع وامتناع وعسكر جرّار
ملكوا برهة فسادوا وقادوا ثمّ صاروا أحدوثة السمار
لم تخلّدهم الكنوز الّتي قد كنزوها من فضّة ونضار
لم تغِثْهم يوم الحساب ولكن حملوا وزرها مع الأوزار

«ومن ركب لججك غرق» هذا تشبيه للدنيا بالبحر، مضافاً إلى التشبيهات الأربعة المتقدّمة بمرأة سليطة غادرة، وسبع ذي مخلب، وصياد ذي حبالة، ومكان زلق.

وعن الكاظم عليه السلام قال لقمان لابنه: يا بني؛ إنّ الدنيا بحر عميق قد غرق فيه عالم كثير، فلتكن سفينتك فيها تقوى الله وحشوها الإيمان وشراعها التوكّل وقيّمها العقل، ودليلها العلم وسكّانها الصبر[٢].

«ومن أزوّر» أي: عدل «عن حبالك» حتى لا يقع فيها «وُفّق» لأنّه أتى بما يقتضيه العقل.

جاء في (الكافي): أنّ الكاظم عليه السلام قال لهشام بن الحكم: يا هشام إنّ العاقل رضي بالدون من الدنيا مع الحكمة ولم يرضَ بالدون من الحكمة مع الدنيا؛ فلذلك ربحت تجارتهم. يا هشام: إنّ العقلاء تركوا فضول الدنيا فكيف

(١) القاموس المحيط ٢: ١٤٣، مادة (نصر).

(٢) رواه ابن شعبة في تحف العقول: ٣٨٦.

الذنوب! وترك الدنيا من الفضل وترك الذنوب من الفرض. يا هشام: إنّ العاقل نظر إلى الدنيا وإلى أهلها فعلم أنها لا تنال إلّا بالمشقّة، ونظر إلى الآخرة فعلم أنّها لا تنال إلّا بالمشقة، فطلب بالمشقة أبقاهما. يا هشام: ان العقلاء زهدوا في الدنيا ورغبوا في الآخرة لأنّهم علموا أنّ الدنيا طالبة مطلوبة وأنّ الآخرة طالبة مطلوبة، فمن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتّى يستوفي منها رزقه، ومن طلب الدنيا طلبته الآخرة فيأتيه الموت فيفسد عليه دنياه وآخرته[1].

«والسالم منك» يا دنيا **«لا يبالي»** لنجاته من هلكة شديدة **«إن ضاق به مُناخه»** بضم الميم، أي: مستقره والأصل فيه «انخت الجمل فاستناخ» أي: أبركته فبرك.

هذا و«تنوخ» ليس من هذا كما توهم الجوهري، فقال ابن دريد: تنخ بالمكان إذا اقام به، ومنه تنوخ[2]. وهذا من نوخ الإبل.

ووجه عدم مبالاته بضيق مناخه، لأن من سلم منها كمن سلم ممن يريد إهلاكه بالاختفاء في موضع ضيق، فهو لا يحسّ ضيق ذاك المكان مادام همه النجاة.

«والدنيا عنده كيوم حان انسلاخه» أي: صار وقت تقضيه.

قال الصادق عليه السلام: إصبروا على طاعة الله وتصبّروا عن معصية الله، فإنّما الدنيا ساعة فما مضى فلست تجد له سروراً ولا حزناً وما لم يأتِ فلست تعرفه، فاصبر على تلك الساعة الّتي أنت فيها فكأنّك قد اغتبطت[3].

«أعزبي» بالضم والكسر، أي: ابعدي يا دنيا **«عنّي فوالله لا أذل لك»** أي:

---

(١) الكافي ١: ١٧.

(٢) صحاح اللغة ١: ٤٣٤، مادة (نوخ)، وجمهرة اللغة ٢: ٨.

(٣) الكافي ٢: ٤٥٩ ح ٢١.

لا أكون لك ذلولا «فتستذليني» أي: تجعليني ذليلاً «ولا أسلس» أي: لا أنقاد «لك فتقوديني» حيث شئت.

عن الصادق عليه السلام فيما ناجى الله تعالى به موسى عليه السلام: يا موسى لا تركن إلى الدنيا ركون الظالمين، وركون من اتخذها أبّاً وأمّاً، يا موسى: لو وكّلتك إلى نفسك لتنظر لها إذن، لغلب عليك حبّ الدنيا وزهرتها[١].

«وايم الله» قال الجوهري: أيمُن الله بضم الميم، والنون اسم وضع للقسم -إلى أن قال- وربما حذفوا منه النون فقالوا أيم الله وايم الله بكسر الهمزة[٢].

«يميناً» قال الجوهري: اليمين: القسم، يقال سمّي بذلك لأنّهم كانوا إذا تحالفوا ضرب كلّ أمرئ منهم يمينه على يمين صاحبه -الخ[٣]-. ونصبه على المصدرية.

«استثنى فيها بمشية الله» إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ولا تقولنّ لشيءٍ إنّي فاعل ذلك غداً إلّا أن يشاء الله﴾[٤].

«لأروضنّ» والأصل فيه من «رضت المهر» داراه حتى يركبه.

«نفسي رياضة» والأصل روّاضة «تهشّ» أي: ترتاح النفس «معها» أي: مع تلك الرياضة «إلى القرص» من الخبز «إذا قدرت عليه مطعوماً».

في الكشّي عن أبي عبدالله عليه السلام: أرسل عثمان إلى أبي ذر موليين له ومعهما مائتا دينار فقال لهما: قولا له يقول لك عثمان استعن بهما على ما نابك. فقال لهما: هل أعطى أحداً مثل ما أعطاني؟ قال: لا، قال: فإنّما أنا رجل من المسلمين يسعني ما يسعهم، قالا له: يقول عثمان: إنّها من صلب مالي

---

(١) الكافي ٢: ١٣٥ ح ٢١.

(٢) صحاح اللغة ٦: ٢٢٢١ و٢٢٢٢، مادة (يمن).

(٣) صحاح اللغة ٦: ٢٢٢١، مادة (يمن).

(٤) الكهف: ٢٣.

وما خالطها حرام. قال: لا حاجة لي فيها، وأنا من أغنى الناس. فقالا له: ما نرى في بيتك قليلاً ولا كثيراً. فقال: بلى تحت هذا الاكاف الّذي ترون رغيفا شعير قد أتى عليهما أيام، فما أصنع بهذه الدنانير؟[١].

«وتقنع بالملح مأدوماً» أي: ما يؤكل الخبز معه.

في (المناقب): رآه عليه السلام عدي بن حاتم وبين يديه شنة فيها قراح ماء، وكسرات من خبز شعير وملح، فقال له عليه السلام: إني لأراك لتظلّ نهارك طاوياً مجاهداً، وبالليل ساهراً مكابداً، ثم يكون هذا فطورك! فقال عليه السلام:

علّل النّفس بالقنوع وإلّا طلبت منك فوق ما يكفيها

وفيه: ترصّد عمرو بن حريث غذاءه عليه السلام، فأتت فضّة بجراب مختوم فأخرج منه خبزاً متغيّراً خشناً، فقال عمرو: يا فضّة! لو نخلت هذا الدقيق وطيبته، قالت: كنت أفعل فنهاني وكنت أضع في جرابه طعاماً طيّبا فختم جرابه؛ ثم أنّه عليه السلام فتّه في قصعة وصبّ عليه الماء ثم ذرّ عليه الملح وحسر عن ذراعه، فلما فرغ قال: يا عمرو: لقد حانت هذه ـ وأشار إلى محاسنه ـ وحسرت هذا ـ وأشار إلى بطنه ـ أن أدخلها النّار من أجل الطعام، وهذا يجزيني[٢].

وفي (كامل المبرد): قال أبو نيزر: جاءني عليّ عليه السلام وأنا أقوم بالضيعتين ـ عين أبي نيزر والبغيبغة ـ فقال لي: هل عندك من طعام؟ فقلت: طعام لا أرضاه لك، قرع من قرع الضيعة صنعته باهالة سنخة. فقال: عليّ به ـ إلى أن قال ـ وقال من أدخله بطنه النار فأبعده الله[٣].

(١) اختيار معرفة الرجال: ٢٧ ح ٥٣، والنقل بتصرف يسير.

(٢) مناقب السروي ٢: ٩٨.

(٣) كامل المبرد ٧: ١٣٥.

هذا، وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام: أنّ يوسف عليه السلام لمّا كان في السجن شكا إلى ربه أكل الخبز وحده وسأل أداماً يأتدم به، وقد كان كثر عنده قطع الخبز اليابس، فأمره أن يأخذ الخبز ويجعله في إجّانة ويصبّ عليه الماء والملح فصار مرياً وجعل يأتدم به[1].

«ولأدعن» أي: أتركن «مقلتي» شحمة العين الّتي تجمع البياض والسواد «كعين ماء نضب» أي: غار وسفل «معينها» أي: جاريها. ومعين: فعيل، وقيل: هو مفعول من «عنت الماء» إذا استنبطته.

«مستفرغة» حال من «مقلتي» «دموعها» روى الكافي: أنّه عليه السلام أقبل ذات يوم على الناس بعد صلاة فجره وقال: لقد أدركت أقواماً يبيتون لربهم سجداً وقياماً، يخالفون بين جباههم وركبهم كأن زفير النار في آذانهم، إذا ذكر الله عندهم مادوا كما يميد الشجر، ثم قام عليه السلام فما رُئِيَ ضاحكاً حتى قبض[2].

«اتمتلي السائمة» أي: الماشية الراعية «من رعيها» بالكسر، أي: كلاءها، وأمّا بالفتح فمصدر، حملناه على الأول لقوله عليه السلام بعد «وتشبع الربيضة من عشبها».

«فتبرك» من برك البعير إذا استناخ.

وفي (الأساس): وصف أعرابي أرضاً خصبة فقال: تركت كلاءها كأنّه نعامة باركة. وابتركوا في الحرب جثوا على الركب[3].

«وتشبع الربيضة» قال الجوهري: ربوض البقر والغنم والفرس مثل بروك الإبل وجثوم الطير، والمرابض للغنم كالمعاطن للإبل، والربيض الغنم

---

(١) الكافي ٦: ٣٣٠ ح ١.

(٢) الكافي ٢: ٢٣٦ ح ٢٢.

(٣) أساس البلاغة: ٢١، مادة (برك).

برعاتها المجتمعة في مربضها[١].

«من عشبها» أي: علفها «فتربض» بكسر العين، أي: تنام على الركب.

«ويأكل عليّ من زاده فيهجع» أي: ينام ليلاً «قرت إذن عينه» كلام تهكّمي.

«اذن اقتدي بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة» أي: بلا راعٍ «والسائمة المرعية» الّتي لها راعٍ.

«طوبى لنفس» اتصفت بما قاله عليه السلام بعد، لأنها المخاطبة بقوله تعالى: ﴿يا أيّتها النفس المطمئنّة ارجعي إلى ربك راضية مرضيّة * فادخلي في عبادي وادخلي جنّتي﴾[٢].

«أدّت إلى ربها فرضها» فأعبد الناس من أقام الفرائض ولم يخل بشيء منها.

«وعركت» أي: دلكت «بجنبها بؤسها» أي: شدّتها، من قولهم «عرك البعير جنبه بمرفقه» والمراد احتملت الشدائد وتحمتلها بنفسها. قال الشاعر:

إذا أنت لم تعرك بجنبك بعض ما ... يسوء من الأدنى جفاك الأباعد[٣]

«وهجرت» أي: تركت «في الليل غمضها» بالضم، أي: نومها، قال تعالى: ﴿كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون﴾[٤] وفسرت بأنّهم كانوا أقل الليالي تفوتهم حتّى لا يقومون.

«حتى إذا غلب الكرى» أي: الميل إلى النوم «عليها» هكذا في (المصرية وابن ميثم) ولكن في (ابن أبي الحديد والخطية) بدل «حتى إذا غلب الكرى

---

(١) صحاح اللغة ٣: ١٠٧٦، مادة (ربض).

(٢) الفجر: ٢٨.

(٣) أورده أساس البلاغة: ٢٩٩، مادة (عرك)، ولسان العرب ١٠: ٤٦٤، مادة (عرك).

(٤) الذاريات: ١٧.

عليها». «حتى إذا الكرى غلبها»[١] وقلنا غير مرّة أن المقدّم نقل ابن ميثم لكون نسخته بخط مصنفه.

«**افترشت ارضها**» أي: جعل الأرض فراشها «**وتوسّدت كفها**» أي: جعل كفّها وسادها، والمراد أنه إذا غلب النوم عليها تركت القيام ونامت لقوله تعالى: ﴿ولا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾[٢] أي من النوم ـ كما فسر في خبر[٣] ـ ليفهم ما يقول، لكن ليس نومه نوم استراحة واطمئنان، بل هكذا ليقوم ثانياً بعد رفع غلبة النوم.

وفي (تذكرة السبط): وفي (الصحيحين) و(مسند أحمد بن حنبل)، عن أبي حازم قال: جاء رجل إلى سهل بن سعد فقال: هذا فلان يذكر عليّ بن أبي طالب عند المنبر. فقال: ما يقول؟ قال: يقول أبوتراب ويلعن! فغضب سهل وقال: والله ما كناه به إلّا النبيّ صلى الله عليه وآله، وما كان اسم أحبّ إليه منه، دخل على فاطمة عليها السلام فأغضبته في شيء فخرج إلى المسجد فاضطجع على التراب وخلص التراب على ظهره، فجاء النبيّ صلى الله عليه وآله فمسح التراب عن ظهره وقال: إجلس أبا تراب[٤].

وفي (تاريخ الطبري) مسنداً عن عمار قال: كنت أنا وعليّ عليه السلام رفيقين مع النبيّ صلى الله عليه وآله في غزوة العشيرة ـ وكانت في السنة الثانية من الهجرة، وكان النبيّ خرج فيها يعترض لِعيرات قريش ـ فنزلنا منزلاً فرأينا رجالاً من بني

---

(١) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٩٥، وشرح ابن ميثم ٥: ١٠٢، مثل المصرية الا ان ابن ميثم أورد... عليها «بعد... افترشت».

(٢) النساء: ٤٣.

(٣) جاء احاديث وهذا المضمون في البرهان ١: ٣٧٠.

(٤) كذا في تذكرة الخواص: ٥، والحديث في صحيح البخاري ١: ٨٨ و ٢: ٣٠٠ و ٤: ٨١ و٩٥، وصحيح مسلم ٤: ١٨٧٤ ح ٣٨، لكن أخرجه أحمد في مسنده ٤: ٢٦٣، عن عمار.

مدلج يعملون في نخل لهم، فقلت: لو انطلقنا فنظرنا إليهم كيف يعملون؛ فانطلقنا فنظرنا إليهم ساعة ثم غشينا النعاس، فعمدنا إلى صور من النخل فنمنا تحته في دقعاء من التراب، فما أيقظنا إلّا النّبيّ صلى الله عليه وآله أتانا وقد تتربنا في ذلك التراب، فحرّك عليّاً عليه السلام برجله فقال: قم يا أبا تراب: ألا أخبرك بأشقى الناس! أحمر ثمود عاقر الناقة والّذي يضربك على هذا ـ يعني قرنه ـ فيخضب هذه ـ وأخذ بلحيته ـ منها[١].

«في معشر أسهر» أي: منع من النوم «عيونهم خوف معادهم». جاء في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: صلى النبيّ صلى الله عليه وآله الصبح بالناس فنظر إلى شاب في المسجد، وهو يخفق ويهوى برأسه مصفراً لونه قد نحف جسمه وغارت عينه في رأسه، فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله: كيف أصبحت يا فلان؟ قال: موقناً! فعجب النبيّ من قوله وقال: إن لكلّ يقين حقيقة فما حقيقة يقينك؟ قال: إنّ يقيني هو الّذي أحزنني وأسهر ليلي وأظمأ هواجري فعزفت نفسي عن الدنيا وما فيها، كأنّي أنظر إلى عرش ربّي وقد نصب للحساب، وحشر الخلائق لذلك، وأنا فيهم، وكأنّي أنظر إلى أهل الجنّة يتنعّمون في الجنّة ويتعارفون على الأرائك متكئون، وكأني أنظر إلى أهل النّار وهم فيها معذّبون مصطرخون، وكأنّي الآن أسمع زفير النّار يدور في مسامعي. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله لأصحابه: هذا عبد نوّر الله قلبه بالإيمان. ثم قال له: إلزم ما أنت عليه، فقال الشاب له صلى الله عليه وآله: أدع لي أن أرزق الشهادة معك! فدعا له فلم يلبث أن خرج في بعض غزوات النبي فاستشهد بعد تسعة وكان هو العاشر[٢].

«وتجافت» أي: نبت «عن مضاجعهم» وفرشهم «جنوبهم» قال تعالى:

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ١٢٣، سنة ٢.

(٢) الكافي ٢: ٥٣ ح ٢، والنقل بتصرف يسير.

﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربّهم خوفاً وطمعاً وممّا رزقناهم ينفقون * فلا تعلم نفس ما أُخفي لهم من قرّة أعين جزاءً بما كانوا يعملون﴾[١].

«**وهمهمت**» أي: رددت الصوت، من همهم الأسد «**بذكر ربّهم شفاههم**» قال تعالى: ﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكّرون في خلق السماوات والارض ربّنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النّار ـإلى ـ فاستجاب لهم ربّهم أنّي لا أضيع عمل عاملٍ منكم من ذكرٍ أو أنثى﴾[٢].

«**وتقّشعت**» أي: تفرقت «**بطول استغفارهم ذنوبهم**» وفي الخبر: لكلّ داء دواء، ودواء الذنوب الاستغفار[٣].

وروي أنّ عبّاد البصري قال للصادق عليه السلام: بلغني أنّك قلت ما من عبد يذنب ذنباً الاّ أجلّه الله سبع ساعات من النهار. فقال: ليس هكذا قلت، ولكن قلت: ما من عبد مؤمن وكذلك كان قولي[٤].

«**أولئك حزب الله ألا إنّ حزب الله هم المفلحون**» هكذا في (المصرية والخطية)، وليس الكلام كلّه في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[٥]، وكيف فالمفلحون إنّما حزبه تعالى، والأحزاب الأخر هم الخاسرون.

---

(١) السجده: ١٦ و١٧.

(٢) آل عمران: ١٩١ ـ ١٩٥.

(٣) رواه الصدوق في ثواب الاعمال: ١٩٧ ح ١، وسيوطي في الجامع الصغير ٢: ١٢٥، والمناوي في كنوز الحقائق ٢: ٦٩.

(٤) أخرجه الاهوازي في كتابه، عنه البحار ٦: ٣٨ ح ٦٣ ،والحميري في قرب الاسناد: ٢، وفي رواية الحميري «الحسن البصري».

(٥) توجد الكلام في شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢٩٥، وشرح ابن ميثم ٥: ١٠٢.

٥
الخطبة (٣٣)

ومن خطبة له عليه السلام عند خروجه لقتال أهل البصرة. قال عبد الله بنُ العبّاس: دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام بذي قَار، وهو يخصِف نعله، فقال لي: ما قيمةُ هذه النعل؟ فقلت: لا قيمةَ لها. فقال عليه السلام: والله لَهِيَ أحبُّ إليَّ من إمْرَتكم، إلّا أن أُقيم حقّاً أو أدفعَ باطلاً، ثم خرج فخطب الناس فقال ـ الخ ـ.

ومرَّ في (٢٠) التوحيد في (الخطبة ١٨٠) عَنْ نَوْفٍ أنّه عليه السلام خطب قائِماً عَلَى حِجارَةٍ وعليه مِدْرَعَةٌ مِنْ صُوفٍ وَحمَائِلُ سَيْفِهِ لِيفٌ وَفي رِجْلَيْهِ نَعْلَانِ من لِيفٍ، وَكَأَنَّ جَبينَهُ ثَفِنَةُ بَعِيرٍ.

قول المصنف: «قال عبدالله بن العباس: دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام بذي قار» وفي رواية (إرشاد الشيخ المفيد) أنّ ذلك كان بالربذة، فقال: لما توجّه عليه السلام إلى البصرة، نزل الربذة فلقيه بها آخر الحاج، فاجتمعوا ليسمعوا من كلامه وهو في خبائه، قال ابن عباس: فأتيته فوجدته يخصف نعلاً، فقلت له: نحن إلى أنْ تصلح أمرنا أحوج منّا إلى ما تصنع؛ فلم يكلّمني حتى فرغ من فعله ثم ضمها إلى صاحبتها، وقال لي: قوّمهما، فقلت: ليس لهما قيمة، قال: على ذاك، قلت: كسر درهم. قال: والله لهما أحبّ إليّ من أمركم هذا إلّا أن أقيم حقّاً او أدفع باطلاً، قال: قلتُ إنّ الحاجّ اجتمعوا ليسمعوا من كلامك فتأذن لي أن أتكلّم، فان كان حسناً كان منك وان كان غير ذلك كان منّي. قال: لا؛ أنا أتكلّم، ثمّ وضع يده على صدري ـ وكان شثن الكفّين ـ فآلمني، ثم قام فأخذت بثوبه وقلت: نشدتك الله والرحم. فقال:

لا تنشدني، ثمّ خرج فاجتمعوا عليه ـ الخ[١] ـ.

«وهو يخصف نعله» قال الفيومي: خصف النعل كرقع الثوب[٢].

وكان عليه السلام يخصف نعله كالنبيّ صلى الله عليه وآله، يخصف عليه السلام نعله ونعل النبيّ، وحديث «خاصف النعل» فيه مشهور. روى الخطيب ـ مع نصبه ـ في ربعي بن حراش الّذي قال فيه: تابعي ثقة، ويقال أنّه لم يكذب كذبة قط ـ ونقل شاهداً في ذلك ـ مسنداً عنه قال: سمعت علياً عليه السلام وهو بالمدائن قال: جاء سهيل بن عمرو إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: إنّه قد خرج إليك ناس من أرقائنا ليس بهم الدين تعبّداً فارددهم علينا. فقال أبوبكر وعمر: صدق؛ فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: لن تنتهوا معشر قريش حتى يبعث الله عليكم رجلاً امتحن الله قلبه بالايمان، يضرب رقابكم وأنتم مجفلون عنه إجفال النعم، فقال أبوبكر: انا هو. قال: لا، قال عمر: أنا هو. قال: لا، ولكنّه خاصف النعل، وفي كفّ عليّ نعل يخصفها للنبيّ ـ ورواه الترمذي مثله[٣].

وروى أحمد بن حنبل في (فضائله) ـ كما في (تذكرة السبط) ـ مسنداً عن أنس قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: لينتهين بنو وليعة أو لأبعثَنَّ إليهم رجلا كنفسي، يُمضي فيهم إمري، يقتل المقاتلة ويسبي الذرية، قال أبوذر: فما راعني الاّ برد كفّ عمر من خلفي، فقال: من تراه يعني؟ فقلت: ما يعنيك وإنما يعني خاصف النعل عليّ بن أبي طالب[٤] [٥].

«فقال عليه السلام: والله لهي أحب إلي من أمرتكم إلّا أن أُقيم حقّاً أو أدفع باطلاً» ومرَّ

---

(١) الارشاد: ١٣٢.

(٢) المصباح المنير ١: ٢٠٨، مادة (خصف).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه ٥: ٦٣٤ ح ٣٧١٥، والخطيب في تاريخ بغداد ٨: ٤٣٣.

(٤) تذكرة الخواص: ٣٩.

(٥) السقط الشارح هنا شرح عبارة: «فقال لي: ما قيمة هذه النعل؟ فقلت: لا قيمة لها».

في الشقشقيّة قوله عليه السلام «أما والّذي فلق الحبّة وبرأ النَّسَمَة، لولا حضور الحاضر وقيام الحجّة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء أن لا يقارّ وا على كظّة ظالم ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أوّلها ولألفتيم دنيا كم هذه أزهد عندي من عفطة عنز»[1].

قول المصنف: في الثاني «وعليه مدرعة من صوف وحمائل سيفه ليف وفي رجليه نعلان من ليف»؛ في (المناقب): رآه عليه السلام عقيل الخولاني جالساً على برذعة حمار مبتلة، فقال لأهله في ذلك فقالت: لا تلوموني فوالله ما يرى شيئاً ينكره إلّا أخذه وطرحه في بيت المال[2].

وفي خبر: قال عليه السلام لأهل البصرة، إن قميصي لَمِنْ غزل أهلي[3].

«وكأنّ جبينه ثفنة بعير» من كثرة سجداته، وثفنات البعير ما يقع على الأرض من أعضائه إذا استناخ.

وفي (العدد) عن الباقر عليه السلام: ولقد كان أبي تسقط منه كلّ سنة سبع ثفنات من موضع سجوده لكثرة صلواته وكان يجمعها فلما مات دفنت معه.

وجاء في (أمالي الشيخ الطوسي): أنّ فاطمة بنت عليّ عليه السلام أتت جابر الأنصاري وقالت له: هذا علي بن الحسين بقية أبيه الحسين عليه السلام قد انخرم أنفه وثفنت جبهته وركبتاه وراحتاه ادأبا منه لنفسه في العبادة ـ الخبر[4].

وكان عليه السلام إذا أكثروا عليه في عبادته قال: أين تقع عبادتي من عبادة جدّي[5].

---

(١) نهج البلاغة ١: ٣٦.

(٢) مناقب السروي ٢: ٩٧.

(٣) رواه في ضمن خطبة المفيد في الجمل: ٢٢٤.

(٤) أمالي أبي جعفر الطوسي ٢: ٢٤٩، المجلس ١٣.

(٥) روى هذا المعنى ابن أبي‌الحديد في شرحه ١: ٢٧، والسروي في مناقبه ٢: ١٢٥.

٦
الحكمة (٢٣٦)

وَقَال عليه السلام:

وَاللّهِ لَدُنيَاكُمْ هَذِهِ أَهْوَنُ فِي عَيْنِي مِنْ عُراقِ خِنْزِيرٍ فِى يَدِ مَجْذُومٍ.

ومرّ في سابقة قوله «ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز».

وفي خطبة ٢٢٢: وإن دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها، ما لعليّ ولنعيم يفنى ولذة لا تبقى، نعوذ بالله من سبات العقل وقبح الزلل.

هذا، وفي (الصحاح): العرق بالفتح، العظم الّذي أخذ عنه اللحم، والجمع عراق بالضم[١]. وفي (الأساس) قيل لبنت الخس: ما أطيب العراق؟ قالت: عراق الغيث، وذلك ما خرج من النبات على أثر الغيث، لأنّ الماشية تحبّه فتسمن عليه، فيطيب عراقها[٢].

وفي (أنساب السمعاني) قال المدائني: خطب الديباج محمد بن عبدالله بن عمر بن عثمان، والديباج عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالله بن عمر بن الخطاب أمرأة، فجعلت تبحث عن أحسنهما، فخرجت في ليلة مقمرة، فرأتهما يتعاتبان في أمرها أو أمر آخر، وكان وجه عبدالعزيز إليها فرأت بياضه وطوله فقالت: حسبي به: فتزوجها هو، ودعا الآخر في وليمتها، فأكل ثم خرج وهو يقول:

بينا ارجى أن أكون وليّها   رضيت بعرق من وليمتها سخن[٣]

---

(١) صحاح اللغة ٤: ١٥٢٣، مادة (عرق).

(٢) أساس البلاغة: ٢٩٩، مادة (عرق).

(٣) لم يوجد في مظانه من انساب السمعاني.

٧
الخطبة (٧٧)

ومنْ خبر ضِرار بنِ ضمرة الضّـبابيّ عـندَ دخـولِه عـلى مـعاوِيةَ ومسألِته لهُ عنْ أَميرِ المؤْمنينَ عليه السلام، قالَ: فأشهد لقدْ رَأيتهُ في بعض موَاقفهِ، وقَدْ أرْخى الليلُ سُدوله، وهو قائم في محرَابهِ قابض على لحيتهِ يَتمَلْمَلُ تَمَلْمُلَ السليم، ويَبكي بُكاء الحزِينِ، ويقولُ:

يا دُنْيا يا دنيا إلَيْكِ عَنِّي، أَبِي تَعَرّضْتِ أمْ إلَيَّ تَشَوَّقْتِ، لا حانَ حَيْنُك. هَيْهاتَ غُرِّي غَيْرِي، لا حاجَةَ لِي فِيكِ، قَدْ طَلَّقْتُكِ ثلَاثاً لا رَجْعَةَ فيها، فَعَيْشُكِ قَصِيرٌ، وخَطَرُكِ يَسِيرٌ، وأَمَلُكِ حَقِيرٌ، آهِ مِنْ قِلَّةِ الزَّادِ، وطُولِ الطَّرِيقِ، وبُعْدِ السَّفَرِ، وعَظِيمِ الْمَوْرِدِ.

أقول: رواه (مروج المسعودي) هكذا قال: دخل ضرار بن ضمرة ـ وكان من خواص عليّ عليه السلام ـ على معاوية وافداً، فقال له صف لي علياً. قال: إعفني! قال: لابدّ من ذلك، فقال: أما إذا كان لابدّ من ذلك، فانه كان والله بـعيد المـدى شديد القوى يقول فصلاً ويحكم عدلاً، يتفجّر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه، يعجبه من الطعام ما خشن ومن اللـباس مـا قـصر، وكـان والله يجيبنا إذا دعوناه ويعطينا إذا سألناه، وكنّا والله على تقريبه لنا وقربه منّا لا نكلّمه هيبة له، ولا نبتدئه لعظمه في نفوسنا، يبسم عن ثغر كاللؤلؤ المنظوم، يعظّم أهل الدين، ويرحم المساكين ويطعم في المسـغبة يـتيماً ذا مـقربة أو مسكيناً ذا متربة، يكسو العـريان ويـنصر اللـهفان، يسـتوحش مـن الدنـيا وزهرتها ويأنس بالليل وظلمته، وكأنّي به وقد أرخى الليل سـدوله وغـارت نجومه وهو في محرابه قابض على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين ويقول: يا دنيا غرّي غـيري، ألي تـعرضت أم إلي تشـوّقت؟ هـيهات هيهات! لا حان حينك قد أبنتك ثلاثاً لارجعة لي فيك، عمرك قصير وعـيشك

حقير وخطرك يسير، آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق. فقال له معاوية: زدني شيئاً من كلامه.

إلى أن قال: قال كيف حزنك عليه؟ قال: حزن من ذبح ولدها على صدرها، فما ترقأ عبرتها ولا يسكن حزنها[١]!

ورواه المصنف في (خصائصه) -وفي روايته- فان تبسم فعن غير أشر ولا اختيال، وإن نطق فعن الحكمة وفصل الخطاب، يعظّم أهل الدين ويحبّ المساكين ولا يطمع الغني في باطله ولا يؤيس الضعيف من حقّه -إلى أن قال- فوكت دموع معاوية ما يملكها! ويقول: هكذا كان علي، فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال: حزني عليه والله حزن من ذبح واحدها في حجرها فلا ترقي دمعتها ولا تسكن حرارتها[٢].

ورواه ابن بابويه في (أماليه) مسنداً عن الأصبغ قال: دخل ضرار بن ضمرة النهشلي على معاوية فقال: صِف لي عليّاً! قال: أو تعفيني؟ قال: لا، بل صفه لي؛ فقال ضرار: كان والله فينا كأحدنا، يبدأ بنا إذا أتيناه ويجيبنا إذا سألناه ويقرّبنا إذا زرناه، لا يُغلق له دوننا باب ولا يحجبنا عنه حاجب، ونحن والله مع تقريبه لنا وقربه منّا لا نكلّمه لهيبته ولا نبتدؤه لعظمته، فاذا تبسّم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم.

فقال معاوية: زدني في صفته، فقال ضرار: كان والله طويل السهاد، قليل الرقاد، يتلو كتاب الله آناء الليل وأطراف النهار، يجود الله بمهجته ويبوء إليه بعبرته، لا تغلق له الستور ولا يدخر عنّا البدور، ولا يستلين الإتكاء ولا يستخشن الجفاء، ولو رأيته إذ مثل في محرابه، وقد أرخى الليل سدوله،

---

(١) مروج الذهب ٢: ٤٢١.

(٢) خصائص الائمة: ٤٠.

وغارت نجومه وهو قابض على لحيته يتململ تـململ السـليم ويـبكي بكـاء الحزين وهو يقول: يا دنيا أبي تعرضت أم إليَّ تشوّقت -إلى أن قال-: فبكى معاوية وقال: حسبك يا ضرار، كذلك والله كان علي، رحم الله أبا الحسن[1]!

وروى (الاستيعاب) عن حاله عليه السلام عن الحـرمازي قـال: قـال مـعاوية لضرار الصدائي: صف لي علياً. قال: اعفني، قال: لتصفنّه! قال: أما إذ لابدّ من وصفه فكان والله بعيد المدى شديد القوى، يقول فضـلاً ويحكم عدلاً، يتفجّر العلم من جوانبه وتنطق الحكمه من نواحيه، ويستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل ووحشته، وكان غزير العبرة طـويل الفكـرة، يـعجبه مـن اللباس ما قصر ومن الطعام ما خشن، كان فينا كأحـدنا يـجيبنا إذا سألنـاه وينبئنا إذا استنبأناه ونحن والله مع تقريبه إيّانا وقربه منّا لا نكاد نكلّمه هيبة له، يعظّم أهل الدّين ويقرّب المساكين، لا يطمع القوي فـي بـاطله ولا يـيأس الضعيف من عدله، وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدلته وغارت نجومه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين ويقول: يا دنيا غرّي غيري، ألي تعرضت أم أليّ تشوّقت، هيهات هيهات! قـد باينتك ثلاثاً لارجعة فيها، فعمرك قصير وخطرك حقير، آه، من قلّة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق؛ فبكي معاوية وقال: رحم الله أبا الحسـن، كـان والله كذلك فكيف حزنك عليه يا ضـرار؟ قـال: حـزن مـن ذبـح ولدهـا وهـو فـي حجرها[2]!

وقال ابن أبي الحـديد: رواه الريـاشي ونـقلته مـن كـتاب عـبدالله بـن إسماعيل الحلبي في التذييل على النهج، قال: دخل ضرار على معاوية -وكان

---

(١) أمالي الصدوق: ٤٩٩ ح ٢، المجلس ٩١.

(٢) الاستيعاب ٣: ٤٣.

من صحابة عليّ عليه السلام - فقال له معاوية: صف لي علياً! قال: أو تعفيني؟ قال: لا، قال: ما أصف به، كان والله شديد القوى بعيد المدى، يتفجّر العلم من أنحائه والحكمة من أرجائه، حسن المعاشرة سهل المباشرة، خشن المأكل قصير الملبس، غزير العبرة طويل الفكرة، يقلّب كفّه ويخاطب نفسه، وكان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سألنا ويبتدينا إذا سكتنا، ونحن مع تقريبه لنا أشدّ ما يكون صاحب لصاحب هيبة، لا نبتديه الكلام لعظمته - الخ -. ثمّ نقله عن (الاستيعاب)[١].

وأقول: في تلك الروايات «فوكت دموع معاوية ما يملكها، وقال هكذا والله كان أبو الحسن» أثّرت حقيقة أمير المؤمنين عليه السلام في معاوية، مع أنّه لعمري كان ممّن قال تعالى فيهم: ﴿ولو أنّنا نزّلنا إليهم الملائكة وكلّمهم الموتى وحشرنا عليهم كلّ شيء قُبُلاً مَا كَانوا لِيُؤْمِنُوا﴾[٢].

وأما قوله له «كيف حزنك عليه» - الخ - فمثله أبو الطفيل، ففي (المروج): قال له معاوية: كيف وجدك على خليلك أبي الحسن؟ قال: كوجد أم موسى على موسى وأشكو إلى الله التقصير[٣].

وقول المصنف: «ومن خبر ضرار بن حمزة» هكذا في (المصرية) والصواب: «بن ضمرة» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٤] «الضبائي» هكذا في (المصرية) والصواب: «الضبابي» كما في (ابن أبي الحديد) وغيره، ولكن (الاستيعاب) جعله «الصدائي» كما وجدت وإن نقل ابن أبي الحديد أيضاً عنه «الضبابي»، وقد عرفتَ أن (الأمالي) قال «النهشلي»

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٢٢٥.

(٢) الانعام: ١١١.

(٣) مروج الذهب ٣: ١٦.

(٤) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٢٢٤، لكن في شرح ابن ميثم ٥: ٢٧٦، مثل المصرية.

والحقيقه غير معلومة[١]، ونهشل من تميم وصداء من مذحج وضباب عدة قبائل بعضها بالفتح وبعضها بالكسر.

وأما قول ثم «الضباب بطن من فهر بن مالك بن النضر بن كنانه»[٢] الدال على أن هذا من ضباب قريش فبلا شاهد، مع أن قوله «بطن من فهر» كالتعريف بالجنس البعيد، وإنّما الصواب: أن يقال بطن من عامر بن لؤي لو قال دليل على كونه من قريش.

«عند دخوله على معاوية ومسألته له عن أمير المؤمنين عليه السلام» بوصفه له «وقال» هكذا في (المصرية) والصواب: (قال) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[٣].

«فأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى» أي: أرسل «الليل سدوله» أي: أستاره، وإرخاء الليل سدوله كناية عن شدّة ظلامه.

«وهو قائم في محرابه» عن إبانة العكبري قالت أُم سليمان بن المغيرة: سألت أم سعيد سرية عليّ عليه السلام عن صلاته في شهر رمضان فقالت: رمضان وشوال سواء، كان يحيي الليل كلّه[٤].

وفي (أمالي ابن بابويه) عن أنس سمعه رجل أنّه قال: نزل قوله تعالى: ﴿أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربّه﴾[٥] في عليّ عليه السلام. قال: فأتيته عليه السلام لأنظر إلى عبادته، فأشهد بالله لقد أتيته وقت

---

(١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٢٢٤، والاستيعاب ٣: ٤٤، والأمالي: ٤٩٩، ولفظ نهج البلاغة ٤: ١٦، أيضاً «الضبابي» ولفظ شرح ابن ميثم ٥: ٢٧٦، «الضبائي».

(٢) في شرح ابن ميثم ٥: ٢٧٦، «الضباء».

(٣) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٢٢٤، لكن توجد الواو في شرح ابن ميثم ٥: ٢٧٦.

(٤) مناقب السروي ٢: ١٢٣.

(٥) الزمر: ٩.

المغرب فوجدته يصلي بأصحابه المغرب، فلما فرغ جلس في التعقيب إلى أن قام إلى العشاء، فلما فرغ دخل منزله، فدخلت معه فوجدته طول الليل يصلي ويقرأ القرآن إلى أن طلع الفجر، ثم جدّد وضوءه وخرج إلى المسجد وصلّى بالناس صلاة الفجر، ثم جلس في التعقيب إلى أن طلعت الشمس، ثمّ قصده الناس فجعل يختصم إليه رجلان فاذا فرغا قاما واختصم آخران، إلى أن قام، فجدّد لصلاة الظهر وضوءه ثم صلّى بأصحابه الظهر، ثمّ قعد في التعقيب إلى أن صلّى بهم العصر، ثم أتاه النّاس فجعل يقوم رجلان ويقعد آخران يقضي بينهم ويفتيهم إلى أن غابت الشمس، فخرجت وأنا أقول: أشهد بالله لقد نزلت هذه الآية فيه[1].

«قابض على لحيته يتململ» أي: ما يستقر كأنه على ملة، أي: حفرة أوقدت فيها النار، «تململ السليم» أي: من لدغته حيّة، قالوا له السليم تفؤلاً له بالسلامة «ويبكي بكاء الحزين».

روى (أمالي ابن بابويه) مسنداً عن عروة بن الزبير قال: كنّا جلوساً في مسجد النبيّ صلى الله عليه وآله فتذاكرنا أعمال أهل بدر وبيعة الرضوان، فقال أبو الدرداء: ألا أخبركم بأقل القوم مالا واكثرهم ورعاً وأشدّهم اجتهاداً في العبادة فقالوا: قل، قال: عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فما كان في المجلس أحد إلّا أعرض عنه بوجهه، ثم انتدب له رجل من الأنصار فقال له: يا عويمر لقد تكلّمت بكلمة ما وافقك عليها أحد منذ أتيت بها! فقال: إنّي قائل ما رأيت وليقل كلّ قوم منكم ما رأوا، شهدت علياً عليه السلام بشويحاط بني النجار وقد اعتزل عن مواليه واختفى مما يليه واستتر بمغيلات النخل، فافتقدته فقلت: لحق بمنزله، فإذا أنا بصوت حزين ونغمة شجي وهو يقول: «إلهي كم من موبقة حلمت عنّي في مقابلتها

---

(١) رواه عن أمالي الصدوق المجلسي في البحار ٤١: ١٣ ح ٣.

بنعمتك؟ وكم من جريرة تكرّمت عن كشفها بكرمك؟ الهي؛ إن طال في عصيانك عمري وعظم في الصحف ذنبي فما أنا مؤمّل غير غفرانك ولا أنا براجٍ غير رضوانك».

ثم فزع إلى الدعاء والبّث والشكوى، فكان مما ناجى الله به أن قال «إلهي أفكّر في عفوك فتهون عليَّ خطيئتي، ثم أذكر العظيم من أخذك فتعظم عليّ بليّتي! آه ان قرأت في الصحف سيئة أنا ناسيها وأنت محصيها فتقول خذوه، فياله من مأخوذ لا تنجيه عشيرته ولا تنفعه قبيلته، يرحمه الملأ إذا أذن فيه بالنّداء، آه من نار تنضج الأكباد والكلى، آه من نار نزّاعة للشّوى، آه من غمرة من ملهبات لظى».

ثم أنعم في البكاء فلم أسمع له حسّاً، فقلت: غلبه النوم لطول السهر أُوقظه لصلاة الفجر، فأتيته فاذا هو كالخشبة الملقاة فحرّكته فلم يتحرك، فقلت: (إنا لله وإنّا إليه راجعون) مات والله عليّ! فأتيت منزله مبادراً أنعاه، فقالت فاطمة عليها السلام: ما كان من شأنه فأخبرتها فقالت: هي والله يا أبا الدرداء الغشية الّتي تأخذه من خشية الله ـ الخبر[1]. ولابن فارض فيه عليه السلام:

هو البّكاء في المحراب ليلاً ... هو الضحّاك إذا اشتدَّ الضّراب

«ويقول يا دنيا يا دنيا إليك» أي: أمسك «عنّي أبي تعرضت ام إلّي تشوّقت لا حان حينك» أي: لا صار ذاك الوقت. قالت بثينة:

وإن سلوي عن جميل لساعة ... من الدهر ما حانت ولا حان حينها

في (المناقب): يروي أنَّه عليه السلام كان في بعض حيطان فدك وفي يده مسحاة، فهجمت عليه أمرأة من أجمل النساء فقالت: يا ابن أبي طالب إن تزوّجتني أغنيك عن هذه المسحاة؛ وأدلّك على خزائن الأرض، ويكون لك

---

(١) أمالي الصدوق: ٧٢ ح ٩، المجلس ١٨، والنقل بتصرف يسير.

الملك ما بقيت، قال لها: فمن أنتِ؟ قالت: أنا الدّنيا! فقال عليه السلام: ارجعي فاطلبي زوجاً غيري فلستِ من شأني، وأقبل على مسحاته وأنشأ:

لقد خاب من غرّته دنياً دنيّة ... وما هي إن غرّت قُروناً بباطلِ
أتتنا على ذي العروس بثينة ... وزينتها في تلك الشمائلِ
فقلت لها: غرّي سواى فانّني ... عزوف عن الدنيا ولست بجاهلِ
وما أنا والدّنيا وأنّ محمداً ... رهين بقفرٍ بين تلك الجنادلِ
وهبنا أتتنا بالكنوز ودرّها ... وأموال قارون وملك القبائلِ
أليس جميعاً للفناء مصيرها ... ويطلب من خزّانها بالطوائلِ
فغرّي سواي إنّني غير راغب ... لما فيك من عزّ وملك ونائلِ
وقد قنعت نفسي بما قد رزقته ... فشأنكِ يا دنيا وأهل الغوائلِ
فإنّي أخاف الله يوم لقائه ... وأخشى عذاباً دائماً غير زائلِ[1]

«هيهات غرّي غيري» عن أبي الأسود الدؤلي ـ وقد نقله ابن أبي الحديد في موضع آخر ـ قال: لما ظهر عليّ عليه السلام يوم الجمل دخل بيت المال بالبصرة في ناس من المهاجرين والأنصار وأنا معهم، فلما رأى كثرة ما فيه قال «غرّي غيري» مراراً ـ ثم نظر إلى المال وصعّد فيه بصره وصوّب فقال: إقسموه بين أصحابي خمسمائة، فقسّم بينهم، فلا والّذي بعث محمداً صلى الله عليه وآله بالحقّ ما نقص درهماً ولا زاد درهماً، كأنه كان يعرف مبلغه، ومقداره كان ستة آلاف درهم والناس اثنا عشر ألفاً.

وعن حبة العرني: قسّم عليّ عليه السلام بيت مال البصرة على أصحابه خمسمائة خمسمائة واخذ خمسمائة درهم كواحد منهم، فجاءه إنسان لم يحضر الوقعة فقال له عليه السلام: كنت شاهداً معك بقلبي وان غاب عنك جسمي

(١) مناقب السروي ٢: ١٠٢.

فأعطني من الفيء شيئاً، فدفع إليه الّذي أخذه لنفسه وهو خمسمائة ولم يصب من الفيء شيئاً[١].

وفي (غارات الثقفي) وفي (المناقب): وأتي عليه السلام بمال فكوّم كومة من ذهب وكومة من فضة وقال: يا صفراء اصفري يا بيضاء ابيضّي وغرّي غيري!

هذا جناي وخياره فيه   إذ كلّ جانٍ يده إلى فِيه[٢]

هذا، وفي قصة يوذاسف وبلوهر الّتي رواها (الإكمال): أنّ رجلاً كان في قوم، فركبوا سفينة، فساروا في البحر ليالي وأياماً، ثم انكسرت سفينتهم بقرب جزيرة فيها الغيلان، فغرقوا سواه وألقاه البحر إلى الجزيرة، وكانت الغيلان يشرفن من الجزيرة إلى البحر، فأتى غولا فهواها ونكحها حتى إذا كان مع الصبح قتلته، وقسّمت أعضاءه بين صواحبها، واتّفق مثل ذلك لرجل آخر فأخذته ابنة ملك الغيلان فانطلقت به فبات معها ينكحها ـ وقد علم الرجل مالقي من كانه قبله ـ فلم ينام حذراً، حتى إذا كان مع الصبح نامت الغول فانسلّ الرجل حتى أتى الساحل، فاذا هو بسفينة فنادى أهلها واستغاث بهم فحملوه حتى أتوا به أهله، فأصبحت الغيلان فأتوا الغولة الّتي باتت معه فقالوا لها: أين الرجل الّذي بات معك؟ قالت: إنّه قد فرّ منّي فكذبوها وقالوا: أكلتيه واستأثرتِ به علينا فلنقتلنَّكِ إن لم تأتِنابه، فمرّت في الماء حتى أتته في منزله ورحله، فدخلت عليه وجلست عنده وقالت له: ما لقيت في سفرك هذا؟ قال: لقيت بلاء خلّصني الله منه ـ وقّص عليها ذلك ـ فقالت: وقد تخلّصت؟ قال: نعم! فقالت: أنا الغول وجئت لأخذك! فقال لها: أنشدك الله أن لا تهلكيني فانّي أدلّك

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٤٩ و٢٥٠.

(٢) الغارات ١: ٥٧، ومناقب السروي ٢: ٩٥ واللفظ للسروي.

على مكان رجل، قالت: فإنّي أرحمك، فانطلقا حتى إذا دخلا على الملك قالت: إسمع منّا أصلح الله الملك، إنّي تزوّجت بهذا الرجل وهو من أحبّ الناس إليّ، ثم إنّه كرهني وكره صحبتي، فانظر في أمرنا، فلمّا رآها الملك أعجبه جمالها فخلا بالرجل فسارّه وقال له: إنّي أحببت أن تتركها فأتزوّجها. قال: نعم؛ ما تصلح إلّا للملك. فتزوّج بها، وبات معها حتى إذا كانت مع السحر ذبحته وقطعت أعضاءه وحملته إلى صواحبها[١].

وفي (المناقب): وسأله عليه السلام أعرابي شيئاً فأمر له بألف، فقال الوكيل: من ذهب أو فضة؟ فقال عليه السلام كلاهما عندي حجران فأعط الأعرابي أنفعهما له[٢].

وفي (جمل المفيد): لما خرج عثمان بن حنيف من البصرة وعاد طلحة والزبير إلى بيت المال فتأمّلا إلى ما فيه من الذهب والفضة، قالوا: هذه الغنائم الّتي وعدنا الله بها وأخبرنا أنّه يعجّلها لنا. قال أبو الأسود: سمعت هذا منهما، ورأيت علياً عليه السلام بعد ذلك وقد دخله (أي: بيت المال) فلما رأى ما فيه قال: يا صفراء! يا بيضاء! غرّي غيري، المال يعسوب الظلمة، وأنا يعسوب المؤمنين؛ فلا والله ما التفت إلى ما فيه[٣].

«لا حاجة لي فيكِ قد طلّقتكِ ثلاثاً لا رجعة فيها» قال تعالى: ﴿الطلاق مرّتان﴾ إلى أن قال ﴿فان طلّقها فلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ﴾[٤] ـ الآية. ولقد أجاد العطار النيسابوري بالفارسية في وصفه عليه السلام:

---

(١) نقل القصة بطولها الصدوق في كمال الدين ٢: ٥٧٧، وهو من اساطير الهند وقد اشار إليها ابن النديم في الفهرست: ٣٦٤.

(٢) مناقب السروي ٢: ١١٨.

(٣) الجمل: ١٥٤.

(٤) البقرة: ٢٢٩ و٢٣٠.

چنان مطلق شد اندر فقر وفاقه　　كه زر ونقره بودش سه طلاقه
اگر علمش بدى بحر مصور　　دراويك قطره بودى بحر اخضر
چه در سر عطا اخلاص او را است　　سه نان هفده آيه خاص اوراست
گرفته اين جهان وصف سنانش　　گذشته زان جهان وصف سه نانش

وفي (العقد الفريد): كان عليّ عليه السلام يقسّم بيت المال في كلّ جمعة حتى لا يبقي منه شيئاً، ثم يرش له، ويقيل فيه، ويتمثل بهذا البيت:

هذا جناي وخياره فيه　　إذ كلّ جانٍ يده إلى فِيه[1]

هذا، وقال المعرّي مخاطباً الدنيا:

يا أُمّ دفر نحاك الله والدة　　فيك الخناء وفيك البؤس والسرف
لو أنّك العرس أوقعت الطلاق بها　　لكنّك الأم مالي عنكِ منصرف

وقال بعضهم:

طلق اللهو فؤادي ثلاثاً　　لا ارتجاع لي بعد الثلاث

وقالوا: كان المعدل وأويس يطلقان ثمّ يرجعان، فطلق رجل آخر امرأته ـ وكانت من بني غلاب ـ فقال:

لقد طلقت أُخت بني غلاب　　طلاقاً ما أظنّ له ارتدادا
ولم أكُ كالمعدل أو أويس　　إذا ما طلقّا نَدِما فَعَادا

وقال أحمد بن إسحاق بن بهلول في ابن الفرات، وقد كان صار وزيراً ثلاث مرات:

قُلْ لهذا الوزير قول محقّ　　بثّه النّصح أيّما إبثاث
قد تقلّدتها ثلاثاً ثلاثاً　　وطلاق البتات عند الثلاث

وكان الأمر كما قاله فقتل ابن الفرات في وزارته الثالثة في محبسه.

---

(١) العقد الفريد ٥: ٥٩، وفيه «يفرش له».

«فعيشك قصير» فقالوا: الدّنيا أشبه شيء بظلّ الغمام وحلم النّيام.

وفي السير: أنّ عبدالملك لمّا قتل مصعباً وملك العراق ودخل الكوفة، صنع عمرو بن حريث له طعاماً كثيراً وأمرَ به إلى الخورنق وأذن إذناً عامّاً، فدخل الناس وأخذوا مجالسهم، وأجلس عبدالملك، عمرو بن حريث معه على سريره، ثم جاءت الموائد فأكلوا، فقال عبدالملك: ما ألّذ عيشنا لو دام، ولكنّا كما قال الأول:

وكلّ جديد يا أميم إلى بِلى   وكلّ أمرئ يوماً يصير إلى كان

فلمّا فرغوا من الطعام طاف عبدالملك في القصر، وعمرو بن حريث معه، وهو يسأله لمن هذا البيت ومن بنى هذا البيت، وعمرو يخبره، فقال عبدالملك:

إعمل على مهل فانّك ميّت   واكدح لنفسك أيّها الإنسان
فكأنّ ما قد كان لم يك إذ مضى   وكأنّ ما هو كائن قد كان

«وخطرك» أي: قدرك ومنزلتك «يسير»؛ في الخبر لو كانت الدنيا تعدل عند الله تعالى جناح بعوضة ما سقي كافراً منها شربة ماء[1].

«وأملك حقير» قالوا: المرء في دنياه بين أماني ممدودة وعواري مردودة.

وقال تعالى: ﴿زُيّنَ للنّاسِ حبُّ الشهواتِ من النساءِ والبنينَ والقناطيرِ المقنطرةِ من الذّهبِ والفضةِ والخَيلِ المسوَّمة والأنعامِ والحرثِ ذَلكَ مَتاعُ الحياةِ الدنيا واللهُ عندَهُ حُسْنُ المآبِ * قل أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيرٍ من ذلِكُمْ لِلَّذين اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهم جنّات تَجْرِي من تحتها الأنهار خالِدين فيها وأزواج مطهّرة ورضوان من الله، والله بصير بالعباد * الذين يقولون ربنا إنّنا آمنّا فاغفر لنا

(١) أخرجه الترمذي في سننه ٤: ٥٦٠ ح ٢٣٢٠.

ذنوبنا وقنا عذاب النّار * الصّابرين والصّادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار﴾[١].

«آهِ» في (القاموس): بكسر الهاء بدون التنوين، ومعه تقال عند الشكاية أو التوجّع[٢] «من قلة الزاد» أي: زاد الآخرة وهي التقوى.

هذا، وفي (القاموس): ازواد الركب مسافر بن أبي عمرو وزمعة بن الأسود وأبو أُمية بن المغيرة، لأنه لم يكن يتزود معهم احد في سفر يطعمونه ويكفونه الزاد، وزاد الركب فرس أعطاه سليمان عليه السلام للأزد لمّا وفدوا عليه[٣].

«وطول الطريق» في البرزخ «وبعد السفر» في المحشر «وعظيم المورد» النّار. ﴿قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون﴾[٤]، ﴿يوماً يجعل الولدان شيباً﴾[٥]، ﴿وإن منكم إلّا واردها كان على ربّك حتماً مقضيّاً * ثم ننجّي الذين اتّقوا ونذر الظالمين فيها جِثيّاً﴾[٦].

٨
الحكمة (١٠٤)

وَعَنْ نَوْفٍ الْبَكّالِيّ قَالَ: رَأَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام ذَاتَ لَيْلَةٍ، وَقَدْ خَرَجَ مِنْ فِرَاشِهِ، فَنظَرَ في النُّجُومِ، فَقَالَ لي:

يَا نَوْفُ أَرَاقِدٌ أَنْتَ أَمْ رَامِقٌ؟ قُلْتُ: بَلْ رَامِقٌ. قَالَ: يَا نَوْفُ: طُوبَى لِلزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا الرَّاغِبِينَ فِي الآخِرَةِ. أولَئِكَ قَوْمٌ اتَّخَذُوا الْأَرْضَ

---

(١) آل عمران: ١٤ ـ ١٧.

(٢) القاموس المحيط ٤: ٢٨٠، مادة (اوه).

(٣) القاموس المحيط ١: ٢٩٨، مادة (زود).

(٤) يس: ٥٢.

(٥) المزمل: ١٧.

(٦) مريم: ٧١ و ٧٢.

بِسَاطاً، وَتُرَابَهَا فِرَاشاً، وَمَاءَهَا طِيباً، وَالْقُرْآنَ شِعَاراً، وَالدُّعَاءَ دِثَاراً، ثُمَّ قَرَضُوا الدُّنْيَا قَرْضاً عَلَى مِنْهَاجِ الْمَسِيحِ.

يَا نَوْفُ: إِنَّ دَاوُدَ عليه السلام قَامَ فِي مِثْلِ هَذِهِ السَّاعَةِ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ: إِنَّهَا سَاعَةٌ لَا يَدْعُو فِيهَا عَبْدٌ إِلَّا اُسْتُجِيبَ لَهُ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ عَشَّاراً أَوْ عَرِيفاً أَو شُرْطِياً أَوْ صَاحِبَ عَرْطَبَةٍ ـ وَهِيَ الطُّنْبُورِ ـ أَوْ صَاحِبَ كُوبَةٍ ـ وَهِيَ الطَّبْلُ ـ وَقَدْ قِيلَ أَيْضاً إِنَّ الْعَرْطَبَةَ الطَّبْلُ وَالْكُوبة الطُّنْبُورُ.

أقول: رواه المسعودي في (مروجه) والكراجكي في (كنزه) والصدوق في (خصاله) والمفيد في (أماليه).

أما الأول فقال: كان محمد بن علي الربعي ممّن يكثر ملازمة المهتدي، فقال محمد: قال لي المهتدي ذات ليلة أتعرف خبر نوف الّذي حكاه عن عليّ عليه السلام حين كان يبايته؟ قلت: نعم، ذكر نوف قال: رأيت علياً عليه السلام ليلة قد اكثر الخروج والدخول والنظر إلى السماء ثمّ قال لي: يا نوف: أنائم أنت؟ قلت: بل رامق، أرمق بعيني منذ الليلة يا أمير المؤمنين، فقال لي: يا نوف، طوبى للزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة، أولئك قوم اتخذوا ارض الله بساطاً وترابها ثياباً وماءها طيباً والكتاب شعاراً والدعاء دثاراً، ثم قرضوا الدنيا قرضاً على منهاج المسيح عيسى بن مريم عليه السلام. يا نوف ان الله تعالى أوحى إلى عبده عيسى عليه السلام أن قل لبني إسرائيل ألّا يدخلوا إليّ إلّا بقلوب وَجِلة وأبصارٍ خاشعة وأكفٍّ نقيّة، وأعلِمْهُم أنّي لا أجيب لأحد منهم دعوة، ولأحد من خلقي قبلهم مظلمة. قال الربعي: فو الله لقد كتب المهتدي هذا الخبر بخطّه وقد كنت أسمعه في جوف الليل، وقد خلا بربّه في بيت كان لخلوته وهو يبكي ويقول: يا نوف طوبى للزاهدين في الدنيا، الراغبين في الآخرة، ويمرّ في الخبر

إلى آخره. إلى أن كان من أمره ما كان مع الأتراك وقتلهم إيّاه[1].

وأما الثاني: فروي مسنداً عن الباقر عن آبائه عليهم السلام أنّ علياً عليه السلام قال لمولاه نوف الشبامي ـ وهو معه في السطح ـ يانوف أراقد أم نبهان؟ قال: نبهان أرمقك يا أمير المؤمنين! قال: هل تدري مَنْ شيعتي؟ قال: لا والله! قال: شيعتي الذّبّل الشفاه الخمص البطون الّذين تعرف الرهبانية والربّانية في وجوههم، رهبان بالليل أُسْد بالنّهار، الّذين إذا جنَّهم الليل اتزروا على أوساطهم وارتدوا على أطرافهم وصفّوا أقدامهم وافرشوا جباههم، تجري دموعهم على خدودهم يجأرون إلى الله في فكاك رقابهم؛ وأمّا النّهار فحلماء، علماء، كرام نجباء، أبرار أتقياء، يا نوف، شيعتي الّذين اتخذوا الأرض بساطاً والماء طيباً والقرآن شعاراً، إن شهدوا لم يعرفوا، وان غابوا لم يفتقدوا، شيعتي من لم يهرّ هرير الكلب ولا يطمع طمع الغراب، ولم يسأل الناس ولو مات جوعاً، ان رأى مؤمناً أكرمه وإن رأى فاسقاً هجره، هؤلاء والله يا نوف شيعتي! شرورهم مأمونة وقلوبهم محزونة وحوائجهم خفيفة، وأنفسهم عفيفة، اختلفت بهم الأبدان ولم تختلف قلوبهم. قلت: جعلني الله فداك! أين أطلب هؤلاء؟ قال: في أطراف الأرض[2].

واما الثالث: فروي مسنداً عن نوف قال: بتّ ليلة عند أمير المؤمنين عليه السلام، فكان يصلّي الليل كلّه ويخرج ساعة بعد ساعة فينظر إلى السماء ويتلو القرآن؛ فمرّ بي بعد هدوّ من الليل، فقال: يا نوف! أراقد أنت أم رامق؟ قلت: بل رامق أرمقك ببصري؛ قال: يا نوف! طوبى للزاهدين في الدنيا والراغبين في الآخرة، أُولئك الذين اتخذوا الأرض بساطاً وترابها فراشاً،

---

(١) مروج الذهب ٤: ١٠٦ ـ ١٠٧.

(٢) كنز الفوائد: ٣٠.

وماءها طيباً، والقرآن دثاراً والدعاء شعاراً، قرضوا من الدنيا تقريضاً على منهاج عيسى بن مريم عليه السلام، إنّ الله عزّ وجلّ أوحى إلى عيسى قل للملأ من بني اسرائيل لا يدخلوا بيوتاً من بيوتي، إلّا بقلوب طاهرة وأبصار خاشعة وأكفّ نقيّة، وقل لهم: إنّي غير مستجيب لأحد منكم دعوة ولأحدٍ من خلقي قِبَله مظلمة؛ يا نوف! إيّاك أن تكو عشّاراً أو شاعراً أو شرطياً أو عريفاً أو صاحب عرطبة -وهي الطنبور- أو صاحب كوبة -وهي الطبل- فانّ نبي الله صلى الله عليه وآله خرج ذات ليلة فنظر إلى السماء فقال: إنّها الساعة لا تردّ فيها دعوة إلّا دعوة عريف أو دعوة شاعر أو دعوة عاشر او شرطي أو صاحب عرطبة أو صاحب كوبة[1].

وأمّا الرابع: فرواه مثل الثالث لكن فيه «وترابه وساداً» وفيه «يقرضون الدنيا قرضاً على منهاج المسيح عليه السلام» وفيه «إنّ الله تعالى أوحى إلى عيسى عليه السلام! يا عيسى عليك بالمنهاج الأول تلحق ملاحق المرسلين، قل لقومك يا أخا المنذرين: ألاّ يدخلوا بيتاً من بيوتي إلّا بقلوب طاهرة وأيدٍ نقيّة وأبصار خاشعة، فانّي لا أسمع من داعٍ دعاني ولأحد من عبادي عنده مظلمة ولا أستجيب له دعوة ولي قِبَله حقّ لم يرّده إليّ، فان استطعت يا نوف أن لا تكون عريفاً ولا شاعراً ولا صاحب كوبة ولا صاحب عرطبة فافعل، فانّ داود عليه السلام رسول ربّ العالمين خرج ليلة من الليالي فنظر في نواحي السماء، ثمّ قال: والله رب داود! إنّ هذه الساعة، لساعة ما يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيراً إلّا أعطاه إيّاه إلّا أن يكون عريفاً أو شاعراً أو صاحب كوبة أو صاحب عرطبة»[2].

---

(١) الخصال ١: ٣٣٧ ح ٤٠.

(٢) أمالي المفيد: ١٣٣، المجلس ١٦.

قول المصنف: «وعن نوف البكالي» هكذا في (المصرية وابن ميثم) ولكن في (ابن أبي الحديد) «وعن نوف البكائي، وقيل: البكالي باللام وهو الأصح»[١] ولعلّه كان حاشية خلط بالمتن.

وكيف كان فقال ابن أبي الحديد: الظاهر أنّ بكالاً قبيلة من اليمن، وأما بكيل فحيّ من همدان وإليهم أشار الكميت في قوله:

* فقد شركت فيه بكيل وأرحب *

فأمّا البكالي في نسب نوف فلا أعرفه[٢].

قلت: أخذ كلامه بكيل من همدان وإليهم أشار الكميت في قوله: «فقد شركت فيه بكيل وأرحب» من (الصحاح)[٣]، فلِمَ لم يأخذ كلامه في بكال فقال: وبنو بكال من حِمْيَرْ منهم نوف البكالي[٤]. ثمّ تعبيره «الظاهر أنّ بكالاً من اليمن، وأما بكيل فمن همدان» خطأ، فهمدان أيضاً من اليمن، ولا معنى لجعل التقابل بين العامّ والخاصّ.

ثم الأظهر كون بِكال بالكسر كبَكيل بالفتح كلّ منهما من همدان. قال ابن دريد في (جمهرته): وبنو بكال وبنو بكيل أحسبهما من همدان. ثم جعل كون بكيل من همدان وبكال من حِمْيَر احتمالا[٥]، ولم أجد خلافاً في الثاني.

ويمكن الاستدلال للأول: بأنّ الطبري في عنوان ذكر خبر الخوارج، روى عن جبر بن نوف أبي الوداك الهمداني[٦]. وفي المغرب: أنّ جبراً بن نوف

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٢٦٥، وشرح ابن ميثم ٥: ٢٩٣.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٢٦٥ و٢٦٦.

(٣) صحاح اللغة ٤: ١٦٣٨، مادة (بكل).

(٤) ليس هذا من كلام صاحب الصحاح، بل هذا كلام الفيروز آبادي في القاموس ٣: ٣٣٦، مادة (بكل).

(٥) جمهرة اللغة ١: ٣٢٥.

(٦) تاريخ الطبري ٤: ٥٧، سنة ٣٧.

البكالي[١]. والسمعاني قال في بكال: ينسب إليه نوف بن فضالة البكالي وأبو الوداك جبر بن نوف البكالي وقيل البكيلي، وقال في بكيل: بكيل بن جشم بن خيران بن نوف بن همدان رهط أبي الوداك جبر بن نوف البكيلي. فأتى بالاختلاف[٢].

واما قول (القاموس) في «خير» بالخاء ثمّ المثناة: وخيران ولد نوف بن همدان[٣]، فلا ينافي ما قاله المغرب، لأن ذاك ابن نوف البكالي وهذا ابن نوف ابن همدان، إلّا أنّ (معجم البلدان) قال في بكيل: هو جشم بن خيوان بن نوف بن همدان[٤]؛ والمفهوم من خليفة كون بكال لا من همدان ولا من حِمْيَر، فَعَنْوَنَ (الاستيعاب) «عمرو البكالي» وقال: قال خليفة هو من بني بكال بن دعمي بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن كهلان[٥]. وكيف كان فهمدان من كهلان بن سبأ، فهو كما ذكر في (المعارف)، ابن ربيعة بن خيار بن مالك بن زيد ابن كهلان، وحمير هو ابن سبأ[٦].

هذا، وفي (ذيل الطبري والسمعاني)، أنّ نوف البكالي، ابن أمرأة كعب الأحبار[٧].

ومما يؤيد كون نوف همدانياً، أنّ كنز الكراجكي ـ كما عرفت ـ وصفه بالشبامي[٨]. وجاء في كتاب (اللباب لأبن أثير): أن شبام هو ابن اسعد بن

(١) المغرب: ٣٤٣، مادة (ود).

(٢) انساب السمعاني: ٨٨ و٨٩.

(٣) القاموس المحيط ٢: ٢٥، مادة (خير).

(٤) معجم البلدان ١: ٤٧٥.

(٥) الاستيعاب ٢: ٥٣٣.

(٦) المعارف: ١٠١ و١٠٥.

(٧) منتخب ذيل المذيل: ١٤٨، وانساب السمعاني: ٨٨.

(٨) كنز الفوائد: ٣٠.

جشم ابن حاشد بن خيران بن نوف بن همدان، وشبام: جبل سكنه عبدالله[١].

واما قول (ابن ميثم): البكال منسوب إلى بكالة قرية من اليمن[٢]. فلا اعتبار له، ولم يقل به أحد.

«قال رأيت أمير المؤمنين عليه السلام ذات ليلة وقد خرج من فراشه فنظر في النجوم» هكذا في (المصرية) والصواب: «إلى النجوم» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٣].

وذكر الصدوق في كتاب (الفقيه): مدح الله تعالى أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه بقيام صلاة الليل فقال ﴿أمّن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه﴾.

وفيه: قال أبو عبدالله عليه السلام إذا قام عليّ عليه السلام آخر الليل رفع صوته؛ حتّى يسمع أهل الدار، يقول: «اللهمّ أعنّي على هول المطّلع ووسّع عليّ المضطجع».

وفيه عن أبي جعفر عليه السلام: إذا قمت من فراشك فانظر في أُفق السماء وقل: «الحمد لله الّذي ردّ عليّ روحي، أعبده وأحمده، اللهمّ إنّه لا يواري منك ليلٍ داجٍ ولا سماء ذات أبراج ولا أرض ذات مهاد ولا ظلمات بعضها فوق بعض ولا بحر لجيّ بين يدي المدلج من خلقك، تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، غارت النجوم ونامت العيون وأنت الحيّ القيوم، لا تأخذك سِنَة ولا نوم، سبحان ربّ العالمين، وإله المرسلين، وخالق النبيين والحمد لله ربّ العالمين؛ اللهمّ اغفر لي وارحمني وتب عليّ إنّك أنت التوّاب الرّحيم» ثمّ اقرأ خمس آيات من آخر آل عمران ﴿إنّ في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنّهار

---

(١) اللباب لابن الأثير ٢: ١٨٢، بتفاوت في العبارة.

(٢) شرح ابن ميثم ٥: ٢٩٣.

(٣) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٢٦٥، لكن في شرح ابن ميثم ٥: ٢٩٣، «في».

لآيات -إلى قوله تعالى -إنّك لا تخلف الميعاد﴾[١].

وعنه عليه السلام في قوله تعالى: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربّهم خوفاً وطمعاً﴾[٢] أنزلت في أمير المؤمنين عليه السلام وأتباعه من شيعتنا، ينامون في أول اللّيل، فاذا ذهب ثلثا الليل أو ما شاء الله فزعوا إلى ربهم راغبين، راهبين، طائعين، فيما عنده، فذكرهم الله تعالى في كتابه لنبيّه صلى الله عليه وآله وأخبرهم بما أعطاهم وأنّه أسكنهم في جواره وأدخلهم جنّته وآمن خوفهم وروعتهم[٣].

«فقال لي يا نوف أراقد» أي: نائم «أنت أم رامق» أي: ناظر؛ وقد عرفت أنّ في رواية الكراجكي «أراقد أم نبهان»[٤] وهو الأصح، ففي مقابل الرقود: النبه واليقظة، لا الرمق، ولا وجه لأن يقول ذلك عليه السلام، وإنّما المناسب قول نوف -كما عرفته من رواية الكراجكي -أنه قال له عليه السلام «نبهان أرمقك»، وكيف كان فهكذا في (المصرية) بلا زيادة وفيها سقط، ففي (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية) «فقلت: بل رامق يا أمير المؤمنين»[٥].

«قال يا نوف! طوبى للزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة»، ومن كلامه عليه السلام أيضاً: طوبى لمن أخلص لله العبادة والدعاء، ولم يشغل قلبه بما ترى عيناه، ولم ينسَ ذكر الله بما تسمع أذناه، ولم يحزن صدره بما أُعطيَ غيره[٦].

---

(١) آل عمران: ١٩٠ ـ ١٩٤.

(٢) السجدة: ١٦.

(٣) الفقيه ١: ٢٩٩ و: ٣٠٤ح ٣ و٤ و: ٣٠٥ح ٥.

(٤) كنز الفوائد: ٣٠.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٢٦٥، وشرح ابن ميثم ٥: ٢٩٣.

(٦) أخرجه الكليني في الكافي ٢: ١٦ ح ٣.

«**أُولئك قوم اتخذوا الأرض بساطاً وترابها فراشاً**» وفي رواية (أمالي المفيد) «وساداً»[١].

«**وماءها طيباً**» لإعراضهم عن زهرة الحياة الدنيا!

«**والقرآن شعاراً**» أي: ما ولي الجسد من الثياب.

«**والدعاء دثاراً**» ما كان فوق الشعار من الثياب.

«**ثم قرضوا الدنيا**» أي: جازوها، قال تعالى: ﴿وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال﴾[٢] أي: تجوزهم وتتركهم في شمالها. وقال ذو الرمة:

إلى ظعن يقرضن أجواز مشرف شمالا وعن أيمانهن الفوارس

«**قرضاً على منهاج المسيح**» الّذي كانت دابّته رجليه، وسراجه في الليل القمر.

«**يا نوف! إنّ داود عليه السلام قام في مثل هذه الساعة من الليل فقال: إنّها ساعة لا يدعو فيها عبد إلّا استجيب له**»، في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: إنّ في الليل لساعة ما يوافقها عبد مسلم ثمّ يصلّي ويدعو الله فيها إلّا أُستجيب له في كل ليلة؛ قلت: وأيّ ساعة هي من الليل، قال: إذا مضى نصف الليل وهي السدس الأول من اوّل النصف[٣].

«**إلّا أن يكون عشّاراً**» من يأخذ من قبل السلطان عشر أموال الناس «**أو عريفاً**» القيّم بأمر الناس بعد الرئيس يعرّفهم له «**أو شرطياً**» أي: جندياً؛ من «أشرط نفسه لأمر كذا» أي: أعلمها، والجند يجعلون لأنفسهم علامة يعرفون بها.

---

(١) أمالي المفيد: ١٣٣.

(٢) الكهف: ١٧.

(٣) الكافي ٢: ٤٧٨ ح ١٠.

في (الأغاني) عن المدائني: لمّا مات أُمية بن الأسكر عاد ابنه كلاب إلى البصرة، فكان يغزو مع المسلمين، ويشهد فتوحات كثيرة، وبقي إلى أيّام زياد، فولاّه الابلة، فسمع كلاب يوماً عثمان بن أبي العاصي يحدث: أنّ داود نبي الله كان يجمع أهله في السحر يقول «ادعوا ربّكم فإنّ السحر ساعة لا يدعو فيها عبد مؤمن إلّا غفر له، إلّا أن يكون عشّاراً أو عريفاً»، فلمّا سمع ذلك كلاب كتب إلى زياد فاستعفاه من عمله فأعفاه[1].

وفي (الاستيعاب) عن زوجة أبي ذر قالت: لمّا حضرته الوفاة، بكيت! فقال: ما يبكيك؟ قلت: تموت بفلاة وليس عندي ثوب يسعك كفناً! فقال أبو ذر، لجمعٍ نزل عليه: سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله يقول لنفر، أنا فيهم: ليموتنّ رجل منكم بفلاة من الارض تشهده عصابة من المؤمنين، وليس من أُولئك النفر أحد إلّا مات في قرية؛ فأنا ذلك الرجل، والله ما كذبت ولا كذبت ولو كان عندي ثوب يسعني كفناً لي أو لامرأتي، لم أكفّن إلّا في ثوب هو لي أولها، وإنّي أنشدكم الله أن لا يكفّنني رجل منكم كان أميراً أو عريفاً أو بريداً أو نقيباً ـ وليس من أُولئك النفر أحد إلا وقد قارف بعض ما قال الا فتى من الأنصار ـ فقال الفتى الأنصاري: أنا أُكفّنك يا عمّ في ردائي هذا، وفي ثوبين في عيبتي من غزل أُمّي. قال: أنت تكفّنني[2]!

«أو صاحب عرطبة ـ وهي الطنبور ـ أو صاحب كوبة ـ وهي الطبل»، ونقل في(الكافي) عن الصادق عليه السلام: إنّ شيطاناً يقال له القفندر إذا ضرب في منزل الرجل أربعين صباحاً بالبربط، ودخل عليه الرجال، وضع ذلك الشيطان كلّ عضو منه على مثله من صاحب البيت ثم نفخ فيه نفخة، فلا يغار

---

(١) الأغاني ٢١: ١٥ ، والنقل بتصرف يسير.

(٢) الاستيعاب ١: ٢١٤ ، والنقل بتلخيص.

بعد هذا حتى تُؤتى نساؤه فلا يغار[١].

وفي (الفقه الرضوي): وإيّاك والضربة بالصولجان، فانّ الشيطان يركض معك، والملائكة تنفر عنك[٢].

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّ الله تعالى بعثني هدىً ورحمة للعالمين، وأمرني أن أمحو المزامير والمعازف والأوتار والأوثان وأمور الجاهلية ـ الخبر[٣].

«وقد قيل أيضاً أنّ العرطبة: الطبل، والكوبة: الطنبور»، ذهب إليه ابن دريد في (جمهرته)، وقال الجوهري: العرطبة العود، وقال الزمخشري: الكوبة النرد أو الشطرنج[٤]. وكيف كان، فمن الغريب أنّ في ابن أبي الحديد ـ كما في نسخته ـ «أو صاحب عرطبة أو صاحب كوبة» بدون نقل تفسير، فضلا عن نقل خلاف[٥].

هذا، وفي (تاريخ الطبري) عن بشر مولى هشام: أُوتي هشام برجل عنده قيان وخمر وبربط فقال: اكسروا الطنبور على رأسه، وضربه فبكى، قال بشر: فقلت له وانا اعزّيه ـ عليك بالصبر. فقال: أتراني أبكي للضرب! انما أبكي لا حتقاره للبربط إذ سمّاه طنبوراً[٦].

٩
الخطبة (٢١٤)

ومن خطبة له عليه السلام خطبها بصفين :

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ جَعَلَ ٱللهُ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا بِوِلاَيَةِ أَمْرِكُمْ، وَلَكُمْ عَلَيَّ

---

(١) الكافي ٥: ٥٣٦ ح ٥.

(٢) أخرجه صاحب فقه الرضا عليه السلام فيه: ٢٨٤، والصدوق في الفقيه ٤: ٤٢ ح ٧، وزيد النرسي في أصله: ٥١.

(٣) رواه أبو الفتوح الرازي في تفسيره، عنه المستدرك ٢: ٤٥٨ ح ١٦.

(٤) جمهرة اللغة ١: ٣٢٧ و ٣: ٣٠٧، وصحاح اللغة ١: ١٨٠، مادة (عرطب)، وأساس البلاغة: ٤٠٠، مادة (كرب).

(٥) يوجد التفسير وذكر الخلاف في نسختنا من شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٢٦٥.

(٦) تاريخ الطبري ٥: ٥١٦، سنة ١٢٥.

مِنَ ٱلْحَقِّ مِثْلُ الَّذِي لِي عَلَيْكُمْ، فَالْحَقُّ أَوْسَعُ الأَشْيَاءِ فِي التَّوَاصُفِ وَأَضْيَقُهَا فِي التَّنَاصُفِ، لَا يَجْرِي لِأَحَدٍ إِلاَّ جَرَى عَلَيْهِ، وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ إِلاَّ جَرَى لَهُ، وَلَوْ كَانَ لِأَحَدٍ أَنْ يَجْرِيَ لَهُ وَلَا يَجْرِيَ عَلَيْهِ، لَكَانَ ذَلِكَ خَالِصاً لِلّهِ سُبْحَانَهُ دُونَ خَلْقِهِ، لِقُدْرَتِهِ عَلَى عِبَادِهِ وَلِعَدْلِهِ فِي كُلِّ مَا جَرَتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ قَضَائِهِ، وَلَكِنَّهُ جَعَلَ حَقَّهُ عَلَى ٱلْعِبَادِ أَنْ يُطِيعُوهُ، وَجَعَلَ جَزَاءَهُمْ عَلَيْهِ مُضَاعَفَةَ الثَّوَابِ تَفَضُّلاً مِنْهُ وتَوَسُّعاً بِمَا هُوَ مِنَ المَزِيدِ أَهْلُهُ.

ثُمَّ جَعَلَ سُبْحَانَهُ مِن حُقُوقِهِ حُقُوقاً ٱفْتَرَضَهَا لِبَعْضِ ٱلنَّاسِ عَلَى بَعْضٍ، فَجَعَلَهَا تَتَكَافَأُ فِي وُجُوهِهَا، وَيُوجِبُ بَعْضُهَا بَعْضاً، وَلَا يُسْتَوْجَبُ بَعضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ، وَأَعْظَمُ مَا ٱفْتَرَضَ سُبْحَانَهُ مِنْ تِلْكَ ٱلْحُقُوقِ حَقُّ ٱلْوَالِي عَلَى ٱلرَّعِيَّةِ وَحَقُّ ٱلرَّعِيَّةِ عَلَى ٱلْوَالِي، فَرِيضَةٌ فَرَضَهَا ٱللهُ سُبْحَانَهُ لِكُلٍّ عَلَى كُلٍّ، فَجَعَلَهَا نِظَاماً لِأُلْفَتِهِمْ وَعِزّاً لِدِينِهِمْ، فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ ٱلرَّعِيَّةُ إِلَّا بِصَلَاحِ ٱلْوُلَاةِ، وَلَا تَصْلُحُ ٱلْوُلَاةُ إِلَّا بِاسْتِقَامَةِ ٱلرَّعِيَّةِ، فَإِذَا أَدَّتِ ٱلرَّعِيَّةُ إِلَى ٱلْوَالِي حقَّهُ، وَأَدَّى ٱلْوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا، عَزَّ ٱلْحَقُّ بَيْنَهُمْ، وَقَامَتْ مَنَاهِجُ ٱلدِّين، وَٱعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ ٱلْعَدْلِ، وَجَرَتْ عَلَى أَذْلَالِهَا ٱلسُّنَنُ، فَصَلَحَ بِذَلِكَ ٱلزَّمَانُ، وَطُمِعَ فِي بَقَاءِ ٱلدَّوْلَةِ، وَيَئِسَتْ مَطَامِعُ ٱلْأَعْدَاءِ، وَإِذَا غَلَبَتِ ٱلرَّعِيَّةُ وَالِيَها، أَوْ أَجْحَفَ ٱلْوَالِي بِرَعِيَّتِهِ، ٱخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ ٱلْكَلِمَةُ، وَظَهَرَتْ مَعَالِمُ ٱلْجَوْرِ، وَكَثُرَ ٱلادْغَالُ فِي ٱلدِّينِ، وَتُرِك مَحَاجُّ ٱلسُّنَنِ، فَعُمِلَ بِالْهَوَى، وَعُطِّلَتِ ٱلْأَحْكَامُ، وَكَثُرَتْ عِلَلُ ٱلنُّفُوسِ، فَلَا يُسْتَوْحَشُ لِعَظِيمِ حِقٍّ عُطِّلَ، وَلَا لِعَظِيم بَاطِلٍ فُعِلَ.

فَهُنَالِكَ تَذِلُّ ٱلْأَبْرَارُ، وَتَعِزُّ ٱلْأَشْرَارُ، وَتَعْظُمُ تَبِعَاتُ ٱللهِ عِنْدَ ٱلْعِبَادِ. فَعَلَيْكُمْ بِالتَّنَاصُحِ فِي ذَلِكَ وَحُسْنِ ٱلتَّعَاوُنِ عَلَيْهِ، فَلَيْس أَحَدٌ وَإِنْ ٱشْتَدَّ

عَلَى رِضَا ٱللهِ حِرْصُهُ، وَطَالَ فِي ٱلْعَمَلِ ٱجْتِهَادُهُ، بِبَالِغٍ حَقِيقَةَ مَا ٱللهُ أَهْلُهُ مِنَ ٱلطَّاعَةِ لَهُ، وَلَكِنْ مِنْ وَاجِبِ حُقُوقِ ٱللهِ عَلَى ٱلْعِبَادِ ٱلنَّصِيحَةُ بِمَبْلَغِ جُهْدِهِمْ، وَٱلتَّعَاوُنُ عَلَى إِقَامَةِ ٱلْحَقِّ بَيْنَهُمْ.

وَلَيْسَ ٱمْرُؤٌ -وَإِنْ عَظُمَتْ فِي ٱلْحَقِّ مَنْزِلَتُهُ، وَتَقَدَّمَتْ فِي ٱلدِّينِ فَضِيلَتُهُ- بِفَوْقِ أَنْ يُعَانَ عَلَى مَا حَمَّلَهُ الله مِنْ حَقِّهِ، وَلَا ٱمْرُؤٌ -وَإِنْ صَغَّرَتْهُ ٱلنُّفُوسُ، وَٱقْتَحَمَتْهُ ٱلْعُيُونُ- بِدُونِ أَنْ يُعِينَ عَلَى ذَلِكَ أَوْ يُعَانَ عَلَيْهِ.

فأجابه عليه السلام رجل من أصحابه بكلام طويل، يكثر فيه الثناء عليه ويذكر سمعه وطاعته له، فقال عليه السلام:

إِنَّ مِنْ حَقِّ من عَظُمَ جَلَالُ ٱللهِ فِي نَفْسِهِ، وَجَعلَّ مَوْضِعُهُ مِنْ قَلْبِهِ، أَنْ يَصْغُرَ عِنْدَهُ لِعِظَمِ ذَلِكَ كلُّ مَا سِوَاهُ، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ لَمَنْ عَظُمَتْ نِعمَةُ ٱللهِ عَلَيْهِ وَلَطُفَ إِحْسَانُهُ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَمْ تَعْظُمْ نِعْمَةُ ٱللهِ عَلَى أَحَدٍ إِلّا ٱزْدَادَ حَقُّ ٱللهِ عَلَيْهِ عِظَماً، وَإِنَّ مِنْ أَسْخَفِ حَالَاتِ ٱلْوُلَاةِ عِنْدَ صَالِحِ النَّاسِ أَنْ يُظَنَّ بِهِمْ حُبُّ ٱلْفَخْرِ وَيُوضَعَ أَمْرُهُمْ عَلَى ٱلْكِبْرِ، وَقَدْ كَرِهْتُ أَنْ يَكُونَ جَالَ فِي ظَنِّكُمْ أَنِّي أُحِبُّ ٱلإِطْرَاءَ وَٱسْتِمَاعَ الثَّنَاءِ، وَلَسْتُ بِحمْدِ ٱللهِ كَذَلِكَ، وَلَوْ كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ يُقَال ذَلِكَ لَتَرَكْتُهُ ٱنْحِطَاطاً لِلهِ سُبْحَانَهُ عَنْ تَنَاوُلِ مَا هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنَ ٱلْعَظَمَةِ وَٱلْكِبْرِيَاء. وَرُبَّمَا ٱسْتَحْلَى النَّاسُ الثَّنَاءَ بَعْدَ ٱلْبَلَاءِ، فَلَا تُثْنُوا عَلَيّ بِجَمِيلِ ثَنَاءٍ لِإِخْرَاجِي نَفْسِي إِلَى ٱللهِ وَإِلَيْكُمْ مِنَ التَقِيَّةِ فِي حُقُوقٍ لَمْ أَفْرُغْ مِنْ أَدَائِهَا، وَفَرَائِضَ لَا بُدَّ مِنْ إِمْضَائِهَا، فَلَا تُكَلِّمُونِي بِمَا تُكَلَّمُ بِهِ ٱلْجَبَابِرَةُ، وَلَا تَتَحَفَّظُوا منّي بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ ٱلْبَادِرَةِ، وَلَا تُخَالِطُونِي بِالْمُصَانَعَةِ، وَلَا تَظُنُّوا بِيَ ٱسْتِثْقَالاً فِي حَقٍّ قِيلَ لِي وَلَا ٱلْتِمَاسَ إِعْظَامٍ لِنَفْسِي، فَإِنَّهُ مَنِ ٱسْتَثْقَلَ ٱلْحَقَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَوِ ٱلْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ كَانَ

ٱلْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ ، فَلَا تَكُفُّوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقٍّ أَوْ مَشُورَةٍ بِعَدْلٍ ، فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقِ أَنْ أُخْطِئَ وَلَا آمَنُ ذٰلِكَ مِنْ فِعْلِي ، إلاَّ أَنْ يَكْفِيَ ٱللهُ مِنْ نَفْسِي مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنِّي ، فَإِنّمَا أَنَا وَأَنْتُمْ عَبِيدٌ مَمْلُوكُونَ لِرَبٍّ لا ربَّ غَيْرُهُ ، يَمْلِكُ مِنَّا مَا لَا نَملِك مِنْ أَنْفُسِنَا ، وَأَخْرَجَنَا ممَّا كُنَّا فِيهِ إِلَى مَا صَلَحْنَا عَلَيْهِ ، فَأَبْدَلَنَا بَعْدَ الضَّلاَلَةِ بِالْهُدَى وَأَعْطَانَا ٱلْبَصِيرَةَ بَعْدَ ٱلْعَمَى .

أقول: روتها (روضة الكافي) مسندة عن الباقر عليه السلام قال: خطب عليه السلام بصفين فحمد الله، واثنى عليه، وصلّى علَى النبيّ وآله ثمّ قال: أما بعد، فقد جعل الله تعالى لي عليكم حقاً بولاية أمركم، ومنزلتي الّتي أنزلني الله عزّ ذكره بها منكم، ولكم عليّ من الحقّ مثل الّذي لي عليكم، والحق أجمل الأشياء في التواصف وأوسعها في التناصف، لا يجري لأحد الاّ جرى عليه ولا يجري عليه إلّا جرى له، ولو كان لأحد أن يجري ذلك له ولا يجري عليه لكان ذلك الله عزّ وجلّ خالصاً دون خلقه، لقدرته على عباده، ولعدله في كل ما جرت عليه ضروب قضائه، ولكن جعل حقّه على العباد أن يطيعوه وجعل كفّارتهم عليه بحسن الثواب تفضّلا منه وتطوّلاً بكرمه وتوسعاً بما هو من المزيد له أهلاً.

ثمّ جعل من حقوقه حقوقاً فرضها لبعض الناس على بعض، فجعلها تتكافئ في وجوهها، ويوجب بعضها بعضاً ولا يستوجب بعضها إلّا ببعض، فأعظم ممّا افترض الله تعالى من تلك الحقوق حقّ الوالي علَى الرعيّة وحقّ الرعيّة على الوالي فريضة فرضها الله عزّ وجلّ لكلّ على كلّ، فجعلها نظام ألفتهم؛ وعزاً لدينهم؛ وقواماً لسنن الحق فيهم؛ فليست تصلح الرعيّة الاّ بصلاح الولاة ولا تصلح الولاة إلّا باستقامة الرعيّة، فاذا أدّت الرعية إلى الوالي حقّه وأدّى إليها الوالي كذلك، عزّ الحقّ بينهم، فقامت مناهج الدين واعتدلت معالم العدل، وجرت على أذلالها السنن، فصلح بذلك الزمان وطاب به العيش،

وطمع في بقاء الدولة ويئست مطامع الأعداء، وإذا غلبت الرعية واليهم والوالي الرعيّة اختلفت هنالك الكلمة، وظهرت مطامع الجور، وكثر الإدغال في الدين وتركت معالم السنن، فعمل بالهوى، وعطلت الآثار، وكثرت علل النفوس، ولا يستوحش لجسيم حدّ عطل ولا لعظيم باطل اثل، فهنالك تذل الأبـرار وتـعزّ الأشرار وتخرب البلاد وتعظم تبعات الله عزّ وجلّ عند العباد.

فهلمّ أيّها النّاس إلى التعاون على طاعة الله عـزّ وجـلّ والقـيام بـعدله والوفاء بعهده، والإنصاف له في جميع حقّه، فإنّه ليس العباد إلى شيء أحوج منهم إلى التناصح في ذلك وحسن التعاون عليه، وليس أحد ـوان اشتدّ على رضا الله حرصه وطال في العمل اجتهاده ـببالغ حقيقة ما أعطى الله من الحقّ أهله، ولكن من واجب حقوق الله عزّ وجـلّ عـلى العـباد؛ النـصيحة له بـمبلغ جهدهم، والتعاون على إقامة الحقّ فيهم، ثم ليس أمرؤ ـ وإن عظمت في الحقّ منزلته وجسمت في الحقّ فضيلته بمستغنٍ عن أن يعان على ما حمّله الله عزّ وجلّ من حقّه، ولا لا مرئ مع ذلك؛ وإن خسئت به الأمور، واقتحمته العيون، بدون ما أن يعين على ذلك ويعان عليه، وأهل الفضيلة في الحال وأهل النعم العظام اكثر في ذلك حاجة، وكلّ في الحاجة إلى الله عزّ وجلّ شرع سواء.

فأجابه رجل من عسكره لا يدري من هو، ويقال إنّه لم يُرَفي عسكـره قبل ذلك اليوم ولا بعده: فقام ـواحسن الثناء على الله عزّ وجـلّ بـما أبـلاهم وأعطاهم من واجب حقه عليهم والاقرار بكل ما ذكر من تصرف الحالات به وبهم ـ ثم قال: أنت أميرنا، ونحن رعيتك، بك أخرجنا الله عزّ وجلّ مـن الذل! وبإعزازك أطلق عباده من الغل، فاختر علينا وأمضِ اختيارك وائتمر فامضِ ايتمارك، فانك القائل المصدّق والحاكم الموفّق والملك المخوّل، لا نستحلّ في شيء من معصيتك ولا نقيس علماً بعلمك، يعظم عندنا في ذلك خطرك، ويجلّ عنه في أنفسنا فضلك!

فأجابه أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ من حقّ من عظم جلال الله في نفسه وجلّ موضعه من قلبه أن يصغر عنده لعظم ذلك كلّ ما سواه، وإنّ أحقّ من كان كذلك لمن عظمت نعمة الله عليه ولطف إحسانه إليه، فانّه لم تعظّم نعمة الله على أحد إلّا زاد حقّ الله عليه عظماً، وإنّ من أسخف حالات الولاة عند صالح النّاس أن يظنّ بهم حبّ الفخر، ويوضع أمرهم على الكبر، وقد كرهت أن يكون جال في ظنكم أنّي أحبّ الإطراء، واستماع، الثناء، ولست بحمد الله كذلك، ولو كنت أحبّ أن يقال ذلك لتركته انحطاطاً لله سبحانه عن تناول ما هو أحق به من العظمة والكبرياء! وربّما استحلى الناس الثناء بعد البلاء، فلا تثنوا عليّ بجميل ثناء لإخراجي نفسي إلى الله وإليكم من البقيّة في حقوق لم أفرغ من أدائها وفرائض لابدّ من إمضائها، فلا تكلّموني بما تكلّم به الجبابرة، ولا تتحفظوا منّي بما يتحفّظ به عند أهل البادرة، ولا تخالطوني بالمصانعة، ولا تظنّوا بي استثقالا في حقّ قيل لي ولا التماس إعظام لنفسي لما لا يصلح لي، فانّه من استثقل الحقّ أن يقال له أو العدل أن يعرض عليه، كان العمل بهما أثقل عليه، فلا تكفّوا عن مقالة بحقّ أو مشورة بعدل، فإنّي لست في نفسي بفوق ما إن أخطئ، ولا آمن ذلك من فعلي إلّا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به منّي، فإنّما أنا وأنتم عبيد مملو كون لربّ لا ربّ غيره، يملك منّا مالا نملك من أنفسنا وأخرجنا مما كنّا فيه إلى ما صلحنا عليه، فأبدلنا بعد الضلالة بالهدى وأعطانا البصيرة بعد العمى.

فأجابه الرجل الّذي أجابه من قبل، فقال: أنت أهل ما قلت! واللهُ واللهِ ـ فوق ما قلته، فبلاؤه عندنا ما لا يكفر، وقد حمّلك الله تعالى رعايتنا وولّاك سياسة أمورنا فأصبحت علمنا الّذي نهتدي به وإمامنا الّذي نقتدي به، وأمرك كلّه رشد، وقولك كلّه أدب، قد قرّت بك في الحياة أعيننا، وامتلأت من سرور بك قلوبنا، وتحيّرت من صفة ما فيك من بارع الفضل عقولنا، ولسنا نقول لك

«أيها الإمام الصالح» تزكية لك ولا نجاوز القصد في الثناء عليك، ولم يكن في انفسنا طعن على يقينك أو غشّ في دينك، فنتخوف أن تكون أحدثت بنعمة الله تعالى تجبّراً أو دخلك كبر، ولكنّا نقول لك ما قلنا تقرباً إلى الله عزّ وجلّ بتوقيرك وتوسّعاً بتفضيلك وشكراً باعظام أمرك، فنظر لنفسك ولنا وآثر أمر الله على نفسك وعلينا، فنحن طوع فيما أمرتنا، ننقاد من الأُمور مع ذلك فيما ينفعنا.

فأجابه أمير المؤمنين عليه السلام فقال: وأنا استشهدكم عندالله على نفسي لعلمكم فيما ولّيت به من أموركم، وعمّا قليل يجمعني وإيّاكم الموقف بين يديه والسؤال عمّا كنّا فيه، ثمّ يشهد بعضنا على بعض، فلا تشهدوا اليوم بخلاف ما أنتم شاهدون غداً، فإنّ الله عزّ وجلّ لا يخفى عليه خافيه ولا يجوز عنده إلّا مناصحة الصدور في جميع الأُمور.

فأجابه الرجل ـ ويقال لم يُرَ الرجل بعد كلامه هذا له عليه السلام فأجابه وقد عال الّذي في صدره، فقال، والبكاء يقطع منطقه، وغصص الشجا تكسر صوته اعظاماً لخطر مرزئته، ووحشته من كون فجيعته ـ ثم نصب في المسألة إلى الله عزّ وجلّ بالامتنان عليه. فقال له عليه السلام: يا ربانّي العباد ويا سكن البلاد! أين يقع قولنا من فضلك وأين يبلغ وصفنا من فعلك، وانّى نبلغ حقيقة حسن ثنائك أو نحصي جميل بلائك، وكيف وبك جرت نعم الله علينا وعلى يدك اتصلت أسباب الخير إلينا! ألم تكن لذل الذليل ملاذاً وللعصاة الكفار إخواناً، فبمن ـ إلّا بأهل بيتك وبك ـ أخرجنا الله عزّ وجلّ من فظاعة تلك الخطرات؟ أو بمن فرج عنّا غمرات الكربات، وبمن ـ الا بكم ـ أظهر الله معالم ديننا واستصلح ما كان فسد من دنيانا، حتى استبان بعد الجور ذكرنا وقرّت من رخاء العيش أعيننا؟ ـ إلى أن قال ـ ولكنّا نبكي من غير إثم لعز هذا السلطان ان يعود ذليلاً وللدين والدنيا أكيلا، فلا نرى لك خلفاً

نشكو إليه ولا نظيراً نؤمله ولا نقيمه[١].

«اما بعد، فقد جعل الله لي عليكم حقاً بولاية أمركم» جعل تعالى له عليه السلام حقّاً عليهم بولايته أمرهم في الظاهر بعد الثلاثة، في قوله تعالى: ﴿أطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الامر منكم﴾[٢] وفي الباطن بعد رسوله صلى الله عليه وآله في قوله تعالى: ﴿إنّما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾[٣].

وقد استفاضت الأحاديث والروايات في كونه عليه السلام هو المراد من قوله: الذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون، لنزول الآية لمّا أعطى عليه السلام خاتمه في ركوع الصلاة للسائل كما رواه الثعلبي وغيره[٤].

وفي قول رسوله صلى الله عليه وآله للناس في حجّة الوداع يوم خم في المتواتر عنه: ألست أولى بكم من أنفسكم؟ فقالوا بلى. فقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهمّ والِ من والاه وعاد من عاداه[٥].

«ولكم عليّ من الحق مثل الّذي لي عليكم» بانصاف مظلومكم من ظالمكم، والمثلية إنّما هي باعتبار أُصل الحقّ، فلا تنافي اختلاف الدرجة.

قال تعالى في الأزواج؛ النساء والرجال: ﴿ولهنَّ مثل الّذي عليهنَّ بالمعروف وللرجال عليهنَّ درجة والله عزيز حكيم﴾[٦].

---

(١) الكافي ٨: ٣٥٢ح ٥٥٠.

(٢) النساء: ٥٩.

(٣) المائدة: ٥٣.

(٤) نقله عن الثعلبي وجماعة غيره السروي في مناقبه ٣: ٢ ـ ٥، والسيوطي في الدر المنثور ٢: ٢٩٣ و٢٩٤.

(٥) هذا حديث الغدير المتواتر أخرجه جمع كثير منهم ابن عساكر بطرق جمة في ترجمة علي عليه السلام ٢: ٥ ـ ٩٠ ح ٥٠٣ ـ ٥٩٣.

(٦) البقرة: ٢٢٨.

«**فالحقُّ أوسع الأشياء في التواصف وأضيقها في التناصف**» هذا الكلام أيضاً من كلماته عليه السلام الّتي القليل لم يذكروها فيها، فكلّ من الناس يصف الحقّ ولا يعمل به إلّا أقل القليل، لكن عرفت أن الروضة نقلته «والحق أجمل الأشياء في التواصف وأوسعها في التناصف»[1] والجملة الأُولى منه عين الأُولى من ذاك في المعنى، وانّما اختلافهما في اللفظ، فرصف الحق ـ والاصل فيه رصف الحجارة ـ وصفّه، وأما الثانية فتختلف معنى، ولكنّه في نفسه في غاية الجودة، فكما يصحّ أن يقال أن الحقّ أضيق الأشياء في التناصف، بجعل فاعل التناصف الواصف الّذي هو أحد من أفراد الرعايا، كذلك وأوسعها فيه إذا كان فاعل التناصف وإلي الناس.

«**لا يجري لأحد إلّا جرى عليه ولا يجري عليه إلّا جرى له**» حتى أن الحيوانات المملوكة لها حقوق على مالكها، لو لم يراعها كان مسؤولاً عند الله تعالى، قال النبيّ صلى الله عليه وآله ـ كما روى (الفقيه) ـ للدابة على صاحبها خصال: يبدأ بعلفها إذا نزل، ويعرض عليها الماء إذا مرّ به، ولا يضرب وجهها، ولا يقف على ظهرها، ولا يحملها فوق طاقتها، ولا يكلفها من المشي إلّا ما تطيق[2].

ورأى صلى الله عليه وآله ـ كما روي أيضاً ـ ناقة معقولة وعليها جهازها فقال: مُرُوا صاحبها يستعد غداً للخصومة[3].

«**ولو كان لأحد ان يجري له ولا يجري عليه لكان ذلك خالصاً لله سبحانه دون خلقه**». روى (الفقيه) خبراً طويلا في الحقوق عن السجاد عليه السلام ـ وفي الخبر، حق الله الأكبر عليك أن تعبده ولا تشرك به شيئاً، فاذا فعلت ذلك بإخلاص

---

(١) الكافي ٨: ٣٥٢.

(٢) الفقيه ٢: ١٨٧ ح ١، والنقل بتلخيص.

(٣) الفقيه ٢: ١٩١ ح ١.

جعل لك على نفسه أن يكفيك أمر الدنيا والآخرة.

ثم في الخبر، ذكر باقي الحقوق ـ ففيه: وحقّ نفسك عليك أن تستعملها بطاعة الله تعالى، وحقّ اللسان إكرامه عن الخناء وتعويده الخير وترك الفضول الّتي لا فائدة فيها والبرّ بالناس وحسن القول فيهم، وحق السمع تنزيهه عن سماع الغيبة وسماع مالا يحل سماعه، وحقّ البصر أن تغضّه عمّا لا يحلّ لك وتعتبر بالنظر به، وحقّ يدك ألاّ تبسطها إلى مالا يحلّ لك، وحقّ رجليك ألاّ تمشي بهما إلى مالا يحلّ لك، فبهما تقف على الصراط، فانظر ألاّ تزل بك فتردى في النار، وحقّ بطنك ألاّ تجعله وعاء للحرام ولا تزيد على الشبع، وحقّ فرجك أن تحصنه عن الزنا وتحفظه من أن ينظر إليه، وحقّ الصلاة أن تعلم أنّها وفادة إلى الله تعالى وأنت فيها قائم بين يديه عزّ وجلّ، فاذا علمت ذلك قمت مقام العبد الذليل الحقير الراغب الراهب الراجي الخائف المستكين المتضرّع المعظّم لمن كان بين يديه بالسكون والوقار؛ وتقبل عليها بقلبك وتقيمها بحدودها وحقوقها، وحقّ الحجّ أن تعلم أنّه وفادة إلى ربّك، وفرار إليه من ذنوبك، وقبول توبتك وقضاء الفرض الّذي أوجبه الله تعالى عليك، وحقّ الصوم أن تعلم أنّه حجاب ضربه الله تعالى على لسانك وسمعك وبصرك وبطنك وفرجك ليسترك به من النار، فان تركت الصوم خرقت ستر الله عليك، وحقّ الصدقة أن تعلم أنّها ذخرك عند ربّك ووديعتك الّتي لا تحتاج إلى الإشهاد عليها وكنت لما تستودعه سراً أوثق منك بما تستودعه علانية، وتعلم أنّها تدفع البلايا والأسقام عنك في الدنيا، وحقّ السلطان أن تعلم أنّك جعلت له فتنة وأنّه مبتلى فيك بما جعل له عليك من السلطان، وأن عليك ألاّ تتعرّض لسخطه فتلقي بيدك إلى التهلكة وتكون شريكاً له في ما يأتي إليك من سوء، وحقّ سائسك بالعلم التعظيم له والتوقير لمجلسه وحسن الاستماع إليه والإقبال عليه وألاّ ترفع عليه صوتك ولا تجيب احداً يسأله عن شيء حتى

يكون هو الّذي يجيب، ولا تحدّث في مجلسه أحداً ولا تغتاب عنده أحداً وأن تدفع عنه إذا ذكر عندك بسوء، وأن تستر عيوبه وتظهر مناقبه ولا تجالس له عدواً ولا تعادي له ولياً، فاذا فعلت ذلك شهدت لك الملائكة بأنّك تعلّمت علمه لله تعالى لا للنّاس، وامّا حقّ سائسك بالملك فأن تطيعه ولا تعصيه إلّا في ما يسخط الله تعالى فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وأمّا حقّ رعيتك بالسلطان فان تعلم أنّهم صاروا رعيتك لضعفهم وقوّتك، فيجب أن تعدل فيهم وتكون لهم كالوالد الرحيم وتغفر لهم جهلهم ولا تعاجلهم بالعقوبة وتشكره تعالى على ما آتاك من القوة عليهم، وأمّا حقّ رعيتك بالعلم فان تعلم أنّه تعالى إنّما جعلك قيّماً لهم فيما آتاك من العلم وفتح لك من خزائنه، فإن أحسنت في تعليمهم ولم تخرق بهم زادك الله من فضله، وإن أنت منعتهم علمك أو خرقت بهم كان حقّاً عليه تعالى أن يسلبك العلم وبهاءه ويسقط من القلوب محلك، وأما حقّ الزوجة فان تعلم أنّه تعالى جعلها لك سكناً وأنساً، وتعلم أنّ ذلك نعمة من الله تعالى عليك فتكرمها وترفق بها، وإن كان حقّك عليها أوجب وأنّ لها عليك أن ترحمها لأنّها أسيرك وتطعمها وتكسوها، وإذا جهلت عفوت عنها، وأما حقّ أمّك فأن تعلم أنّها حملتك حيث لا يحتمل أحد أحداً، وأعطتك من ثمرة قلبها ما لم يعطِ أحد أحداً ووقَتْك بجميع جوارحها ولم تبالِ أن تجوع وتطعمك، وتعطش وتسقيك، وتعري وتكسوك، وتضحى وتظلّك وتهجر النوم لأجلك، ووَقَتْكَ الحرَّ والبردَ ولا تطيق شكرها إلّا بعونه وتوفيقه تعالى، وأما حقّ أبيك فأن تعلم أنّه أصلك فإنّه لولاه لم تكن، وإن رأيت في نفسك ما يعجبك فاعلم أنّه أصل النعمة عليك فيه، وأما حقّ ولدك فان تعلم أنّه منك ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره وأنّك مسئول عما وليّته من حسن الأدب، وأما حقّ اخيك فأن تعلم أنّه يدك وعزّك فلا تتخذه سلاحاً على معصية الله تعالى ولا عدة للظلم لخلق الله تعالى، ولا تدع نصرته على

عدوه والنصيحة له، فإن أطاع تعالى وإلّا فليكن الله تعالى أكرم عليك منه، وأما حقّ ذي المعروف عليك فأن تذكر معروفه وتخلص له الدعاء في ما بينك وبين الله، ثمّ إن قدرت على مكافأته يوماً كافيته! وأما حقّ المؤذن فان تعلم أنّه يذكر لك ربّك تعالى وداعٍ إلى حظك وعونك على قضاء ما فرض الله عليك، وأمّا حقّ إمامك في صلاتك فان تعلم أنّه يقلّد السفارة فيما بينك وبين ربّك تعالى، فان كان نقص كان به دونك وإن كان تماماً كنت شريكه، وأمّا حقّ جليسك فأن تلين له جانبك، وتنصفه في مجاراة اللفظ ولا تقوم من مجلسك إلّا باذنه، ومن يجلس إليك يجوز له القيام عنك بغير إذنك، وتنسى زلّاته وتحفظ خيراته ولا تسمعه إلّا خيراً، وأما حقّ جارك فحفظه غائباً وإكرامه شاهداً ونصرته إذا كان مظلوماً، ولا تتّبع له عورة! فان علمت عليه سوء سترته عليه، وإن علمت أنّه يقبل نصيحتك نصحته في ما بينك وبينه، ولا تسلمه عند شدائده وتقيل عثرته وتغفر ذنبه وتعاشره معاشرة كريمة، وأما حقّ الصاحب فان تصحبه بالفضل والإنصاف وتكرمه كما يكرمك ولا تدعه يسبقك إلى مكرمة، فان سبق كافيته وتزجره عمايهمّ به من معصية وكن عليه رحمة لا عذاباً، وأمّا حقّ مالك فأن تأخذه من حلّه وتنفقه في وجهه، ولا تؤثر على نفسك من لا يحمدك، فاعمل به بطاعة ربك ولا تبخل فيه فتبوء بالحسرة والندامة مع التبعة، وأما حقّ غريمك فان كنت موسراً أعطيته وإن كنت معسراً أرضيته بحسن القول، وأما حقّ الخصم المدّعي عليك فإن كان صادقاً كنت شاهده على نفسك فأوفيته حقّه وإن كان كاذباً رفقت به ولم تسخط ربّك، والّذي تدّعي عليه إن كنت محقّاً أجملت مقاولته وإن كنت مبطلاً اتّقيت الله وتركت، وأما حقّ المستشير فإن علمت لك رأياً أشرت عليه وإلّا أرشدته إلى من يعلم، وحقّ المشير عليك ألاّ تتّهمه إن خالفك في رأيك وإن وافقك حمدت الله تعالى، وأما حقّ الكبير فتوقيره لسنه وإجلاله في الاسلام قبلك وترك مقابلته عند

الخصام، ولا تسبقه إلى طريق، وان جهل عليك احتملته، وحقّ الصغير رحمته في تعليمه والعفو عنه والستر عليه والرفق به، وأما حقّ السائل فاعطاؤه على قدر حاجته، وحقّ المسؤول إن أعطى فاقبل منه بالشكر والمعرفة بفضله وإن منع فاقبل عذره، وحقّ أهل ملّتك فاضمار الرحمة لهم والرفق بمسيئهم، وشكر محسنهم وتحب لهم ما تحب لنفسك، وتكره لهم ما تكره لنفسك، وأن تكون شيوخهم بمنزلة أبيك وشبّانهم بمنزلة إخوتك وعجائزهم بمنزلة أمّك والصّغار بمنزلة أولادك، وأمّا حقّ أهل الذّمّة أن تقبل منهم، ما قبل تعالى منهم ولا تظلمهم ما وفوا الله عزّ وجلّ بعهده[١].

«ولكنه جعل حقّه على العباد أن يطيعوه، وجعل جزاءهم عليه مضاعفة الثواب تفضّلاً منه وتوسّعاً بما هو من المزيد أهله» ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جآء بالسيئة فلا يجزى إلّا مثلها﴾[٢] ﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالّتي تقربكم عندنا زلفى إلّا من آمن وعمل صالحاً فأولئك لهم جزاء الضّعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون﴾[٣].

«ثمّ جعل سبحانه من حقوقه حقوقاً افترضها لبعض الناس على بعض فجعلها تتكافأ» أي: تتقابل **«في وجوهها»**.

قال الجاحظ في (البيان): عاتب إعرابي أباه فقال له: إن عظيم حقّك لا يذهب صغير حقي عليك، والّذي تمّت إليّ به أمّت بمثله إليك، ولست أزعم أنا سواء، ولكنّي أقول لا يحلّ لك الإعتداء[٤].

«ويوجب بعضه بعضاً ولا يستوجب بعضها إلّا ببعض» في (كامل المبرد):

---

(١) الفقيه ٢: ٣٧٦ ح ١، والنقل بتصرف يسير.

(٢) الانعام: ١٦٠.

(٣) سبأ: ٣٧.

(٤) البيان والتبيين ٣: ٤٠٦.

قال عبدالله بن مصعب الزبيري يذكر عبدالله بن الحسن بن الحسن بقلة الإنصاف:

له حقّ وليس عليه حقّ ومهما قال فالحسن الجميل
وقد كان الرسول يرى حقوقاً عليه لغيره وهو الرسول

وقيل لعليّ بن الحسين عليه السلام: ما بالك! إذا سافرت كتمت نسبك أهل الرفقة. فقال: أكره أن آخذ برسول الله صلى الله عليه وآله مالا أعطي مثله[1].

«**وأعظم ما افترض سبحانه من تلك الحقوق**» وأهمّها «**حقّ الوالي على الرعيّة وحقّ الرعيّة على الوالي**» حقّهما «**فريضة فرضها الله سبحانه**» أي: أوجبها «**لكلّ**» من الوالي والرعيّة «**على كلّ**» من الوالي والرعيّة «**فجعلها نظاماً لألفتهم**» في دنياهم «**وعزّاً لدينهم فليست تصلح الرعية إلّا بصلاح الولاة**».

قال الحكماء كما في (العقد): إمام عادل، خير من مطر وابل[2].

وقال الأفوه الأودي:

لا تصلح النّاس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهّالهم سادوا
والبيت لا يبنى إلّا له عمد ولا عماد إذا لم ترس أوتاد
وإن تجمع أوتاد وأعمدة يوماً فقد بلغوا الأمر الّذي كادوا

«**ولا تصلح الولاة إلّا باستقامة الرعية**»، في (العقد) قال النبيّ صلى الله عليه وآله: الدّين النصيحة، الدّين النصيحة، الدين النصيحة. قالوا: لمن؟ قال: لله ولرسوله ولأولي الأمر منكم، فنصح الإمام ولزوم طاعته فرض واجب، وأمر لازم، ولا يتمّ إيمان إلّا به، ولا يثبت إسلام إلّا عليه[3].

---

(١) كامل المبرد ٥: ٧٦ و٧٧.

(٢) العقد الفريد ١: ٥.

(٣) العقد الفريد ١: ٧.

قلت: هكذا نقل الخبر في (العقد الفريد)، إلّا أن الظاهر أن الخبر يتمّ عند قول النبيّ ﷺ، «ولأولي الأمر منكم» وبعده من كلام الرواة، خُلِط بالخبر!

«فاذا أدّت الرعيّة إلى الوالي حقّه وأدّى الوالي إليها حقّها عزّ الحق بينهم وقامت مناهج الدين» أي: طرقه الواضحة **«واعتدلت معالم العدل»** أي: آثاره وعلائمه الدالة عليه **«وجرت على أذلالها»** أي: مجاريها وطرقها **«السنن»** أي: السِيَر **«فصلح بذلك الزمان»** لارتفاع موادّ الفساد عنه **«وطمع في بقاء الدولة ويئست مطامع الأعداء»** فان العدوّ إنّما يطمع إذا رأى اختلافاً بين الوالي والرعيّة.

«وإذا غلبت الرعيّة واليها أو أجحف» أي: تعدّى **«الوالي برعيّته اختلفت هنالك الكلمة»** بين الوالي والرعيّة.

وفي (العقد) قالوا: لا يكون الذّمّ من الرعية لراعيها إلّا لأحد ثلاثة: كريم قصّر به عن قدره فاحتمل بذلك ضغناً، أو لئيم بلغ به ما لا يستحق فأورثه ذلك بطراً، أو رجل منع حظه من الإنصاف فشكا تفريطاً[1].

«وظهرت معالم الجور» في (العقد): إطّلع مروان على ضيعة له بالغوطة، فأنكر منها شيئاً! فقال لوكيله: ويحك إنّي لاظنّك تخونني! قال: أتظنّ ذلك ولا تستيقنه؟ قال: وتفعله؟ قال: نعم والله، إنّي لأخونك، وانك لتخون الخليفة، وان الخليفة ليخون الله، فلعن الله شر الثلاثة[2].

«وكثر الإدغال» أي: إدخال الغشّ والفساد **«في الدين وتركت محاجّ»** جمع المحّجة أي: جوادّ طرق **«السنن»** من الشرع **«فعمل بالهوى»** أي: هوى النفوس **«وعطّلت الأحكام»** أي: أحكام الله **«وكثرت علل النفوس»** أي: أعذارها الباطلة

---

(١) العقد الفريد ١: ٣٢.

(٢) العقد الفريد ١: ٢٣.

لأعمالهم الجائرة «فلا يستوحش لعظيم حقّ عطل ولا لعظيم باطل فعل» وقد عرفت رواية الروضة «اثّل»(١) أي: اصل، وهو الأفصح.

وكذلك كان الأمر في أيام المتصدّين للأمر قبله عليه السلام، فعطّل القصاص والحدّ عن خالد بن الوليد القاتل لمالك بن نويرة غدراً، والزاني بامرأته أيام أبيبكر حتى أنكر ذلك عليه عمر، وعطّل الثاني الرجم على المغيرة، مع ثبوت زناه محصناً، وإنّ منع الشاهد الرابع من إتمام شهادته لهواه فيه، وأما أيّام الثالث فشنائعه أكثر من أن تحصى، ولو لم يكن له إلّا توليته أخاه لأمّه الوليد بن عقبة الفاسق بنصّ القرآن(٢) الكوفة وشربه وصلاته بالناس في سكره الصبح أربعاً وتغنّيه في الصلاه وإخراجه لمثل أبي ذر الّذي أمر الله نبيّه بحبّه لكفاه.

«فهنالك تذلّ الأبرار» فكان الأبرار كعمّار ونظرائه في أيام عثمان أذلاّء «وتعزّ الأشرار» وكان مروان بن الحكم طريد النبيّ صلى الله عليه وآله ولعينه وباقي بني أمية الشجرة الملعونة في القرآن(٣) في أيّام عثمان أعزّاء. وكذلك صار الأمر بعده عليه السلام في أيام معاوية، فذلّ مثل حجر بن عَدِي وأصحابه الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، وعزّ مثل زياد بن أبيه، وبسر بن إرطاة، وباقي الفجار.

«وتعظم تبعات الله عند العباد» وإن أدّى ذلك إلى قتل حجج الله كما فعلوا يوم الطف.

وقد عرفت ان (الروضة) زيد فيها «وتخرب البلاد»(٤) فنهبوا المدينة

---

(١) الكافي ٨: ٣٥٤.

(٢) النظر إلى قوله تعالى في السجدة: ١٨، والحجرات: ٦.

(٣) النظر إلى قوله تعالى في الاسراء: ٦.

(٤) الكافي ٨: ٣٥٤.

وقتلوا رجالهم وفجروا بنسائهم.

«فعليكم بالتناصح في ذلك وحسن التعاون عليه» قد عرفت أن (الروضة) روته هكذا «فهلمّ أيّها الناس إلى التعاون على طاعة الله عزّ وجلّ والقيام بعدله والوفاء بعهده، والإنصاف له في جميع حقّه، فانه ليس العباد إلى شيء أحوج منهم إلى التناصح في ذلك، وحسن التعاون عليه»[1]. ومنه يظهر أن في رواية المصنف سقطاً.

«فليس أحد وان اشتدّ على رضا الله حرصه، وطال في العمل اجتهاده، ببالغ حقيقة ما الله أهله من الطاعة له، ولكن من واجب حقوق الله على العباد النصيحة بمبلغ جهدهم، والتعاون على إقامة الحقّ بينهم» فلا يكلّف الله نفساً إلّا وسعها، وقال تعالى: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾[2].

وفي الخبر عن الزهري قال: دخلت مع عليّ بن الحسين عليه السلام على عبدالملك، فاستعظم ما رأى من أثر السجود بين عينيه فقال له: لقد بيّن عليك الاجتهاد ولقد سبق لك من الله الحسنى وأنت بضعة من النبي قريب النسب وكيد السبب، وانك لذو فضل عظيم على أهل بيتك وذوي عصرك، ولقد أوتيت من الفضل والعلم والدين والورع ما لم يؤته أحد مثلك ولا قبلك إلّا من مضى من سلفك ـ وأقبل يثني على ويطريه ـ فقال عليه السلام: كلّ ما وصفته وذكرته من فضل الله سبحانه وتأييده وتوفيقه فأين شكره على ما أنعم، كان النبيّ صلى الله عليه وآله يقف في الصلاة حتى تورم قدماه، ويظمأ في الصيام حتى يعصب فوه، فقيل له صلى الله عليه وآله: ألم يغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فيقول: أفلا أكون عبداً شاكراً، والله لو تقطعت أعضائي وسالت مقلتاي على صدري أن اقوم لله تعالى

---

(١) الكافي ٨: ٣٥٤.

(٢) التغابن: ١٦.

بشكر عشر العشير من نعمة واحدة الّتي لا يحصيها العادّون لم أبلغ، ولو لا أنّ لأهلي عليّ حقّاً، ولسائر الناس من خاصّهم وعامّهم عليّ حقوقاً لا يسعني إلّا القيام بها لرميت بطرفي إلى السماء وبقلبي إليه تعالى ثمّ لم أردده‍ما حتى يقضي الله على نفسي، ثمّ بكى عليه السلام فبكي عبدالملك! وقال: شتّان بين من طلب الآخرة ومن طلب الدنيا[1].

«وليس أمرؤ وإن عظمت في الحقّ منزلته وتقدّمت في الدين فضيلته» كالنبي والإمام «بفوق أن يعان على ما حمّله الله من حقّه» لأنه تعالى أوجب ذلك على عباده.

«ولا أمرؤ وإن صغّرته النفوس واقتحمته» أي: حقّرته «العيون بدون» أي: بأنقص «أن يعين على ذلك أو يعان عليه» حيث حثّ تعالى على عمل البرّ: ﴿وتعاونوا على البرّ والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾[2].

وقال ابن أبي الحديد: قوله عليه السلام «وليس أمرؤ» ـ الخ ـ، مثل قول زيد بن علي لهشام «ليس أحد وإن عظمت منزلته بفوق أن يذكّر بالله ويحذّر من سطوته، وليس أحد وإن صغّرته العيون بدون أن يذكّر بالله ويخوّف من نقمته»[3].

قول المصنف: «فأجابه عليه السلام رجل من أصحابه بكلام طويل يكثر فيه الثناء عليه ويذكر سمعه وطاعته له» قد عرفت من رواية (الروضة) أن ذلك الرجل ما عرفوه ولم يُرَ في عسكره عليه السلام قبل ذاك اليوم ولا بعده، وان ذاك الرجل أجابه عليه السلام مرّات عديدة في كلّ مرة بكلام يختلف عن سابقه.

---

(١) رواه ابن طاووس في فتح الابواب، عنه البحار ٤٦: ٥٦ ح ١٠.

(٢) المائدة: ٢.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١١: ٩٣، والنقل بتصرف يسير.

«فقال عليه السلام: إنّ من حقّ من عظم جلال الله في نفسه، وجل موضعه من قلبه أن يصغر عنده لعظم ذلك كلّ ما سواه». روي في (توحيد الصدوق) عن زينب العطّارة قالت: سألت النبيّ صلى الله عليه وآله عن عظمة الله. فقال صلى الله عليه وآله: إنّ هذه الأرض بمن فيها ومن عليها عند الّتي تحتها كحلقة في فلاة قيّ، وهاتان ومن فيهما ومن عليهما عند الّتي تحتها كحلقه في فلاة قيّ، والثالثة حتى انتهى إلى السابعة، ثم تلا هذه الآية: ﴿خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن﴾[١] - الخبر[٢].

«وإنّ أحقّ من كان كذلك» أي: يكون كلّ ما سواه تعالى صغيراً عنده «لمن عظمت نعمة الله عليه ولطف إحسانه إليه» مثله عليه السلام «فانه لم تعظم نعمة الله على أحد إلّا ازداد حقّ الله عليه عظماً».

وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام: من عظمت نعمة الله عليه اشتدّت مؤنة الناس عليه، فاستديموا النعمة باحتمال المؤنة ولا تعرّضوها للزوال، فقلّ من زالت عنه النعمة فكادت أن تعود إليه[٣].

«وإن من أسخف حالات الولاة» وأقربها إلى دقّة عقولهم «عند صالح الناس أن يظنّ بهم حبّ الفخر ويوضع أمرهم على الكبر» وفي (الكافي) عن النبيّ صلى الله عليه وآله: آفة الحسب الافتخار والعجب.

وعن الصادق عليه السلام: جاء رجل إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: أنا فلان بن فلان - حتى عدّ تسعة - فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله: أما إنّك عاشرهم في النار[٤].

«وقد كرهت أن يكون جال في ظنّكم أنّي أحبّ الإطراء» أي: المدح لي «واستماع الثناء» عليّ.

---

(١) الطلاق: ١٢.

(٢) توحيد الصدوق: ٢٧٥ ح ١.

(٣) الكافي ٤: ٣٧ ح ١.

(٤) الكافي ٢: ٣٢٨ و٣٢٩ ح ٢ و٥.

قال ابن أبي الحديد: ناظر المأمون البوشنجاني في مسألة كلاميّة، فجعل يستخذي له، فقال له المأمون: أراك تنقاد إليّ ما أقوله لك قبل وجوب الحجّة عليك، وقد ساءني منك ذلك، ولو شئت ان اقتسر الأُمور بعزّة الخلافة وهيبة الرياسة لصدقت وان كنت كاذباً وعدلت وان كنت جائراً وصوبت وان كنت مخطئاً، ولكن لا أقنع إلّا بإقامة الحجّة وإزالة الشبهة، وإن أنقص الملوك عقلاً وأسخفهم رأياً من رضي بقولهم: صدق الامير!

وقال ابن المقفع في (يتيمته): إيّاك إذا كنت والياً أن يكون من شأنك حبّ المدح والتزكية وأن يعرف الناس ذلك منك، فتكون ثلمة يقتحمون عليك منها وباباً يفتحونك منه وغيبة يغتابونك بها ويسخرون منك لها[1]!

«ولست بحمد الله كذلك، ولو كنت أحبّ أن يقال ذلك لتركته انحطاطاً لله سبحانه عن تناول ما هو أحق به من العظمة والكبرياء».

جاء في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: أوحى الله إلى داود: كما أن أقرب النّاس من الله، المتواضعون كذلك أبعد الناس المتكبّرون.

ونقل أيضاً عن الباقر عليه السلام: أنّ مَلَكاً أتى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: إن الله تعالى مخيّرك بين أن تكون عبداً رسولاً متواضعاً أو مَلَكاً رَسولاً. فنظر النبيّ صلى الله عليه وآله إلى جبرئيل عليه السلام، وأومأ جبرئيل بيده أن تواضع، فقال النبيّ: عبداً متواضعاً رسولاً[2].

وفي (عقاب الأعمال) عن الصادق عليه السلام: الكبرياء رداء الله، فمن نازعه شيئاً من ذلك كبه الله في النار[3] [4].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١١: ١٠٤، والنقل بتصرف يسير.

(٢) الكافي ٢: ١٢٢ و١٢٣ ح ٥ و١١.

(٣) عقاب الاعمال: ٢٦٤ ح ٢.

(٤) لم يتعرض الشارح بشرح فقره «وربما استحلى الناس الثناء بعد البلاء».

«**فلا تثنوا عليّ بجميل ثناء لإخراجي نفسي إلى الله وإليكم من التـقية في حقوق لم أفرغ من أدائها وفرائض لابدّ من إمضائها**» قرأ ابن أبي الحديد من التقية «من البقية» لأنّه قال معنى كلامه عليه السلام «وربما استحلى الناس ـ إلى ـ لابدّ من إمضائها» أن بعض من يكره الإطراء والثناء، قد يحب ذلك بعد البلاء والإختبار، كما قال مرداس بن أدية لزياد «إنّما الثناء بعد البلاء وإنّما يثنى بعد أن يبتلى» فقال عليه السلام: لو فرضنا أن ذلك سائغ وجائز وغير قبيح لم يجز لكم أن تثنوا عليّ في وجهي ولا جاز لي أن أسمعه منكم لأنّه قد بقيت علي بقية لم أفرغ من أدائها وفرائض لم أمضها بعد، ولابدّ لي من إمضائها، وإذا لم يتمّ البلاء الّذي قد فرضنا أن الثناء يحسن بعده، لم يحسن الثناء[١].

واما ابن ميثم فقال: وفي خط الرضيّ «من التقية» بالتاء، والمعنى فإن الذي أفعله من طاعة الله انّما هو إخراج لنفسي إلى الله وإليكم من تقية الحقّ فيما يجب عليّ من الحقوق، إذ كان عليه السلام إنّما يعبد الله لله غير ملتفت في شيء من عبادته وأداء واجب حقّه إلى أحد سواه خوفاً منه أو رغبة إليه[٢].

«**فلا تكلموني بما تكلّم به الجبابرة**» جاء في (تاريخ الطبري): خطب الوليد ابن عبد الملك بعد أبيه ـ وكان جبّاراً عنيداً ـ فقال: أيّها الناس من أبدى لنا ذات نفسه ضربنا الذي فيه عيناه، ومن سكت مات بدائه[٣].

«**ولا تتحفظوا منّي بما يتحفّظ به عند أهل البادرة**» أي: أهل الحدّة.

في (العقد الفريد): قام رجل إلى هارون وهو يخطب بمكة فقال: ﴿كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾[٤] فأمر به فضرب مائة سوط، فكان يئنّ

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١١: ١٠٧.

(٢) شرح ابن ميثم ٤: ٤٧.

(٣) تاريخ الطبري ٥: ٢١٤، سنة ٨٦.

(٤) الصف: ٣.

الليل كلّه ويقول الموت الموت.

وفيه: بقي الوليد بن عبد الملك يوم الجمعة على المنبر حتى اصفرّت الشمس، فقام إليه رجل فقال: ان الوقت لا ينتظرك وان الربّ لا يعذرك! قال: صدقت! ومن قال مثل مقالتك فلا ينبغي له أن يقوم مثل مقامك! من ها هنا من الحرس يقوم فيضرب عنقه[١]؟

«ولا تخالطوني بالمصانعة». في (العقد)، قال الربيع بن زياد الحارثي: كنت عاملاً لأبي موسى على البحرين، فكتب إليه عمر يأمره بالقدوم عليه هو وعمّاله وأن يستخلفوا من هو من ثقاتهم حتى يرجعوا، فلمّا قدمنا أتيت يرفأ -غلام عمر- فقلت: يا يرفأ! ابن سبيل مسترشد، أخبرني، أيّ الهيئات أحبّ إلى عمر أن يرى فيها عمّاله؟ فأومأ إلى الخشونة، فأخذت خفين مطارقين ولبست جبّة صوف ولثت رأسي بعمامة دكناء، ثم دخلنا على عمر فصفنا بين يديه وصعّد فينا نظره وصوّب، فلم تأخذ عينه أحداً غيري فدعاني -الخ[٢]-.

هذا، وروى صاحب كتاب (البصائر)، وكذا (المناقب)، عن إبراهيم بن عمر أنّه عليه السلام قال: لو وجدت رجلاً ثقة لبعثت معه المال إلى المدائن إلى شيعته. فقال رجل من أصحابه في نفسه: لآتينه ولأقولن له أنا أذهب به فهو يثق بي فإذا أنا أخذته أخذت طريق الكرخة، فأتاه فقال له عليه السلام: أنا أذهب بهذا المال إلى المدائن؛ فرفع رأسه إليه ثم قال له: إليك عنّي خذ طريق الكرخة!

وروي في (الخرائج) كذلك ولكن فيه قال: فإذا أخذته، أخذت طريق الشام إلى معاوية -إلى أن قال- فقال عليه السلام له: إليك عنّي تأخذ طريق الشام[٣].

---

(١) العقد الفريد ١: ٤٠، والنقل بتصرف يسير.

(٢) العقد الفريد ١: ١٠، والنقل بتصرف يسير.

(٣) بصائر الدرجات: ٢٦٠ ح ٢٠، ومناقب السروي ٢: ٢٥٨، والخرائج والجرائح ١: ١٨٥.

«ولا تظنّوا بي استثقالاً في حقّ قيل لي، ولا التماس إعظام لنفسي، فانّه من استثقل الحقّ أن يقال له أو العدل أن يعرض عليه كان العمل بهما أثقل عليه» في (بلاغات نساء البغدادي) عن الشعبي قال: استأذنت سودة بنت عمارة بن الأسك الهمدانية على معاوية، فاذن لها، فلما دخلت قال لها معاوية: هية يابنت الأسك ألست القائلة يوم صفين:

شمّر كفعل أبيك يا ابن عمارة ... يوم الطعان وملتقى الأقران

وانصر عليّاً والحسين ورهطه ... واقصد لهند وابنها بهوان

إنّ الإمام أخو النّبيّ محمّد ... علم الهدى ومنارة الإيمان

فقه الحتوف وسر أمام لوائه ... قدماً بأبيض صارم وسنان

قالت: أي والله ما مثلي من غرب عن الحقّ أو اعتذر بالكذب! ـإلى أن قال ـقالت لمعاوية: إنّك أصبحت للناس سيّداً ولأمرهم متقلّداً، والله سائلك عن أمرنا وما افترض عليك من حقّنا، ولا يزال يقدم علينا من ينوء بعزّك ويبطش بسلطانك، فيحصدنا حصد السنبل ويدوسنا دوس البقر ويسومنا الخسيسة ويسلبنا الجليلة، هذا بسر بن إرطأة قدم علينا من قِبَلِك، فقتل رجالي وأخذ مالي يقول لي: فوهي بما استعصم الله منه والجأ إليه فيه ـتعني سبّه عليه السلام ـ ولولا الطاعة لكان فينا عزّ ومنعة، فإمّا عزلته عنّا فشكرناك، وإمّا لا، فعرفناك. فقال لها معاوية: أتهدديني بقومك! لقد هممت أن أحملك على قتب اشرس فأردك إليه ينفذ فيك حكمه. فأطرقت تبكي ثم قالت:

صلّى الإله على جسم تضمّنه ... قبر فأصبح فيه العدل مدفونا

قد حالف الحقّ لا يبغي به بدلاً ... فصار بالحقّ والإيمان مقرونا

قال لها: ومَنْ ذلك؟ قالت: عليّ بن أبي طالب، قال: وما صنع بك حتّى صار عندك كذلك؟ قال: قدمت عليه في رجل ولّاه صدقاتنا فكان بيني وبينه ما بين الغثّ والسمين، فأتيت عليّاً عليه السلام لأشكو إليه، فوجدته قائماً يصلّي،

فلمّا نظر إليّ انفتل من صلاته، ثمَّ قال لي برأفة وتعطف: ألكِ حاجة؟ فأخبرته الخبر، فبكى! ثمَّ قال: اللّهم إنّك أنت الشاهد عليّ وعليهم، إني لم آمرهم بظلم خلقك ولا بترك حقّك، ثمَّ أخرج من جيبه قطعة جلد كهيئة طرف الجواب فكتب فيها «بسم الله الرحمن الرحيم﴿قد جآءتكم بيّنة من ربّكم فأوفوا الكيل والميزان بالقسط ولا تبخسوا النّاس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾، ﴿بقيّة الله خيرٌ لكم إن كنتم مؤمنين، وما أنا عليكم بحفيظ[١]﴾، إذا قرأت كتابي فاحتفظ بما في يدك من عملنا، حتى يقدم علينا من يقبضه منك»؛ فأخذته منه، والله! ما ختمه بطين ولا خزمه بخزام فقرأته! فقال لها معاوية: لقد لمظكم ابن أبي طالب الجرأة على السلطان فبطيئاً ما تفطمون! ـ الخ[٢] ـ.

هذا، وفي (العقد): جلس المأمون للمظالم، فتقدّمت إليه امرأة فقال لها: اين خصمك؟ قالت: الواقف على رأسك ـ وأومأت إلى العباس ابنه ـ فقال لأحمد بن أبي خالد: خذ بيده فأجلسه معها مجلس الخصوم، فجعل كلامها يعلو كلام العباس، فقال لها أحمد اخفضي من صوتك فانّك تكلّمين الأمير! فقال له المأمون: دعها فإن الحقّ أنطقها وأخرسه، ثمّ أمر بردّ ضيعتها إليها[٣].

«فلا تكفّوا عن مقالة بحقّ أو مشْوَرة» بسكون الشين وفتح الواو، أو ضمّ الشين وسكون الواو.

وفي (العقد): قيل لرجل من عبس ما أكثر صوابكم؟ قال: نحن ألف رجل وفينا حازم واحد، فنحن نشاوره، فكأنّا ألف حازم[٤].

«فإنّي لست في نفسي بفوق أن أخطئ ولا آمن ذلك» هكذا في (المصرية)

---

(١) هذا خلط بين آية الأعراف: ٨٥، وآيتي هود: ٨٥ و ٨٦.

(٢) بلاغات النساء: ٤٧، والنقل بتصرف يسير.

(٣) العقد الفريد ١: ٢٠، والنقل بتلخيص.

(٤) العقد الفريد ١: ٤٧.

والصواب: (ذاك) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية) «**من فعلي إلاّ أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به منّي**»[١].

وهذا القول صدر منه عليه السلام كقول يوسف عليه السلام: ﴿وما أبرّئ نفسي إنّ النّفس لأمّارة بالسوء إلاّ ما رحم ربّي إنّ ربّي غفور رحيم﴾[٢]، وكقول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ـ في خبر ـ «ولا أنا إلاّ أن يتداركني الله برحمته»[٣]. فلا ينافي عصمته عليه السلام فان عصمتهم عليهم السلام إنّما بالله تعالى، قال تعالى: ﴿ولقد همّت به وهمّ بها لولا أن رأى برهان ربّه﴾[٤] فقال عليه السلام ما قال على مقتضى الغرائز البشرية من حيث هي.

«**فانّما أنا وأنتم عبيد مملوكون لربّ لا ربّ غيره؛ يملك منّا ما لانملك من أنفسنا**» ولا حول ولا قوّة لأحد إلّا به تعالى.

«**وأخرجنا ممّا كنّا فيه إلى ما صلحنا عليه، فأبدلنا بعد الضلالة بالهدى وأعطانا البصيرة بعد العمى**»، قال ابن أبي الحديد: لم يُشِرْ عليه السلام إلى خاصّ نفسه لأنّه عليه السلام لم يكن كافراً فأسلم، ولكنّه أشار إلى القوم الذين يخاطبهم من افناء النّاس، وأتى بصيغة الجمع توسعاً. ويجوز أن يكون معناه لولا ألطاف الله تعالى ببعثة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لكان الجميع على عبادة الأصنام، كما قال تعالى لنبيّه ﴿ووجدك ضالاًّ فهدى﴾[٥]، فليس معناه أنّ النبي كان كافراً، بل معناه: إنّه لولا اصطفاء الله تعالى لك لكنت كواحد من قومك، فكأنّه

(١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١١: ١٠٢، لكن في شرح ابن ميثم ٤: ٤١ «ذلك».

(٢) يوسف: ٥٣.

(٣) لم أجده.

(٤) يوسف: ٢٤.

(٥) الضحى: ٧.

كان ضالاً بالقوّة لا بالفعل[١].

قلت: وكأن في الكلام سقطاً، وإن وجدنا رواية الروضة أيضاً كذلك، فعطف قوله «وأخرجنا» على قوله «يملك منّا» كما ترى.

وكيف كان فقد عرفت من رواية (الروضة) أن من كلامه عليه السلام بعدما مرّ «وأنا استشهدكم عند الله على نفسي -إلى- ولا يجوز عنده إلّا مناصحة الصدور في جميع الأمور»[٢] ولم ينقله المصنف.

١٠
الخطبة (١٢٩)

ومن كلام له عليه السلام :

أَيَّتُهَا النُّفُوسُ الُمخْتَلِفَةُ وَٱلْقُلُوبُ الُمتَشَتِّتَةُ، الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ وَٱلْغَائِبَةُ عَنْهُمْ عُقُولُهُمْ، أَظْارُكُمْ عَلَى ٱلْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَنْفِرُونَ عَنْهُ نُفُورَ ٱلْمِعْزَى مِنْ وَعْوَعَةِ ٱلْأَسَدِ. هَيْهَاتَ أَنْ أُطْلِعَ بِكُمْ سِرَارَ ٱلْعَدْلِ، أَوْ أُقِيمَ ٱعْوِجَاجَ ٱلْحَقِّ. ٱللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِي كان مِنَّا مُنَافَسَةً فِي سُلْطَانٍ، وَلَا ٱلْتِمَاسَ شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ ٱلحُطَامِ، وَلَكِنْ لِنَرِدَ المَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ، وَنُظْهِرَ ٱلْاصْلاَحَ فِي بِلاَدِكَ، فَيَأْمَنَ المَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ، وَتُقَامَ المُعَطَّلَةُ مِنْ حُدُودِكَ. ٱللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَنَابَ، وَسَمِعَ وَأَجَابَ، لَمْ يَسْبِقْنِي إِلَّا رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عليه وآله بِالصَّلاَةِ.

أقول: قال ابن الجوزي في (مناقبه) -كما في (البحار)- روى مجاهد عن ابن عباس قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام يوماً على منبر الكوفة «أيّتها النفوس...الخ» مثله[٣].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١١: ١٠٨، والنقل بتصرف يسير.

(٢) الكافي ٨: ٣٥٧ و ٣٥٨.

(٣) نقله عنه في بحار الأنوار ٧٧: ٢٩٤ ح٣، وهذا خلط بين الكتاب ابن الجوزي وسبطه وما نقله فهو من تذكرة

«أيّتها النفوس المختلفة» في الآراء «والقلوب المتشتّتة» في العقائد «الشاهدة أبدانهم» في المجالس «والغائبة عنهم عقولهم» في العمل لمصالحهم ومعائشهم.

وفي الخطبة ٢٩ «أيّها النّاس المجتمعة أبدانهم، المختلفة أهواؤهم» وفي الخطبة ٩٥ «أيّها الشاهدة أبدانهم، الغائبة عقولهم، المختلفة أهواؤهم، المبتلى بهم أمراؤهم».

«أظأركم» أي: أعطفكم «على الحقّ وأنتم تنفرون عنه نفور المعزى من وعوعة» في (الجمهرة): سمعت وعوعة القوم أي: اختلاط أصواتهم، ويسمى ابن آوى الوعوع؛ والوعوعة صوت الديك إذا دارك، وكذلك الذئب في عَدْوه، قال امرؤ القيس:

كأنّ خضيعة بطن الجواد ... وعوعة الذئب في الفدفد[1]

«الأسد» كلامه عليه السلام «وأنتم...الخ»، نظير قوله تعالى: ﴿كأنّهم حمر مستنفرة * فرّت من قسورة﴾[2].

«هيهات» أي: بعيد «أن أطلع بكم» أي: أخرج بكم «سرار العدل» أي: مخفيّه من سرار الشهر ليلة أو ليلتين من آخر الشهر يستتّر فيهما القمر بطلوع الشمس «أو أُقيم» بكم «اعوجاج الحقّ» وزيغه، لأنّهم منشأ سرار العدل، فكيف يطلع بهم، وموجب اعوجاج الحقّ فكيف يقام بهم؟

«اللّهم إنّك تعلم أنّه لم يكن الذي كان منّا» من ترغيبكم إلى جهاد العدو وتأنيبكم على تقاعدكم عن حفظ الثغور «منافسة» أي: رغبة «في سلطان» الدنيا

الخواص: ١٢٠.

(١) جمهرة اللغة ١: ١٦٠.

(٢) المدثر: ٥٠ و ٥١.

كالمتقدّمين عليه عليه السلام **«ولا التماس»** أي: ولا لطلب **«شيء من فضول الحطام»** الأصل في الحطام: ما تكسر من اليبيس، شبّه به متاع الدنيا.

«ولكن لنردّ المعالم من دينك» معالم الدين: آثاره المستدل بها عليه، **«ونظهر الإصلاح في بلادك، فيأمن المظلومون من عبادك وتقام المعطّلة من حدودك»** نقل نصر ابن مزاحم في كتابه (وقعة صفين) عن حبة العرني: أنّه لما نزل عليّ عليه السلام في طريق صفّين بمكان يقال له بليخ، نزل راهب من صومعته فقال له عليه السلام إنّ عندنا كتاباً توارثناه عن آبائنا كتبه عيسى بن مريم عليه السلام، أعرضه عليك؟ قال عليه السلام: نعم ـ إلى أن قال فيه ـ فإذا توفّى الله نبيّهم صلى الله عليه وآله وسلم اختلفت أُمّته ثمّ اجتمعت، فلبثت بذلك ما شاء الله، ثمّ اختلفت فيمرّ رجل من أمّته بشاطئ هذا الفرات، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويقضي بالحقّ، ولا يرتشي في الحكم، الدّنيا أهون عليه من الرّماد في يوم عصفت الريح، والموت أهون عليه من شرب الماء على الظمأ، يخاف الله في السرّ، وينصح له في العلانية، ولا يخاف في الله لومة لائم[1].

وفي (تاريخ الطبري) عن ناجية القرشي عن عمّه يزيد بن عدي قال: رأيت عليّاً عليه السلام خارجاً من همدان، فرأى فئتين يقتتلان ففرّق بينهما ـ ثم مضى فسمع صوتاً «يا غوثا بالله»، فخرج يحضر نحوه حتى سمع خفق نعله وهو يقول: أتاك الغوث، فإذا رجل يلازم رجلاً! فقال له عليه السلام: بعت هذا ثوباً بتسعة دراهم وشرطت عليه أن لا يعطيني مغموزاً ولا مقطوعاً ـ وكان شرطهم يومئذٍ ـ فأتيته بهذه الدراهم ليبدلها لي فأبى! فلزمته، فلطمني! فقال له: ابدلها له (ففعل) ثمّ قال عليه السلام: بيّنتك على اللطمة؟ فأتاه بالبيّنة فأقعده، ثم قال: دونك فاقتص! فقال: إنّي قد عفوت، ثم ضرب الرجل تسع

---

(١) وقعة صفين: ١٤٧.

درّات وقال: هذا حقّ السلطان.

ورواه في إسناد آخر عنه عن أبيه، وفيه: اشترى منّي شاة وقد شرطت عليه ألّا يعطيني مغموزاً ولا محذقاً! فأعطاني درهماً مغموزاً، فرددته فلطمني -إلى أن قال ـ أو أعفو. قال: ذاك إليك، فلمّا جاز الرجل قال عليه السلام: يا معشر المسلمين خذوه! فأخذوه، فحمل على ظهر رجل كما يحمل صبيان الكتاب ثم ضربه خمس عشرة درّة وقال: هذا نكال لما انتهكت من حرمته[1].

«اللهمّ إنّي أوّل من أناب» أي: أقبل إلى الله «وسمع» دعوة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم «وأجاب» وفي (الإرشاد) قال عليه السلام: أخبركم بما يكون قبل أن يكون، لتكونوا منه على حذر، ولتنذروا به من اتعظ واعتبر؛ كأنّي بكم تقولون إنّ عليّاً يكذب، كما قالت قريش لنبيّها وسيّدها نبي الرحمة، فيا ويلكم! أفعلى من أكذب، أعلى الله، فأنا أوّل من عبده ووحده، أم على رسول الله فأنا أوّل من آمن به وصدقه ونصره! ـ الخبر[2]ـ.

وفي (تاريخ الطبري): لما نزلت ﴿وانذر عشيرتك الأقربين﴾[3] جمع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بني عبد المطلب وقال لهم: إنّي والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل ممّا قد جئتكم به! إنّي قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه؛ فأيّكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيّي وخليفتي فيكم؟ قال علي عليه السلام: فأحجم القوم عنها جميعاً وقلت: -وإنّي لأحدثهم سنّاً، وأرمصهم عيناً، وأعظمهم بطناً، وأحمشهم ساقاً ـ أنا أكون وزيرك عليه؛ فأخذ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم برقبتي ثم قال: إنّ هذا أخي، ووصيي،

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ١٢٠، سنة ٤٠.

(٢) الارشاد: ١٤٨.

(٣) الشعراء: ٢١٤.

وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا، فقام القوم يضحكون، ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع[١].

«لم يسبقني إلّا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالصلاة» عن الصادق عليه السلام: أوّل جماعة كانت، أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كان يصلّي وأمير المؤمنين عليه السلام معه، إذ مرّ أبو طالب به وجعفر معه قال: يابني صلْ جناح ابن عمّك، فلمّا أحسّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم تقدّمهما وانصرف أبو طالب مسروراً وهو يقول:

إنّ علياً وجعفراً ثقتي عند ملمّ الزمان والكرب[٢]

١١
الكتاب (٧٠)

ومن كتاب له عليه السلام إلى سهل بن حُنيف الأنصاريّ وهو عامله على المدينة في معنى قوم من أهلها لحقوا بمعاوية:

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رِجَالًا مِمَّنْ قِبَلَكَ يَتَسَلَّلُون إِلَى مُعَاوِيَةَ، فَلَا تَأْسَفْ عَلَى مَا يَفُوتُكَ مِنْ عَدَدِهِمْ وَيَذْهَبُ عَنْكَ مِنْ مَدَدِهِمْ. فَكَفَى لَهُمْ غَيًّا، وَلَكَ مِنْهُمْ شَافِياً فِرَارُهُمْ مِنَ الْهُدَى وَالْحَقِّ، وَإِيضَاعُهُمْ إِلَى الْعَمَى وَالْجَهْلِ، فَإِنَّمَا هُمْ أَهْلُ دُنْيَا مُقْبِلُونَ عَلَيْهَا وَمُهْطِعُون إِلَيْهَا، وَقَدْ عَرَفُوا الْعَدْلَ وَرَأَوْهُ وَسَمِعُوهُ وَوَعَوْهُ، وَعَلِمُوا أَنَّ النَّاسَ عِنْدَنَا فِي الْحَقِّ أُسْوَةٌ فَهَرَبُوا إِلَى الْأَثَرَةِ، فَبُعْداً لَهُمْ وَسُحْقاً، إِنَّهُمْ وَاللهِ لَمْ يَنفِرُّوا مِنْ جَوْرٍ وَلَمْ يَلْحَقُوا بِعَدْلٍ، وَإِنَّا لَنَطْمَعُ فِي هَذَا الْأَمْرِ أَنْ يُذَلِّلَ اللهُ لَنَا صَعْبَهُ وَيُسَهِّلَ لَنَا حَزْنَهُ إِنْ شَاءَ اللهُ. وَالسَّلَامُ.

أقول: ورواه اليعقوبي في (تأريخه) مع اختلاف فقال: وكتب علي عليه السلام

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ٦٣.

(٢) رواه السروي في مناقبه ٢: ١٩.

إلى سهل، وهو على المدينة: «أما بعد فقد بلغني أنّ رجالاً من أهل المدينة خرجوا إلى معاوية، فمن أدركته فامنعه، ومن فاتك فلا تأس عليه، فبعداً لهم، فسوف يلقون غيّاً، أما لو بعثرت القبور واجتمعت الخصوم، لقد بدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون، وقد جاءني رسولك يسألني الاذن، فأقبل ـ عفا الله عنّا وعنك ـ ولا تذر خللاً إنْ شاء الله[١].

قول المصنف: «ومن كتاب له عليه السلام إلى سهل بن حنيف الأنصاري»

روى الشيخ أنّ سهلاً كان بدرياً، أحدياً، عقبياً، نقيباً[٢].

وروى الكليني، أنّ سهلاً لمّا توفي صلّى عليه السلام عليه خمس صلوات، كلمّا أدركه النّاس وقالوا: لم ندرك الصلاة على سهل، يضعه فيكبر عليه خمساً[٣].

وروى أبو عمر في (استيعابه): أنّ سهلاً ممّن ثبت مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يوم أُحد[٤].

وروى الجزري في (أُسْدِه): أنّ سهلاً ممّن شهد على سماعه من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قوله في عليّ عليه السلام «من كنت مولاه فعليّ مولاه» لما أنشد على النّاس في الرحبة ذلك ـ رواه في عبد الرحمن عبد ربّ[٥].

«وهو عامله عليه السلام على المدينة» وروى الدينوري في (طواله): أنّ علياً عليه السلام لمّا بايعه النّاس استعمل عمّاله، واستعمل سهلاً على الشام، فلمّا انتهى إلى تبوك ـ وهي تخوم أرض الشام ـ استقبله خيل لمعاوية فردّوه، فانصرف إلى عليّ فعلم عند ذلك أن معاوية قد خالف.

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٠٣.

(٢) رواه شيخ الطوسي في التهذيب ٣: ٣١٨ ح ١١.

(٣) الكافي ٣: ١٨٦ ح ٣.

(٤) الاستيعاب ٢: ٩٢.

(٥) أسد الغابة ٣: ٣٠٧.

«في معنى» أي: مقصد «قوم من أهلها» أي: أهل المدينة «لحقوا بمعاوية» وروى في ابن قتيبة (تأريخه): أنّه عليه السلام لمّا شخص من المدينة إلى البصرة كتب عقيل إليه من مكة، أنّه رأى ابن أبي سرح في نحو من أربعين راكباً من أبناء الطلقاء من بني أُميّة يلحقون بمعاوية يريدون إطفاء نور الله[1].

قوله عليه السلام: «أما بعد فقد بلغني أنّ رجالاً ممّن قبلك» وكانوا في ناحيتك «يتسلّلون» أي: يخرجون خفية لا مطلق الخروج، كما قال (الصحاح)[2] «إلى معاوية، فلا تأسف على ما يفوتك من عددهم، ويذهب عنك من مددهم» قال تعالى: ﴿فلا تأس على القوم الكافرين﴾[3].

«فكفى لهم غيّاً ولك منهم شافياً فرارهم من الهدى والحقّ» قال تعالى: ﴿ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر إنّهم لن يضرّوا الله شيئاً﴾[4].

«وإيضاعهم» أي: اسراعهم «إلى العمى والجهل، وإنّما هم أهل دنيا» وفي نسخة (ابن ميثم) «الدنيا» «مقبلون عليها ومهطعون» أي: مسرعون «إليها وقد عرفوا العدل ورأوه وسمعوه ووعوه» أي: استمعوه.

وجاء في (تأريخ الخلفاء) ـ بعد ذكر خطبته عليه السلام في استيلاء بني أُميّة عليهم بعده بتخاذلهم ـ ثم قام أبو أيوب الأنصاري فقال: إنّ أمير المؤمنين أكرمه الله قد أسمع من كانت له أذن واعية وقلب حفيظ، أن الله قد أكرمكم به كرامة ما قبلتموها حقّ قبولها حيث نزّل بين أظهركم ابن عم رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وخير المسلمين وأفضلهم وسيّدهم بعده، يفقهكم في الدين ويدعوكم إلى جهاد المحلّين، فوالله! لكأنّكم صمّ لا تسمعون، وقلوبكم غلف مطبوع عليها

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ٥٥.

(٢) صحاح اللغة ٥: ٧٣١، مادة (سلّ).

(٣) المائدة: ٦٨.

(٤) آل عمران: ١٧٦.

فلا تستجيبون، عباد الله! أليس إنّما عهدكم بالجور والعدوان أمس، وقد شمل العباد وشاع في الإسلام! فذو حقّ محروم، ومشتوم عرضه، ومضروب ظهره، وملطوم وجهه، وموطوء بطنه، وملقى بالعراء، فلمّا جاءكم أمير المؤمنين عليه السلام صدع بالحق، ونشر بالعدل، وعمل بالكتاب، فاشكروا نعمة الله عليكم ولا تتولّوا مجرمين، ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون[1].

«**وعلموا أن النّاس عندنا في الحقّ أُسوة**» أي: متساوون «**فهربوا إلى الأثرة**» أي: الاستبداد «**فبعداً لهم وسحقاً**» أي: دقّاً كاملاً من «سحق الدواء».

«**إنّهم والله لم ينفروا**» أي: لم يهربوا «**من جور ولم يلحقوا بعدل**» وإنّما في طبيعة النّاس الجور، فيحبّون الجائرين، والنفرة من الحقّ، فيعرضون عن المحقّين.

«**وإنّا لنطمع في هذا الأمر أن يذلّل الله لنا صعبه**»، وفي نسخة (ابن ميثم) «أصعبه»[2] «**ويسهل لنا حَزْنه**» الحزن بالفتح فالسكون، ما غلظ من الأرض في قبال السهل، وفي نسخة (ابن ميثم) «أحزنه»[3] «**إن شاء الله، والسلام**» وزاد في (ابن أبي الحديد) «عليك ورحمة الله وبركاته»[4].

١٢
الكتاب (٤٥)

ومن كتاب له عليه السلام إلى عثمان بن حنيف الأنصاريّ وهو عامله على البصرة وقد بلغه أنه دعِيَ إلى وليمة قوم من أهلها فمضى إليها:

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ١٥٢.

(٢) في النسخة المطبوعة من شرح ابن ميثم ٥: ٢٢٦، نحو المصرية.

(٣) المصدر السابق.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٥٢.

أَمَّا بَعْدُ يَا ابْنَ حُنَيْفٍ فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلًا مِنْ فِتْيَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ دَعَاكَ إِلَى مَأْدُبَةٍ فَأَسْرَعْتَ الَيْها، تُسْتَطَابُ لَكَ الْأَلْوَانُ وَتُنْقَلُ إِلَيْكَ الْجِفَانُ، وَمَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُجِيبُ إِلَى طَعَامِ قَوْمٍ عَائِلُهُمْ مَجْفُوٌّ وَغَنِيُّهُمْ مَدْعُوٌّ. فَانْظُرْ إِلَى مَا تَقْضِمُهُ مِنْ هَذَا الْمَقْضَمِ، فَمَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ فَالْفِظْهُ وَمَا أَيْقَنْتَ بِطِيبِ وَجُوهِهِ فَنَلْ مِنْهُ. أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَاماً يَقْتَدِي بِهِ وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ، أَلَا وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدِ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْهِ وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصَيْهِ، أَلَا وَإِنَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ وَلَكِنْ أَعِينُونِي بِوَرَعٍ وَاجْتِهَادٍ وَعِفَّةٍ وَسَدَادٍ. فَوَاللهِ مَا كَنَزْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تِبْراً وَلَا ادَّخَرْتُ مِنْ غَنَائِمِهَا وَفْرًا وَلَا أَعْدَدْتُ لِبَالِي ثَوْبِي طِمْرًا! وَلَا حُزْتُ مِنْ أَرْضِهَا شِبْراً، وَلَا أَخَذْتُ مِنْهُ إِلَّا كَقُوتِ أَتَانٍ دَبِرَةٍ وَلَهِيَ فِي عَيْنِي أَوْ هِي وأهون مِنْ عَفْصَةٍ مَقِرَةٍ.

إِلَى أن قَال:

وَإِنّما هِي نَفسِي أروضها بِالتّقْوى لِتَأتِي آمنة يَوْم الْخوف الأكبَر وتثبت على جَوانِب الْمزلق، وَلَوْ شِئْتُ لَاهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ إِلَى مُصَفَّى هَذَا الْعَسَلِ وَلُبَابِ هَذَا الْقَمْحِ وَنَسَائِجِ هَذَا الْقَزِّ، وَلَكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ وَيَقُودَنِي جَشَعِي إِلَى تَخَيُّرِ الأَطْعِمَةِ، وَلَعَلَّ بِالحِجَازِ أَوْ الْيَمَامَةِ مَنْ لَا طَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ وَلَا عَهْدَ لَهُ بِالشِّبَعِ، أَوْ أَبِيتَ مِبْطَاناً وَحَوْلِي بُطُونٌ غَرْثَى وَأَكْبَادٌ حَرَّى، أَوْ أَكُون كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

وَحَسْبُكَ دَاءً أَنْ تَبِيتَ بِبِطْنَةٍ ... وَحَوْلَكَ أَكْبَادٌ تَحِنُّ إِلَى الْقِدِّ

أَأَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يُقَالَ هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا أُشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ، أَوْ أَكُون أُسْوَةً لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ الْعَيْشِ، فَمَا خُلِقْتُ لِيَشْغَلَنِي أَكْلُ الطَّيِّبَاتِ كَالْبَهِيمَةِ الْمَرْبُوطَةِ، هَمُّهَا عَلَفُهَا أَوِ الْمُرْسَلَةِ شُغْلُهَا تَقَمُّمُهَا تَكْتَرِشُ مِنْ أَعْلَافِهَا وَتَلْهُو عَمَّا يُرَادُ بِهَا، أَوْ أُتْرَكَ سُدًى أَوْ أُهْمَلَ عَابِثاً

أَوْ أَجُرَّ حَبْلَ الضَّلَالَةِ أَوْ أَعْتَسِفَ طَرِيقَ الْمَتَاهَةِ .

إِلَى أن قَال: فاتَّقِ اللهَ يا ابنَ حُنَيْفٍ، ولْتَكْفُكْ أَقْرَاصُكَ لِتَكُونَ مِنَ النَّار خَلاصُكَ .

أقول: وعن (روضة الفتال) و(مناقب السروي) و(خرائج الراوندي) روايته[1].

قول المصنف: «ومن كتاب له عليه السلام» وغرضه من هذا الكتاب التنبيه على نكتتين مهمّتين: الأُولى: التجنب عمّا لا يكون لله، وإليه الإشارة بقوله عليه السلام فيه «ما ظننت أنّك تجيب». والثانية: التجنّب عن الحرام بل المشتبه، وإليه الإشارة بقوله عليه السلام «فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم»، فبرعايتهما قوام الدين، وبالاخلال بهما تحصل مفاسد كثيرة بيقين.

«إلى عثمان بن حنيف» بالضم «الأنصاري» قال ابن أبي الحديد: هو ابن حنيف بن واهب بن العكم بن ثعلبة بن الحارث[2]. قلت: بل «بن عكيم» كما في (ذيل الطبري) وفي (الاستيعاب)[3] ـ كما أن الظاهر «بن ثعلبة بن عمرو بن الحرث» كما يظهر من الأول في أخيه سهل وان قال فيه «بن ثعلبة بن الحرث».

«وهو» هكذا في (المصرية) والصواب: «وكان» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[4] «عامله على البصرة». في (المروج): لما أتى طلحة والزبير إلى البصرة مانعهم عثمان بن حنيف وجرى قتال، ثم إنّهم اصطلحوا على كفّ الحرب إلى قدوم علي عليه السلام ، فلما كان في بعض

---

(١) روى الفتال في روضة الواعظين ١: ١٢٧. والسروي في مناقبه ٢: ١٠١، والراوندي في الخرائج وفي البحار ٤٠: ٣١٨ ح ٢. بعضه بلفظ آخر.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢٠٥.

(٣) منتخب ذيل المذيل: ٣٧ و ٦٧. والاستيعاب ٢: ٩٢.

(٤) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢٠٥. لكن في شرح ابن ميثم ٥: ٩٨ «وهو».

الليالي بيّتوه فأسروه وضربوه ونتفوا لحيته، ثم إنّهم خافوا على مخلّفيهم بالمدينة من أخيه سهل فخلّوا عنه[١].

«وقد بلغه أنّه دعي إلى وليمة قوم من أهلها فمضى إليها» وقالوا: من شهد الولائم لقي الألائم.

قوله عليه السلام «أما بعد يا ابن حنيف» وفي الكشّي عن الفضل بن شاذان أنّه من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام[٢].

«فقد بلغني أن رجلاً من فتية أهل البصرة» قال ابن أبي الحديد أي: من شبابها أو من أسخيائهم[٣]. قلت: بل المراد به الأول مريداً به لازمه، وهو الجهل، كأنّه قيل من جهالها بقرينة كونه عليه السلام في مقام ذمّ إجابته.

«دعاك إلى مأدبة» بضم الدال طعام يُدعى النّاس إليه، وجمعها: المآدب قال الشاعر:

كأنّ قلوب الطير في قعر عشّها

نوى القسب ملقى عند بعض المآدب[٤]

«فأسرعت إليها تستطاب لك الألوان» أي: ألوان الطعام «وتنقل إليك الجِفان» بالكسر جمع الجفنة. قال ابن أبي الحديد: ويروى «وكثرت عليك الجفان فكرعت وأكلت أكل ذئب نهم أو ضبع قرم»[٥].

«وما ظننت أنّك تجيب إلى طعام قوم عائلهم» أي: فقيرهم «مجفو» فلا يدعونه «وغنيّهم مدعو» ومن كان كذلك ممّن يفرّق بين الغني والعائل، ولا يريد

---

(١) مروج الذهب ٢: ٣٥٧ و ٣٥٨.

(٢) اختيار معرفة الرجال: ٣٨.

(٣) شرح ابن أبي الحديد١٦: ٢٠٦.

(٤) أورده لسان العرب١ : ٢٠٦، مادة (أدب).

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢٠٥.

بإطعامه وجهه تعالى فهو مذموم عنده تعالى.

فعن النبيّ ﷺ: من أطعم طعاماً رياءاً وسمعة، أطعمه الله مثله من صديد جهنم، وجعل ذلك الطعام ناراً في بطنه حتّى يقضي بين النّاس[1].

وكذلك كلّ عمل أُريد به غير الله تعالى، فعن النبيّ ﷺ: من بنى بنياناً رياءاً وسمعة حمله يوم القيامة إلى سبع أرضين ثمّ يطوّقه ناراً توقد في عنقه ثمّ يرمى به في النار[2].

وعنهم عليهم السلام: من نكح امرأة حلالاً بمال حلال غير أنّه أراد بها فخراً أو رياءاً لم يزده الله بذلك إلّا ذلاًّ وهواناً، وأقامه الله بقدر ما استمتع منها على شفير جهنم ثم يهوى فيها سبعين خريفاً[3].

كما أن التفريق بين الغني والعائل في الإطعام ملوم عند الأحرار، وفي بخلاء الجاحظ أن صاحب المأدبة إذا جاء رسوله والقوم في أنديتهم فقال: أجيبوا إلى طعام فلان فجعلهم جفلة واحدة ـ وهي الجفالة ـ فذلك هو المحدود، وإذا انتقر فقال: قم أنت يا فلان، وقم أنت يا فلان! فدعا بعضاً وترك بعضاً فقد انتقر، قال الهذلي:

وليلة يصطلي بالفرث جازرها ... يخص بالنقرى مثرين داعيها

وقال بعضهم:

آثر بالجدي وبالمائدة ... من كان يرجو عنده الفائده

وقال طرفة:

نحن في المشتاة ندعو الجفلى ... لا ترى الآدب فينا ينتقر[4]

---

(١) أخرجه الصدوق في عقاب الأعمال: ٣٣٨.

(٢) أخرجه الصدوق في عقاب الأعمال: ٣٣١.

(٣) أخرجه الصدوق في عقاب الأعمال: ٣٣٣.

(٤) البخلاء: ٢٣٦.

ولما غزا بسطام بن قيس الشيباني مالك بن المتفق الضبي، وأثبته عاصم بن خليفة الضبي، شدّ عليه فطعنه، وهو يقول: هذا وفي الحفلة لا يدعوني، كأنّه حقد عليه حين لم يدعه.

كما أن الإجابة إنّما تحسن إذا كان الداعي مؤمناً، قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: لو أنّ مؤمناً دعاني إلى طعام ذراع شاة لأجبته وكان ذلك من الدِّين، ولو أن مشركاً أو منافقاً دعاني إلى جزور ما أجبته وكان ذلك من الدِّين[١].

وفي وصايا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لأبي ذر: أطعم طعامك من تحبّه في الله، وكُلْ طعام من يحبّك في الله[٢].

وعنهم عليهم السلام: لو دعي صائم ندب، كان ثواب إجابة أخيه المؤمن أفضل من صومه بمراتب، بل لو كان صوم فرض له عنه مندوحة، فالفضل بالإجابة[٣].

روى الجزري في إبراهيم بن عبيد أنّ أبا سعيد الخدري صنعِ طعاماً فدعا النبي وأصحابه، فقال رجل منهم: إنّي صائم. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: تكلّف لك أخوك وصنع طعاماً فأطعم وصم يوماً مكانه[٤].

وكان عليه السلام يجيب المؤمنين، وفي الخبر: إنَّ حارث الأعور قال له عليه السلام: أحبّ أن تكرمني بأن تأكل عندي، فقال عليه السلام: على أن لا تتكلّف لي شيئاً، فدخل عليه السلام بيته وأتاه الحارث بكسر، فجعل عليه السلام يأكل، فقال الحارث: معي دراهم -وكانت له دراهم في كمه- فإن أذنت لي اشتريت لك شيئاً غيرها.

---

(١) أخرجه الكليني في الكافي ٦: ٢٧٤ ح١، وأخرج صدره البرقي في المحاسن: ٤١١ ح١٤٢.

(٢) أخرجه أبو جعفر الطوسي في أماليه ٢: ١٤٨، المجلس ١، والطبرسي في مكارم الأخلاق: ٤٦٦.

(٣) روى أحاديث بهذا المضمون الحر العاملي في الوسائل١٦: ٥٠١، والمحدث النوري في المستدرك ٣: ٩٥.

(٤) أسد الغابة ١: ٤٣.

فقال عليه السلام: هذه ممّا في بيتك[١].

هذا وقال ابن أبي الحديد: ذمّ عليه السلام أهل البصرة فقال «عائلهم مجفو وغنيهم مدعو والعائل: الفقير»، وهذا كقول الشاعر:

فإن تملق فأنت لنا عدو فان تثر فأنت لنا صديق[٢]

قلت: كلامه خبط، فان قوله عليه السلام الجملة صفة «قوم»، فهو ذمّ لذلك الرجل الذي دعا عثمان، لأن طعامه لم يكن لله، كما أن الشعر في مقام آخر غير ذمّ أحد، فإنّه في مقام بيان أنّ الفقير مبغض إلى النّاس طبعاً، حتى أنّه لو كان صديقاً يكون عندهم كالعدو! والغني بالعكس، حتى أنّه لو كان عدواً كان عندهم كالصديق!

هذا، وفي (العيون لابن قتيبة)، قال عدي بن حاتم لابن له حدث: قم بالباب فامنع من لا تعرف وأذن لمن تعرف! فقال: لا والله! لا يكون أوّل شيء وليته من أمر الدنيا منع قوم من الطعام[٣].

«فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم» من قضمت الدابة شعيرها بالكسر «فما اشتبه عليك علمه» هل هو حلال أو حرام «فالفظه» من لفظ الشيء من فمه، أي: رماه منه، وما رماه لفاظه.

وفي (المروج): كان لأنوشروان مائدة من الذهب عظيمة عليها أنواع من الجواهر مكتوب عليها من جوانبها «ليهنه طعامه من أكله من حلّه، وعاد على ذوي الحاجة من فضله، ما أكلته، وأنت تشتهيه، فقد أكلته، وما أكلته، وأنت لا تشهيه؛ فقد أكلك»[٤].

---

(١) أخرجه الكليني في الكافي٦: ٢٧٦ ح ٤، والبرقي في المحاسن: ٤١٥ ح ١٦٩.

(٢) شرح ابن أبي الحديد١٦: ٢٠٦.

(٣) عيون ابن قتيبة ١: ٣٣٥.

(٤) مروج الذهب ١: ٢٩٤.

«**وما أيقنت بطيب وجوهه فنل منه**» لعدم وجود تبعة فيه. في الخبر ولّى عليه السلام رجلاً من ثقيف وقال له: إذا صلّيت الظهر فعد إليّ، فعدت إليه فلم أجد عنده حاجباً، فوجدته جالساً وعنده قدح وكوز ماء، فدعا بوعاء مشدود مختوم فقلت في نفسي: لقد آمنني حتى أخرج إلي جوهراً، فكسر الختم وحلّه فإذا فيه سويق، فأخرج منه فصبّه في القدح وصبّ عليه ماء فشرب وسقاني، فلم أصبر أن قلت: أتصنع هذا في العراق وطعامه كما ترى في كثرته؟ فقال: أما والله ما أختم عليه بخلاً به، ولكني أبتاع قدر ما يكفيني فأخاف أن ينقص، فيوضع فيه من غيره، وأنا أكره أن يدخل بطني إلّا طيّباً، وإيّاك وتناول ما لا تعلم حلّه»[1].

وفي الخبر: ما من عبد إلّا وبه مَلَك يلوي عنقه وقت حدثه حتى ينظر إليه ثم يقول له المَلَك: يا ابن آدم هذا رزقك فانظر من أين أخذته وإلى ما صار، فينبغي عند ذلك أن يقول: اللّهمّ ارزقني الحلال وجنّبني الحرام[2].

«**ألا وإنّ لكلّ مأموم إماماً يقتدي به ويستضيءُ بنور علمه**» في (الإرشاد): خرج عليه السلام ذات ليلة من المسجد ـ وكانت ليلة قمراء ـ فأمَّ الجبانة، فلحقه جماعة يقفون أثره، فوقف ثم قال: من أنتم؟ قالوا: نحن شيعتك؛ فتفرّس في وجوههم ثم قال: ما لي لا أرى عليكم سيماء الشيعة! قالوا: وما سيماء الشيعة؟ قال: صفر الوجوه من السهر، عمش العيون من البكاء، حدب الظهور من القيام، خمص البطون من الصيام، ذبل الشفاه من الدعاء، عليهم غبرة الخاشعين[3].

وفي الخبر قال أبو الصباح الكناني للصادق عليه السلام: يكون بيننا وبين

---

(١) أخرجه أحمد في الورع وأبو حاتم السجستاني في المعمرين وأبو نعيم في حلية الأولياء، عنهم ذيل احقاق الحقّ٨: ٢٧٨ و ٢٧٩. والنقل بتصرف يسير.

(٢) الإرشاد: ١٢٧.

(٣) المصدر نفسه.

الرجل الكلام فيقول: جعفري خبيث! فقال عليه السلام: يعيركم النّاس بي! ما أقلّ والله من يتّبع جعفراً منكم! إنّما أصحابي من اشتدّ ورعه، وعمل لخالقه، ورجا ثوابه.

وقال الكاظم عليه السلام: كثيراً ما كنت أسمع أبي يقول: ليس من شيعتنا من لا يتحدّث المخدرات بورعه في خدورهن، وليس من أوليائنا من هو في قرية عشرة آلاف رجل فيهم خلق لله أورع منه[1].

في (تذكرة سبط ابن الجوزي) عن كتاب ابن الغطريف بإسناده عن أبي سعيد الخدري قال: نظر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى عليّ عليه السلام فقال: هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة[2].

«**ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه**» بالكسر، الثوب الخلق.

قال الباقر عليه السلام: كان عليّ عليه السلام يأكل أكل العبد ويجلس جِلْسة العبد، وإنّه كان ليشتري القميصين السنبلانيين، فيخيّر غلامه خيرهما ثم يلبس الآخر، فإذا جاز أصابعه قطعه، وإذا جاز كعبيه حذفه، ولقد ولّي خمس سنين ما وضع آجرة على آجرة، ولا لبنة على لبنة، ولا أقطع قطيعاً ولا أورث بيضاء ولا حمراء، وان كان ليطعم النّاس خبز البر واللحم وينصرف إلى منزله ويأكل خبز الشعير والزيت والخل[3].

وفي (ذيل الطبري): كان عطاء سلمان خمسة آلاف، وكان على ثلاثين ألفاً من النّاس يخطب في عباءة يفترش نصفها ويلبس نصفها، وكان إذا خرج

---

(١) أخرجهما الكليني في الكافي ٢: ٧٧ و ٧٩ ح٦ و ١٥.

(٢) تذكرة الخواص: ٥٣.

(٣) أخرجه الصدوق في أماليه : ٢٣٢ ح ١٤، المجلس ٤٧، وأبو جعفر الطوسي في أماليه ٢: ٣٠٣، المجلس ٢١، والنقل بتصرف يسير.

عطاؤه أمضاه ويأكل من سفيف يده[١].

«ومن طعمه بقرصيه» وأدامه الملح أو اللبن الحامض، فعن سويد بن غفلة: دخلت على عليّ عليه السلام فوجدت بين يديه إناء فيه لبن أجد ريح حموضته، وفي يده رغيف أرى قشير الشعر في وجهه، وهو يكسره بيده ويطرحه فيه، فقال: أُدن! فأصب من طعامنا، فقلت: إنّي صائم. فقلت لفضة -وهي بقرب منه قائمة- ويحك! ألا تتقين الله في هذا الشيخ بنخل هذا الطعام؟ قالت: تقدم إلينا ألا ننخل له طعاماً. قال: ما قلتَ لها؟ فأخبرته فقال: بأبي وأُمّي من لم ينخل له طعام، ولم يشبع من خبز البر ثلاثة أيّام حتى قبضه الله[٢]!

وكان عليه السلام يجعل جريش الشعير في وعاء ويختم عليه، فقيل له في ذلك فقال: أخاف هذين الولدين أن يجعلا فيه شيئاً من زيت أو سمن[٣].

في (رجال الكشي): قال أبو ذر: من جزى الله عنه الدنيا خيراً، فجزاه الله عني مذمة، بعد رغيفَيْ شعير أتغذّى بأحدهما وأتعشّى بالآخر، وبعد شملتي صوف اتّزر بإحداهما وأرتدي الأُخرى[٤].

«ألا وإنّكم لا تقدرون على ذلك» إنّما كان يقتدى به في الملبس والمطعم سلمان، وأبو ذر كما مرّ.

وفي (جمل المفيد) عن الواقدي أنّه عليه السلام في حرب البصرة دعا بدرعه البتراء ولم يلبسها بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلّا يومئذٍ! فكان بين كتفيه منها متوهياً، وجاء وفي يده شسع نعل، فقال له ابن عباس: ما تريد بهذا الشسع؟ قال: أربط بها ما قد توهّى من هذا الدرع من خلفي. فقال له: أفي مثل هذا اليوم تلبس مثل

---

(١) منتخب ذيل المذيل: ٥٠.

(٢) رواه الخوارزمي في مناقبه: ٦٧. والسروي في مناقبه ٢: ٩٨، والنقل بتصرف يسير.

(٣) روى هذا ابن أبي الحديد في شرحه ١: ٢٦.

(٤) اختيار معرفة الرجال: ٢٨ ح٥٤.

هذا؟ فقال عليه السلام: لا تخف أن أوتي من ورائي، والله يا ابن عباس! ما ولّيت في زحف قط[1].

وفي النهج قال ابن عباس: دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام بذي قار (عند خروجه إلى الجمل) وهو يخصف نعله، فقال لي: ما قيمة هذا النعل؟ فقلت: لا قيمة لها. فقال عليه السلام: والله لهي أحب إليّ من أمرتكم ـ الخ[2] ـ.

وفي (تذكرة سبط ابن الجوزي) عن الأحنف بن قيس قال: دخلت على معاوية فقدّم إلي من الحلو والحامض ما كثر تعجّبي منه، ثم قال: قدّموا ذلك اللون! فقدّموا لوناً ما أدري ما هو، فقال: مصارين البط محشوة بالمخ ودهن الفستق قد ذر عليه السكر. قال: فبكيت! فقال: ما يبكيك؟ فقلت: لله درّ ابن أبي طالب، لقد جاء من نفسه بما لم تسمح به أنت ولا غيرك. فقال: وكيف؟ قلت: دخلت عليه ليلة عند افطاره، فقال لي: قم فتعشّ مع الحسن والحسين! ثم قام إلى الصلاة، فلما فرغ دعا بجراب مختوم بخاتمه فأخرج منه شعيراً مطحوناً ثم ختمه، فقلت: لم أعهدك بخيلاً يا أمير المؤمنين، فقال: لم أختمه بخلاً ولكن خفت أن يبسّه الحسن أو الحسين بسمن أو اهالة. فقلت: أحرام هو؟ قال: لا ولكن على أئمة الحقّ أن يتأسّوا بأضعف رعيتهم حالاً في الأكل واللباس، ولا يتميّزون عليهم بشيء، ليراهم الفقير فيرضى عن الله تعالى بما هو فيه، ويراهم الغني فيزداد شكراً وتواضعاً[3].

«ولكن أعينوني بورع» عن المحارم قال تعالى: ﴿إنّما يتقبّل الله

---

(١) الجمل: ١٨٩.

(٢) نهج البلاغة ١: ٨٠، الخطبة ٣٣.

(٣) تذكرة الخواص: ١١٠، والنقل بتصرف يسير.

من المتّقين﴾(١) وقال نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم: أفضل الأعمال الورع عن محارمه(٢).

«واجتهاد» في الطاعات والعبادات. قال الصادق: كان عليّ عليه السلام ليعمل عمل رجل كان وجهه بين الجنّة والنّار، يرجو ثواب هذه ويخاف عقاب هذه(٣).

وكان عليه السلام لا تفوته عبادة حتّى إعانة المرأة والكسب وغرس الأشجار.

قال الباقر عليه السلام: كان عليّ عليه السلام ما ورد عليه أمران كلاهما رضا لله إلّا أخذ بأشدّهما على بدنه(٤)، ولقد اعتق ألف مملوك من كدّ يده، تَرِبَتْ فيه يداه، وعرق فيه وجهه وما أطاق عمله أحد من النّاس، وإنّه كان يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة، وكان أقرب النّاس شبهاً به حفيده علي بن الحسين عليه السلام وما أطاق عمله أحد من النّاس بعده.

وقال الحسن عليه السلام صبيحة وفاته ـ كما في (مقاتل أبي الفرج) ـ لقد قُبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون بعمل، ولا يدركه الآخرون بعمل، ولقد كان يجاهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيَقِيه بنفسه، ولقد كان يوجّهه برايته، فيكتنفه جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره، فلا يرجع حتى يفتح الله عليه ـ الخبر(٥) ـ.

وروي عنه عليه السلام أنّه قال: ما تركت صوم شعبان بعدما سمعت منادي النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: إنّ شعبان شهري، فأعينوني على صيامه(٦).

---

(١) المائدة: ٢٧.

(٢) روى هذا المعنى بألفاظ مختلفة المجلسي في البحار ٧٠: ٢٩٦، باب ٥٧، والمتقي الهندي في منتخب كنز العمال ١: ٢٥٤ و ٢٥٥.

(٣) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ٤: ١١٠، والنقل بالمعنى.

(٤) رواه السروي في مناقبه ٢: ١٠٣. عن الباقر عليه السلام وابن أبي الحديد في شرحه ٤: ١١٠ عن الصادق عليه السلام.

(٥) مقاتل الطالبيين: ٣٢.

(٦) رواه الطوسي في المصباح: ٧٥٧، وابن طاووس في الاقبال، عنه البحار ٩٧: ٧٩ ح ٤٤، والنقل بالمعنى.

وكان عليه السلام يرد بيته بعد الظهر، فإن كان طعام أتى عليه السلام به وإلّا كان ينوي الصيام.

وورد في إنفاقه عليه السلام آيات ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنّهار سرّاً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾[١] ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾[٢] ﴿ويطعمون الطّعام على حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً * إنّما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شُكوراً * إنّا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً * فوقاهم الله شرّ ذلك اليوم ولقّاهم نظرة وسروراً * وجزاهم بما صبروا جنّة وحريراً ـ إلى قوله تعالى ـ: إن هذا كان لكم جزاءً وكان سعيكم مشكوراً﴾[٣].

وفي الخبر: كان عليّ عليه السلام يمشي في الأسواق وحده ـ وهو والٍ ـ يرشد الضّالّ ويعين الضعيف، ويمرّ بالبقال والبيّاع فيفتح عليه، ويتلو: ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للّذين لا يريدون علوّاً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتّقين﴾[٤] ويقول نزلت هذه الآية في أهل العدل والتواضع من الولاة وأهل القدرة[٥].

وجاء في الأثر: كان عليّ عليه السلام يحتطب، ويستسقي، ويكنس، وكانت فاطمة عليها السلام تطحن وتعجن وتخبز[٦].

---

(١) البقرة: ٢٧٤.

(٢) الحشر: ٩.

(٣) الانسان: ٨: ٢٢.

(٤) القصص: ٨٣.

(٥) رواه الطبرسي في مجمع البيان ٧: ٢٦٩، والسروي في مناقبه ٢: ١٠٤.

(٦) رواه السروي في مناقبه ٢: ١٠٤.

وفي الخبر أنّه عليه السلام غرس مائة ألف نخلة[١].

«وعفّة» قال رجل للباقر عليه السلام: إنّي ضعيف العمل قليل الصيام، ولكنّي أرجو ألّا آكل إلّا حلالاً، فقال عليه السلام له: أيّ الاجتهاد أفضل من عفّة بطن وفرج[٢].

«وسَداد» بالفتح ﴿إنّ الّذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة ألّا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنّة التي كنتم توعدون * نحن أولياؤكم في الحياة الدّنيا وفي الآخرة، ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدّعون﴾[٣].

«**فوالله ما كنزت من دنياكم تبراً**» التبر: الذهب غير المضروب، فإذا ضرب فهو عين.

في (الكافي): قال عبد الأعلى مولى آل سام لأبي عبد الله عليه السلام: إنّ النّاس يرون أنّ لك مالاً كثيراً، فقال: ما يسوؤني ذلك! إنّ أمير المؤمنين عليه السلام مرّ ذات يوم على ناس شتى من قريش وعليه قميص مخرّق، فقالوا: أصبح عليّ لا مال له؛ فسمعها عليه السلام فأمر الذي يلي صدقته أن يجمع تمره ولا يبعث إلى انسان شيئاً وأن يوفّره، ثم قال له بع الأوّل فالأوّل واجعلها دراهم ثمّ اجعلها حيث يجعل التّمر، فاكبسه معه حيث لا يرى، وقال للذي يقوم عليه إذا دعوت بالتّمر فاصعد وانظر المال فاضربه برجلك كأنّك لا تعمد الدراهم حتى تنثرها، ثم بعث إلى رجل منهم يدعوهم، ثم دعا بالتمر، فلما صعد ينزل بالتمر ضرب برجله فانتشرت الدراهم فقالوا: ما هذا يا أبا الحسن؟ قال: هذا مال من لا مال له! ثمّ أمر بذلك المال فقال: انظروا كلّ أهل بيت ابعث إليهم،

---

(١) رواه الكليني في الكافي ٥: ٧٤ ح٦.

(٢) رواه الكليني في الكافي ٢: ٧٩ ح٤.

(٣) فصلت: ٣٠ ـ ٣١.

فانظروا ماله، وابعثوا له[١].

«ولا ادّخرت من غنائمها وفراً» أي: مالاً كثيراً كالنّاس.

في (المروج): بنى عثمان داره في المدينة وشيّدها بالحجر والكلس، وجعل أبوابها من الساج والعرعر، واقتنى اموالاً وجناناً وعيوناً بالمدينة، وكان عند خازنه يوم قتل من المال خمسون ومائة ألف دينار وألف ألف درهم، وقيمة ضياعه بوادي القرى وحنين وغيرهما مائة ألف دينار، وخلّف خيلاً كثيراً وإبلاً!

وبلغ مال الزبير بعد وفاته خمسين ألف دينار، وخلّف ألف فرس وألف عبد وألف أمة وخططاً في البصرة والكوفة ومصر والاسكندرية وداره بالبصرة المعروفة به في هذا الوقت سنة (٣٣٢) تنزلها التّجار، وأرباب الأموال، وأصحاب الجهات من البحرين وغيرهم.

وكذلك طلحة داره بالكوفة المشهورة به في هذا الوقت المعروفة بالكناس بدار الطلحيين، وكانت غلته من العراق كلّ يوم ألف دينار وقيل أكثر، وبناحيته سراة أكثر، وشيّد داره بالمدينة وبناها بالآجر والجصّ والساج.

وكذلك عبد الرحمن بن عوف ابتنى داره ووسّعها وكان على مربطه مائة فرس وله ألف بعير وعشرة آلاف من الغنم، وبلغ ربع ثمن ماله أربعة وثمانين ألفاً.

وذكر سعيد بن المسيّب؛ أن زيد بن ثابت خلّف من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفؤوس، غير ما خلف من الأموال والضياع بقيمة مائة ألف دينار.

ومات يعلى بن أُميّة وخلف خمسمائة ألف دينار، وديوناً على النّاس

---

(١) الكافي ٦: ٤٣٩ ح٨، والنقل بتصرف يسير.

وعقارات وغيرها ما قيمته مائة ألف دينار[١].

في (جمل المفيد): روى الثوري عن داود بن أبي هند عن أبي حريز الأسود قال: لما قَدِمَ طلحة والزبير البصرة أرسلا إلى أناس من أهل البصرة أنا فيهم، فدخلنا بيت المال معهما، فلما رأيا ما فيه من الأموال قالا: هذا ما وعدنا الله ورسوله ﴿وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجّل لكم هذه﴾ وقالا: نحن أحقّ بهذا المال من كلّ أحد ـ إلى أن قال بعد ظفره عليه السلام ـ دعانا عليّ عليه السلام فدخلنا معه بيت المال، فلما رأى ما فيه ضرب إحدى يديه على الأخرى وقال: غرّي غيري! وقسّمه بين أصحابه خمسمائة خمسمائة بالسوية حتى لم يبقَ إلّا خمسمائة درهم وعزلها لنفسه، جاءه رجل وقال: إنّ اسمي سقط من كتابك، فقال عليه السلام: ردّوها عليه. ثم قال: الحمد لله الذي لم يصل إليّ من هذا المال شيئاً ووفّره على المسلمين.

وفيه روى أبو مخنف عن رجاله قال: لمّا أراد عليّ عليه السلام التوجّه إلى الكوفة قام في أهل البصرة، فقال: ما تنقمون عليّ يا أهل البصرة والله إنّهما ـ وأشار إلى قميصه وردائه ـ لمن غزل أهلي، وما تنقمون مني يا أهل البصرة والله ما هي ـ وأشار إلى صرّة في يده فيها نفقته ـ إلّا من غلّتي بالمدينة، فإن أنا خرجت من عندكم بأكثر ممّا ترون فأنا عند الله من الخائنين[٢].

«ولا أعددت لبالي» أي: اندراس **«ثوبي طمراً»**. وفي الخبر أنّه عليه السلام كان يغسل ثوبه ويلبسه ويجفّه على بدنه لعدم وجود عوض له!

«ولا حزت من أرضها شبراً ولا أخذت منه إلّا كقوت اتان» انثى الحمار **«دبره»** من «دبر البعير وأدبره القتب».

---

(١) مروج الذهب ٢: ٣٣٢ و ٣٣٣، والنقل بتصرف يسير.

(٢) الجمل: ٢١٤ و ٢٢٤، والنقل بتصرف يسير.

«**ولهي في عيني أوهى وأهون من عفصة**» من «**طعام عفص**» فيه تقبض «مقره» من «مقر الشيء» صار مرّاً، وليس في (ابن ميثم) قوله «ولا حزت» ـ إلى هنا وانما هو في ابن أبي الحديد أخذته (المصرية) عنه، لكن؛ ليس فيه «أوهى وأهون» معاً، والظاهر أنّها رأتهما بالنسخة البدليّة فجمعت بينهما[1].

قوله عليه السلام «**وإنّما هي نفسي أُروضها**» من رضت المهر أروضه رياضاً ورياضة، أو من روّضته للمبالغة «**بالتقوى**». في الخبر: بعث النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم سريّة، فلمّا رجعوا قال: مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر، وبقي عليهم الجهاد الأكبر. قيل له: وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس، أفضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه[2].

وفي (الحلية)، في سفيان بن عيينة: عن عاصم بن كليب عن أبيه أنّ علياً عليه السلام قسّم ما في بيت المال على سبعة أسباع، ثم وجد رغيفاً فكسره سبع كسر، ثمّ دعا أمراء الأجناد فأقرع بينهم!

وعن سالم بن أبي الجعد عن أبيه قال: رأيت الغنم تبعر في بيت مال علي عليه السلام فيقسّمه.

وعن الأعمش عن رجل: إنّ علياً عليه السلام كان إذا قسّم ما في بيت المال نضحه ثمّ صلّى فيه ركعتين[3].

«**لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر وتثبت على جوانب المزلق**» مزلق الأقدام ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون إلّا من أتى الله بقلبٍ سليم﴾[4]، ﴿الذين آمنوا

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢٠٧، وشرح ابن ميثم ٥: ٩٩.

(٢) هذا تلفيق حديثين أخرجهما الصدوق في أماليه: ٣٧٧ ح٨، المجلس٧١، وفي معاني الأخبار: ١٦٠ ح١، وابن الأشعث في الاشعثيات: ٧٨، وأخرج الأوّل الكليني في الكافي ٥: ١٢ ح٣.

(٣) حلية الأولياء ٧: ٣٠٠.

(٤) الشعراء: ٨٨ ـ ٨٩.

ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أُولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾[١] ﴿وإن منكم إلّا واردها كان على ربّك حتماً مقضياً * ثمّ ننجي الذين اتّقوا ونذر الظّالمين فيها جثيّاً﴾[٢] ﴿تلك الجنّة التي نورث من عبادنا من كان تقيّا﴾[٣].

وفي الخبر: على الصراط قنطرة، لا يجوزها من كان في رقبته مظلمة[٤].

ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿إنّ ربّك لبالمرصاد﴾[٥] لا تدع النفس وهواها، فإن هواها في رداها، وكفّ النفس عمّا يهوى دواها.

هذا، ونظر رجل إلى روح بن حاتم واقفاً في الشمس، فقيل له في ذلك، فقال: ليطول وقوفي في الظل.

أهين لهم نفسي لأكرمها بهم ومن يكرم النّفس التي لا تهينها

«ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفّى هذا العسل». في (المروج): استسقىعليه السلام يوم الجمل فأُتِي بعسل وماء، فحسا منه حسوة وقال: هذا الطائفي، وهو غريب بهذا البلد، فقال له عبدالله بن جعفر: أما شغلك ما نحن فيه عن علم هذا؟ قال: انّه والله يا بنيّ ما ملأ صدر عمّك شيء قط من أمر الدّنيا[٦].

«ولباب» بالضم اللب ضدّ القشر، قال:

أليس بذي المكارم في قريش إذا عدّت، وذي الحسب اللباب[٧]

---

(١) الانعام: ٨٢.

(٢) مريم: ٧١.

(٣) مريم: ٦٣.

(٤) أخرجه الكليني في الكافي ٢: ٣٣١ ح ٢، وغيره والنقل بتصرف يسير.

(٥) الفجر: ١٤.

(٦) مروج الذهب ٢: ٣٦٨.

(٧) أورده أساس البلاغة: ٤٠٢، مادة (لب).

«هذا القمح» أي: البرّ، وفي حديث الحسن البصري «لباب البرّ بلعاب النحل»[1].

هذا، وفي (النفحة): أرسل سنّيّ إلى شيعيّ شيئاً من الحنطة - وكانت عتيقة - فردّها عليه، ثم أرسل إليه عوضها جديدة لكن فيها تراب، فكتب إليه بعد قبولها:

بعثت لنا بدال البرّ برّاً ... رجاء للجزيل من الثواب
رفضناه عتيقاً وارتضينا ... به إذ جاء وهو أبو تراب

ولا يخفى ما فيه من النكات اللطيفة، جمعه بين الرفض دلالة على تشيعه، وتركه العتيق وهو لقب أبي بكر، والمرتضى لقب أمير المؤمنين، وأبي تراب كنيته عليه السلام.

«ونسائج» جمع نسيج، أي: منسوجات «هذا القز» أي: الإبريسم.

وكان يقال لعمرو بن عامر من ملوك اليمن «مزيقياء»، لأنّه كان يلبس كلّ يوم حلّتين، فيمزّقهما بالعشي، ويكره أن يعود فيهما، ويأنف أن يلبسهما غيره.

قال ابن أبي الحديد: روى بدل قوله عليه السلام «ولو شئت - إلى - هذا القز» «ولو شئت لاهتديت إلى هذا العسل المصفّى ولباب هذا البُرّ المنقّى، فضربت هذا بذاك حتّى ينضج وقوداً ويستحكم معقوداً»[2].

قلت: وروى ابن بابويه في (أماليه): «ولو شئت لتسربلت بالعبقريّ المنقوش من ديباجكم، ولأكلت لباب هذا البرّ بصدور دجاجكم، ولشربت الماء الزلال برقيق زجاجكم، ولكنّي أصدّق الله جلّت عظمته حيث يقول: ﴿من

---

(١) رواه عنه أساس البلاغة: ٤٠٢، مادة (لب).

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢٨٧.

كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوفّ إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون * أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلّا النّار﴾[١]، فكيف أستطيع الصبر على نار لو قذفت بشرره إلى الأرض لأحرقت نبتها، ولو اعتصمت نفس بقلّة لأنضجها وهج النّار في قلّتها»[٢].

«**ولكن هيهات**» أي: بَعُدَ «**أن يغلبني هواي**» ﴿وأمّا من خاف مقام ربّه ونَهى النّفس عن الهوى * فإنّ الجنّة هي المأوى﴾[٣].

«**ويقودني جشعي**» الجشع: شدّة الحرص على الطعام، قال:

وإن مدّت الأيدي إلى الزاد لم أكن بأعجلهم إذا عجل القوم أجشع

«**إلى تخيّر الأطعمة**» قالوا: من كان همّه ما يدخل في بطنه، كانت قيمته ما يخرج من بطنه.

«**ولعلّ بالحجاز**» في (المعجم) عن الأصمعي: الحجاز: من تخوم صنعاء من العبلاء وتبالة إلى تخوم الشام، وانما سمّي حجازاً لأنه حجز بين تهامة ونجد، فمكّة تهاميّة، والمدينة حجازية، والطائف حجازيّة. وعن هشام الحجاز ما بين جبلي طي إلى طريق العراق لمن يريد مكّة[٤].

وفي (الصحاح): سمّيت بذلك لأنّها حجزت بين نجد والغور، وقال الأصمعي لأنّها احتجزت بالحِرار الخمس منها حرَّة بني سليم وحرَّة واقم، يقال: احتجز بأزار، أي: شدّه على وسطه[٥].

«**أو اليمامة**» في (المعجم): في السِيَر اليمامة كانت منازل طسم وجديس

---

(١) هود: ١٥ و ١٦.

(٢) أمالي الصدوق: ٤٩٦، المجلس ٩٠.

(٣) النازعات: ٤٠ و ٤١.

(٤) معجم البلدان ٢: ٢١٩.

(٥) صحاح اللغة ٢: ٨٦٩، مادة (حجز).

وكانت تدعى جواً[١].

وفي (الصحاح): اليمامة: اسم جارية زرقاء كانت تبصر الراكب من مسيرة ثلاثة أيام، يقال أبصر من زرقاء اليمامة، سمّيت البلاد باسم هذه الجارية[٢].

«**من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع**» في (عيون القتيبي): قيل ليوسف عليه السلام مالك تجوع وأنت على خزائن الأرض؟ قال: أخاف أن أشبع فأنسى الجائع[٣].

«**أو أبيت مبطاناً**» ممتلأ البطن «**وحولي بطون غرثى**» أي: جائعة. قال بعضهم:

يملّىء بطنه والجارُ جائعُ ويحفَظُ مالُه والعِرْضُ ضائعُ

«**وأكباد حرّى**» أي: عطشى. كتب المأمون إلى الرستمي - وقد تظلّم منه غريم - ليس من المروة أن تكون أوانيك من الذهب والفضة، وجارك طاوٍ وغريمك عاوٍ.

ولدعبل:

وضيف عمرو وعمرو يسهران معاً عمرو لبطنته والضيف للجوع

وللصابي:

وشبع الفتى لؤم إذا جاع صاحبه

وفي (عقاب الأعمال) عن السجاد عليه السلام: من بات شبعان وبحضرته مؤمن جائع طاوٍ، قال الله عزّوجلّ: ملائكتي أُشهدكم على هذا العبد إنّني أمرته

(١) معجم البلدان ٥: ٤٤٢.

(٢) صحاح اللغة ٥: ٢٠٦٥، مادة (يم).

(٣) عيون ابن قتيبة ٢: ٣٧٤.

فعصاني، وأطاع غيري؛ وكلته إلى عمله، وعزّتي وجلالي لا غفرت له أبداً[١].

«أو أكون كما قال القائل:

وحَسْبُكَ دَاءً أنْ تَبِيتَ بِبِطْنَةٍ وحَوْلَكَ أكبادٌ تحنّ إلَى القِدِّ»

القِدّ بالكسر: سير يقد من جلد غير مدبوغ، وفلان ما يعرف القد من القد، أي: مسك السخلة من السير، وفي الجمهرة قدّ الشيء قدّاً إذا قطعه قطعاً مستطيلاً، وبه سمّي القد الذي يقد من الأديم الفطير، والقَدّ (بفتح القاف) خلاف القط، لأن القد طولاً والقط عرضاً، وفي الحديث «إنّ علياًعليه السلام كان إذا اعتلى قدّ وإذا اعترض قط»، والقد (بكسر القاف) سيور تقد من جلد فطير يشد بها الأقتاب والمحامل وغيرها[٢].

قال ابن أبي الحديد: هذا البيت منسوب إلى حاتم الطائي، وأوّل أبياته:

أيا ابنة عبد الله وابنة مالكٍ ويا ابنةَ ذي الجَدّين والفرسِ الوَرْدِ

إذا ما صَنَعْتِ الزادَ فالتمسي له أكيلاً فإنّي لست آكله وحدي

قصيّاً بعيداً أو قريباً فإنّني أخاف مذمّات الأحاديث من بعدي

كفى بك عاراً أن تَبِيتَ ببطنةٍ وحولك أكباد تحنّ إلى القِدِّ

وإنّي لعبد الضيف ما دام نازلاً وما من خِلالي غيرها شيمة العبد[٣]

قلت: لم يذكر مستنده في كون الأبيات لحاتم، وقد نسب المبرد في (كامله) الأبيات الثلاثة الأُولى والأخير إلى قيس بن عاصم المنقري، ولم ينقل فيها الرابع شعر كلامهعليه السلام. ونقل ابن قتيبة في (عيونه) أيضاً الأبيات الثلاثة الأُولى وذكر بدل الأخيرين:

---

(١) عقاب الأعمال: ٢٩٨ ح١.

(٢) جمهرة اللغة ١: ٨٥.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٢٨٨.

وكـــيف يســيغ المــرء زاداً وجــاره
خفيف المعى بادي الخصاصة والجهد
ولَــلْموتُ خــير مــن زيــارة بــاخل
يــلاحظ أطــراف الأكــيل عــلى عــمد

ولم يذكر قائلها[1]، فلعلّ ابن أبي الحديد قال منسوب إلى حاتم حدساً لشهرته في الجود والإيثار، فكان يتجوّع ويشبع جاره!

ففي (شعراء ابن قتيبة): قالت نوّار امرأة حاتم: أصابتنا سنة أقشعرّت لها الأرض واغبرّت الآفاق، فضنّت المراضع عن أولادها فما تبض بطرة وراحت الإبل حدباً حدابيس، وحلقت ألسنة المال وأيقنا انّه الهلاك من الجوع، فقام حاتم إلى الصبيّين وقمت إلى الصبيّة، فوالله ما سكتوا إلّا بعد هدأة من الليل، وأقبل يعلّلني بالحديث فعلمت الذي يريد فتناومت، فلما تجوّرت النجوم إذا شيء قد رفع كسر البيت، فقال: من هذا؟ فذهب ثم عاد فقال: من هذا؟ فذهب ثم عاد في آخر الليل فقال: من هذا؟ فقال: جارتك فلانة أتتك من عند أصبية يتعاوون عواء الذئاب من الجوع فما أجد معولاً إلّا عليك أبا عدي. فقال: أعجيلهم قد أشبعك الله وإيّاهم. فأقبلت المرأة تحمل اثنين وتمشي جنباتها أربعة كأنها نعامة حولها رئالها، فقام إلى فرسه، فوجالبته بمدية ثم كشطه ودفع المدية إلى المرأة فقال: شأنك الآن فاجتمعوا على اللحم، فقال: سوأة أتأكلون دون الصريم، ثم أقبل يأتيهم بيتاً بيتاً، ويقول: هبّوا أيها القوم عليكم بالنّار، فاجتمعوا فالتفع ناحية بثوبه ينظر إلينا، ولا والله ما ذاق منه مضغة وانّه لأحوج إليه منّا! فأصبحنا وما على الأرض إلّا عظم وحافر، فعذلته على ذلك فقال:

---

(١) كامل المبرد ٥: ١٤٤، وعيون ابن قتيبة ٣: ٢٦٣.

مهلاً نوّار أقلّي اللوم والعذلا ولا تقولي لشيءٍ فات ما فعلا

وفيه أيضاً: أتى حاتم ماوية بنت عفرز يخطبها، فوجد عندها النابغة الذبياني ورجلاً من نبيت يخطبانها، فقالت: انقلبوا إلى رحالكم، وليقل كلّ واحد منكم شعراً يذكر فيه فعاله ومنصبه، فإنّي متزوّجة أكرمكم وأشعركم؛ فانطلقوا ونحر كلّ واحد منهم جزوراً ولبست ماوية ثياب امة لها واتبعتهم، فأتت النبيتي فاستطعمته فأطعمها ذنب جزوره فأخذته، وأتت النابغة فأطعمها مثل ذلك، وأتت حاتماً فأطعمها عظماً من العجز وقطعة من السنام وقطعة من الحارك ـ أي الكاهل ـ فانصرفت؛ وأهدى كلّ منهم باقي جزوره وأهدى لها حاتم مثل ما أهدى إلى واحدة من جاراته، وصبّحها القوم فأنشدها النابغة:

هلّا سألت هداك الله ما حسبي إذا الدّخان تغشى الأشمط البرما

إنّي أتمم أيساري وأمنحهم مثنى الأيادي وأكسوا الجفنة الأدما

وأنشدها النبيتي:

هلّا سألت هداك الله ما حسبي عند الشتاء إذا ما هبت الريح

إذا اللقاح غدت ملقى اصرتها ولا كريم من الولدان مصبوح

وأنشدها حاتم:

أماوي؛ إنّ المالَ غادٍ ورائح ويبقى من المال الأحاديث والذكرُ

أماوي؛ إنّي لا أقول لسائلٍ إذا جاء يوماً حل في مالِنا نَزرُ

أماوي إمّا مانع فمبين وإمّا عطاء لا ينهنهه الزجر

أماوي؛ أن يصبح صداي بقفرة من الأرض لا ماء لدي ولا خمرُ

ترى ان ما انفقت لم يك ضرّني وإنّ يدي ممّا بخلت به صفرُ

وقد علم الأقوام لو أنّ حاتماً أراد ثراء المال كان له وَفْرُ

فلمّا فرغوا من إنشادهم، دعت بالمائدة وقدّمت إلى كلّ واحد

منهم ما كان أطعمها، فنكس النبيتي والنابغة رؤوسهما، فلما رأى حاتم ذلك رمى بالذي قدّم إليه إليهما وأطعمهما، فتسلّلا لواذاً؛ فتزوّجت حاتم وكانت من بنات ملوك اليمن[١].

وفي (المروج): قال عبد الملك لبنيه: أحسابكم أحسابكم صونوها ببذل أموالكم، فما يبالي رجل منكم ما قيل فيه من الهجو بعد قول الأعشى:

تبيتون في المشتى ملآ بطونكم وجاراتكم غرثى يَبِتْنَ خَمائِصا[٢]

وفي (كنايات الثعالبي): كان أصحاب النبيّ ﷺ إذا قعدوا عنده كأنّ على رؤوسهم الطير، فانبرى يوماً حسّان فأنشده قول الأعشى:

كلا أبويكم كان فرعي دعامة ولكنّهم زادوا وأصبحت ناقصا
تبيتون في المشتى ملآ بطونكم وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا

فقال له النبيّ ﷺ : لا تنشد هجاء علقمة، فإن أبا سفيان شعب منّي عند هرقل فعزب عليه علقمة، فقال حسّان: يا رسول الله؛ من نالتك يده وجب علينا شكره. فما سمع في الكناية عن الوقيعة بأحسن من قوله ﷺ «شعب منّي» ولا في الكناية عن الإنكار والاحتجاج كقوله «فعزب عليه» ولا في الاعتذار كقول حسان «من نالتك يده» ـ الخ[٣] ـ.

هذا، وفي (الأغاني): قال متمم بن نويرة لعمر ـ لمّا سأله عن أخيه مالك ـ: إنّه أسرني حيّ من العرب، فشدّوني وثاقاً بالقد وألقوني بفنائهم، فبلغه خبري فأقبل على راحلته حتى انتهى إلى القوم وهم جلوس في ناديهم، فلما نظر إليّ أعرض عنّي، ونظر القوم إليه فعدل إليهم وعرفت ما أراد، فسلّم

(١) الشعر والشعراء: ٧١ ـ ٧٤، والنقل بتصرف يسير.
(٢) مروج الذهب ٣: ١٦٦.
(٣) منتخب النهاية في الكناية: ٢٠٩.

عليهم وحادثهم وضاحكهم وأنشدهم، فوالله؛ إن زال كذلك حتى ملأهم سروراً وحضر غداءهم، فسألوه ليتغدّى معهم فنزل وأكل ثم نظر إليّ وقال: إنّه لقبيح بنا أن نأكل ورجل ملقى بين أيدينا لا يأكل معنا، وأمسك يده عن الطعام، فلما رأى ذلك القوم نهضوا، وصبّوا الماء على قدّي حتى لان وحلّوني، ثم جاءوا بي فأجلسوني معهم على الغداء، فلمّا أكلنا قال لهم: أما ترون؛ تحرم هذا بنا وأكل معنا انّه لقبيح بكم أن تردوه إلى القد فخلوا سبيلي[1].

وفيه: مرّ فضالة بن شريك بعاصم بن عمر بن الخطاب وهو منتبذ بناحية المدينة، فنزل به، فلم يقرِه شيئاً ولم يبعث إليه ولا إلى أصحابه بشيء. وقد عرّفوه مكانهم، فارتحلوا عنه والتفت فضالة إلى مولى لعاصم فقال له: قل له؛ أما واللهِ لأطوقنّك طوقاً لا يبلى. وقال:

ألا أيّها الباغي القِرَى لست واجداً ... قِراك إذا ما بتّ في دار عاصم

إذا جئته تبغي القِرَى بات نائماً ... بطيناً وأمسى ضيفه غير نائم[2]

وروي في (الحلية): أن أويس القرني كان إذا أمسى تصدّق بما في بيته من الفضل من الطعام والثياب، ثم يقول: اللّهمّ من مات جوعاً فلا تؤاخذني به، ومن مات عُرياناً فلا تؤاخذني به[3].

هذا، وروي أنّ علي بن الحسينعليه السلام قال لمولاة له يوم جمعة: لا يعبر على بابي سائل إلّا أعطيتموه، فإن اليوم الجمعة. فقال له أبو حمزة الثمالي: ليس كلّ من يسأل مستحقّاً؛ فقالعليه السلام: أخاف أن يكون بعض من يسألنا مستحقّاً فلا نطعمه فينزل بنا أهل البيت ما نزل بيعقوب، إنّ يعقوب كان يذبح

---

(١) الأغاني ١٥: ٢١٠، والنقل بتصرف يسير.

(٢) الأغاني ١٢: ٧٣.

(٣) حلية الأولياء ٢: ٨٧.

كلّ يوم شاة فيتصدّق منه ويأكل هو وعياله، وإنّ سائلاً صوّاماً محقّاً، له عند الله منزلة ـ وكان غريباً مجتازاً ـ اعترّ على باب يعقوب عشية جمعة عند أوان إفطاره يهتف على بابه: أطعموا السائل المجتاز الغريب الجائع من فضل طعامكم ـ هتف بذلك مراراً ـ وهم يسمعونه ولم يصدّقوا قوله، فلمّا يئس أن يطعموه وغشيه الليل استعبر وشكا جوعه إلى الله تعالى، وبات طاوياً وأصبح صابراً، وبات يعقوب وآله شِبَاعاً بِطَاناً وأصبحوا وعندهم فضلة من طعامهم، فأوحى تعالى إلى يعقوب: أذللت عبدي ذلّة استجررت بها غضبي واستوجبت بها أدبي، ونزول عقوبتي عليك وعلى ولدك! يا يعقوب، ان أحبّ أنبيائي إليّ من رحم مساكين عبادي وأطعمهم، وكان لهم مأوى وملجأ؛ يا يعقوب أما رحمت عبدي بات طاوياً حامداً لي، وأنت وولدك شباع وعندكم فضلة، أو ما علمت ان العقوبة إلى أوليائي أسرع منها إلى أعدائي، وذلك حسن النظر منّي لأوليائي واستدراج منّي لأعدائي، أما وعزّتي لأجعلنّك وولدك غرضاً لمصائبي![1]

«أأقنع من نفسي بأن يقال لي أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر»

كان المسلمون يوم القادسية وسعد بن أبي وقاص أميرهم كان في القصر ينظر إليهم، فقال بعضهم:

فأبنا وقد آمت نساء كثيرة ... ونسوة سعد ليس فيهنّ أيم

وفي (الكافي)، عن حمّاد بن عثمان: أصاب أهل المدينة غلاء وقحط حتى أقبل الرجل الموسر يخلط الحنطة بالشعير ويأكله ويشتري ببعض الطعام؛ وكان عند أبي عبدالله عليه السلام طعام جيد قد اشتراه أوّل السنة، فقال لبعض مواليه: اشترِ لنا شعيراً فاخلط بهذا الطعام أو بِعْه فإنّا نكره أن نأكل

---

(١) أخرجه الصدوق في العلل ١: ٤٥ ح١، والنقل بتصرف يسير.

جيداً ويأكل النّاس رديّاً[١].

«**أو أكون أسوة لهم**» أي: قدوة «**في جشوبة**» أي: غلظة «**العيش فما خلقت ليشغلني أكل الطيّبات**» إنّما خلق الإنسان لعبادة ربّه وعرفانه لا للأكل، وإنّما جعل له الأكل ليحيا، وبينهما بون بعيد.

«**كالبهيمة المربوطة همّها علفها أو**» البهيمة «**المرسلة شغلها تقمّمها**» أي: رتعها وأكلها بشفتيها، فمن حسب أنّه خُلِقَ لكي يأكل، فانّه ـ كما قال عليه السلام ـ أحد حيوانين مربوطاً أو مرسلاً، قال تعالى: ﴿ويأكلون كما تأكل الأنعام﴾[٢] «**تكترش**» أي: تملأ كرشها، أي، معدتها «**من أعلافها وتلهو**» أي: تغفل «**عمّا يراد بها**» من الذبح، ونظير قوله عليه السلام قول الآخر:

إن هي إلّا كالمعلوفة للمدى لا تعرف ماذا يراد بها

﴿إن هم إلّا كالأنعام بل هم أضلّ﴾[٣]

«**أو أترك سدى**» بالضم أي: مهملاً ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى * ألم يك نطفة من منيّ يُمنى * ثمّ كان علقة فخلق فسوّى * فجعل منه الزّوجين الذّكر والأُنثى * أليس ذلك بقادر على أن يُحييَ الموتى﴾[٤].

«**أو أهمل عابثاً**» ﴿أفحسبتم أنّما خلقناكم عبثاً وأنّكم إلينا لا ترجعون﴾[٥].

«**أو أجرَّ حبل الضلالة**» أي: أترك مع حبل الضلالة.

«**أو اعتسف**» أي: أسير على غير الطريق «**طريق المتاهة**» المفازة

---

(١) الكافي ٥: ١٦٦ ح١.

(٢) محمد: ١٢.

(٣) الفرقان: ٤٤.

(٤) القيامة: ٣٦ ـ ٤٠.

(٥) المؤمنون: ١١٥.

يتاه فيها.

«فاتق الله يا ابن حنيف، ولتكفك أقراصك لتكون من النار خلاصك». في (المروج): دخل شريك يوماً على المهدي فقال له: لابدّ أن تجيبني إلى خصلة من ثلاث خصال قال: وما هنَّ؟ قال: إمّا أن تلي القضاء، أو تحدّث ولدي وتعلّمهم، أو تأكل عندي أكلة. ففكر ثمّ قال: الأكلة أخفّهنَّ على نفسي، فاحتبسه وقدم إلى الطباخ أن يصلح له ألواناً من المخّ المعقود بالسكر الطبرزد والعسل، فلما فرغ من غدائه، قال له القيمّ على المطبخ: ليس يفلح الشيخ بعد هذه الأكلة أبداً. قال الفضل بن الربيع: فحدّثهم والله شريك بعد ذلك، وعلّم أولادهم، وولّيَ القضاء لهم.

ولقد كتب بأرزاقه إلى الجهبذ، فضايقه في النقص، فقال له الجهبذ: إنّك لم تَبِعْ بزاً. قال له شريك: بلى والله! لقد بعت أكبر من البز، لقد بعت ديني[1].

١٣
الخطبة (١٢٤)

ومن كلام له عليه السلام لما عوتب على التسوية في العطاء:

أَتَأْمُرُونِّي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْهِ، وَٱللهِ مَا أَطُورُ بِهِ مَا سَمَرَ سَمِيرٌ وَمَا أَمَّ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْماً، وَلَوْ كَانَ المَالُ لِي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ، فَكَيْفَ وَإِنَّمَا المَالُ مَال ٱللهِ، أَلَا وَإِنَّ إِعْطَاءَ المَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ تَبْذِيرٌ وَإِسْرَافٌ، وَهُوَ يَرْفَعُ صَاحِبَهُ فِي الدُّنْيَا وَيَضَعُهُ فِي ٱلآخِرَةِ وَيُكْرِمُهُ فِي النَّاسِ وَيُهِينُهُ عِنْدَ ٱللهِ، وَلَمْ يَضَعِ ٱمْرُؤٌ مَالَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ، وَلَا عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ، إِلاَّ حَرَمَهُ ٱللهُ شُكْرَهُمْ، وَكَانَ لِغَيْرِهِم وُدُّهُمْ، فَإِنْ زَلَّتْ بِهِ النَّعْلُ يَوْماً فَاحْتَاجَ إِلَى مَعُونَتِهِمْ،

---

(١) مروج الذهب ٣: ٣١٠.

فَشَرُّ خَدِينٍ وَأَلْأَمُ خَلِيلٍ.

الخطبة (١٤٠)

ومن كلام له عليه السلام:

وَلَيْسَ لِوَاضِعِ المَعْرُوفِ في غَيْرِ حَقِّهِ، وَعِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ، مِنَ ٱلحَظِّ إِلاَّ مَحْمَدَةُ ٱللئام، وَثَنَاءِ ٱلأَشْرَارِ، وَمَقَالَةُ ٱلجُهَّالِ، مادَامَ مُنْعِماً عَلَيْهِمْ ما أَجْوَدَ يدَهُ، وَهُوَ عَنْ ذاتِ ٱللهِ بَخِيلٌ، فَمَنْ آتَاهُ ٱللهُ مالاً فَلْيَصِلْ بِهِ ٱلْقَرَابَةَ، وَلْيُحْسِنْ مِنْهُ الضِّيَافَةَ، وَلْيَفُكَّ بِهِ الأَسيرَ وَٱلْعَانِيَ، وَلْيُعْطِ مِنْهُ ٱلْفَقِيرَ وَٱلْغَارِمَ، وَلْيَصْبِرْ نَفْسَهُ عَلَى ٱلْحُقُوقِ وَالنَّوَائِبِ، ٱبتغَاءَ الثَّوَابِ، فَإِنَّ فَوْزاً بِهَذِهِ ٱلْخِصَالِ شَرَفُ مَكَارِمِ ٱلدُّنْيَا، وَدَرْكُ فَضَائِلِ الآخِرَةِ إِنْ شَاءَ ٱللهُ.

أقول: الأصل فيهما ما رواه الكافي في (كتاب زكاته) في باب وضع المعروف موضعه مسنداً عن أبي مخنف قال: أتى أمير المؤمنين عليه السلام رهط من الشيعة فقالوا: لو أخرجت هذه الأموال، ففرّقتها في هؤلاء الرؤساء والأشراف وفضّلتهم علينا، حتى إذا استوسقت الأُمور عدت إلى أفضل ما عوّدك الله من القسم بالسوية والعدل في الرعية. فقال عليه السلام: أتأمروني ويحكم أن أطلب النصر بالظلم والجور فيمن ولّيت عليه من أهل الإسلام، لا والله لا يكون ذلك ما سمر السمير، وما رأيت في السماء نجماً، والله لو كانت أموالهم مالي لساويت بينهم فكيف وإنّما هي أموالهم.

ثم أرم ساكتاً طويلاً ثم رفع رأسه فقال: من كان فيكم له مال، فإيّاه والفساد، فإنّ أعطاءه في غير حقّه تبذير وإسراف، وهو يرفع ذكر صاحبه في النّاس ويضعه عند الله، ولم يضع امرؤ ماله في غير حقّه وعند غير أهله إلّا حَرَمَه الله شكرهم، وكان لغيره ودّهم، فإن بقي معه منهم بقيّة ممّن يظهر الشكر له ويريه النّصح فإنّما ذلك ملق منه وكذب، فإن زلّت بصاحبهم النّعل

ثمّ احتاج إلى معونتهم ومكافأتهم فألم خليل وشرّ خدين، ولم يضع امرؤ ماله في غير حقّه وعند غير أهله إلّا لم يكن له من الحظّ فيما أتى إلّا محمدة اللئام وثناء الأشرار ما دام عليه منعماً مفضلاً، ومقالة الجاهل ما أجوده! وهو عند الله بخيل، فأيّ حظ أبور وأخسر من هذا الحظ؟ وأي فائدة معروف أقلّ من هذا المعروف؟ فمن كان منكم له مال فليَصِلْ به القرابة وليحسن منه الضيافة وليفكّ به العاني والأسير وابن السبيل، فإنّ الفوز بهذه الخصال مكارم الدنيا وشرف الآخرة ـ وروى تحف العقول لابن أبي شعبه، مثله[1].

وما رواه (أمالي المفيد) بإسناده عن الثقفي بإسناده عن المدائني بإسناده عن ربيعة وعمارة وغيرهما: إنّ طائفة من أصحاب عليّ عليه السلام مشوا إليه عند تفرّق النّاس عنه وفرار كثير منهم إلى معاوية طلباً لما في يديه من الدّنيا، فقالوا له: إعطِ هذه الأموال، وفضّل هؤلاء الأشراف من العرب وقريش على الموالي والعجم، ومن تخاف خلافه عليك من النّاس وفراره إلى معاوية. فقال عليه السلام لهم: أتأمروني أن أطلب النصر بالجور، لا والله لا أفعل ما طلعت شمس ولاح في السماء نجم، والله لو كانت أموالهم لي لواسيت بينهم فكيف وإنّما هي أموالهم! ثم أرم عليه السلام طويلاً ساكتاً ثم قال: من كان له مال فإيّاه والفساد، فإنّ إعطاء المال في غير حقّه تبذير وإسراف، وهو وإن كان ذِكراً لصاحبه في الدنيا فهو يضعه عند الله عزّوجلّ، ولم يضع رجل ماله في غير حقّه وعند غير أهله إلّا حَرَمَه الله تعالى شكره، وكان لغيرهم ودّه، فإن بقي معه من يؤدّه ويظهر له الشّكر فإنّما هو ملق وكذب يريد التقرّب به إليه لينال منه مثل الذي كان يأتي إليه من قبل، فإن زلت بصاحبه النّعل واحتاج إلى معونته أو مكافأته، فشرّ خليل وألأم خدين، ومن صنع المعروف فيما آتاه الله

---

(١) الكافي ٤: ٣١ ح٣، وتحف العقول: ١٨٥.

فَلْيَصِلْ به القرابة وليحسن فيه الضيافة وليفكّ به العاني وليعِنْ به الغارم وابن السبيل والفقراء والمجاهدين في سبيل الله وليصبّر نفسه على النوائب والخطوب، فإن الفوز بهذه الخصال أشرف مكارم الدنيا ودرك فضائل الآخرة. وروى كتاب (غارات الثقفي) مثله(١).

وفي (تاريخ خلفاء ابن قتيبة) ـ بعد ذكر ترغيبه عليه السلام النّاس للعود إلى صفين وتثبّطهم ـ قام رجال من أصحابه فقالوا: إعطِ هؤلاء هذه الأموال، وفضّل هؤلاء الأشراف من العرب وقريش على الموالي ممّن يتخوّف خلافه على النّاس وفراقه، وإنّما قالوا له هذا للذي كان معاوية يصنعه لمن أتاه، وإنّما عامّة النّاس همّهم الدّنيا، ولها يسعون وفيها يكدحون، فاعطِ هؤلاء الأشراف فإذا استقام لك ما تريد عُدت إلى أحسن ما كنت عليه من القسم. فقال عليه السلام: أتأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن ولّيت عليه من أهل الإسلام، فوالله لا أفعل ذلك ما لاح في السماء نجم، والله لو كان لهم لسوّيت بينهم فكيف وإنّما هي أموالهم(٢).

قول المصنف في الأوّل: «ومن كلام له عليه السلام لما عوتب على التسوية في العطاء» هكذا في (المصرية وابن ميثم)، وزاد (ابن أبي الحديد) عليه «وتصييره النّاس أسوة في العطاء من غير تفضيل أولى السابقات والشرف»(٣)، لكن الظاهر كونه حاشية خلط بالمتن، إما في نسخة نهجه أو نسخة الشرح.

وكيف كان فعدله عليه السلام في القسمة بالسويّة وعدم إعطائه من ليس بذي

---

(١) أمالي المفيد: ١٧٥، ح٦، المجلس ٢٢، والغارات ١: ٧٤، والنقل بتصرف يسير.

(٢) الامامة والسياسة ١: ١٥٣.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٨: ١٠٩، وشرح ابن ميثم ٣: ١٢٠.

حقّ كان سبب نفرة النّاس عنه عليه السلام. روى الطبري في (ذيله) عن عطاء، قال: قال رجل لأبي عبد الرحمن السّلمي: أُنشدك الله متى أبغضت علياً عليه السلام، أليس حين قسّم قسماً بالكوفة فلم يُعطِك ولا أهل بيتك؟ قال: أمّا إذا نشدتني الله، فنعم[١].

كما إنّ سبب تقدّم معاوية والمتقدّمين عليه عليه السلام مصانعة النّاس على خلاف الدين، فقد ذكر نصر بن مزاحم في (صفّينه) أنّه: أتى ابن مسروق العكي إلى معاوية في صفّين فقال له: إجعل لنا فريضة ألفي رجل في ألفين ومن هلك فابن عمّه مكانه لنقرّ اليوم عينك! قال: ذلك لك[٢].

ولما اشترطت عك والأشعرون على معاوية ما اشترطوا من الفريضة والعطاء، فأعطاهم، لم يبقَ من أهل العراق أحد في قلبه مرض، إلّا طمع في معاوية وشخص بصره إليه، حتى فشا ذلك، وبلغ ذلك علياً عليه السلام فساءه ـ إلى أن قال ـ قال معاوية: والله لأستميلنَّ بالأموال أهل ثقات عليّ، ولأقسمنّ فيهم المال حتّى تغلب دنياي على آخرته.

وروى المدائني ـ كما نقله ابن أبي الحديد في شرح «ومن خطبة له عليه السلام في استنفار النّاس» ـ عن فضيل بن الجعد قال: آكد الأسباب في تقاعد العرب عنه عليه السلام أمر المال، فإنّه لم يكن يفضّل شريفاً على مشروف ولا عربياً على عجمي، ولا يصانع الرؤساء، وأمراء القبائل كما يصنع الملوك، ولا يستميل أحداً إلى نفسه، وكان معاوية بخلاف ذلك، فترك النّاس علياً عليه السلام والتحقوا بمعاوية، فشكا علي عليه السلام ذلك إلى الأشتر فقال له الأشتر: إنّا قاتلنا أهل البصرة ورأي النّاس واحد، وقد اختلفوا بعد وتعادوا وضعفت النيّة وقلّ العدد، وأنت

(١) منتخب ذيل المذيل: ١٤٧.

(٢) وقعة صفين: ٤٣٣.

تأخذهم بالعدل وتعمل فيهم بالحقّ، وتنصف الوضيع من الشريف، فليس للشريف عندك فضل منزلة على الوضيع، فضجّت طائفة ممّن معك من الحقّ إذ عموا به واغتمّوا من العدل إذ صاروا فيه، ورأوا صنائع معاوية عند أهل الغناء والشرف فتاقت أنفس النّاس إلى الدنيا وقلّ من ليس للدنيا بصاحب، وأكثرهم يجتوي الحقّ ويشتري الباطل ويؤثر الدّنيا، فإن تبذل المال تميل إليك أعناق الرجال وتصفو نصيحتهم لك.

فقال عليه السلام: أما ما ذكرت من عملنا وسيرتنا بالعدل، فإن الله تعالى يقول: ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربّك بظلامٍ للعبيد﴾[1] وأنا من أن أكون مقصّراً فيما ذكرت أخوف.

وأما ما ذكرت من أن الحقّ ثقل عليهم ففارقونا لذلك، فقد علم الله أنّهم لم يفارقونا من جور ولا لجأوا إذ فارقونا إلى عدل، ولم يلتمسوا إلّا دنياً زائلة عنهم كانوا فارقوها، وليُسئلنَّ يوم القيامة آلدّنيا أرادوا أم لله عملوا.

وأما ما ذكرت من بذل الأموال واصطناع الرجال فإنّه لا يسعنا أن نؤتي أمراً من الفيء أكثر من حقّه وقد قال سبحانه -وقوله الحقّ- ﴿كم من فئةٍ قليلة غلبت فئةً كثيرةً بإذن الله، والله مع الصابرين﴾[2]، وقد بعث الله محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم وحده فكثّره بعد القلّة وأعزّ فئته بعد الذلّة، وإن يرد الله أن يولّينا هذا الأمر يذلّل لنا صعبه ويسهّل لنا حزنه، وأنا قابل من رأيك ما كان لله عزّوجلّ رضا، وأنت من آمن النّاس عندي وأنصحهم وأوثقهم في نفسي إنْ شَاءَ الله[3].

وروى الإسكافي في (نقض عثمانيّته) -وقد نقله ابن أبي الحديد في

(١) فصلت: ٤٦.

(٢) البقرة: ٢٤٩.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٩٧، والنقل بتصرف يسير.

شرح قوله عليه السلام «دعوني والتمسوا غيري» - إنّه عليه السلام قال بعد بيعة النّاس له وخطبته: ألا، لا يقولنَّ رجال منكم غداً قد غمرتهم الدّنيا فاتخذوا العقار وفجّروا الأنهار وركبوا الخيول الفارهة واتخذوا الوصائف الروقة، فصار ذلك عليهم عاراً وشناراً إذا ما منعتهم ما كانوا يخوضون فيه وأصرتهم إلى حقوقهم التي كانوا يعلمون، فينقمون ذلك ويستنكرون - حرمنا ابن أبي طالب حقوقنا. ألا وأيّما رجلٍ من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرى أن الفضل له على من سواه لصحبته، فإنّ الفضل النير غداً عند الله وثوابه وأجره على الله. وأيُّما رجل استجاب لله فصدّق ملتنا ودخل في ديننا واستقبل قبلتنا، فقد استوجب حقوق الاسلام وحدوده، فأنتم عباد الله؛ والمال يقسم بينكم بالسوية، لا فضل فيه لأحد على أحد، وللمتقين غداً أحسن الجزاء وأفضل الثواب، لم يجعل الله الدنيا للمتقين أجراً وثواباً وما عند الله خير للأبرار. وإذا كان غداً فاغدوا علينا، فإنّ عندنا مالاً نقسّمه فيكم ولا يتخلفنَّ منكم أحد عربي ولا عجمي، كان من أهل العطاء أو لم يكن إذا كان مسلماً حرّاً.

قال: وكان هذا أوّل ما أنكروه من كلامه، وأورثهم الضغن عليه، وكرهوه من القسم بالسويّة، فلمّا كان من الغد غدا وغدا النّاس لقبض المال. فقال لعبيد الله ابن أبي رافع (كاتبه) ابدأ بالمهاجرين، فنادِهم واعطِ كلّ رجلٍ ممّن حضر ثلاثة دنانير، ثمّ ثنّ بالأنصار فافعل معهم مثل ذلك، ومن يحضر من النّاس كلّهم الأحمر والأسود فاصنع به مثل ذلك. فقال سهل بن حنيف: هذا غلامي بالأمس وقد اعتقته اليوم. فقال عليه السلام: نعطيه كما نعطيك! فأعطى كلّ واحد منهما ثلاثة دنانير ولم يفضّل أحداً على أحد.

وتخلّف عن هذا القسم يومئذٍ طلحة والزبير وابن عمر وسعيد بن العاص ومروان ورجال من قريش وغيرها، وسمع عبيدالله بن أبي رافع ابن الزبير يقول لأبيه ولطلحة ومروان وسعيد: ما خفي علينا أمس من كلام عليّ

ما يريد. فقال سعيد ـ والتفت إلى زيد بن ثابت ـ إيّاك أعني واسمعي يا جارة فقال ابن أبي رافع لسعيد وابن الزبير: إنّ الله تعالى يقول في كتابه ﴿ولكنَّ أكثرهم للحقّ كارهون﴾[1] ثم أخبر عليّاًعليه السلام بذلك فقال: والله إن بقيت وسلمت لهم لاقيمنهم على المحجّة البيضاء والطريق الواضح ـ إلى أن قال ـ فقال عمار وأبو الهيثم وأبو أيوب وسهل بن حنيف لهعليه السلام: أنظر في أمرك وعاتب قومك هذا الحي من قريش، فانّهم قد نقضوا عهدك واخلفوا وعدك، وقد دعونا في السير إلى رفضك، وذلك لأنّهم كرهوا الأُسوة وفقدوا الأثرة، ولما آسيت بينهم وبين الأعاجم أنكروا واستشاروا عدوّك وعظّموه وأظهروا الطلب بدم عثمان فُرقة للجماعة وتألّفاً لأهل الضلالة. فخرج عليّعليه السلام فدخل المسجد وصعد المنبر مرتدياً بطاق مؤتزراً ببرد قطري، متقلّداً سيفاً متوكّياً على قوس، فقال:

«هذا كتاب الله بين أظهرنا وعهد رسول الله وسيرته فينا، لا يجهل ذلك إلّا جاهل، عامد عن الحقّ، منكر، قال تعالى ﴿يا أيّها النّاس إنّا خلقناكم من ذكر وأُنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[2] ثم صاح بأعلى صوته: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن توليتم فإنّ الله لا يحبّ الكافرين.

ثم قال: يا معشر المهاجرين والأنصار، أتُمِنُّون على الله ورسوله بإسلامكم بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين. ثم قال: أنا أبو الحسن ـ وكان يقولها إذا غضب ـ إلى أن قال: فأمّا هذا الفيء فليس لأحد على أحد فيه أثَرة وقد فرغ الله من قسمته فهو مال الله، وأنتم عباد الله

---

(١) الزخرف: ٧٨.

(٢) الحجرات: ١٣.

المسلمون! وهذا كتاب الله به أقررنا وله أسلمنا وعهد نبينا بين أظهرنا، فمن لم يرضَ به فليتولّ كيف شاء، فانّ العامل بطاعة الله والحاكم بحكم الله لا وحشة عليه -إلى أن قال-: قال عليه السلام لطلحة والزبير في جملة كلام طويل -فما الذي كرهتما من أمري حتّى رأيتما خلافي؟ قالا: خلافك عمر بن الخطاب في القسم، إنّك جعلت حقّنا في القسم كحقّ غيرنا وسوّيت بيننا وبين من لا يماثلنا فيما أفاءه الله تعالى بأسيافنا ورماحنا وأوجفنا عليه بخيلنا، وظهرت عليه دعوتنا وأخذناه قسراً عمّن لا يرى الإسلام إلّا كرهاً. فقال عليه السلام لهما: أما القسم والأُسوة، فان ذلك أمر لم أحكم فيه بادئ بدء، وقد وجدت أنا وأنتما النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يحكم بذلك وكتاب الله ناطق به، وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وأمّا قولكما جعلت فيئنا وما أفاءته سيوفنا ورماحنا سواء بيننا وبين غيرنا، فقديماً سبق إلى الاسلام قوم ونصروه بسيوفهم ورماحهم، فلا يفضّلهم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في القسم ولا آثرهم بالسّبق، والله سبحانه موف السابق والمجاهد يوم القيامة أعمالهم، وليس لكما والله عندي ولا لغيركما إلّا هذا[1].

قوله عليه السلام «**أتأمروني أن أطلب النصر**» على الأعداء «**بالجور في من ولّيت عليه**» بأن أعطي مال الضعفاء للأقوياء. كلامه هذا دالّ على أن عدم التسوية جور وظلم، وأنّ إحداث عمر لذلك أحد بِدَعِهِ في الدين، خلافاً لكتاب الله تعالى وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم كما عرفت تفصيله، وإنّ طلحة والزبير قالا له خالفت في ذلك عمر، فقال عليه السلام بأنّه لم يكن أوّل من خالف عمر، بل خالفه قبله كتاب الله تعالى وسنّة رسوله، إلّا أنّه أين مَنْ ألقى السمع وهو شهيد؟

ومن العجب هنا قول ابن أبي الحديد إنّ رأي علي وأبي بكر في المسألة

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٣٧ ـ ٤٢، والنقل بتصرف يسير.

واحد وإليه ذهب الشافعي، وأمّا عمر ففضّل السابقين على غيرهم، ومهاجري قريش على غيرهم، والمهاجرين على الأنصار، والعرب على العجم، والصريح على المولى، وقد كان عمر أشار على أبي بكر أيام خلافته بذلك، فلم يقبل أبو بكر، فعمل عمر بها في أيّامه. وذهب كثير من الفقهاء إلى قول عمر، وللإمام أن يعمل بما يؤدي إليه اجتهاده، وإن كان اتّباع عليّ عندنا ـ لا سيما إذا عضدته موافقة أبي بكر ـ أولى، وإن صحّ أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم سوّى فقد صارت المسألة منصوصاً عليها لأنّ فعل النبي كقوله.

فإن كان فعل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في التسوية ممّا لا ريب فيه، وقد كان أمير المؤمنين عليه السلام يستدل به من يوم قام بالأمر إلى يوم وفاته، فكيف فكانوا يطلبون ذلك منه مرّة بعد أُخرى يوم بايعوه، وفي الجمل وصفين، وبعدهما والأخبار في طلبهم المتكرّر منه بذلك متواترة، وقد عرفت رواية الإسكافي أنّه عليه السلام لما قال لطلحة والزبير ما الذي نقمتما عَلَيَّ؟ فقالا له: خلافك عمر في القسم، قال عليه السلام لهما: قد وجدت أنا وأنتما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحكم بذلك. ولكون حكم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وفعله بالتسوية واضحين لم يجترئ أبو بكر على المخالفة مع إشارة عمر عليه بذلك وخاف طعن النّاس عليه، كما أن حكم الكتاب بذلك أيضاً واضح وقد مرّت آياته.

وذكر (تاريخ اليعقوبي) أنّه بعد فتحه عليه السلام يوم الجمل ما نصّه: وأعطى عليّ عليه السلام النّاس بالسوية لم يفضّل أحداً على أحد، وأعطى الموالي كما أعطى الصليبة، وقال قرأت ما بين الدفتين فلم أجد لولد اسماعيل على ولد إسحق فضل ـ هذا وأشار إلى عود أخذه من الأرض فوضعه بين أصبعيه[1].

ولم ينحصر اجتهاد فاروقهم في مقابل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في مسألة

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٨٣.

التسوية، بل اجتهد في مقابل قوله حين وفاته «إيتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم ما لا تضلّوا بعده أبداً» بأن طلبه لدواة وصحيفة هجر وهذيان[١]، كما اجتهد هو وصدّيقهم في قبال قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم «جهّزوا جيش أسامة لعن الله من تخلّف عنه»[٢] بأنّا لا تطيب أنفسنا أن نفارقه ونسأل عنه الركبان!

ولعمر الله! إنَّ دينَ إخواننا، دين أبي بكر وعمر، لا دين الله ودين رسوله، لأنهم دائرون مدارهما، فما قبلاه من الكتاب والسنّة يقبلوه وما خالفاه منهما يخالفوه! أليس الثاني قال لهم «متعتان كانتا على عهد النبيّ وأنا احرّمهما»[٣] فحرّموهما؟

ولأنّهم على دينهما دون دين الله وكتابه وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم لم يكترثوا بأقواله عليه السلام وان خالفا الكتاب والسّنّة على وجه العموم أو الخصوص، فلقد طوى عليه السلام كشحه عن حقّه الثابت بصريح العقل وصحيح النقل يوم الشورى لمّا اشترطوا عليه سنّة الرجلين لينبّههم على حقيقة الأمر، وكذلك أفصح عليه السلام عن الأمر في بيعة أصحابه الثانية معه بعد انفصال الخوارج عنهم، فجاءه ربيعة بن أبي شداد الخثعمي ـ وكان شهد معه الجمل وصفين ومعه راية خثعم ـ فقال له: بايع على كتاب الله وسنّة رسوله، وعلى سنّة أبي بكر وعمر. فقال عليه السلام له: ويلك! لو أن أبا بكر وعمر عملا بغير كتاب الله وسنّة رسوله لم يكونا على شيء. ثم قال له: أما والله لكأنّي بك وقد نفرت مع هذه الخوارج فقتلت، وكأنّي بك وقد وطئتك الخيل بحوافرها. فقتل يوم النهر وقد وطأته

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١: ٣٢ و ٤: ٧ و ٢٧١، ومسلم في صحيحه ٣: ١٢٥٩ ح ٢٢ وغيرها.

(٢) رواه الجوهري في السقيفة : ٧٥، والشهرستاني في الملل ١: ٢٩ وغيرهما.

(٣) أخرجه الطحاوي في معاني الآثار وأبو صالح كاتب الليث في نسخته، عنهما منتخب كنز العمال ٦: ٤٠٤، وغيرهما بلفظ «أنا أنهى عنهما».

الخيل وسوّته بالأرض كما في (تاريخ الطبري) و(الخلفاء)[1]، إلاّ أنّه عليه السلام وإن بيّن في أكثر من موضع، ولكنّ الله تعالى قال لنبيّه: ﴿وما أنت بمُسمعٍ من في القبور﴾[2].

هذا، وروى الصولي في (أدب كتّابه) تفصيل تفضيله عن عوانة، وتسميته أزواج النبيّ آله، وتفضيل عائشة على البواقي لكونها المؤسسة لأمرهم وإمارتهم، وجعل أمير المؤمنين عليه السلام الذي هو كنفس النبي صلى الله عليه وآله وسلم كبني أُميّة أعداء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وجعل بني أُمية أقارب النبيّ كبني هاشم. ففي خبره ثم كثر المال على عمر فقالوا: بمن تبدأ؟ قال: أشيروا عليّ. فقالوا: إبدأ بنفسك. فقال: بل بآل رسول الله. فكتب عائشة في اثني عشر ألفاً في كلّ سنة! وكتب سائر أزواج النبي في عشرة آلاف لكلّ واحدة، وكتب بعد ازواج النبيّ عليّاً في خمسة آلاف ومن شهد بدراً من بني هاشم ومن مواليهم، ثم كتب عثمان بن عفّان في خمسة آلاف ومن شهد بدراً من بني أُمية ومواليهم على حدّ سواء.

ثم قال: قد بدأت بآل النبي وأقاربه، فبمن ترون أن نبدأ بعدهم؟ قالوا: بنفسك. قال: بل بآل أبي بكر. فكتب طلحة في خمسة آلاف وبلالاً في مثلها. ثم قال للناس: بمن أبدأ؟ قالوا: بنفسك. قال: صدقتم فكتب لنفسه! ولمن شهد بدراً من بطون قريش خمسة آلاف خمسة آلاف، ثم كتب لمن شهد بدراً من الأنصار أربعة آلاف أربعة آلاف، فقالوا: قد قصّرت بنا عن إخواننا المهاجرين. قال: لا أجعل الذين قال تعالى: ﴿للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٥٦، سنة ٣٧، والإمامة والسياسة ١: ١٤٦.

(٢) فاطر: ٢٢.

الله ورسوله أولئك هم الصادقون﴾[1] كمن كانت الهجرة في داره، فرضوا.
ثم كتب لمن شهد أحُداً بثلاثة آلاف لكلّ واحد منهم، ثم فرض لمن شهد فتح مكة في ألفين ألفين.

ويظهر من التدبّر فيه أُمور أشرنا إلى بعضها: منها أنّ قوله «إبدأ بآل الرسول» كان إنكاراً لآل الرسول وحطّاً لمرتبتهم وستراً لفضائلهم، فهل عائشة وكذا ابنته اللتان قال تعالى فيهما ﴿وإن تظاهرا عليه فإنّ الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير﴾[2] وقال جلّ وعلا فيهما: ﴿ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط﴾[3] هما آل الرسول، دون أمير المؤمنين عليه السلام الذي هو نفس الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بنصّ القرآن وتصريح الرسول، ودون الحسنين عليهما السلام اللذين هما ابنا النبيّ بنصّ القرآن، وأقرب الخلق إلى الله منذ طفولتيهما حيث باهل بهما، وسيدا شباب أهل الجنّة في متواتر قول النبيّ[4] فأعطى عائشة اثنى عشر وابنته عشراً وأمير المؤمنين عليه السلام خمساً، فعل ذلك بعائشة شكراً لها على فعلها لتمهيدها الأمر له ولصاحبه يوم وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، كما مهّد هو لها برفع درجتها وكونها من آل رسول الله ممّا جرّأها على أن تقوم يوم الجمل في مقابل أمير المؤمنين عليه السلام، كما انّه جعل بني أُميّة كبني هاشم في كونهما من أقارب النبيّ تمهيداً لانتقال الأمر إلى عثمان إلى السفيانية ثم إلى المروانية، كما انّه جمع

---

(١) الحشر: ٨.

(٢) التحريم: ٤، وقد أضاف (عمر) واواً عليها.

(٣) التحريم: ١٠.

(٤) قوله تعالى في آل عمران: ٦١، وحديث النبي صلى الله عليه وآله «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنّة» الذي أخرجه الترمذي في سننه ٥: ٦٥٦ و ٦٦٠ ح٣٧٦٨ و ٣٧٨١، وابن ماجة في سننه ١: ٤٤ ح١١٨، والحاكم في المستدرك ٣: ١٦٦ و ١٦٧، وغيرهم.

يوم الشورى بينه عليه السلام -وهو أوّل مجاهد عن الله تعالى ورسوله- وبين عثمان وهو أوّل محامٍ عن بني أُميّة أعداء الله وأعداء رسوله وأعداء دينه -لكونهما من بني عبد مناف.

ثمَّ لِمَ حط الأنصار عن المهاجرين وكانا كفرسي رهان، قال تعالى فيهما: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار﴾[1] ﴿لقد تاب الله على النّبيّ والمهاجرين والأنصار الذين اتّبعوه في ساعة العسرة﴾[2]، فإن فضّل المهاجرين لما تلاه، فقد قال تعالى في الأنصار: ﴿والّذين تَبوّؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبّون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة ممّا أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شحّ نفسه فأولئك هم المفلحون﴾[3].

ألم يقل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يوم حنين لما بذل غنائم حنين في المؤلفة من قريش وغيرهم، ولم يعطِ الأنصار شيئاً، فوجدوا في أنفسهم حتى قال بعضهم: لقي رسول الله قومه، فأمر سعد بن عبادة فجمعهم وقال لهم: مقالة بلغتني عنكم وموجدة وجدتموها في أنفسكم ألم آتكم ضلّالاً فهداكم الله وعالة فأغناكم الله وأعداءاً فألّف الله بين قلوبكم؟ قالوا: بلى. فقال: ألا تجيبوني؟ قالوا: وبماذا نجيبك -ولله ولرسوله المنّ والفضل- قال: أما والله لو شئتم لقلتم فصدقتم ولصدّقتم، أتيتنا مكذّباً فصدقناك؛ ومخذولاً فنصرناك؛ وطريداً فآويناك؛ وعائلاً فآسيناك؛ وجدتم في أنفسكم يا معشر الأنصار في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا، ووكلتكم إلى اسلامكم، أفلا

(١) التوبة: ١٠٠.

(٢) التوبة: ١١٧.

(٣) الحشر: ٩.

ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب النّاس بالشاء والبعير وترجعون برسول الله إلى رحالكم، فوالذي نفس محمّد بيده لولا الهجرة لكنت أمرءاً من الأنصار، ولو سلك النّاس شعباً، وسلكت الأنصار شعباً، لسلكت شعب الأنصار. اللّهمّ ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار. فبكى القوم حتى اخضلّت لحاهم وقالوا: رضينا برسول الله قسماً وحظاً ـ الخ[1] ـ.

وقال ﷺ في الأنصار مالم يَقُلْه في المهاجرين، فلو أُريد الترجيح كان الترجيح لهم، وقد كان أبو بكر مقرّاً لهم بذلك ـ ففي صدر خبر عوانة الذي رواه الصولي «إنّ مالاً من البحرين جاء إلى أبي بكر فساوى فيه بين النّاس، فغضبت الأنصار وقالوا له: فضّلنا. فقال لهم: صدقتم، إن أردتم أن أُفضلكم فقد صار ما عملتم للدنيا. والله يا معشر الأنصار لو شئتم أن تقولوا: إنّا آويناكم وشاركناكم في أموالنا ونصرناكم بأنفسنا لقلتم؛ وإنّ لكم من الفضل ما لا نحصيه عدداً ـ الخبر ـ.

مع إنّ قول عمر «لا أجعل من قال الله فيه ما قال، كمن كانت الهجرة في داره» مغالطة، فهل كانت هجرة المهاجرين إلّا فراراً من شدّة كانوا فيها وهو أمر يفعله جميع النّاس، إلّا أنّ ما فعله الأنصار من إشراك المهاجرين في أموالهم وديارهم لا يفعله إلّا الأوحدي من النّاس، مع أنّ الآية التي تلاها إنّما هي: ﴿للفقراء المهاجرين﴾[2]، وهو أراد تفضيل الأغنياء ابن عوف وطلحة والزبير وعثمان ونظرائهم، إلّا إنّه حرّف الآية إثباتاً لهواه فقال «للفقراء والمهاجرين».

---

(١) رواه الواقدي في المغازي٢: ٩٥٦، وابن هشام في السيرة ٤: ١٠٦، والطبري في تاريخه٣: ٣٦١ سنة٨، والنقل بتصرف يسير.

(٢) الحشر: ٩.

لكن عمل معهم ذاك العمل لأن رئيسهم، سعد بن عبادة، لم يبايعهم وكان هواهم مع أمير المؤمنين عليه السلام، حتى أراد هو وصاحبه ألا يوليا أحداً منهم لذلك. ففي تاريخ اليعقوبي ـ بعد ذكر مشورة أبي بكر مع عمرو بن العاص في خروج طليحة عليه، ووصف عمرو له رجالاً من قريش للإمارة لدفعه، ولا سيما، خالد بن الوليد وتركه ذكر الأنصار ـ فقام ثابت بن قيس الأنصاري وقال: يا معشر قريش، أما كان فينا رجل يصلح لما تصلحون له، أما والله ما نحن عُمياً عمّا نرى ولا صمّاً عمّا نسمع، ولكن أمرنا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بالصبر، فنحن نصبر. وقام حسّان فقال:

يا للرجال لخلفة الأطوار ولما أراد القوم بالأنصار

لم يدخلوا منّا رئيساً واحداً يا صاح في نقض ولا امرار[1]

«والله ما» هكذا في (المصرية)، والصواب: «لا» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[2] «أطور به» أي: لا أحوم حوله ولا أدنو منه «ما سمر سمير» قال الجوهري: السمر: اسم الحديث بالليل «ولا أفعله السمر والقمر» أي: ما دام النّاس يسمرون في ليلة قمراء[3]. وقال ابن دريد: «لا اكلّمه السمر والقمر» أي: ما أظلم الليل وطلع القمر، ثمّ كثر في كلامهم حتى سموا الليل والنّهار ابني سمير، ومن أمثالهم «لا أكلّمه ما سمر ابنا سمير» أي: ما اختلف الليل والنّهار[4].

«وما أمّ» أي: قصد «نجم في السماء نجما» وقال بعض المتأخرين «لا أفعله ما طلع النجم في الخضراء ونجم الطلع في الغبراء».

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٢٩.

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٨: ١٠٩، لكن في شرح ابن ميثم ٣: ١٠٣ «ما».

(٣) صحاح اللغة ٢: ٦٨٨، مادة (سمر).

(٤) جمهرة اللغة ٢: ٣٣٧.

وقال زهير:

ولولا ظلمة ما زلت أبكي سجيس الدهر ما طلع النجوم

والجملتان في كلامه عليه السلام «ما سمر سمير» وما «أمّ نجم نجماً» كنايتان عن الدّوام، ونظيرهما في الكناية عنه قولهم «سجيس عجيس» وقولهم «ما غبا غبيس»، قال:

فاقسمت لا آتي ابن ضمرة طائعاً سجيس عجيس ما أبان لساني

أيضاً:

وفي بني أمّ زبير كيس على الطعام ما غبا غبيس[1]

«**لو كان المال لي لسوّيت بينهم فكيف وإنّما المال مال الله**» يعني إنّه عليه السلام لا يرتكب ما يكون خلاف المروة ومكارم الأخلاق مع إباحته، فكيف يمكن ارتكابه محظوراً من الله تعالى في شريعته.

«**ألا وإنّ إعطاء المال في غير حقّه تبذير**» والأصل فيه بذر الحبّ في الأرض، وقال تعالى: ﴿ولا تبذّر تبذيراً * إنّ المبذّرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربّه كفوراً﴾[2].

«**وإسراف**» ﴿ولا تسرفوا إنّه لا يحبّ المسرفين﴾[3] قيل الأصل فيه «سرف» إذا أكلته السرفة، يقال: يفعل السرف بالنشب، ما يفعل الشرف بالخشب.

«**وهو**» أي: إعطاء المال في غير حقّه «**يرفع صاحبه في الدنيا**» عند أهلها كما فعل عمر «**ويضعه في الآخرة**» لمسؤوليته، ثمّة «**ويكرمه في النّاس ويهينه**

---

(١) أوردها لسان العرب ٦: ١٠٤ و ١٥٣، مادة (سجس) و (غبس).

(٢) الاسراء: ٢٦ ـ ٢٧.

(٣) الانعام: ١٤١.

عند الله» فعثمان تبع عمر في التفضيل وزاد عليه بما لا حساب له، فلذا كانت قريش تحبّه حبّ العاشق للمعشوق. قال الشاعر:

أحبك آن والرحمن حبّ قريش عثمان

«ولم يضع امرؤ ماله في غير حقّه ولا عند» هكذا في (المصرية) والصواب: «وعند» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[١] «غير أهله إلّا حرمه الله شكرهم وكان لغيره ودّهم» كما أنّ من لم يضع ماله في حقّه وعند أهله اضطره الله أن يضع أضعافه في غير محلّه، فمن لم ينفق درهماً في حقّ ينفق درهمين في باطل.

«فان زلّت به النّعل يوماً فاحتاج إلى معونتهم فشرّ خدين» أي: صديق «وألأم خليل» كما في أُعطية عثمان لطلحة وغيره، ففي (تأريخ الطبري): لمّا حصر النّاس عثمان كان أشدّ النّاس عليه طلحة، وقد كان وهب له خمسين ألفا»[٢].

هذا، وقد عرفت ممّا نقلنا من أسانيد العنوان أنّ الثاني جزء الأوّل وتتمّته.

قوله عليه السلام في الثاني «وليس لواضع المعروف في غير حقّه وعند غير أهله من الحظّ» أي: النصيب «إلّا» هكذا في (المصرية)، وفيها سقط والأصل «فيما أتى إلّا» كما يشهد به (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٣] «محمدة» أي: حمد «اللئام وثناء الأشرار ومقالة» أي: قول «الجهال ما دام منعماً عليهم» ولم يتخلّله قطع «ما أجود يده» مقول المقالة، أي: الجهال يقولون ما أجوده ما دام لم يقطع عنهم يده.

«وهو عن ذات الله بخيل» قد عرفت أنّ (الكافي) نقله «وهو عند الله بخيل»[٤]،

---

(١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٨: ١٠٩، لكن في شرح ابن ميثم ٣: ١٣١ نحو المصرية.

(٢) جاء هذا المعنى في تاريخ الطبري ٣: ٤١١، سنة ٣٥.

(٣) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٩: ٧٤، لكن في شرح ابن ميثم ٣: ١٨٠ نحو المصرية.

(٤) الكافي ٤: ٣٢.

وأما على رواية المصنف فالمراد أنّه وإن كان في لسان الجهال والأرذال جواداً، إلّا أنّه من قبل الله تعالى معدود في البخلاء لبخله بحقّ الله، فأجود النّاس من أدّى حقوق الله وإن كان ممسكاً في غيرها، وأبخل النّاس من منع حقوق الله وإن كان في غاية الإسراف والتبذير للدّنيا، كما أنّ أعبد النّاس من أقام الفرائض، وأورع النّاس من تنكب المحارم.

«**فمن آتاه الله مالاً فليصِلْ به القرابة**»، روى (الكافي): أنّ أبا عبدالله عليه السلام لمّا حضرته الوفاة أُغمي عليه فأفاق، فقال: أعطوا الحسن بن علي بن الحسين ـ وهو الأفطس ـ سبعين ديناراً، فقيل له: أتعطي رجلاً حمل عليك بالشفرة (يريد أن يقتلك). فقال: تريدون ألّا أكون من الذين قال تعالى: ﴿الذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربّهم ويخافون سوء الحساب﴾[1]، إن الله تعالى خلق الجنّة وطيّبها، وطيّب ريحها، وإن ريحها لتوجد من مسيرة ألفي عام، ولا يجد ريحها عاقّ ولا قاطع رحم.

وعنه عليه السلام قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: الصدقة بعشر، والقرض بثمانية عشر، وصلة الإخوان بعشرين، وصلة الرحم بأربعة وعشرين[2].

«**وليحسن منه الضيافة**» روى (ثواب الأعمال) عن عبد الله بن ميمون القداح عن أبي عبدالله عليه السلام: من أطعم مسلماً حتّى يشبعه لم يدرِ أحد من الخلق ماله من الأجر في الآخرة، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل إلّا الله ربّ العالمين. ثم قال: من موجبات المغفرة إطعام المسلم السغبان. ثمّ تلا قوله تعالى: ﴿أو إطعام في يوم ذي مسغبةٍ * يتيماً ذا مقربةٍ * أو مسكيناً ذا متربة﴾[3].

---

(١) الرعد: ٢١.

(٢) الكافي ٧: ٥٥ ح ١٠.

(٣) البلد: ١٤ ـ ١٦.

وعن الصادق عليه السلام: من أطعم ثلاثة نفر من المؤمنين أطعمه الله من ثلاث جنان ملكوت السماوات: الفردوس، وجنّة عدن، وطوبى؛ شجرة من جنّة عدن.

وعنه عليه السلام: من أطعم أخاً في الله كان له من الأجر مثل ما أطعم فئاماً من النّاس ـ أي مائة ألف ـ.

وعن السجاد عليه السلام: من أطعم مؤمناً من جوع أطعمه الله من ثمار الجنّة، ومن سقى مؤمناً من ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم، ومن كسا مؤمناً كساه الله من الثياب الخضر[1].

«**وليفكّ به الأسير والعاني**» أي: المحبوس. قال الجوهري: عناه حبسه، وعنى فيهم أسيراً أي أقام فيهم على إسارة واحتبس[2]. وقال ابن دريد: العنو مصدر عنا يعنو إذا ذل، ومنه اشتقاق العنوة، وفسر قوله تعالى: ﴿وعنت الوجوه للحي القيوم﴾[3] من هذا، ومن تسميتهم الأسير عانياً ـ الخ[4] ـ.

وقول ابن أبي الحديد: العاني الأسير بعينه وإنّما اختلف اللفظ[5]، غلط، فالعاني أعمّ والأصل فيه الذليل، فيراد منه المحبوس كما يراد منه الأسير، ويمكن أن يراد بفكّ العاني فكّ رقبة تحت الشدّة والذلّة عند مولاه، وهو أحد مصارف الزكاة الثمانية، وعبر عنه الكتاب بلفظ ﴿وفي الرّقاب﴾[6].

---

(١) ثواب الأعمال: ١٦٤ و ١٦٥.

(٢) صحاح اللغة ٦: ٢٤٤٠، مادة (عنا).

(٣) طه: ١١١.

(٤) جمهرة اللغة ٣: ١٤٤.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٧٤.

(٦) البقرة: ١٧٧ و التوبة: ٦٠.

«وليعطِ منه الفقير والغارم» أي: المديون، وإعطاء الفقير والغارم أيضاً من مصارف الزكاة الثمانية.

والظاهر أنّه عليه السلام أراد الأعمّ من الزكاة الواجبة، كما روى (الكافي) عن أبي بصير، قال: كنّا عند أبي عبدالله ومعنا بعض أصحاب الأموال، فذكروا الزكاة فقال عليه السلام: إنّ الزكاة ليس يحمد بها صاحبها، وإنّما هو شيء ظاهر، إنّما حقن بها دمه وسمّي بها مسلماً، ولو لم يؤدّها لم تقبل له صلاة، وإنّ عليكم في أموالكم غير الزكاة. فقلت: وما علينا غيرها؟ فقال: سبحان الله، أما تسمع الله تعالى يقول: ﴿والذين في أموالهم حقّ معلوم * للسائل والمحروم﴾[1]. قلت: ما المعلوم الذي علينا؟ قال: هو الشيء الذي يعمله الرجل في ماله يعطيه في اليوم أو في الجمعة أو في الشهر قلّ أو كثر، غير أنّه يدوم عليه، وقوله تعالى: ﴿ويمنعون الماعون﴾[2] هو القرض يقرضه والمعروف يصطنعه ومتاع البيت يعيره ومنه الزكاة. قلت: فقوله تعالى ﴿ويطعمون الطعام على حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً﴾[3]؟ قال: ليس من الزكاة. قلت: قوله تعالى: ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنّهار سرّاً وعلانية﴾[4]. قال: ليس من الزكاة، وصلتك قرابتك ليس من الزكاة[5].

«وليصبّر نفسه على الحقوق والنوائب ابتغاء» أي: لطلب «الثواب» روى (الكافي) عن أبي بصير قلت له عليه السلام: أيّ الصدقة أفضل؟ قال: جهد المقل، أما

---

(١) المعارج: ٢٤ ـ ٢٥.

(٢) الماعون: ٧.

(٣) الانسان: ٨.

(٤) البقرة: ٢٧٤.

(٥) الكافي ٣: ٤٩٩ ح٩، والنقل بتلخيص.

سمعت قوله تعالى: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾[١].

وعن الصادق عليه السلام: أتى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وفد من اليمن وفيهم رجل كان أعظمهم كلاماً وأشدّهم استقصاء في حاجة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فغضب حتى التوى عرق الغضب بين عينيه وتربّد وجهه وأطرق إلى الأرض، فأتاه جبرئيل فقال: ربّك يقرؤك السلام ويقول لك: هذا رجل سخيّ يطعم الطعام، فسكن عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الغضب ورفع رأسه وقال: لولا أن جبرئيل أخبرني عن الله تعالى أنّك سخيّ تطعم الطعام لشرّدت بك وجعلتك حديثاً لمن خلفك، فقال له الرجل: وإنّ ربّك ليحبّ السخاء؟ فقال: نعم. فقال: اني أشهد ألّا إله إلا الله وأنّك رسول الله، والذي بعثك بالحقّ لا رددت عن مالي أحداً[٢].

«فان فوزاً بهذه الخصال شرف مكارم الدين ودرك فضائل الآخرة إن شاء الله» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: إنّ إبراهيم عليه السلام كان أبا أضياف، فكان إذا لم يكونوا عنده خرج يطلبهم، وأغلق بابه وأخذ المفاتيح يطلب الأضياف، وأنّه رجع إلى داره فإذا هو برجل أو شبه رجل في الدار، فقال: يا عبد الله بإذن من دخلت هذه الدار؟ قال: دخلت بإذن ربّها - يردّد ذلك ثلاث مرات - فعرف إبراهيم عليه السلام أنّه جبرئيل، فحمد الله، ثم قال لإبراهيم: أرسلني ربّك إلى عبد من عبيده يتخذه خليلا، قال إبراهيم عليه السلام: فأعلمني من هو أخدمه حتى أموت. قال: فأنت هو. قال: وممّ ذلك؟ قال: لأنّك لم تسأل أحداً شيئاً قط، ولم تسأل شيئاً قط، فقلت: لا.

وعن الحارث الهمداني قال: سامرت أمير المؤمنين عليه السلام فقلت له: عرضت

---

(١) الحشر: ٩.

(٢) الكافي ٤: ٣٩ ح٥.

لي حاجة. قال: فرأيتني لها أهلاً. قلت: نعم. قال: جزاك الله عنّي خيراً! ثم قام إلى السراج فأغشاها وجلس، ثم قال: إنّما أغشيت السراج لئلا أرى ذلّ حاجتك في وجهك، فتكلّم فإنّي سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول: الحوائج أمانة من الله في صدور العباد، فمن كتمها كتبت له عبادة، ومن أفشاها كان حقّاً على من سمعها أن يعينه.

وعن أبي جعفر عليه السلام: إنّ الله عزّوجلّ جعل للمعروف أهلاً من خلقه حبّب إليهم فعاله، ووجّه لطلّاب المعروف الطلب إليهم ويسّر لهم قضاءه كما يسّر الغيث للأرض المجدبة ليحييها ويحيى به أهلها، وإنّ الله تعالى جعل للمعروف أعداء من خلقه بغّض إليهم المعروف وفعاله، وحظر على طلّاب المعروف الطلب إليهم وحظر عليهم قضاءه كما يحرم الغيث على الأرض المجدبة ليهلكها، ويهلك أهلها وما يعفو الله أكثر.

وعن أبي عبدالله عليه السلام: قال أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم له: فداك آباؤنا وأمهاتنا، إنّ أصحاب المعروف في الدنيا عرفوا بمعروفهم فبم يُعرفون في الآخرة؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: إنّ الله تعالى إذا أدخل أهل الجنّة الجنّة، أمر ريحاً عبقة طيبة فلزقت بأهل المعروف، فلا يمر أحد منهم بملأ من أهل الجنّة إلّا وجدوا ريحه فقالوا: هذا من أهل المعروف.

وعنه عليه السلام: إنّ للجنّة باباً يقال له المعروف، لا يدخله إلّا أهل المعروف، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة، يقال لهم: إنّ ذنوبكم قد غفرت لكم فهبوا حسناتكم لمن شئتم[١].

---

(١) هذه الاحاديث أخرجها الكليني في الكافي ٤: ٢٤ ح ٤ و ٢٥ ح ٢ و ٢٩ ح ١ و ٢ و ٣٠ ح ٤ و ٤٠ ح ٦.

١٤
الخطبة (٢٣٠)

ومن كلام له عليه السلام كلّم به عبدالله بن زمعة، وهو من شيعته، وذلك أنّه قدم عليه في خلافته يطلب منه مالاً، فقال عليه السلام:

إِنَّ هَذَا المَالَ لَيْسَ لِي وَلَا لَكَ، وَإِنَّمَا هُوَ فَيْءٌ لِلْمُسْلِمِينَ وَجَلْبُ أَسْيَافِهِمْ، فَإِنْ شَرِكْتَهُمْ فِي حَرْبِهِمْ كَانَ لَكَ مِثْلُ حَظِّهِمْ، وَإِلَّا فَجَنَاةُ أَيْدِيهِمْ لَا تَكُونُ لِغَيْرِ أَفْوَاهِهِمْ.

قول المصنف: «ومن كلام له عليه السلام كلّم به عبد الله بن زمعة» في (ذيل الطبري) عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وأُمّه قريبة الكبرى ابنة أبي أُميّة بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، وأُمّها عاتكة بنت عبد المطلب[1].

وفي (العقد): أتي بعبد الله بن زمعة مسلم بن عقبة فقال له: بايع على أنّك خَول ليزيد، يحكم في مالك ودمك وأهلك، فامتنع فقال: إضربوا عنقه، فوثب مروان فضمّه إليه وقال: نبايعك على ما أحببت، فقال: لا والله؛ لا أقيلها إيّاه أبداً، إن تنحّى عنه وإلّا فاقتلوهما جميعاً، فتركه مروان وضرب عنقه[2].

وهو إن لم يكن من تصحيف نسخة كتابه فتحريف منه، فإنّما قتل مسلم بن عقبة ابنه يزيد بن عبدالله بن زمعة، صرح به مصعب الزبيري في (نسب قريشه)، وابن قتيبة في (خلفائه)، و(الطبري في تأريخه)، وغيرهم.

جاء في (نسب قريش): فلما مات مسلم بن عقبة متوجهاً إلى مكة لقتال ابن الزبير خرجت أُمّ ولد يزيد بن عبد الله ـ وهي أُم ابنه يزيد بن يزيد ـ من ضيعة

---

(١) منتخب ذيل المذيل: ٣٨.

(٢) العقد الفريد ٥: ١٣٠.

كانت لهم على أميال من قديد، فنبشت مسلماً فصلبته!

وفي (تاريخ الخلفاء): مات مسلم في الطريق فدفن في ثنية المشلل، فلما تفرتق القوم عنه أتته أُم ولد ليزيد بن عبد الله بن زمعة ـ وكانت من وراء العسكر تترقب موته ـ فنبشت عنه، فلما انتهت إلى لحده وجدت أسود من الأساود منطوياً على رقبته فاتحاً فاه فتهيّبته، ثم لم تزل به حتى تنحى لها عنه فصلبته على المشلل. قال الضحّاك: فحدّثني من رآه مصلوباً يرمى كما يرمى قبر أبي رغال[1].

وبالجملة، لا ريب في قتل ابنه يوم الحرة دونه، كما أن قتله يوم الدار كما ذكره الجزري في (أُسْدِهِ) فقال: قتل عبد الله مع عثمان يوم الدار قاله أبو أحمد العسكري عن أبي حسان الزيادي[2]، وهم، فلم يذكره أحد، ويبطله قول المصنف: «قدم عليه عليه السلام في خلافته» وما رواه من كلامه عليه السلام له، والظاهر أنّ الزيادي أو العسكري توهما «عبد الله بن زمعة مولى عثمان» بهذا، فعن الشافي أنّ عثمان أمر ابن زمعة بإخراج ابن مسعود من المسجد عنيفاً، فاحتمله حتّى جاء به باب المسجد فضرب به الأرض فكسر ضلعاً من أضلاعه، وقال: وفي رواية أنّ ابن زمعة الذي فعل بابن مسعود ما فعل كان مولى لعثمان أسود طوالاً[3].

وكيف كان، ففي (نسب قريش الزبيري): ومن ولد عبدالله بن زمعة، كبير بن عبدالله بن زمعة، جدّ أبي البختري وهب بن وهب قاضي الرشيد، وأمّ كبير زينب بنت أبي سلمة وأُمّها أُم سلمة زوج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، ومن ولد عبد الله بن

---

(١) نسب قريش: ٢٢٢، والامامة والسياسة ١: ٢١٩، وتاريخ الطبري ٤: ٣٧٨ و ٣٧٩، سنة ٦٣، وانساب الاشراف ٤ ق ٢: ٣٨.

(٢) أُسد الغابة ٣: ١٦٤.

(٣) تلخيص الشافي ٤: ١٠٤.

زمعة أبو عبيدة ابن عبد الله بن زمعة، وهو الذي عنى الخارجي محمد بن بشير العدواني بقوله:

إذا ما ابن زاد الراكب لم يمسِ نازلاً   قفا صفر لم يقرب الفرش زائر[١]

وفي (الاستيعاب): جدّ عبدالله الأسود كان أحد المستهزئين بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الذين قال تعالى فيهم: ﴿إنّا كفيناك المستهزئين﴾[٢] وأبوه زمعة قتل يوم بدر كافراً.

وروى عن عبدالله بن زمعة: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ذكر ناقة صالح فقال: إنبعث لها رجل عزيز عارم منيع في رهطه مثل أبي زمعة في قومه أي جدّه[٣].

«وهو من شيعته» هكذا في (المصرية وابن ميثم)، ولكن في (ابن أبي الحديد) «وكان له شيعة»[٤].

«وذلك أنّه قدم عليه في خلافته يطلب منه مالاً فقال» هكذا في (المصرية وابن أبي الحديد والخطية)، وليست الجملة في نسخة (ابن ميثم) رأساً، وفي الأخير «فطلب»[٥].

قوله عليه السلام «إنّ هذا المال ليس لي ولا لك» فليس لك الطلب منّي، وليس لي إعطائك منه «وإنّما هو فيء» أي: غنيمة «المسلمين» هذا في (المصرية) والصواب: «للمسلمين» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٦].

---

(١) نسب قريش: ٢٢٢.

(٢) الحجر: ٩٥.

(٣) الاستيعاب ٢: ٣٠٧.

(٤) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١٠، وشرح ابن ميثم ٤: ١١٠، نحو المصرية.

(٥) توجد الجملة في شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١٠، وشرح ابن ميثم ٤: ١١٠.

(٦) شرح شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١٠، وشرح ابن ميثم ٤: ١١٠.

«وجلب أسيافهم» شبّه عليه السلام ما أخذه المسلمون من الكفّار بسيوفهم بمن جلب الماشية من محل إلى محل آخر.

وفي (المروج): لما ولّي سعيد بن العاص بعد الوليد بن عقبة الكوفة من قبل عثمان ظهرت منه أُمور منكرة فاستبد بالأموال، وقال في بعض الأيام ـ أو كتب به إلى عثمان ـ إنّما هذا السواد قطين لقريش. فقال له الأشتر: أتجعل ما أفاء الله علينا بظلال سيوفنا ومراكز رماحنا بستاناً لك ولقومك. ثم خرج إلى عثمان في سبعين راكباً من أهل الكوفة، فذكروا سوء سيرة سعيد بن العاص وسألوا عزله ـ الخ[1] ـ.

«فان شركتهم في حربهم كان لك مثل حظهم وإلّا فجناة» قال الجوهري: الجني: ما يجتنى من الشجر، يقال أتانا بجناة طيّبة لكلّ ما يجتنى[2] «أيديهم لا تكون لغير أفواههم» لا يخفى لطف الكلام وكونه برهاناً عقلياً، ونظير قول عمرو اللخمي:

هذا جناي وخياره فيه   إذ كلّ جانٍ يده إلى فيه

هذا، ونظير كلامه عليه السلام لعبد الله بن زمعة كلامه لعاصم بن ميثم، ففي (مناقب السروي): جاء عاصم بن ميثم إليه عليه السلام وهو يقسّم مالاً، فقال: يا أمير المؤمنين؛ إنّي شيخ كبير مثقل. فقال عليه السلام: والله ما هو بكدّ يدي ولا بتراثي عن والدي، ولكنّها أمانة أوعيتها. ثم قال عليه السلام: رحم الله من أعان شيخاً مثقلاً[3].

---

(١) مروج الذهب ٢: ٣٣٦ ـ ٣٣٧.

(٢) صحاح اللغة ٦: ٢٣٠٥، مادة (جنى).

(٣) مناقب السروي ٢: ١١٠.

١٥
الخطبة (٢٢٢)

ومن كلام له عليه السلام:

وَٱللهِ لأَنْ أَبِيتَ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهَّداً، وأُجَرَّ فِي الأَغْلالِ مُصَفَّداً، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى ٱللهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِماً لِبَعْضِ الْعِبَادِ، وَغَاصِباً لِشَيْءٍ مِنَ الحُطَامِ. وَكَيْفَ أَظْلِمُ أَحَداً لِنَفْسٍ يُسْرِعُ إِلَى الْبِلَى قُفُولُها، وَيَطُولُ فِي الثَّرَى حُلُولُهَا. وَٱللهِ لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلًا وَقَدْ أَمْلَقَ حَتَّى اسْتَمَاحَنِي مِنْ بُرِّكُمْ صاعاً، وَرَأَيْتُ صِبْيَانَهُ شُعْثَ الأَلْوَانِ مِنْ فَقْرِهِمْ كأَنَّما سُوِّدَتْ وُجُوهُهُمْ بِالْعِظْلِمِ، وَعاوَدَنِي مُؤَكِّداً وَكَرَّرَ عَلَيَّ الْقَوْلَ مُرَدَّداً. فَأَصْغَيْتُ إِلَيْهِ سَمْعِي، فَظَنَّ أَنِّي أَبِيعُهُ دِينِي وَأَتَّبِعُ قِيَادَهُ مُفَارِقاً طَرِيقَتِي، فأَحْمَيْتُ لَهُ حَدِيدَةً ثُمَّ أَدْنَيْتُهَا مِنْ جِسْمِهِ لِيَعْتَبِرَ بِهَا، فَضَجَّ ضَجِيجَ ذِي دَنَفٍ مِنْ أَلَمِهَا وكادَ أَنْ يَحْتَرِقَ مِنْ مَيْسَمِهَا، فَقُلْتُ لَهُ: ثَكِلَتْكَ الثَّوَاكِلُ يا عَقِيلُ! أَتَئِنُّ مِنْ حَدِيدَةٍ أَحْمَاهَا إِنْسَانُهَا لِلَعِبِهِ، وَتَجُرُّنِي إِلَى نَارٍ سَجَرَهَا جَبَّارُها لِغَضَبِهِ؟ أَتَئِنُّ مِنَ الأَذَى وَلاَ أَئِنُّ مِنْ لَظَى؟ وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ طَارِقٌ طَرَقَنَا بِمَلْفُوفَةٍ فِي وِعَائِها وَمَعْجُونَةٍ شَنِئْتُهَا كَأَنَّمَا عجِنَتْ بِرِيقِ حَيَّةٍ أَوْقَيْئِهَا، فَقُلْتُ أَصِلَةٌ أَمْ زَكَاةٌ أَمْ صَدَقَةٌ، فَذَلِكَ مُحَرَّمٌ عَلَيْنَا أَهْلَ ٱلْبَيْتِ. فَقَالَ: لَا ذَا وَلَا ذَاكَ وَلَكِنَّهَا هَدِيَّةٌ. فَقُلْتُ: هَبِلَتْكَ ٱلْهَبُولُ! أَعَنْ دِينِ ٱللهِ أَتَيْتَنِي؟ لِتَخْدَعَنِي أَمُخْتَبِطٌ أَمْ ذُو جِنَّةٍ أَمْ تَهْجُرُ؟ وَٱللهِ لَوْ أُعْطِيتُ ٱلأَقَالِيمَ ٱلسَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلاَكِهَا عَلَى أَنْ أَعْصِيَ ٱللهَ فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبُهَا جُلْبَ شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُ، وَإِنَّ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمِ جَرَادَةٍ تَقْضَمُهَا. مَا لِعَلِيٍّ وَلِنَعِيمٍ يَفْنَى وَلَذَّةٍ لَا تَبْقَى، نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ سُبَاتِ ٱلْعَقْلِ وَقُبْحِ ٱلزَّلَلِ وَبِهِ نَسْتَعِينُ.

أقول: رواه محمد بن علي بن بابويه في (أماليه) مع زيادات واختلاف هكذا: الدقّاق عن محمد بن الحسن عن محمد بن الحسين عن محمد بن محسن عن المفضل بن عمرو عن جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام، قال أمير المؤمنين عليه السلام: والله ما دنياكم عندي إلّا كسفر على منهل حلواً إذ صاح بهم سائقهم فارتحلوا، ولا لذاذتها في عيني إلّا كحميم أشربه غساقاً، وعلقم أتجرعه زعاقاً، وسمّ أفعى أسقاه دهاقاً، وقلادة من نار أوهقها خناقاً، ولقد رقعت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها وقال لي: اقذف بها قذف الاتن لا يرتضيها ليرفعها. فقلت له: أعزب عنّي فعند الصباح يحمد القوم السرى، وتنجلي عنّا علالات الكرى. ولو شئت لتسربلت بالعبقري المنقوش من ديباجكم، ولأكلت لباب هذا البُرّ بصدور دجاجكم، ولشربت الماء الزلال برقيق زجاجكم، ولكنّي أصدق الله جلّت عظمته حيث يقول ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوفّ إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون * أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلّا النار﴾[1]، فكيف استطيع الصبر على نار لو قذفت بشرره إلى الأرض لأحرقت نبتها ولو اعتصمت نفس بقلة لأنضجها وهيج النار في قلبها، وأيما خير لعلي أن يكون عند ذي العرش مقرباً، أو يكون في لظى خسيئاً مبعداً مسخوطاً عليه بجرمه مكذباً. والله لأن أبيت على حسك السعدان مرقداً وتحتي اطمار على سفاها ممدداً أو أجرّ في الأغلال مصفّداً، أحبّ إليّ من أن ألقى في القيامة محمّداً خائناً في ذي يتمة أظلمه بفلسة متعمّداً، ولِمَ أظلم اليتيم وغير اليتيم لنفس تسرع إلى البلى قفولها ويمتد في أطباق الثرى حلولها، وإن عاشت رويداً فبذي العرش نزولها.

معاشر شيعتي؛ احذروا فقد عضّتكم الدنيا بأنيابها، تختطفُ منكم نفساً

(١) هود: ١٤ ـ ١٥.

بعد نفس كدأبها، وهذه مطايا الرحيل قد أنيخت لركابها. ألا إنّ الحديث ذو شجون فلا يقولن قائلكم، إن كلام عليّ متناقض، لأنّ الكلام عارض، ولقد بلغني أن رجلاً من قطان المدائن تبع بعد الحنيفة علوجه، ولبس من نالة دهقانه منسوجه، وتضمخ بمسك هذه النوافج صباحه، وتبخر بعود الهند رواحه، وحوله ريحان حديقة يشمّ نفاحه، وقد مد له مفروشات الروم على سرره ـ تَعْساً له ـ بعدما ناهز السبعين من عمره وحوله شيخ يدب على أرضه من هرمه وذو يتمة يتضوّر من ضرمه ومن قرمه، فما واساهم بفاضلات من علقمه، لئن أمكنني الله منه لأخضمنّه خضم البر ولأقيمنّ عليه حدّ المرتد، ولأضربنه الثمانين بعد حد، ولأسدن من جهله كلّ مسد. تعساً له، أفلا شعر، أفلا صوف، أفلا وَبَر، أفلا رغيف، قفار الليل افطار مغذم، أفلا عبرة على خد في ظلمة ليالي تنحدر؟ ولو كان مؤمناً لاتسقت له الحجّة إذا ضيّع ما لا يملك. والله لقد رأيت عقيلاً أخي وقد أملق؛ حتى استماحني من بُرّكم صاعة، وعاودني في عشر وسق من شعيركم يطعمه جياعه، ويكاد يلوي ثالث أيامه خامصاً ما استطاعه، ورأيت أطفاله شُعْث الألوان من ضرّهم، كأنّما اشمأزّت وجوههم من قرهم، فلمّا عاودني في قوله وكرّره، أصغيت إليه سمعي، فغرّه وظنّني أوتغ ديني، فاتّبع ما سره! أحميت له حديدة لينزجر، إذ لا يستطيع منها دنواً ولا يصبر، ثم أدنيتها من جسمه، فضجّ من ألمه ضجيج ذي دَنَف يئنّ من سقمه، وكاد يسبّني سفهاً من كظمه ولحرقه في لظى، أضنى له من عدمه فقلت له: ثكلتك الثواكل! يا عقيل أتئن من حديدة أحماها انسانها لمدعبه وتجرني إلى نار سجرها جبارها من غضبه؟ أتئنّ من الأذى ولا أئنّ من لظى؟ والله لو سقطت المكافأة عن الأمم، وتركت في مضاجعها باليات في الرّمم، لاستحييت من مقت رقيب يكشف فاضحات من الأوزار تنسخ، فصبراً على دنيا تمر بلاؤها كليلة بأحلامها تنسلخ، كم بين نفس في خيامها ناعمة وبين

أثيم في جحيم يصطرخ!

ولا تعجب من هذا، وأعجب بلا صنع منا من طارق طرقنا بملفوفات زمّلها في وعائها، ومعجونة بسطها في إنائها، فقلت له: أصدقه، أم نذر، أم زكاة؟ وكلّ يحرم علينا أهل بيت النبوّة، وعوضنا منه خمس ذي القربى في الكتاب والسُّنَّة. فقال لي: لا ذاك ولا ذاك، ولكنّه هَدِيَّة. فقلت له: ثكلتك الثواكل! أفعن دين الله تخدعني بمعجونة غرقتموها بقندكم، وخبيصة صفراء أتيتموني بها بعصير تمركم، أمختبط، أم ذو جنّة، أم تهجر؟ أليست النفوس عن مثاق حبّة من خردل مسؤولة؟ فماذا أقول في معجونة أتزقمها معمولة؟ والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها واسترق قطانها مذعنة بأملاكها، على أن أعصي الله في نملة أسلبها شعيرة فألوكها، ما قبلت ولا أردت! ولدنياكم أهون عندي من ورقة في فم جرادة تقضمها، وأقذر عندي من عراقة خنزير يقذف بها أجذمها، وأمرّ على فؤادي من حنظلة يلوكها ذو سقم فيبشمها! فكيف أقبل ملفوفات عكمتها في طيها، ومعجونة كأنها عجنت بريق حية أو قيئها.

اللّهم نفرت عنها نفار المهرة من راكبها أُريه السها ويريني القمر، أأمتنع من وبرة من قلوصها ساقطة وابتلع إبلاً في مبركها رابطة، أدبيب العقارب من وكرها التقط، أم قواتل الرقش في مبيتي ارتبط؟ فدعوني اكتفي من دنياكم بملحي وأقراصي، فبتقوى الله أرجو خلاصي. ما لعليٍّ ونعيمٍ يفنى ولذّة تنحتها المعاصي. سألقى وشيعتي ربّنا بعيون مرة وبطون خِمَاص، ليمحّص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين. ونعوذ بالله من سيئات الأعمال، وصلّى الله على محمّد وآله[١].

---

(١) أمالي الصدوق: ٤٩٥ ح٧، المجلس ٩٠.

«والله» أقسم عليه السلام مع كونه معصوماً متحرّزاً في كلامه عن الزيادة والنقيصة، لئلّا يُحمل قوله على الإغراق والمبالغة، ولأنّ النّاس منكرون عملاً لما يقول عليه السلام وإن أقرّوا به لساناً، فكان المقام مقام التأكيد الكامل، فأكّد عليه السلام بالأوكد، أي: القسم بالله الواحد الأُحد.

«لأن» بفتح اللام كالهمزة، وكتابة «لئن» غلط، لأنه يصير بكسر الهمزة ويصير شرطيّة ويأباه عدم جزم الفعل بعده.

«أبيت» من بات بمعنى قضى الليل «على حسك» أي: شوك «السَّعدان» بالفتح نبت كثير الشوك ولا ساق له إنّما هو منفرش على وجه الأرض.

قيل لرجل من أهل البادية ـ وقد كان خرج عنها ـ أترجع إليها؟ قال: أما مادام السعدان مستلقياً فلا.

وفي الخبر: يؤمر بالكافر يوم القيامة فيسحب على السَّعدان[١].

ولكنّه يسمّن الإبل، ولذا قيل في المثل «مرعى ولا كالسعدان»[٢]، قال النابغة:

الواهب المائة الأبكار زيّنها سعدان توضح في أوبارها اللبد[٣]

«مسهّداً» المسهّد والسُهُد بضمتين: قليل النوم.

«وأُجرّ في الأغلال مصفّداً» بالتشديد أي: مشدوداً موثقاً.

«أحبُّ إليّ من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد» هو نظير قول يوسف عليه السلام ﴿ربّ السجن أحبّ إليّ ممّا يدعونني إليه﴾[٤].

ووجه قولهما عليهما السلام إنّ آلام الدنيا تنقضي وعذاب الآخر لا ينقضي، وأين

---

(١) جاء هذا المعنى في صحيح البخاري ١: ١٤٦ و ٤: ١٤٠، وصحيح مسلم ١: ١٦٥ وغيرهما.

(٢) أورده الميداني في مجمع الأمثال ٢: ٢٧٥، والزمخشري في المستقصى ٢: ٣٤٤.

(٣) أورده لسان العرب ٣: ٢١٦، مادة (سعد).

(٤) يوسف: ٣٣.

شدّة البيات على الحسك مسهداً والجرّ مصفداً ودخول السجن من عقاب الله تعالى.

وكيف لا يكون ما ذكره ﷺ أحبّ من الظلم لبعض عباده وقد قال تعالى: ﴿ولا تحسبنّ الله غافلاً عمّا يعمل الظالمون، إنّما يؤخرهم ليومٍ تشخص فيه الأبصار * مهطعينَ مُقْنِعِي رؤسهم لا يرتدّ إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء﴾[1] ﴿إنّا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سُرادِقُها وإنْ يستغيثوا يُغاثوا بماءٍ كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا﴾[2] ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسَّكم النّار﴾[3] ﴿ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت، والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم، اليوم تُجزَوْن عذابَ الهُون﴾[4] ﴿ولو تَرى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول﴾[5] ﴿فقُطِعَ دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله ربّ العالمين﴾[6] ﴿فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا﴾[7] ﴿وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلبٍ ينقلبون﴾[8] ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلمٍ أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾[9] ﴿ويوم يعضّ الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا * يا

---

(١) ابراهيم: ٤٢ ـ ٤٣.

(٢) الكهف: ٢٩.

(٣) هود: ١١٣.

(٤) الانعام: ٩٣.

(٥) سبأ: ٣١.

(٦) الانعام: ٤٥.

(٧) النمل: ٥٢.

(٨) الشعراء: ٢٢٧.

(٩) الانعام: ٨٢.

ويلتا ليتني لم اتخذ فلاناً خليلا * لقد اضلّني عن الذّكر بعد إذ جاءني﴾[١].

وفي الخبر: من ظلم أجيراً آجره أحبط الله عمله، وحرّم عليه ريح الجنّة، وإنّ ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة سنة[٢].

وروي أيضاً: الظلم في الدّنيا هو الظلمات في الآخرة[٣].

أيضاً: من أكل مال أخيه ظلماً، ولم يردّه عليه أكل جذوة من النار يوم القيامة[٤].

ويوم المظلوم على الظالم أشدّ من يوم الظالم على المظلوم[٥].

وفي الخبر: دخل رجلان على أبي عبدالله عليه السلام في مداراة بينهما ومعاملة، فلمّا أن سمع كلامهما قال عليه السلام: أما إنّه ما ظفر أحد بخير من ظفر بالظلم، أما إنّ المظلوم يأخذ من دَيْن الظالم أكثر ممّا يأخذ الظالم من مال المظلوم. فاصطلحا قبل أن يخرجا من عنده عليه السلام[٦].

«**وغاصباً لشيء من الحُطام**» بالضم، في (الأساس): حطام البيض الكسارة، وجمع حطام الدنيا شبّه بالكسار تخسيساً له[٧].

في الخبر: من اقتطع مال مؤمن غصباً بغير حقّه لم يزل الله عزّوجلّ معرضاً عنه، ماقتاً لأعماله التي يعملها من البرّ والخير، لا يثيبها في حسناته حتّى يتوب، ويردّ المال الذي أخذه على صاحبه[٨].

---

(١) الفرقان: ٢٧ _ ٢٩.

(٢) أخرجه الصدوق في الفقيه ٤: ٦، وفي عقاب الأعمال: ٣٣١.

(٣) أخرجه الصدوق في عقاب الأعمال: ٣٢١ ح١.

(٤) أخرجه الكليني في الكافي ٢: ٣٣٣ ح١٥، والصدوق في عقاب الاعمال: ٣٢٢ ح٨.

(٥) رواه الشريف الرضي في نهج البلاغة ٤: ٥٣، الحكمة ٢٤١.

(٦) أخرجه الكليني في الكافي ٢: ٣٣٤ ح٢٢.

(٧) أساس البلاغة: ٨٧ مادة (حطم).

(٨) رواه الأحسائي في الغوالي، عنه المستدرك ٣: ١٤٦ باب ١ ح٨.

أيضاً: من خان جاره شبراً من الأرض، جعله الله طوقاً في عنقه من تخوم الأرض السابعة، حتى يلقى الله تعالى يوم القيامة مطوّقاً إلّا أن يتوب ويرجع(١).

أيضاً: من أخذ أرضاً بغير حقّها كلّف أن يحمل ترابها إلى المحشر(٢).

الحجر الغصيب في الدار رهن على خرابها(٣).

وفي (السيرة): لما فرغ النبيّ ﷺ من ردّ سبايا حنين إلى أهلها ركب، واتبعه النّاس يقولون: يا رسول الله؛ أقسم علينا فيئنا من الإبل والغنم حتى ألجأوه إلى شجرة فاختطفت عنه رداءه، فقال: أدّوا عليّ ردائي أيّها النّاس، فوالله أن لو كان لكم بعدد شجر تهامة نعماً لقسمته عليكم، ثم ما ألفيتموني بخيلاً ولا جباناً ولا كذّاباً. ثم قام إلى جنب بعير فأخذ وبرة من سنامه فجعلها بين إصبعيه ثم رفعها ثم قال: أيُّها النّاس؛ والله مالي من فيئكم ولا هذه الوبرة إلّا الخمس، والخمس مردود عليكم فأدّوا الخياط والمخيط، فإنّ الغلول يكون على أهله عاراً وناراً وشناراً يوم القيامة. فجاء رجل من الأنصار بكبة من خيوط شعر فقال: يا رسول الله أخذت هذه الكبة أعمل بها برذعة بعير لي دبر. فقال: أما نصيبي منها فلك، قال: أما إذا بلغت هذا، فلا حاجة لي بها، ثم طرحها من يده(٤).

«**وكيف اظلم أحداً لنفس يسرع إلى البِلى**» بالكسر من بلى الثوب، فإن فتحت مددت، قال الحجاج:

---

(١) أخرجه الصدوق في الفقيه ٤: ٦، وفي عقاب الأعمال: ٣٣١.

(٢) رواه الشريف الرضي في نهج البلاغة ٤: ٥٣، الحكمة ٢٤٠.

(٣) أخرجه الطوسي في التهذيب ٧: ٢٠٧ ح ٥٥.

(٤) سيرة ابن هشام ٤: ١٠١.

والمـــرء يـــبليه بـلاء السـربال كرّ الليالي واختلاف الأحوال[١]

«قفولها» أي: رجوعها، قال تعالى: ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أُخرى﴾[٢].

ثم الذي في النسخ[٣] «يسرع» بصيغة المذكّر، فيكون «قفولها» فاعله، لكنّه غير سلس، والظاهر كونه «تسرع» بصيغة المؤنث، فيكون الفاعل ضمير النفس و «قفولها» مفعولاً فيه، وعليه فالأحسن في الفقرة بعدها أيضاً «وتطول» بصيغة المؤنث و «حلولها» بالنَّصب حتى تتحدان إعراباً، وإن كان رفع «حلولها» سَلِساً من حيث المعنى مع «يطول» بصيغة المذكر، كما هو في النسخ.

«ويطول في الثّرى حلولها» كما قال عليه السلام: كأنّ الدنيا لم تكن لهم داراً، وكأنّ الآخرة لم تزل لهم قراراً[٤].

وفي (تأريخ بغداد): كان شعيب بن حرب الثقفي بنى كوخاً على الدجلة، وكان له خبز معلّق ومطهرة، فيأخذ كلّ ليلة رغيفاً يبلّه في المطهرة ويأكله، فصار جلداً وعظماً، وقال: لأعملنَّ حتّى أدخلنَّ القبر، وأنا عظام تقعقع، أريد السمن للدود والحيات[٥].

«والله لقد رأيت عقيلاً» قال ابن أبي الحديد: كان بنو أبي طالب أربعة طالب،

---

(١) أورده لسان العرب ١٤: ٨٥، مادة (بلا).

(٢) طه: ٥٥.

(٣) كذا في نهج البلاغة ٢: ٢١٧، وشرح ابن أبي الحديد ١١: ٢٤٥، وشرح ابن ميثم ٤: ٨٣.

(٤) رواه الشريف الرضي في نهج البلاغة ٢: ١٢٨، ضمن الخطبة ١٨٦، ولفظه «فكأنهم لم يكونوا للدنيا عمّاراً وكأن الآخرة لم تزل لهم داراً».

(٥) تاريخ بغداد ٩: ٢٤٠، والنقل بتصرف يسير والرجل شعيب بن حرب المداني لا الثقفي.

وعقيل وجعفر، وعلي، وكان كلّ منهم أسنّ من آخر بعشر سنين(١).

قلت: روى حديث أسنانهم أبو الفرج في (مقاتله) مسنداً عن ابن عباس وقال: ما روي أنّ جعفراً قتل وهو ابن ثلاث ـ أو أربع ـ وثلاثين سنة لا يوافق كون جعفر أكبر منه عليه السلام بعشر ـ الخ(٢) ـ. ولكن الأغرب أنّهم ذكروه مسلّماً حتى مصعب الزبيري في (نسب قريشه)(٣).

قال ابن أبي الحديد: كان أبو طالب يحب عقيلاً أكثر من حبّه سائر بنيه، فلذلك قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وآله والعباس ـ حين أتياه ليقتسما بنيه عام المحل فيخففا عنه ثقلهم ـ دعوا لي عقيلاً وخذوا من شئتم، فأخذ العباس جعفراً، وأخذ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم علياً عليه السلام(٤).

قلت: روى هذا أيضاً أبو الفرج في (مقاتله) عن زيد بن علي، لكن في حديثه أن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والعباس وحمزة ذهبوا إليه، وأنّ العباس أخذ طالباً، وحمزة جعفراً، والنبيّ علياً، وقال النبي في أخذه علياً: اخترت من اختار الله لي عليكم(٥).

قال ابن أبي الحديد: قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لعقيل: إنّي أُحبّك حبّين حبّاً لقرابتك منّي وحبّاً لما كنت أعلم من حبّ عمّي إيّاك(٦).

قلت: رواه (أمالي ابن بابويه) عن ابن عباس هكذا: قال عليّ للنّبي: إنّك لتحبّ عقيلاً؟ قال: أي والله، إنّي لأحبّه حبّين حبّاً، له وحبّاً لحب أبي طالب له، وإنّ ولده

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١١: ٢٥٠.

(٢) مقاتل الطالبيين: ٣ و ٨.

(٣) نسب قريش: ٣٩.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١١: ٢٥٠.

(٥) مقاتل الطالبيين: ١٥.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ١١: ٢٥٠.

لمقتول في محبة ولدك، فتدمع عليه عيون المؤمنين وتصلّي عليه الملائكة المقربون، ثم بكى حتى جرت دموعه على صدره، ثم قال: إلى الله أشكو ما يلقي عترتي من بعدي[١].

قال ابن أبي الحديد: أُخرج عقيل إلى بدر مكرهاً كالعباس، وأُسر وفُدِي وعاد إلى مكة، ثم أقبل مسلماً مهاجراً قبل الحديبية، وشهد غزاة مؤتة مع أخيه جعفر، مات سنة (٥٠) ولم يشهد معه عليه السلام شيئاً من حروبه، وعرض نفسه وولده عليه فأعفاه، واختلف هل التحقّ بمعاوية في حياته عليه السلام، فروى أنّ معاوية قال ـ وعقيل عنده ـ هذا أبو يزيد، لولا علمه أنّي خير له من أخيه لما يتركه. فقال عقيل: أخي خير لي في ديني، وقد آثرت دنياي، وأسأل الله خاتمة خير. وروي أنّه لم يعُدْ لمعاوية إلّا بعد استشهاده عليه السلام، واستدلّ على ذلك بالكتاب الذي كتبه إلى أخيه في آخر خلافته، والجواب الذي أجابه عليه السلام وهو الأنسب[٢].

قلت: أمّا خروجه إلى بدر فمع أسره في أسرى بدر كان يشير على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بقتل اسراهم، ففي (تفسير القمي) في قوله تعالى: ﴿يا أيُّها النّبي قل لمن في أيديكم من الأسرى﴾[٣] قال النّبي لعقيل: قد قتل الله ـ يا أبا يزيد ـ أبا جهل ابن هشام، وعتبة وشيبة ابني ربيعة ومنبّه ونبيه ابني الحجّاج، ونوفل بن خويلد، وأسر سهيل بن عمرو، والنضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط، وفلان وفلان، فقال إذنْ لا تُنازع في تهامة! فان كنت قد أثخنت القوم وإلّا فاركب أكتافهم. فتبسّم النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من قوله[٤].

---

(١) أمالي الصدوق : ١١١ ح٣، المجلس ٢٧.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١١: ٢٥٠ و ٢٥١، والنقل بالمعنى.

(٣) الانفال: ٧٠.

(٤) تفسير القمي ١: ٢٦٩.

وأمّا قوله: انه لم يشهد معه عليه السلام حروبه، فغير معلوم، فقد صرّح ابن عبد البر في (استيعابه) في شأن عبد الله بن عباس، بأن عقيلاً شهد معه عليه السلام الجمل وصفين والنهروان كابن عباس[١].

وأغرب من ذلك ما رواه صاحب (عمدة الطالب)، فقال: شهد عقيل صفين مع معاوية غير أنّه لم يقاتل، ولم يترك نصح أخيه والتعصّب له، فروي أنّ معاوية قال يوم صفين: لا نبالي وأبو يزيد معنا. قال عقيل: وقد كنت معكم يوم بدر فلم أغن عنكم من الله شيئاً ـ الخ[٢] ـ، وما رواه ـ (صاحب العمدة) ـ وهم فاحش، وأنّ معاوية لم يقل ما ذكر، يوم صفين، بل قال ذلك يوم وفد إليه عقيل بعد صفين، فإنّما لفظ الجاحظ: قال معاوية لعقيل مرّة: أنت معنا يا أبا يزيد الليلة؛ قال: ويوم بدر قد كنت معكم[٣].

كما أن صاحب (عمدة الطالب) أيضاً وهم في مكان آخر، فقال: كان عقيل أعور[٤]، مع أنّه صار أخيراً أعمى. قال في العقد الفريد: دخل عقيل على معاوية وقد كفّ بصره، فأجلسه على سريره ثم قال له: أنتم معشر بني هاشم تصابون في أبصاركم. قال: وأنتم معشر بني أُميّة تصابون في بصائركم[٥].

وأمّا قول ابن أبي الحديد: هل التحق بمعاوية في حياته عليه السلام أو بعده[٦]، فخبط؛ فلم يلتحق بمعاوية أصلاً، وانّما وفد عليه كما كان غيره يَفِدُ عليه، ولم أرَ من أهل السير من أنكر وفوده في حياته عليه السلام، بل رووا وفوده على معاوية

---

(١) الاستيعاب ٢: ٣٥٦ و ٣٥٧.

(٢) عمدة الطالب: ٣١.

(٣) البيان والتبيين ٢: ٣٦٧.

(٤) عمدة الطالب: ٣١.

(٥) العقد الفريد ٤: ٧٩.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ١١: ٢٥١، والنقل بالمعنى.

في حياته عليه السلام وبعده.

وقد قال ابن أبي الحديد نفسه في شرح قوله عليه السلام «أيّها النّاس المجتمعة أبدانهم»: رووا أنّ عقيلاً قَدِم على أمير المؤمنين عليه السلام فوجده جالساً في صحن مسجد الكوفة، وقد كان كفّ بصره، فالتفت عليه السلام إلى ابنه الحسن فقال: قم فأنزل عمّك؛ فقام فأنزله ثم عاد إليه، فقال له: فاذهب واشتر لعمّك قميصاً جديداً ورداءً جديداً وإزاراً جديداً ونعلاً، فذهب فاشترى له، فغدا عقيل عليه عليه السلام وقال له: ما أراك أصبت من الدنيا شيئاً، وإنّي لا ترضى نفسي من خلافتك بما رضيت لنفسك! فقال عليه السلام له: يخرج عطائي فأدفعه إليك؛ فلما ارتحل عنه عليه السلام أتى معاوية فنصب له كراسيه وأجلس جلساءه حوله، فلما ورد عليه أمر له بمائة ألف، فقبضها ثمّ غدا عليه يوماً بعد ذلك وجلساء معاوية حوله، فقال له معاوية: أخبرني عن عسكري، وعسكر أخيك، فقد وردت عليهما فقال: أخبرك، مررت والله بعسكر أخي، فإذا ليل كليل رسول الله ونهار كنهار رسول الله، إلّا أنّ رسول الله ليس في القوم، ما رأيت إلّا مصلّياً ولا سمعت إلّا قارئاً، ومررت بعسكرك فاستقبلني قوم من المنافقين ممّن نفر بالنّبي ليلة العقبة!

ثم قال: من هذا عن يمينك يا معاوية؟ قال: هذا عمرو بن العاص؛ قال: هذا الذي اختصم فيه ستة نفر فغلب عليه جزار قريش؛ فمن الآخر؟ قال: هو الضحّاك بن قيس الفهري، قال: أما والله لقد كان أبوه جيد الأخذ لعسب التيوس، فمن هذا الآخر؟ قال: هو أبو موسى الأشعري. قال: هذا ابن السرّاقة، فلما رأى معاوية أنّه قد أغضب جلساءه علم أنّه إن استخبره عن نفسه، قال فيه سوء، فأحبّ أن يسأله، ليقول فيه ما يعلمه من السوء فيذهب بذلك غضب جلسائه، فقال له: ما تقول فيّ؟ قال: دعني من هذا. قال: لتقولن! قال: أتعرف حمامة؟ قال: ومن حمامة؟ قال: قد اخبرتك، ثم قام فمضى، فأرسل معاوية إلى

نسّابة فقال له: من حمامة! قال: ولي الأمان؟ قال: نعم. قال: جدّتك أم أبي سفيان كانت بغياً في الجاهلية صاحب راية، فقال معاوية لجلسائه: قد ساويتكم وزدت عليكم فلا تغضبوا(١).

وفي (خلفاء ابن قتيبة): ذكروا أنّ عقيلاً قَدِمَ من المدينة على أخيه بالكوفة فقال له: ما أقدمك؟ قال: تأخّر العطاء عنّا وغلاء السعر ببلدتنا، وركبنا دَيْن عظيم فجئت لتصلني! فقال عليه السلام: والله مالي ممّا ترى شيئاً إلّا عطائي، فإذا خرج فهو لك! فقال عقيل: وإنّما شخوصي من الحجاز إليك لأجل عطائك، وماذا يبلغ منّي عطاؤك وما يدفع من حاجتي! فقال عليه السلام له: هل تعلم لي مالاً غيره، أم تريد أن يحرقني الله في نار جهنّم في صلتك بأموال المسلمين! فقال: والله لأخرجن إلى رجل هو أوصل لي منك ـ يريد معاوية ـ فقال له: راشداً مهدياً! فخرج حتى أتى معاوية ـ الخ(٢) ـ.

وفي (المروج): وفد عقيل على معاوية منتجعاً وزائراً فرحّب به معاوية وسرّ بوروده لاختياره إيّاه على أخيه، فقال له: كيف تركت عليّاً؟ قال: على ما يحبّ الله ورسوله، وألفيتك على ما يكره الله ورسوله. فقال له معاوية: لولا أنّك زائر منتجع جنابنا لرددت عليك جواباً تألم منه. ثم أحبّ أن يقطع كلامه مخافة أن يأتي بشيء يخفّضه، فوثب عن مجلسه، وأمر له بنزل وحمل إليه مالاً عظيماً، فلما كان من غد جلس، وأرسل إليه، فأتاه؛ فقال له: يا أبا يزيد كيف تركت عليّاً أخاك؟ قال: تركته خيراً لنفسه منك، وأنت خير لي منه! فقال له معاوية: ما تغيّرك الأيام والليالي. فقال له عقيل: ولكن أنت يا معاوية ـ إذا افتخرت بنو أُميّة ـ بمن تفخر؟ فقال له معاوية: عزمت

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٢٤، والنقل بتصرف يسير.

(٢) الامامة والسياسة ١: ٨١.

عليك لما أمسكت ـ الخ[1] ـ.

وفي (العقد): دخل عقيل على معاوية فقال معاوية لأصحابه: هذا عقيل عمّه أبو لهب! فقال عقيل: وهذا معاوية عمّته حمّالة الحطب! ثم قال: يا معاوية؛ إذا دخلت النّار فاعدل ذات اليسار، فانّك ستجد عمّي أبا لهب مفترشاً عمّتك حمّالة الحطب، فانظر أيّهما خير، الفاعل أو المفعول به؟ وقال له معاوية: والله إنّ فيكم لخصلة يا بني هاشم ما تعجبني؛ قال: وماهي؟ قال: لين فيكم، قال: لين ماذا؟ قال هو ذاك، قال: إيّانا تعيّر يا معاوية؟ قال: أجل والله إنّ فينا للينا من غير ضعف، وعزّاً من غير جبروت، وأما انتم يا بني أُمّية؛ فإن لينكم غدر، وعزّكم كفر، وأيم الله يا معاوية! لئن كانت الدنيا مهّدتك مهادها، واظلّتك بحذافيرها ومدت عليك أطناب سلطانها ما ذاك بالذي يزيدك منّي رغبة، ولا تخشّعاً لرهبة[2].

واما قول ابن أبي الحديد: المنكرون استدلوا بالكتاب الذي كتبه عقيل إليه في آخر خلافته، فذكرناه في فصل الغارات إنّه كان في أوّل خلافته ولا دلالة فيه[3].

هذا، وفي (بيان الجاحظ): كان علماء قريش بالأنساب والأخبار أربعة، وكان عقيل أكثرهم ذِكْراً لمثالب النّاس، فعادَوْه لذلك، وقالوا فيه وحمّقوه حتى قالوا: ثلاثة حمقى، كانوا إخوة ثلاثة عقلاء: عقيل أخي علي، وعقبة أخي معاوية، ومعاوية أخي عبد الملك. وكيف يكون ذلك؟ وجعدة بن هبيرة يقول: «وخالي عليّ ذو الندى وعقيل» وقال قدّامة بن موسى:

---

(١) مروج الذهب ٣: ٣٦ ـ ٣٧.

(٢) العقد الفريد ٤: ٨١ والنقل بتقطيع.

(٣) موضعه في العنوان ١٢ من الفصل الرابع والثلاثين.

وجـدّي عـليّ ذو التـقى وابـن أُمّـه عقيل وخالي ذو الجناحين جـعفر[١]

«وقد أملق» أي: افتقر، قال تعالى: ﴿ولا تقتلوا أولادكم من املاق﴾[٢] «حتى استماحني» أي: استعطاني «من بُرّكم» البُرُّ: الحنطة «صاعاً» الصاع: أربعة أمداد «ورأيت صبيانه شعث» قال الجوهري: الشَّـعث: انـتشار الأمـر، فـقال «لمّ الله شعثك» أي: جمع أمرك المنتشر، والشعث: مـصدر الأشـعث، وهـو المـغبرّ الرأس[٣].

«الشعور غبر» هكذا في (المصرية) وهما زائدان فليسا في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٤].

«الألوان من فقرهم كأنّما سوّدت وجوههم بالعظلم» قال الجوهري: العِظْلِم: نبت يصبغ به، وهو بالفارسية «فقل» ويقال هو الوسـمة و العـظلم ـالخ[٥]ـ. وللمطراني:

يـحملن أطـفالاً كأنّ وجـوهـهم طليت بصمغ من يبيس مـخاط[٦]

«فأصغيت» أي: مِلْت «إليه سمعي، فظنَّ أنّي أبيعه ديني» قال الشاعر:

تحسّب هواس وأيـقن أنّـني بها مفتدٍ من واحد لا أُغامره

أي: تشمّم الأسد ناقتي، وظنّ أنّي أتركها له ولا أُقاتله.

في الخبر: شرّ النّاس من باعَ دِينه بدنياه، وشرّ منه من باع دينه بـدنيا غيره[٧].

---

(١) البيان والتبيين ٢: ٣٦٤ و ٣٦٥، والنقل بتلخيص.

(٢) الانعام: ١٥١ .

(٣) صحاح اللغة ١: ٢٨٥، مادة (شعث).

(٤) يوجد في شرح ابن أبي الحديد ١١: ٢٤٥، وشرح ابن ميثم ٤: ٨٣ .

(٥) صحاح اللغة ٥: ١٩٨٨، مادة (عظلم).

(٦) اسقط الشارح هنا فقرتي «وعاودني مؤكداً وكرر على القول مردداً» .

(٧) أخرجه الصدوق في معاني الاخبار: ١٩٨، وفي أماليه : ٣٢٣، المجلس ٦٢، وأبو علي الطوسي في أماليه ٢: ٥٠،

هذا، وفي (المروج): كتب بارزاق شريك القاضي إلى الجهبذ فضايقه في النقص، فقال له الجهبذ: إنّك لم تبع بزاً، قال له شريك: بلى والله لقد بعت أكبر من البز لقد بِعْتُ دِيني[1].

«واتّبع قياده» أيّ: قوّده لي كجمل يقوده صاحبه «مفارقاً طريقتي» «أخوك دينك فاحتط لدينك»[2] وقال تعالى: ﴿يوم يفرّ المرء من أخيه * وأُمّه وأبيه * وصاحبته وبنيه * لكلّ امرىءٍ منهم يومئذٍ شأنٌ يُغنيه﴾[3].

«فأحميت له» بالنّار «حديدة ثمّ أدنيتَها من جسمه ليعتبر بها» من نار الآخرة وأغلالها.

في (المناقب): ذكر عمرو بن العلاء أنّ عقيلاً لمّا سأله إعطاءه من بيت المال قال عليه السلام له: تقيم إلى يوم الجمعة، فأقام فلمّا صلّاها بالنّاس قال له: ما تقول فيمن خان هؤلاء أجمعين؟ قال: بئس الرجل ذاك، قال: فأنت تأمرني أن أخون هؤلاء وأُعطيك[4].

وفيه قَدِمَ عقيل عليه السلام، فلمّا حضر العشاء إذا هو خبز وملح، فقال: ليس إلّا ما أرى! فقال: أوليس هذا من نعمة الله وله الحمد كثيراً، فقال: أعطني ما أقضي به دَيني -وكانا يتكلّمان فوق قصر الإمارة مشرِفَين على صناديق أهل السوق- فقال عليه السلام له: إذا بتّ فانزل إلى بعض هذه الصناديق فاكسر قِفَالها وَخُذْ ما فيها. فقال: وما فيها؟ قال: أموال التجار، قال: أتأمرني أن أكسر صناديق قوم توكّلوا على الله وجعلوا فيها أموالهم! فقال عليه السلام: ءَأنا أفتح بيت مال المسلمين

جزء ١٥، والنقل بالمعنى.

(١) مروج الذهب ٣: ٣١٠.

(٢) أخرجه أبو علي الطوسي في أماليه ١: ١٠٩، جزء ٤.

(٣) عبس: ٣٤ ـ ٣٧.

(٤) مناقب السروي ٢: ١٠٩، والنقل بتصرف يسير.

فأعطيك أموالهم وقد توكلوا على الله وأقفلوا عليها. وقال له: إن شئت أخذت سيفك وأخذت سيفي وخرجنا جميعاً إلى الحيرة، فإنّ بها تجاراً مياسير، فدخلنا على بعضهم فأخذنا ماله. فقال: أو سارقاً جئت؟ قال: نسرق من واحد خير من أن نسرق من المسلمين جميعاً[١].

«**فضجّ ضجيج ذي دَنَف**» بفتحتين المرض الملازم «**من أَلَـمِها وكاد أن يحترق من ميسمها**» قال الجوهري: الميسم: المكواة، وأصل الياء واو[٢].

«**فقلت له ثكلتك الثواكل!**» قال الجوهري: الثكل: فقدان المرأة ولدها[٣]

«**يا عقيل أتئنّ**» من «أنّ أنيناً» قال ذو الرمة «كما أنَّ المريضُ إلى عواده الوصب»[٤].

«**من حديدة أحماها**» أي: أحرّها «**إنسانها لِلَعبه وتجرّني إلى نارٍ سجرها جبّارها لغضبه**» ﴿إذا رأتهم من مكانٍ بعيدٍ سمعوا لها تغيّظاً وزفيراً * وإذا ألقوا منها مكاناً ضيّقاً مقرّنين دَعَوْا هنالك ثبوراً * لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً﴾[٥].

في (تاريخ بغداد): كان سعد بن حذيفة على قضاء المدائن، وكلّمه ابن جعدة بن هبيرة في شيءٍ من الحكم، وبين يديه نار، فقال له سعد: ضع إصبعك في هذه النّار، قال: سبحان الله! تأمرني أن أحرق بعض جسدي، قال: فأنت تأمرني أن أحرق جسدي[٦].

---

(١) مناقب السروي ٢: ١٠٨، والنقل بتصرف يسير.

(٢) صحاح اللغة ٥: ٢٥١، مادة (وسم).

(٣) صحاح اللغة ٤: ١٦٤٧، مادة (ثكل).

(٤) أورده لسان العرب ١٣: ٢٨، مادة (ان).

(٥) الفرقان: ١٢ ـ ١٤.

(٦) تاريخ بغداد ٩: ١٣٣.

وفي (الحلية): استعمل هرم بن حيّان، فظنّ أنّ قومه سيأتونه، فأمر بنار، فأوقدت بينه وبين من يأتيه من القوم، فجاءه قومه يسلّمون عليه من بعيد، فقال: مرحباً بقومي ادنوا، قالوا: والله ما نستطيع أن ندنو منك، لقد حال النّار بيننا وبينك. قال: وأنتم تريدون أن تلقوني في نار أعظم منها في نار جهنم - فرجعوا[١].

«أتئنّ من الأذى ولا أئنّ من لظى» قال الجوهري: لظى: اسم من أسماء النار معرفة لا تنصرف[٢] ﴿كلّا إنّها لظى * نزّاعة للشوى﴾[٣] أي جلدة الرأس ﴿فأنذرتكم ناراً تلظى﴾[٤] أي: تتوقّد.

قال ابن أبي الحديد: سأل معاوية عقيلاً عن قصّة الحديدة المحماة، فبكى، وقال: نعم أصابتني مخمصة شديدة، فسألته فلم تندَ صفاته، فجمعت صبياني وجئته بهم والبؤس والضر ظاهران عليهم، فقال: إيتني عشيّة لأدفع إليك شيئاً، فجئته يقودني أحد ولدي فأمره بالتنحّي، ثم قال: ألا فدونك. فأهويت حريصاً قد غلبني الجشع أظنّها صرّة، فوضعت يدي على حديدة تلتهب ناراً، فلما قبضتها خرت كما يخور الثور تحت يد جازره، فقال: ثكلتك أُمك! هذا من حديدة أوقدت لها نار الدنيا، فكيف بي وبك غداً إن سلكنا في سلاسل جهنم؟ ثم قرأ ﴿إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون﴾[٥]، ثم قال: ليس لك عندي فوق حقّك الذي فرضه الله لك إلّا ما ترى فانصرف. فجعل

---

(١) حلية الأولياء ٢: ١٢٠.

(٢) صحاح اللغة ٦: ٢٤٨٢ مادة (لظى).

(٣) المعارج: ١٥ ـ ١٦.

(٤) الليل: ١٤.

(٥) غافر: ٧١.

معاوية يتعجّب ويقول: هيهات هيهات! عقمت النساء أن يلدن بمثله[١].

قلت: وقد عرفت أن (أمالي الصدوق) رواه مع زيادات منها «أأمتنع من وبرة من قلوصها ساقطة وأبتلع إبلاً في مبركها رابطة»[٢].

وفي (بلاغات نساء البغدادي): حجّ معاوية سنة، فسأل عن امرأة يقال لها الدارمية الحجونية ـ وكانت امرأة سوداء كثيرة اللحم ـ فأخبر بسلامتها، فبعث فجئ بها فقال لها: كيف حالك يا ابنة حام؟ قالت: بخير ولست لحام، إنّما أنا امرأة من قريش من بني كنانة، ثمّ من بني أبيك. قال: صدقتِ هل تعلمين لِمَ بعثت إليك؟ قالت: لا؛ قال: لأسألك علامَ أحببت عليّاً وأبغضتني، وعلام واليته وعاديتني؟ قالت: أو تعفيني؟ قال: لا، قالت: فأمّا إذ أبيت فإنّي أحببت عليّاً على عدله في الرعيّة وقسمه بالسويّة، وأبغضتك على قتالك من هو أولى بالأمر منك، وطلبك ما ليس لك، وواليت عليّاً على ما عقد له النبيّ من الولاية ولحبّه المساكين وإعظامه أهل الدين، وعاديتك على سفكك الدماء وشقك العصا ـ إلى أن قال ـ قال: فهل سمعتِ كلامه؟ قالت: نعم، قال: فكيف سمعتهِ؟ قالت: كان كلامه والله يجلو القلوب من العمى كما يجلو الزيت الطست من الصدى. قال: صدقتِ، هل لك من حُجّة؟ قالت: وتفعل إذا سألت؟ قال: نعم، قالت تعطيني مائة ناقة حمراء فيها فحلها وراعيها، قال: ماذا تصنعين بها؟ قالت: أغذو بألبانها الصغار، واستحيى بها الكبار، واكتسب بها المكارم، وأصلح بها بين عشائر العرب ـ إلى أن قال ـ فقال لها معاوية: أما والله لو كان عليّ ما أعطاك شيئاً، قالت: أي والله ولا وبَرة واحدة من مال المسلمين. ثم أمر لها بما سألت[٣].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١١: ٢٥٣.

(٢) أمالي الصدوق: ٤٩٨.

(٣) بلاغات النساء: ١٠٥، والنقل بتصرف يسير.

هذا، وفي (سيرة ابن هشام): ذكر زيد بن أسلم عن أبيه أنّ عقيلاً دخل يوم حنين على إمرأته فاطمة بنت شيبة بن ربيعة، وسيفه متطلخ دماً، فقالت: إنّي قد عرفت أنّك قد قاتلت فماذا أصبت من غنائم المشركين؟ فقال: دونك هذه الابرة تخيطين بها ثيابك فدفعها إليها، فسمع منادي النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول: من أخذ شيئاً فليرده حتى الخياط والمخيط، فرجع عقيل فقال: ما أرى أبرتك إلّا قد ذهبت! فأخذها فألقاها في الغنائم[١].

«**وأعجب من ذلك**» أي: من طلب عقيل منه عليه السلام صاعاً زائداً عن حقّه «**طارق**» أي: من جاء ليلاً «**طرقنا بملفوفة في وعائها ومعجونةٍ شنئتها**» أي: أبغضتها «**كأنّما عجنت بريق**» ماء الفم «**حيّة أو قيئها**» لأنّ الحرام عند أولياء الله مبغوض كريق الحية وقيئها.

وقد عرفت أنّ في رواية (الأمالي)، إنّه عليه السلام قال: ولدنياكم أهون عندي من ورقة في فمّ جرادة تقضمها، وأقذر عندي من عراقة خنزير يقذف بها أجذمها، وأمرّ على فؤادي من حنظلة يلوكها ذو سقم فيبشمها[٢].

وقال البحتري:

وما كان ما أسدى إلي ابن يلبخ سوى حمة من عارض السم تنزع

ومن بديع التشبيه في الشيء المكروه في مجدور قول ابن طباطبا:

ذو جدري وجهه يحكيه جلد السمكة

أو جلد أفعى سلخت أو قطعة من شبكه

أو حلق الدرع إذا أبصرتها مشتبكة

أو سفر محبّب أو كرش منفركه

---

(١) سيرة ابن هشام ٤: ١٠١.

(٢) أمالي الصدوق: ٤٩٨.

أو منخل أو عرض رقعته منهتكة
أو حجر الحمام كم من وسخ قد دلكه

أو كور زنبور إذا فرّخ فيه تركه
أو كدر الماء إذا أظهر فيه حبكه

أو سلحة جامدة تنقر فيها الدِّيَكة
يبغضه من قبحه كلّ طريقٍ سلكه

وقيل لرجل: رأيناك في دهليز فلان وبين يديك قصعة وأنت تأكل، فمن أي شيء كانت القصعة وأي شيء كان فيها؟ قال: قيء كلب في حقف خنزير.

وفي الخبر: العائد في هبته كالعائد في قيئه[1].

وفي آخر: ومثل الذي يعطي العطية ثم يرجع فيها كمثل الكلب يأكل، فإذا شبع قاء ثم عاد في قيئه[2].

قالوا: ومثل الكلب الضب، ويسمى الهَرِم لطول عمره، قال خدّاش كما في (الأساس) «كما أكبّ على ذي بطنة الهرم» قال: أي: رجع على قيئه فأكله[3].

«**فقلت أصلة أم زكاة أم صدقة، فذلك محرم علينا أهل البيت**» قال ابن أبي الحديد: الصلة: العطية لا يراد بها الأجر، بل الوصلة إلى الموصول وأكثر ما يفعل للصيت، والزكاة ما يجب في النصاب من المال، والصدقة هاهنا صدقة التطوّع، وأراد بأهل البيت محمّدا وعليّاً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وهؤلاء خاصة يحرم عليهم الصدقة، وأما غيرهم من بني هاشم فلا يحرم

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٢: ٩٦، ومسلم في صحيحه ٣: ١٢٤١ ح٧، وأبو داود في سننه٣: ٢٩١ ح٣٥٣٨، والنسائي في سننه ٦: ٢٦٦ و ٢٦٧، وابن ماجة في سننه ٢: ٧٩٧ ح٢٣٨٥.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ٣: ٢٩١ ح٣٥٣٩، والترمذي في سننه ٤: ٤٤١ و ٤٤٢ ح٢١٣١ و ٢١٣٢، والنسائي في سننه٦: ٢٦٥ و ٢٦٦، وابن ماجه في سننه ٢: ٧٩٧ و ٧٩٩ ح٢٣٨٤ و ٢٣٩١.

(٣) لم يوجد في موضعه من أساس البلاغة : ٤٨٣، مادة (هرم).

عليهم إلّا الزكاة الواجبة، وقبول الحسنين عليهما السلام لصلات معاوية من جهة حقّهما، فإن سهم ذوي القربى منصوص في الكتاب[١].

قلت: ما فسّر الصلة به غير جيد، أما ما قاله أولاً من أنّ الصلة؛ العطية التي لا يراد بها الآخرة، فهي في معنى الهدية، فتباح له عليه السلام، وأمّا ما قاله ثانياً من كونها الوصلة إلى الموصول فهي في معنى الرشوة، فتحرم على الجميع، ولا يبعد زيادة الكلمة من النساخ والأصل «أزكاة أم صدقة» بدليل جوابه «لاذا ولا ذاك» ومثله ما في رواية (الأمالي) من تبديلها بالنذر وسهم ذوي القربى منصوص في الكتاب[٢]، إلّا أن أوّل من أسقطه صدّيقهم وفاروقهم كما أخذا فدك.

هذا، وروى كاتب الواقدي في (طبقاته) عن عبد الوهاب العجلي عن عوف عن الحسن ان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: إنّ الله حرّم عليّ الصدقة وعلى أهل بيتي[٣].

«**فقال لاذا**» المذكور أولاً «**ولاذاك**» المذكور ثانياً «**ولكنّها هدية**» وكانوا أعطوا بريرة لحماً صدقة، فأهدته إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، فقالت عائشة لها: إنَّ النَّبيّ لا يأكل الصدقة. فقال لها: انّما كانت عليها صدقة، وهي منها هدية[٤].

«**فقلت هبلتك**» أي: ثكلتك «**الهبول**» في (الجمهرة): الهَبْل الثّكل، هبلت فلاناً أُمّه فهي هابل وهبول، وابن الهبولة ملك من ملوكهم، وبنو هبل بطن من كلب يقال لهم الهبلات[٥] «**أعن دين الله أتيتني لتخدعني**» بإعطاء الرشوة باسم الهدية

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١١: ٢٤٨.

(٢) النظر الى قوله تعالى في (الأنفال: ٤١).

(٣) طبقات ابن سعد ١: ق ٢: ١٠٧.

(٤) رواه البخاري في صحيحه ٣: ٢٧٤ و ٢٩٨، والنسائي في سننه ٦: ٢٨٠.

(٥) جمهرة اللغة ١: ٣٣٠.

«أمختبط أنت» يقال تخبطه الشيطان أي: أفسده «أم ذو جِنّة» بالكسر أي: جنون ﴿أولم يتفكّروا ما بصاحبهم من جِنّة﴾[١] وتأتي الجِنّة معرفة للجِنّ كجِنّة منكرة للجُنُون.

«أم تهجر» من هجر المريض هذى، قال الجوهري: فالمريض هاجر والكلام مهجور، قال أبو عبيد وعن إبراهيم ومنه قوله تعالى: ﴿إنّ قومي اتّخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾[٢].

قلت: ومنه قول عمر فيما رواه (كاتب الواقدي) وغيره أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: إيتوني بالكتف والدواة أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده أبداً. فقال: إنّما يهجر ـ الخبر[٣] ـ.

ومن أين انه ليس المراد بالآية؟ فهل أنّ النّبيّ لم يكن من قريش؟ أوليس جاء في هذا القرآن: ﴿وما ينطق عن الهوى * إن هو إلّا وحيٌ يوحى﴾[٤] ومع ذلك فعل ما فعل، وقال ما قال!

قال ابن أبي الحديد: كان المهدي له الأشعث، أهدى له نوعاً من الحلواء في طبق مغطى، وظن أنّه يستميله بالمهاداة لغرض دنيوي، وكان عليه السلام يبغض الأشعث لأنّه كان يبغضه[٥].

قلت: وفي (مقاتل أبي الفرج): أن الأشعث جاء يستأذن عليه عليه السلام، فردّه قنبر فأدمى أنفه، فخرج عليه السلام وهو يقول: مالي ولك يا أشعث! أما والله لو بعبد ثقيف

---

(١) الاعراف: ١٨٤.

(٢) صحاح اللغة ٢: ٨٥١، مادة (هجر). والآية ٣٠ من سورة الفرقان.

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٢: ق ٢: ٣٦ و ٣٧، والبخاري في صحيحه ١: ٣٢ و ٤: ٧ و ٢٧١، ومسلم في صحيحه ٣: ١٢٥٩ ح ٣٢ وغيرهم.

(٤) النجم: ٣ ـ ٤.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١١: ٢٤٧، والنقل بالمعنى.

تمرّست، لأقشعرت شعيراتك، قال: ومن غلام ثقيف؟ قال: غلام يليهم لا يبقى أهل بيت من العرب إلّا أدخلهم ذُلًّا[1].

قلت: صحيح، أن غلام ثقيف لم يتمرّس بشخص الأشعث، ولكنّه تمرّس بحفيده عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث واقشعرّت شعيراته به، بل أذهب أكثر شعره.

«والله لو أُعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها» روى (الخصال) في عنوان «الدنيا سبعة أقاليم» عن أبي يحيى الواسطي باسناده رفعه إلى الصادق عليه السلام: الدنيا سبعة أقاليم يأجوج ومأجوج والردم والصين والزنج وقوم موسى وأقاليم بابل[2].

وقال المسعودي في (تنبيهه)، سمّوا الأقاليم السبعة على الكواكب السبعة على قدر تواليها وتتابعها في الفلك، فالإقليم الأوّل لزحل وهو (كيوان) بالفارسية له من البروج الجدي والدلو، والإقليم الثاني للمشتري وهو بالفارسية (أورمزد) له من البروج القوس والحوت، والإقليم الثالث للمريخ وهو بالفارسية (بهرام) له من البروج الحمل والعقرب، والإقليم الرابع للشمس وهو بالفارسية (خرشاد) لها من البروج الأسد، والإقليم الخامس للزهرة وهي بالفارسية (اناهيد) لها من البروج الثور والميزان، والإقليم السادس لعطارد وهو بالفارسية (تير) له من البروج الجوزاء والسنبلة، والإقليم السابع للقمر وهو بالفارسية (ماه) له من البروج السرطان، واسم الإقليم بالفارسية (كشور) واسم الفلك (اسبهر) ـ الخ[3] ـ.

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٢٠.

(٢) الخصال ٢: ٣٥٧ ح ٤٠.

(٣) التنبيه والاشراف: ٣١، والنقل بتصرف يسير.

وفي (تاريخ اليعقوبي): جعلوا الدنيا سبعة أقاليم: الأول: الهند وحدّه ممّا يلي المشرق البحر، وناحية الصين إلى الديبل ممّا تلي أرض العراق إلى خليج البحر ممّا يلي أرض الهند إلى أرض الحجاز، والإقليم الثاني: الحجاز وحدّه هذا الخليج إلى عدن إلى أرض الحبشة ممّا يلي أرض مصر إلى الثعلبية ممّا يلي أرض العراق، والإقليم الثالث: مصر وحدّه ممّا يلي أرض الحبشة إلى أرض الحجاز إلى البحر الأخضر ممّا يلي الجنوب إلى المغرب إلى الخليج الذي يلي الروم إلى نصيبين ممّا يلي أرض العراق، والإقليم الرابع: العراق وحدّه ممّا يلي الهند الديبل وممّا يلي الحجاز الثعلبية وممّا يلي أرض مصر والروم نصيبين وممّا يلي أرض خراسان نهر بلخ، والإقليم الخامس: الروم وحدّه ممّا يلي أرض مصر الخليج وممّا يلي المغرب البحر وممّا يلي الترك يأجوج ومأجوج وممّا يلي أرض العراق نصيبين، والإقليم السادس: يأجوج ومأجوج وحده ممّا يلي أرض المغرب الترك وممّا يلي الخزر البحر ومفاوز بينه وبين سحور الشمال وممّا يلي المشرق أرض نصيبين وممّا يلي خراسان نهر بلخ، والإقليم السابع: الصين وحدّه ممّا يلي المغرب يأجوج ومأجوج وممّا يلي المشرق البحر وممّا يلي الهند أرض قشمير وممّا يلي خراسان نهر بلخ - وقالوا: كلّ إقليم تسعمائة فرسخ في مثلها[1].

وفي (فواتح الميبدي): الإقليم الأوّل أطول أيام السنة فيه اثنتي عشرة ساعة وخمس وأربعون دقيقة، ويزاد في كلّ أقليم ثلاثون دقيقة على سابقتها إلى أن يصير الأقليم الثاني عشر أطول أيام سنته ست عشرة ساعة وخمس عشرة دقيقة. وقال بعضهم: أوّل الإقليم الأوّل أوّل خط الاستواء وآخر الإقليم السابع آخر العمارة وأطول الأيام ثمة ثلاث وعشرون ساعة -إلى أن قال-

---

(١) تاريخ اليعقوبي ١: ٨٤ و ٨٥.

وأعدل أصناف الإنسان عند ابن سينا سكّان الإستواء، وعند الفخر، سكان الاقليم الرابع.

هذا، وفي (المعجم) أهدى شمس المعالي قابوس بن وشمكير لعضد الدولة سبعة أقلام وكتب إليه:

قد بعثنا إليك سبعة أقلا ... مٍ لها في البهاء حظٌ عظيم

مرهفات كأنّها ألسن الحيـ ... ـات جاز حدّها التقويم

وتفاءلت أن ستحوي الأقاليـ ... ـم بها كلّ واحد إقليم[1]

«على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة» قال ابن أبي الحديد: جلب الشعيرة بضم الجيم: قشرها[2].

قلت: لم أقفْ في اللغة على من يقول جُلب الشعيرة. قشرها، وإنّما قالوا: الجُلبة بالضم: القشرة التي تعلو الجرح عند البرء، وأين هذا ممّا قال، والظاهر أن المراد أسلبها شعيرة جلبتها إلى مسكنها، يُقال جلبه أي ساقه من موضع إلى آخر.

وكيف كان، ففي الخبر: نهيٌ عن قتل النحلة والنملة[3].

وعن صالح بن خوات بن جبير عن أبيه عن جدّه أن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم نهى أن يؤكل ما حملت النّمل بفيها وقوائمها[4].

هذا، وفي (حياة حيوان الدّميري): كان الفتح بن سخرب الزاهد يفتّ الخبز للنمل كلّ يوم، فإذا كان يوم عاشوراء لم تأكله. وفيه البيض كلّه بالضاد إلا بيظ النمل فإنه بالظاء. قال: والنمل لا تتناكح انما يسقط منه شيء حقير في

---

(١) معجم الأدباء ١٦: ٢٢٥.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١١: ٢٤٩.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه ٤: ٣٦٧ ح٥٢٦٧، والدارمي في سننه ٢: ٨٩، وغيرهما.

(٤) رواه الدميري في حياة الحيوان ٢: ٣٧٠.

الأرض فينمو حتى يصير بيظاً حتى يتكوّن منه، وسمّيت نملة لتنمّلها وهو كثرة حركتها[١].

«ما فعلت» قال الكميت:

على تلك جرياي وهي ضريبتي ولو أجلبوا طراً عليّ وأجلبوا

«وان دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها» قال الجوهري: **القضم**: الأكل بأطراف الأسنان[٢].

ومرّ أن (الأمالي) زاد في خبره «وأقذر عندي من عراقة خنزير يقذف بها أجذمها، وأمرّ على فؤادي من حنظلة يلوكها ذو سقم فيبشمها ـ إلى أن قال ـ اللّهم انّي نفرت عنها نفار المهرة من راكبها»[٣].

«ما لعليٍّ ولنعيم يفنى ولذّة لا تبقى» في قصة معاوية مع الدارمية الحجونية، قال لها: هل رأيت عليّاً؟ قالت: أي والله لقد رأيته. قال: كيف رأيتِهِ؟ قالت: رأيته لم يفتنه المُلك الذي فتنك ولم تشغله النعمة التي شغلتك[٤].

«نعوذ بالله من سبات العقل» أي: نومه **«وقبح الزلل»** وهو الزلل في الدين.

«وبه نستعين».

---

(١) حياة الحيوان ٢: ٣٦٦.

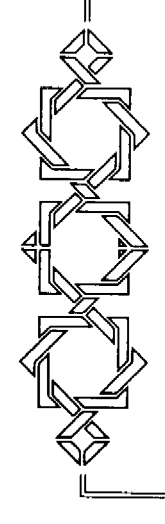
(٢) صحاح اللغة ٥: ٢١٣، مادة (قضم).

(٣) أمالي الصدوق: ٤٩٨.

(٤) بلاغات النساء: ١٠٦، والنقل بتصرف في اللفظ.

الفصل الخامس عشر

في التزامه بالحقّ والعدل
وحثّه عليهما قولاً و عملاً





١
الكتاب (٢٥)

ومن وصية له عليه السلام كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات وإنّما ذكرنا هنا جُمَلاً منها ليُعلمَ بها أنّه عليه السلام كان يقيم عِمادَ الحق ويشرع أمثلَة العَدْل في صغير الأمور وكبيرِها ودقيقِها وجَلِيلِها:

إنْطَلِقْ عَلىَ تَقْوَى ٱللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا تُـرَوِّعَنَّ مُسْـلِماً، وَلَا تَجْتَازَنَّ عَلَيْهِ كَارِهاً، وَلَا تَأْخُذَنَّ مِنْهُ أَكْثَرَ مِنْ حَقِّ ٱللهِ فِي مَالِهِ، فَإِذَا قَدِمْتَ عَلَى ٱلْحَيِّ فَانْزِلْ بِمَائِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخَالِطَ أَبْيَاتَهُمْ، ثُمَّ ٱمْضِ إِلَيْهِمْ بِالسَّكِينَةِ وَٱلْوَقَارِ حَتَّى تَقُومَ بَيْنَهُمْ فَتُسَلِّمَ عَـلَيْهِمْ، وَلَا تُـخْدِجْ بِالتَّحِيَّةِ لَهُمْ ثُمَّ تَقُولَ: عِبَادَ ٱللهِ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ وَلِيُّ ٱللهِ وَخَلِيفَتُهُ لِآخُذَ مِنْكُمْ حَقَّ ٱللهِ فِي أَمْوَالِكُمْ. فَهَلْ لَكُمْ مِنْ حَقٍّ فَتُؤَدُّوهُ إِلَى وَلِيِّهِ؟ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ لَا، فَلاَ تُرَاجِعْهُ، وَإِنْ أَنْعَمَ لَكَ مُنْعِمٌ فَانْطَلِقْ مَعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تخيفَهُ أَوْ تُوعِدَهُ أَوْ تَعْسِفَهُ أَوْ تُرْهِقَهُ. فَخُذْ مَا أَعْـطَاكَ مِـنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ، فَإِنْ كَانَ لَهُ مَاشِيَةٌ أَوْ إِبِلٌ فَلاَ تَدْخُلْهَا إِلَّا بِإِذْنِهِ فَإِنَّ أَكْثَرَهَا لَهُ،

فَإِذَا أَتَيْتَهَا فَلاَ تَدْخُلْ عَلَيْهَا دُخُولَ مُتَسَلِّطٍ عَلَيْهِ وَلَا عَنِيفٍ بِهِ، وَلَا تُنَفِّرَنَّ بَهِيمَةً وَلَا تُفْزِعَنَّهَا وَلَا تَسُوءَنَّ صَاحِبَهَا فِيهَا، وَٱصْدَعِ ٱلْمَالَ صَدْعَيْنِ ثُمَّ خَيِّرْهُ، فَإِذَا ٱخْتَارَ فَلاَ تَعْرِضَنَّ لِمَا ٱخْتَارَهُ، ثُمَّ ٱصْدَعِ البَاقِي صَدْعَيْنِ ثُمَّ خَيِّرْهُ، فإِذَا ٱخْتَارَ فَلاَ تَعْرِضَنَّ لما ٱخْتَارَه، فَلاَ تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَبْقَى مَا فِيهِ وَفَاءٌ لِحَقِّ ٱللهِ فِي مَالِهِ، فَاقْبِضْ حَقَّ ٱللهِ مِنْهُ، فَإِنِ ٱسْتَقَالَكَ فَأَقِلْهُ، ثُمَّ اخلطهما ثُمَّ ٱصْنَعْ مِثْلَ ٱلَّذِي صَنَعْتَ أَوَّلًا حَتَّى تَأْخُذَ حَقَّ ٱللهِ فِي مَالِهِ، وَلَا تَأْخُذَنَّ عَوْداً وَلَا هَرِمَةً وَلَا مَكْسُورَةً وَلَا مَهْلُوسَةً وَلَا ذَاتَ عَوَارٍ، وَلَا تَأْمَنَنَّ عَلَيْهَا إِلَّا مَنْ تَثِقُ بِدِينِهِ رَافِقاً بِمَالِ المُسْلِمِينَ، حَتَّى يُوَصِّلَهُ إِلَى وَلِيِّهِمْ فَيَقْسِمَهُ بَيْنَهُمْ، وَلَا تُوَكِّلْ بِهَا إِلَّا نَاصِحاً شَفِيقاً وَأَمِيناً حَفِيظاً غَيْرَ مُعَنِّفٍ وَلَا مُجْحِفٍ وَلَا مُلْغِبٍ وَلَا مُتْعِبٍ، ثُمَّ ٱحْدُرْ إِلَيْنَا مَا ٱجْتَمَعَ عِنْدَكَ نُصَيِّرْهُ حَيْثُ أَمَرَ ٱللهُ. فَإِذَا أَخَذَهَا أَمِينُكَ فَأَوْعِزْ إِلَيْهِ أَلَّا يَحُولَ بَيْنَ نَاقَةٍ وَبَيْنَ فَصِيلِهَا، وَلَا يَمْصُرْ لَبَنَهَا فَيَضُرَّ ذَلِكَ بِوَلَدِهَا، وَلَا يَجْهَدَنَّهَا رُكُوباً، وَلْيَعْدِلْ بَيْنَ صَوَاحِبَاتِهَا فِي ذَلِكَ وَبَيْنَهَا، وَلْيُرَفِّهْ عَلَى اللَّاغِبِ وَلْيَسْتَأْنِ بِالنَّقِبِ وَالظَّالِعِ، وَلْيُورِدْهَا مَا تَمُرُّ بِهِ مِنَ ٱلْغُدُرِ، وَلَا يَعْدِلْ بِهَا عَنْ نَبْتِ ٱلْأَرْضِ إِلَى جَوَادِّ الطرِيقِ، وَلْيُرَوِّحْهَا فِي السَّاعَاتِ، وَلْيُمْهِلْهَا عِنْدَ النِّطَافِ وَٱلْأَعْشَابِ، حَتَّى تَأْتِيَنَا بِإِذْنِ ٱللهِ بُدَّناً مُنْقِيَاتٍ غَيْرَ مُتْعَبَاتٍ وَلَا مَجْهُودَاتٍ، لِنَقْسِمَهَا عَلَى كِتَابِ ٱللهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَعْظَمُ لِأَجْرِكَ وَأَقْرَبُ لِرُشْدِكَ إِنْ شَاءَ ٱللهُ.

أقول: ورواه الكليني في باب أدب المصدق: عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن حمّاد بن عيسى عن بريد بن معاوية قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول بعث أمير المؤمنين عليه السلام مصدقاً من الكوفة إلى باديتها فقال له: يا عبدالله انطلق وعليك بتقوى الله وحده لا شريك له، ولا تؤثرن دنياك على

آخرتك، وكن حافظاً لما ائتمنتك عليه راعياً لحقّ الله فيه، حتّى تأتي نادي بني فلان، فإذا قدمت فانزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم، ثم امضِ إليهم بسكينة ووقار حتى تقوم بينهم وتسلّم عليهم، ثمّ قل لهم: يا عباد الله أرسلني إليكم وليّ الله، لآخذ منكم حقّ الله في أموالكم، فهل لله في أموالكم من حقّ فتؤدّون إلى وليّه. فإن قال لك قائل: لا، فلا تراجعه، وان أنعم لك منهم منعم فانطلق معه من غير أن تخفيه أو تعده إلّا خيراً، فإذا أتيت ماله فلا تدخله إلّا بإذنه فان أكثره له، فقل: يا عبدالله أتأذن لي في دخول مالك، فإن أذِنَ لك فلا تدخله دخول متسلّط عليه فيه ولا عنف به، فاصدع المال صدعين، ثمّ خيّره أيّ الصدعين شاء، فأيّهما اختار فلا تعرض له ثمّ اصدع الباقي صدعين ثم خيّره فأيّهما اختار فلا تعرض له، ولا تزال كذلك حتى يبقى ما فيه وفاء لحقّ الله تعالى من ماله، فإذا بقي ذلك فاقبض حقّ الله منه وان استقالك فأقله، ثمّ اخلطها واصنع مثل الذي صنعت أولاً، حتّى تأخذ حقّ الله في ماله، فإذا قبضته فلا توكل به إلّا ناصحاً شفيقاً أميناً حفيظاً غير معنف لشيءٍ منها، ثمّ احدر كلّما اجتمع عندك من كلّ نادٍ إلينا، نصيّره حيث أمر الله عزّوجلّ، فإذا انحدر بها رسولك فأوعز إليه ألّا يحول بين ناقة وبين فصيلها، ولا يفرّق بينهما ولا يمصّرن لبنها فيضرّ ذلك بفصيلها، ولا يجهد بها ركوباً وليعدل بينهنّ في ذلك، وليوردهنّ كلّ ماء يمرّ به، ولا يعدل بهنّ عن نبت الأرض إلى جواد الطريق في الساعة التي فيها تريح وتغبق، وليرفق بهن جهده حتى يأتينا بإذن الله تعالى سحاحاً سماناً غير متعبات ولا مجهدات، فيقسّمن بإذن الله على كتاب الله تعالى وسنّة نبيّه على أولياء الله، فإن ذلك أعظم لأجرك وأقرب لرشدك، ينظر الله اليها وإليك وإلى جهدك ونصيحتك لمن بعثك، وبعثت في حاجته، فإن رسول الله ﷺ قال: ما ينظر الله إلى وليّ له، يجهد نفسه بالطاعة

والنصيحة له ولإمامه إلّا كان معنا ـ الخبر ـ.

ورواه الشيخان في (المقنعة) و(التهذيب) كما رواه (الكافي)، وروته (غارات الثقفي) عن يحيى بن صالح عن أبي العباس الوليد بن عمرو عن عبد الرحمن بن سليمان عن الصادق عليه السلام أيضاً[1].

قول المصنف: «ومن وصيّة له عليه السلام كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات» وكذلك كان عليه السلام يعين لعمال خراجه آداب الخرج. روى البلاذري في (فتوحه) عن مصعب بن يزيد الأنصاري عن أبيه قال: بعثني عليّ عليه السلام على ما سقى الفرات ـ فذكر رساتيق وقرى، فسمّى نهر الملك وكوثي وبهر سير والردمقان ونهر جوير ونهر درقيط والبهقباذات ـ وأمرني أن أضع على كلّ جريب زرع غليظ من البرّ ودرهماً ونصفاً وصاعاً من طعام، وعلى كلّ جريب وسط درهماً، وعلى كلّ جريب من البُرّ رقيق الزرع ثلثي درهم، وعلى الشعير نصف ذلك، وأمرني أن أضع على البساتين التي تجمع النخل والشجر على كلّ جريب عشرة دراهم، وعلى جريب الكرم إذا أتت عليه ثلاث سنين ودخل في الرابعة وأطعم عشرة دراهم، وأن ألغي كلّ نخل شاذٍّ عن القرى يأكله من مرّ به، وأن لا أضع على الخضروات شيئاً، المقائي، والحبوب والسماسم، والقطن، وأمرني أن أضع على الدهاقين الذين يركبون البراذين ويتختمون بالذهب على الرجل ثمانية وأربعين درهماً، وعلى أوسطهم من التجار على رأس كلّ رجل أربعة وعشرين درهماً في السّنة، وأن أضع على الاكرة وسائر من بقي منهم على الرجل اثني عشر درهماً.

وروى عن الحسن بن صالح قال: بلغني أنّ عليّاً عليه السلام ألزم أهل (أجمة برس) أربعة آلاف درهم وكتب لهم بذلك كتاباً في قطعة أديم. قال أحمد بن

---

(١) الكافي ٣: ٥٣٦ ح١، والمقنعة: ٤٢، والتهذيب ٤: ٩٦ ح٨، والغارات ١: ١٢٦.

حمّاد الكوفي «أجمة برس» بحضرة صرح نمرود ببابل[١].

«وانما ذكرنا هنا جملاً منها» هكذا في (المصرية)، والصواب: «وإنّما ذكرنا منها جملاً ههنا» كما (في ابن أبي الحديد وابن ميثم)[٢].

«ليعلم بها أنّه عليه السلام كان يقيم عماد الحقّ» يعرف ذلك منه عليه السلام كلّ أحد حتّى اقرّ بذلك فاروقهم. قال ابن قتيبة قال يوم الشورى لعليّ عليه السلام : وإنّك أحرى القوم إن ولّيتها أن تقيم على الحقّ المبين والصراط المستقيم[٣].

وكان عليه السلام في زمان إمارة المتقدّمين عليه أيضاً كذلك، فأقام الحدّ على الوليد بن عقبة أخا عثمان لأُمّه في خلافة عثمان رغماً لأنفه، وأراد قتل عبدالله بن عمر في خلافة عثمان قصاصاً بهرمزان ملك تُستُر لأنّه قتل بغير حقّ، وأبى عثمان عن إجراء الحدّ عليه ففرّ منه عليه السلام وخرج من المدينة، كما انّه لمّا وصل الأمر إليه عليه السلام فرّ إلى معاوية، ولذلك كانوا لا يرضون بولايته عليه السلام للأمر، ولذا قالت سيّدة النساء عليها السلام يوم السقيفة: ما نقموا من أبي الحسن إلّا تنمّره في ذات الله[٤].

«ويشرع أمثلة العدل في صغير الأُمور وكبيرها ودقيقها وجليلها» في خبر (الكافي) المتقدّم ـ بعدما مرّ ـ ثم بكى أبو عبدالله عليه السلام وقال لبُريد: لا والله ما بقيت لله حرمة إلّا انتهكت، ولا عمل بكتاب الله وسنّة نبيّه في هذا العالم، ولا أُقيم في هذا الخلق حدّ منذ قبض الله أمير المؤمنين، ولا عمل بشيء من الحقّ إلى يوم النّاس هذا. ثم قال: أما والله لا تذهب الأيام والليالي حتى يحيي الله

---

(١) فتوح البلدان: ٢٧٠.

(٢) في شرح ابن أبي الحديد ١٥: ١٥١، وشرح ابن ميثم ٤: ٤١٠.

(٣) الامامة والسياسة ١: ٢٥.

(٤) قالت هذا في مرضها الذي ماتت فيه وهذا بعض من خطبة لها عليها السلام رواها الجوهري في السقيفة: ١١٧، والصدوق في معاني الأخبار: ٣٥٤، والطبري في دلائل الإمامة: ٣٩، والبغدادي في بلاغات النساء: ٣٣ وغيرهم.

الموتى ويميت الأحياء ويردّ الحقّ إلى أهله ويقيم دينه الذي ارتضاه لنفسه ـالخبر[١]ـ.

وفي (مقنعة المفيد): روى إسماعيل بن مهاجر عن رجل من ثقيف قال: استعملني عليّ عليه السلام على بانقيا وسواد من سواد الكوفة فقال لي ـوالناس حضور ـأنظر خراجك فجدّ فيه ولا تترك منه درهماً، فإذا أردت أن تتوجّه إلى عملك فمرَّ بي، فأتيته فقال: إنّ الذي سمعت منّي خدعة، إيّاك أن تضرب مسلماً أو يهودياً أو نصرانياً في درهم خراج أو تبيع دابة عمل في درهم فإنّا أمرنا أن نأخذ منهم العفو، ولا تجمع بين متفرّق ولا تفرّق بين مجتمع[٢].

ورواه أبو حاتم السجستاني في (وصاياه) هكذا: حدّثونا عن أبي نعيم عن إسماعيل بن ابراهيم بن المهاجر عن عبد الملك بن عمير عن رجل من ثقيف قال: استعملني عليّ بن أبي طالب عليه السلام على عكبرى ولم يكن السواد يسكنه المصلّون، فقال لي بين أيديهم: إستوفِ خراجهم منهم فلا يجدوا فيك ضعفاً ولا رخصة، ثم قال لي: رُح إلي عند الظهر. فَرِحنا إليه فلم أجد عليه حاجباً ووجدته جالساً وعنده قدح وكوز من ماء، فدعا بظبة ـيعني جراباً صغيراًـ فقلت في نفسي: لقد أمنّني حين يخرج إليّ جوهراً، فإذا عليه خاتم فكسر الخاتم فإذا فيها سويق فصبه في القدح فشرب منه وسقاني، فلم أصبر وقلت: أتصنع هذا بالعراق، طعام العراق أكثر من ذلك؟ فقال: إنّما اشتري قدر ما يكفيني، وأكره أن يفنى فيضع فيه غيري، وإنّي لم أختمْ عليه بُخلاً عليه، وانما حفظي لذاك وإنّما أكره أن أدخل بطني إلّا طيّباً، وإنّي قلت لك بين أيديهم الذي قلت لأنّهم يوم خدع وأنا آمرك الآن بما تأخذهم به إن أنت فعلت وإلّا

(١) الكافي ٣: ٥٣٨.

(٢) المقنعة: ٤٢.

أخذك الله به دوني، وإن بلغني عنك خلاف ما آمرك به عزلتك، لا تبيعنَّ لهم رزقاً يأكلونه ولا كسوة شتاء ولا صيف، ولا تضربنّ رجلاً سوطاً في طلب درهم فإنّا لم نؤمر بذلك، ولا تبيعنّ لهم دابة يعملون عليها، إنّا أمرنا أن نأخذ منهم العفو. قال: إذن أجيئك كما ذهبت. قال: وان فعلت.

وفي (بلاغات البغدادي) ـ في وفود أروى بنت الحارث بن عبد المطلب على معاوية وكلام بينهما، قالت أروى لمعاوية: تأمر لي بألفي دينار وألفي دينار وألفي دينار. قال: ما تصنعين يا عمّة بألفي دينار؟ قالت: اشتري بها عيناً فوّارة في أرض خوّارة تكون لولد الحارث، قال: نِعْمَ الموضع وضعتها، فما تصنعين بألفي دينار؟ قالت: أُزوّج بها فتيان بني عبد المطلب من أكفائهم. قال: نِعْمَ الموضع وضعتها، فما تصنعين بألفي دينار؟ قالت: استعين بها على عسر المدينة وزيارة بيت الله الحرام. قال: نِعْمَ الموضع وضعتها، هي لك نعمة وكرامة ثم قال: أما والله لو كان عليٌّ ما أمر لك بها. قالت: صدقت إنّ علياًعليه السلام أدّىالأمانة وعمل بأمر الله وأخذ به، وأنت ضيّعت أمانتك وخِنت الله في ماله، فأعطيت مال الله من لا يستحقّه، وقد فرض الله الحقوق لأهلها وبيّنها فلم تأخذ بها، ودعانا عليّعليه السلام الى أخذ حقّنا الذي فرض الله لنا، فشُغِلَ بحربك عن وضع الأُمور مواضعها، وما سألتك من مالك شيئاً فتمنّ به، إنّما سألتك من حقّنا، ولا نرى أخذ شيء غير حقّنا، أتذكر علياً فضّ الله فاك وأجهد بلاك. ثم علا بكاها وقالت:

ألا يا عينُ ويحَكِ فاسعدينا ألاَ وابكي أمير المؤمنينا

وفيه ـ في وفود سودة بنت عمارة على معاوية بعد ذكر كلام بينهما ـ قالت سودة لمعاوية: قَدِمَ علينا بسر بن إرطأة من قِبَلِك فقتل رجالي وأخذ مالي، تقول: فوهي بما أستعصم الله منه وألجأ اليه فيه، ولولا الطاعة لكان فينا عزّ ومنعة، فإمّا عزلته عنّا فشكرناك، وإمّا لا، فعرفناك. فقال لها معاوية:

أتهددينني بقومك؟ لقد هممت أن أحملك على قتب أشرس فأردّك إليه ينفذ فيك حكمه. فأطرقت تبكي ثمّ قالت:

صلّى الإله على جسمٍ تضمّنه قبر فأصبح فيه العدلُ مدفونا
قد حالف الحقّ لا يبغي به بَدَلاً فصار بالحقّ والإيمان مَقْرونا

قال لها معاوية: ومَنْ ذلك؟ قالت: علي بن أبي طالبعليه السلام. قال: وما صنع بك حتى صار عندك كذلك؟ قالت: قَدِمْتُ عليه في رجل ولّاه صدقاتنا فكان بيني وبين الرجل ما بين الغث والسمين، فأتيته لأشكوه إليه فوجدته قائماً يصلّي، فلما نظر إليّ انفتل من صلاته ثم قال لي برأفة وتعطّف: أَلَكِ حاجة؟ فأخبرته فبكى ثم قال: اللّهم إنّك أنت الشاهد عليّ وعليهم، إنّي لم آمرهم بظلم خلقك ولا بترك حقّك! ثم أخرج من جيبه قطعة جلد، فكتب ﴿قد جاءتكم بيّنة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان بالقسط ولا تبخسوا النّاس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين * بقيّة الله خيرٌ لكم إن كنتم مؤمنين * وما أنا عليكم بحفيظ﴾[1]. إذا قرأت كتابي هذا فاحتفظ بما في يديك من عملنا حتى يقدم عليك من يقبضه منك ـ الخبر[2] ـ.

وقولها «يقول فوهي بما استعصم الله منه» أي تكلّمي بالسبّ لهعليه السلام واستعيذ بالله من ذلك.

قولهعليه السلام **«انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له»** ﴿ومن يتقِ الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾[3].

«ولا تروّعنّ» أي: لا تفزعن **«مسلماً ولا تجتازن»** أي: لا تمرّن **«عليه كارهاً**

(١) هذا خلط بين آية (الاعراف: ٨٥) وآيتي (هود: ٨٥ و ٨٦).

(٢) بلاغات النساء: ٤٣ و ٤٧، والنقل بتصرف يسير.

(٣) الطلاق: ٢ ـ ٣.

ولا تأخذن منه أكثر من حقّ الله في ماله» لأنّه ظلم.

«فإذا قَدِمت على الحي فانزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم» لكون ذلك أذى لهم «ثم امض إليهم بالسكينة» من السكون «والوقار» من الوقر «حتى تقوم بينهم فتسلّم عليهم» فالسلام من آداب الإسلام، قال تعالى: ﴿فإذا دخلتم بيوتاً فسلّموا على أنفسكم تحيّةً من عند الله مباركةً طيّبةً كذلك يبيّن الله لكم الآيات لعلّكم تعقلون﴾[١].

«ولا تخدج» من الاخداج «بالتحية لهم» هكذا في (المصرية وابن أبي الحديد)، والصواب: «التحية لهم» كما في (ابن ميثم)[٢] لتصديق (النهاية) له، فقال: وفي حديث عليّ عليه السلام «لا تخدج التحية لهم» أي: لا تنقصها، يقال أخدجت الناقة ولدها إذا ولدته ناقص الخلق، وخدجت الناقة إذا ألقت ولدها قبل أوانه وان كان تام الخلق[٣].

«ثم تقول عباد الله أرسلني إليكم وليّ الله وخليفته لآخذ منكم حقّ الله في أموالكم» انما قال عليه السلام «عباد الله» دون «أيّها الناس» وقال «وليّ الله وخليفته» دون «علي أمير المؤمنين» وقال «حقّ الله» دون «الصدقات» ليكون الإضافة إلى الله تعالى في المواضع الثلاثة لتسهيل الاعطاء على نفوسهم، فإن اعطاء المال شديد على النفوس، ولذا قال تعالى لنبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم في أخذ الصدقات من الناس: ﴿وصلّ عليهم إنّ صلاتك سكن لهم﴾[٤] كما إنّه عليه السلام أتى بلفظة «الله» ظاهراً في الآخرين مع تقدّم ذكره تأكيداً لذلك.

«فهل لكم من حقّ فتؤدّوه إلى وليّه» وفي (العقد) عن بعضهم قال: وقف

---

(١) النور: ٦١.

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٥: ١٥١، لكن في شرح ابن ميثم ٤: ٤١٠ نحو المصرية.

(٣) النهاية ٢: ١٢ و ١٣ مادة (خدج).

(٤) التوبة: ١٠٣.

علينا إعرابي فقال: أخ في كتاب الله، وجار في بلاد الله، وطالب خير من رزق الله، فهل فيكم من مواس في الله؟[1]

«فان قال قائل لا فلا تراجعه» فقوله مقبول ما دام لم يعلم كذبه ومينه، ولا يحتاج إلى بيّنة أو يمين.

«وان أنعم لك منعم» أي: قال قائل «نعم لك عندي حقّ الله» «فانطلق معه من غير أن تخيفه» بالشدّة عليه «و» هكذا في (المصرية) والصواب: «أو» كما في ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[2] «توعده» بايذائه «أو تعسفه» قال الجوهري: العسف الأخذ على غير الطريق[3]، قال البحتري:

حيث لا عند مجتبى منه الطاط ... ولا في سياق جابيه عسف

«أو ترهقه» أي: تعسره.

هذا، وفي (تاريخ الطبري) قال مسلم العجلي: مررت بالمسجد فجاء رجل إلى سمرة بن جندب -وكان زياد يستخلفه على البصرة إذا سار إلى الكوفة وعلى الكوفة إذا سار إلى البصرة وأقرّه معاوية بعد زياد ستة أشهر- فأدّى زكاة ماله، ثم دخل، فجعل يصلّي في المسجد، فجاء رجل فضرب عنقه فإذا رأسه في المسجد وبدنه ناحية، فمر أبو بكرة فقال: يقول الله سبحانه: ﴿قد أفلح من تزكّى * وذكر اسم ربّه فصلّى﴾[4] فما مات سمرة حتى أخذه الزمهرير فمات شرّ ميتة[5].

«فخذ ما أعطاك من ذهب أو فضة» من زكاة النقدين أو قيمة الغلات الأربعة

(١) العقد الفريد ٤: ٢٠.

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٥: ١٥١، لكن في شرح ابن ميثم ٤: ٤١٠ «و».

(٣) صحاح اللغة ٤: ١٤٠٢ مادة (عسف).

(٤) الاعلى: ١٤ و ١٥.

(٥) تاريخ الطبري ٤: ٢١٧ سنة ٥٣.

«**فان كان**» هكذا في (المصرية) والصواب: (فان كانت) كما في (ابن أبي الحديد وثمّ والخطية)[١] «**له ماشية**» الماشية تطلق على الغنم والبقر والإبل، والمراد هنا الأولان «**أو إبل فلا تدخلها إلّا بإذنه فإن أكثرها له. فإذا أتيتها فلا تدخل عليها**» هكذا في (المصرية)، والصواب: (فلا تدخلها) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[٢] «**دخول متسلّط عليه ولا عنيف به**» قال الجوهري: العنيف: الذي ليس له رفق بركوب الخيل[٣].

«**ولا تنفرّن بهيمة ولا تفزعنّها**» فانّه ظلم وعمل قبيح.

«**ولا تسؤنّ صاحبها فيها**» قال بعضهم في وصف مصدقهم:

يا كرواناً صك فاكبأنا ... فشن بالسلح فلما شنا

بل الذنابي عبساً مبنّا ... أإبلى تأكلها مصنّاً

خافض سن ومشيل سنا

قال ابن السكّيت: معنى قوله «خافض سن» إنّ المصدق يأخذ ابنة لبون ويقول إنّها ابنة مخاض، «ومشيل سناً» إنّ للمصدق ابنة لبون فيأخذ حقّة[٤].

«**وأصدع المال صدعين**» قال الجوهري «الصدعة» بالكسر: الصرمة من الإبل والفُرقة من الغنم، يقال صدعت الغنم صدعتين أي: فرقتين[٥].

«**ثم خيّره**» بين الصدعين «**فإذا اختار**» أحدهما «**فلا تعرضنّ لما اختاره**» منهما.

«**ثم اصدع الباقي**» مما اختاره «**صدعين ثمّ خيّره**» بين الصدعين «**فإذا**

---

(١) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١٥: ١٥١، وشرح ابن ميثم ٤: ٤١٠ نحو المصرية.

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٥: ١٥١، لكن في شرح ابن ميثم ٤: ٤١٠ نحو المصرية.

(٣) صحاح اللغة ٤: ١٤٠٦ مادة (عنف).

(٤) اصلاح المنطق لابن السكيت: ٨٣ و ٨٤.

(٥) صحاح اللغة ٣: ١٢٤٢ مادة (صدع).

اختار» أحدهما «فلا تعرضنّ لما اختاره» منهما.

«فلا تزال كذلك» تصدع بالباقي صدعين ثم تخيّره فإذا اختار فلم يكن لك التعرّض له «حتى يبقى ما فيه وفاء لحقّ الله في ماله» واحد أو أكثر «فاقبض حقّ الله منه» ممّا تركه «فان استقالك» من القيل من إقالة البيع بمعنى فسخه.

«فأقله ثمّ اخلطهما» ما بقي وما اختار «ثمّ اصنع مثل الذي صنعت أوّلاً» من صدع المال ويدعه واختياره «حتى تأخذ حقّ الله في ماله» ممّا بقي وأعرض عنه.

هذه آداب الاسلام لعمّال الصدقات، لا يجوز لهم أن يختاروا من أنعام من وجبت عليه الزكاة وإنّما الاختيار لمالكيها. وكان عمّال أبي بكر يختارون ما أعجبهم ولو كان من مال غير المالك مختلطاً به، فإن تكلّم المالك في ذلك رموه بالارتداد وقتلوه.

ففي (كامل الجزري): كان زياد بن لبيد قد ولّي من قبل أبي بكر صدقات بني عمرو بن معاوية، فقَدِمَ عليهم فكان أوّل من انتهى إليه منهم شيطان بن حجر، فأخذ منهم بكرة ووسمها، فإذا الناقة للعداء بن حجر أخيه وكان أخوه قد أوهم حين أخرجها وكان اسمها شذرة وظنّها غيره، فقال العداء: هذه ناقتي؛ فقال أخوه: صدق فأطلقها وخذ غيرها، فاتّهمه زياد بالكفر ومباعدة الاسلام، فمنعهما عنها وقال: صارت في حقّ الله، فلجأ في أخذها فقال لهما زياد: لا تكوننّ «شذرة» عليكم كالبسوس. فنادى العداء: يا آل عمرو أأضام واضهد، إنّ الذليل من أكل في داره. ونادى حارثة بن سراقة بن معد يكرب، فأقبل حارثة إلى زياد وهو واقف فقال له: أطلق بكرة الرجل وخذ غيرها. فقال زياد: ما إلى ذلك سبيل، فقال حارثة: ذاك إذا كنت يهودياً -وأطلق عقالها وبعثها وقام دونها- فأمر زياد شباباً من حضرموت والسكون فمنعوه وكتفوه وكتفوا أصحابه وأخذوا البكرة، وتصايحت كندة وغضبت بنو معاوية لحارثة وأظهروا أمرهم، وغضبت حضرموت والسكون لزياد

وتوافي عسكران عظيمان ـ إلى أن قال ـ ونهد زياد إليهم ليلاً فقتل منهم وتفرّقوا(١).

«ولا تأخذنّ عوداً» بالفتح أي: مُسِنّة. قال الجزري: في حديث حسان «قد آن لكم أن تبعثوا إلى هذا العَوَد، هو الجمل كبير مُسِنّ مدرّب فشبّه نفسه به، وفي حديث جابر «فعمدت إلى عنز لأذبحها فثغت فقال عليه السلام لا تقطع درّاً ولا نسلاً فقلت: إنّما هي عَوَدة علفناها البلح والرطب فسمنت» عود البعير والشاة إذا أسنّا(٢).

«ولا هرمة» قال ابن دريد: الهرم: بلوغ الغاية في السنّ(٣).

وفي (القاموس): ابن هرمة آخر ولد الشيخ والشيخة وشاعر(٤).

هذا، وليست جملة «ولا تأخذن عوداً ولا هرمة» في رواية الكليني والشيخين.

«ولا مكسورة» لكونها ناقصة ويجب أداء سالمة «ولا مهلوسة» قال الجوهري: الهلاس، السّل، يقال هلسه المرض(٥).

«ولا ذات عَوار» بالفتح أي: العيب. ويقال في الأمرين المكروهين «كسير وعوير وكل غير خير»(٦).

«ولا تأمننّ عليها» في إرسالك لها إليّ **«إلاّ من تثق بدينه رافقاً بمال المسلمين حتّى يوصله إلى وليّهم غير معنّف ولا مجحف»** بتقديم الجيم. قال الجوهري:

---

(١) كامل ابن الأثير ٢: ٣٧٩ سنة ١١.

(٢) النهاية ٣: ٣١٧، مادة (عود).

(٣) جمهرة اللغة ٢: ٤١٨.

(٤) القاموس المحيط ٤: ١٨٩ مادة (هرم).

(٥) صحاح اللغة ٢: ٩٨٨ مادة (هلس).

(٦) أورده الميداني في مجمع الأمثال ٢: ١٤٧.

أجحف به أي: ذهب به، وكان اسم جحفة ميقات الشام مهيعة، فأجحف السيل بأهلها فسمّيت جحفة[١] [٢].

«**ولا ملغب**» قال الجوهري: ألغبته أي: انصبته[٣].

«**ولا متعب ثمّ احدر الينا**» والأصل في الحدر ارسال السفينة إلى أسفل، وهنا كناية عن الإسراع، فالإرسال إلى أسفل يحصل سريعاً.

«**ما اجتمع عندك نصيّره حيث أمر الله**» هكذا في (المصرية)، والصواب: «أمر الله به» كما في ابن أبي الحديد وابن ميثم[٤] و(الخطية)، أي: من موارد الصدقات.

«**فإذا أخذها أمينك فأوعز إليه**» قال الجوهري: أوعزت إليه في كذا وكذا أي: تقدمت، وكذلك» وعّزت إليه توعيزاً، وقد يخفف فيقال وعزت إليه وعزاً[٥].

«**ألا يحول بين ناقة وبين فصيلها**» الفصيل ولد الناقة إذا فصل عن أُمه .

«**ولا يمصّر لبنها**» قال ابن السكيت: المصر: حلب كلّ ما في الضرع[٦] «**فيضر ذلك بولدها**» فيضعف فيموت.

في (أدب كاتب الصولي): قال الحجاج يوماً للدهاقين -وقد اجتمعوا عنده- كم كان عمر يجبي السواد؟ قالوا مائة ألف ألف درهم. قال: فكم جباه زياد؟ قالوا مائة ألف ألف. قال: فكم نجبيه نحن اليوم؟ قال: ثمانين ألف ألف. فقال: لِمَ ذلك؟ فقال له دهقان الفلوجيين: هذا كلّه لبيتين قاله شاعركم ابن

---

(١) صحاح اللغة ٤: ١٣٣٥، مادة (جحف).

(٢) اسقط الشارح هنا: «ويقسمه بينهم» ولا توكل بها إلا ناصحاً شفيقاً وأميناً حفيظاً.

(٣) صحاح اللغة ١: ٢٢٠ مادة (لغب).

(٤) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١٥: ١٥٢، وشرح ابن ميثم ٤: ٤١١ نحو المصرية.

(٥) صحاح اللغة ٢: ٨٩٨ مادة (وعز).

(٦) نقله عنه لسان العرب ٥: ١٧٥ مادة مصر.

حلزة. قال: وما هما؟ قال: قوله:

لا تكسع الشول بأغبارها إنّك لا تدري من الناتج

وأصبب لأضيافك ألبانها فانّ شرّ اللبن الوالج

فاستعمل عمّالكم هذا فخربت الدنيا.

ومعنى البيتين أنّ العرب كانت إذا أخصبت عاماً لم تستقصِ الحلب وتركت في الضروع بقية وكسعت الضروع بالماء البارد ليترادّ اللبن فيكون أقوى لظهورها، فان كان في العام المقبل جدب كان فيها فضل وقوّة حتى لا ينقطع اللبن، فقال هذا الشاعر «لا تكسع الشول» وهي النوق «بأغبارها» وهي بقايا ألبانها «إنّك لا تدري من الناتج» أي: لعلّه أن يغار عليك فتؤخذ أو تموت فيأخذها الوارث، أي: يعمل العمّال هذا وأخذوا العاجل ولم يعمروا للطعام المقبل فنقص الخراج لذلك[1].

«ولا يجهدنّها ركوباً وليعدل بين صواحباتها في ذلك وبينها» وقد عرفت أن رواية (الكافي) «ولا يجهد بها ركوباً وليعدل بينهنّ في ذلك»[2].

«وليرفه» أي: يجعل الرفاهية **«على اللاغب»** الذي حصل له التعب والإعياء **«وليستأنّ»** أي: ينتظر **«بالنقب»** أي: بعير رقّت أخفافه **«والظالع»** أي: بعير غمز في مشيه.

«وليوردها» الماء **«ما تمرّ به من الغُدُر»** جمع الغدير، قدر من الماء يغادره السيل. وفي (الصحاح): ويقال الغدير فعيل بمعنى فاعل لأنّه يغدر بأهله، أي: ينقطع عند شدّة الحاجة إليه، قال الكميت:

---

(١) أدب الكتاب: ٢٢٠ والنقل بتصرف يسير.

(٢) الكافي ٣: ٥٣٧.

ومن غدره نبزه الأولون إذ لقبوه الغدير الغديرا[(١)]

«**ولا يعدل بها عن نبت الأرض إلى جوادّ**» بتشديد الدال من الجدد جمع الجادّة الأرض الغليظة «**الطرق وليروّحها**» أي: يجعل لها راحة أو يردّها إلى المراح «**في الساعات**» أي: ساعات الترويح. وفي رواية (الكافي) «في الساعة التي فيها تريح وتغبق»[(٢)].

ثم إنّ ابن إدريس جعل «تعنق» في (الكافي) بالعين والنون، من العنق أي: السير الشديد للابل، فقال: معناه لا يعدل بهن عن نبت الأرض الى جوادّ الطرق في الساعات التي لها فيها راحة ولا في الساعات التي عليها فيها مشقة، وبعضهم صحّفه فقرأه «تغبق» بالغين المعجمة والباء من الغبوق، وهو الشرب بالعشي[(٣)].

قلت: لا معنى لما قال، فإذا كان لا يعدل بها عن النبت في ساعة الراحة وفي ساعة الشدّة فأيّ ساعة تسير، وأيضاً الأعناق لا يحصل في النبت بل في الجادة.

«**وليمهلها عند النطاف**» جمع النطفة الماء الصافي قلّ أو كثر «**والأعشاب**» جمع العشب: الكلاء الرطب «**حتى تأتينا**» هكذا في (المصرية وابن ميثم)، ولكن في (ابن أبي الحديد والخطية) «حتى يأتينا بها»[(٤)] «**باذن الله**» أي: بتقديره «**بدناً**» بضم الدال وسكونه، أي: سمان «**منقيات**» ذات نقى أي: مخّ «**غير متعبات ولا مجهودات**» جهد دابته إذا حمل عليها فوق طاقتها «**لنقسّمها على كتاب الله وسنّة نبيه**» على الأصناف المستحقين.

---

(١) صحاح اللغة ٢: ٧٦٧، مادة (غدر).

(٢) الكافي ٣: ٥٣٧.

(٣) السرائر لابن إدريس: ١٠٨.

(٤) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١٥: ١٥١ وشرح ابن ميثم ٤: ٤١١ نحو المصرية.

«فإنّ ذلك» أي: رعيك ما ذكرت لك «**أعظم لأجرك وأقرب لرشدك إن شاء الله**» ليست كلمة «إن شاء الله في نسخة (ابن ميثم)[١].

٢
الكتاب (٦٠)

ومن كتاب له عليه السلام إلى العمال الذين يطأ الجيش عملهم:

مِنْ عَبْدِ اللهِ عَلِيّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَنْ مَرَّ بِهِ الْجَيْشُ مِنْ جُبَاةِ الْخَرَاجِ وَعمَّالِ الْبِلاَدِ، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي قَدْ سَيَّرْتُ جُنُوداً هِيَ مَارَّةٌ بِكُمْ إِنْ شَاءَ اللهُ وَقَدْ أَوْصَيْتُهُمْ بِمَا يَجِبُ لِلهِ عَلَيْهِمْ مِنْ كَفِّ الْأَذَى وَصَرْفِ الشَّذَى، وَأَنَا أَبْرَأُ إِلَيْكُم وَإِلَى ذِمَّتِكُمْ مِنْ مَعَرَّةِ الْجَيْشِ، إِلَّا مِنْ جَوْعَةِ الْمُضْطَرِّ لَا يَجِدُ عَنْهَا مَذْهَباً إِلَى شِبَعِهِ، فَنَكِّلُوا مَنْ تَنَاوَلَ مِنْهُمْ ظُلْماً عَنْ ظُلْمِهِمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَ سُفَهَائِكُمْ عَنْ مُضَادَّتِهِمْ وَالتَّعَرُّضِ لَهُمْ فِيمَا اسْتَثْنَيْنَاهُ مِنْهُمْ، وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِ الْجَيْش، فَارْفَعُوا إِلَيَّ مَظَالِمَكُمْ وَمَا عَرَاكُمْ مِمَّا يَغْلِبُكُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَا لَا تُطِيقُونَ دَفْعَهُ إِلَّا بِاللهِ وَبِي، فانا أُغَيِّرُهُ بِمَعُونَةِ اللهِ إِنْ شَاءَ.

أقول: رواه نصر بن مزاحم في (صفينه) هكذا: فقال وفي حديث عمر أيضاً باسناده ان علياً عليه السلام كتب إلى امراء الأجناد ـ بعد البسملة: أما بعد، فإنّي أبرأ إليكم وإلى أهل الذمّة من معرّة الجيش إلّا من جوعة إلى شبعة، ومن فقر إلى غنى، أو عميً إلى هدى، فإنّ ذلك عليهم، فاعزلوا الناس عن الظلم والعدوان، وخذوا على أيدي سفهائكم، واحترسوا أن تعملوا أعمالاً لا يرضى الله بها عنّا فيردّ علينا وعليكم دعانا، فإن الله تعالى يقول: ﴿قل ما يعبؤ بكم ربّي لولا دعاؤكم فقد كذّبتم فسوف يكون لِزاماً﴾[٢]، فانّ الله إذا مقت قوماً من السماء

---

(١) توجد الكلمة في شرح ابن ميثم ٤: ٤١١.

(٢) الفرقان: ٧٧.

هلكوا في الأرض، فلا تألوا أنفسكم خيراً، ولا الجند حسن السيرة، ولا الرعية معونة، ولا دين الله قوة، وأبلوه في سبيله ما استوجب عليكم، فإنّ الله قد اصطنع عندنا وعندكم ما نشكره بجهدنا وأن ننصره ما بلغت قوّتنا، ولا قوّة إلّا بالله.

وفي كتابه أيضاً: وكتب عليه السلام إلى جنوده يخبرهم بالذي لهم والذي عليهم: من عبد الله عليّ أمير المؤمنين، أما بعد فإنّ الله جعلكم في الحقّ جميعاً سواء أسودكم وأحمركم، وجعلكم من الوالي وجعل الوالي منكم بمنزلة الوالد من الولد وبمنزلة الولد من الوالد، الذي لا يكفيهم منعه إيّاهم طلب عدوّه والتهمة به ما سمعتم وأطعتم وقضيتم الذي عليكم، وإنّ حقّكم عليه إنصافكم والتعديل بينكم والكفّ عن فيئكم، فإذا فعل ذلك معكم، وجبت عليكم طاعته بما وافق الحقّ ونصرته على سيرته والدفع عن سلطان الله، فانّكم وزعة الله في الأرض تكونوا له أعواناً ولدينه أنصاراً، ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها إن الله لا يحبّ المفسدين[1].

قول المصنف: «يطأ الجيش عملهم» هكذا في (المصرية)، والصواب: «يطأ عملهم الجيش» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)، وفي نسخة الأول «الجيوش»[2].

قوله عليه السلام **«من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى من مرّ به الجيش من جباة الخراج»** الجباة: جمع الجابي، والأصل في معناه الجمع، قال تعالى: ﴿يُجْبَى إليه ثمرات كلّ شيء﴾[3]، والخراج كالخرج: الأتاوة.

---

(١) وقعة صفين: ١٢٥ ـ ١٢٦.

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٧: ١٤٧، لكن لفظ شرح ابن ميثم ٥: ١٩٨ نحو المصرية.

(٣) القصص: ٥٧.

«وعمّال البلاد» أي: حكّامها.

«أما بعد فإنّي قد سيّرت جنوداً» إلى العدو **«هي مارة بكم إن شاء الله»** لكونكم في طريقهم **«وقد أوصيتهم بما يجب لله عليهم، من كفّ الأذى وصرف الشذى»** أي: الشر، يقال آذيت وأشذيت.

في (العقد): حبس مروان -وكان والي المدينة من قبل معاوية- غلاماً من بني ليث في جناية جناها، فأتته جدّة الغلام أُم سنان المذحجية فكلّمته في الغلام، فأغلظ لها، فخرجت إلى معاوية، فقال لها: ما أقدمك أرضنا وقد عهدتك تشتميننا وتحضّين علينا عدوّنا، قالت: ان لبني عبد مناف أخلاقاً طاهرة، وان أولى الناس باتباع ما سنّ آباؤه لأنت.

قال: نحن كذلك، فكيف قولك:

عــزب الرقــاد فــمقلتي لا تــرقد	والليل يـصدر بـالهموم ويـورد
يــا آل مـذحج لا مـقامَ فشـمّروا	إن العــــدو لآلِ أحــــمدَ يــقصد
هــــذا عــــلي كــالهلال تــحفّه	وسط السماء من الكواكب أسعد
خـير الخـلائق وابـن عـمّ مـحمّد	إن يــهدكم بـالنور مـنه تـهتدوا
مازال مذ شـهد الحـروب مـظفّراً	والنـصر فـوق لوائـه مـا يـفقد

قالت: كان ذلك، وأرجوا أن تكون لنا خَلَفاً. فقال رجل من جلسائه: كيف وهي القائلة:

أما هلكت أبا الحسـين فـلم تـزل	بـالحقّ تـعرف هـادياً مـهديّا
فاذهب عليك صلاة ربّك ما دعت	فـوق الغـصون حـمامة قـمريّا
قـد كـنت بـعد مـحمّد خَـلَفاً كـما	أوصَـى إليك بـنا فكـنت وفـيّا

فقالت: لسان صدق وقول نطق، ولئن تحقّق ما ظنّنا فحظّك الأوفر، والله ما ورّثك الشنآن في قلوب المسلمين إلّا هـؤلاء، فأدحض مقالتهم وأبعد منزلتهم -إلى أن قالت- إنّ مروان تبنك بالمدينة تبنك من لا يريد البراح منها،

لا يحكم بعدل ولا يقضي بسُنَّة، يتتبع عثرات المسلمين ويكشف عورات المؤمنين[١].

«وأنا ابرأ إليكم والى ذمّتكم من معرّة الجيش» أي: إثمهم وشرّهم.

برئ عليه السلام من معرّتهم كما برئ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من معرّة عمل خالد بن الوليد ببني جذيمة، حيث غدر بهم فآمنهم فوضعوا السلاح فأمر بهم فكُتّفوا ثم عرضهم على السيف فقَتَل من قَتَل منهم، فلما انتهى الخبر إلى النبي رفع يديه إلى السماء وقال -كما في تاريخ الطبري- اللّهم إنّي ابرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد. ثم دعا علياً عليه السلام وقال له: أُخرج إلى هؤلاء، وبعث معه مالاً فودي لهم الدماء، وما أصيب من الأموال، حتّى أنّه ليدي ميلغة الكلب، فلما فرغ قال لهم: هل بقي لكم دم أو مال لم يودَ إليكم؟ قالوا: لا. قال: فإنّي أعطيكم هذه البقية -وقد كان بقي من مال معه بقية- احتياطاً للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مما لا أعلم ولا تعلمون، فأعطاهم، ثم رجع إلى النبيّ فأخبره بما فعل، فقال صلى الله عليه وآله وسلم له: أصبت وأحسنت. ثم قام النّبيّ فاستقبل القبلة قائماً شاهراً يديه حتى أنّه ليُرى بَيَاض ما تحت منكبيه وهو يقول «اللّهم إنّي أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد -ثلاث مرات»[٢].

«إلّا من جوعة المضطر لا يجد عنها» أي: عن جوعته «مذهباً» أي: مسلكاً وحيلة «إلى شبعه» قال تعالى -بعد ذكر حرمة الميتة والدم ولحم الخنزير وما أُهلّ لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردّية والنّطيحة ومأكول السبع والمذبوح على النصب ومستقسم الأزلام- ﴿فمن اضطرَّ في مخمصة غير متجانف لإثم فإنّ الله غفورٌ رحيمٌ﴾[٣].

---

(١) العقد الفريد ١: ٢٩٦، والنقل بتلخيص.

(٢) تاريخ الطبري ٢: ٣٤١، سنة ٨، والنقل بتصرف يسير.

(٣) المائدة: ٣.

«فنكلوا» أي: دافعوا «من تناول» أي: أخذ «منهم شيئاً» هكذا في (المصرية) وليس «شيئاً» في (ابن ميثم وابن أبي الحديد والخطية)[1]، فالكلمة زائدة «ظلماً» مفعول مطلق لقوله «تناول» «عن ظلمهم» متعلق بقوله «فنكلوا».

هذا، وفي (تأريخ الطبري): كان هرمز بن انوشروان ذا نيّة في الإحسان إلى الضعفاء والمساكين والحمل على الأشراف، فأبغضوه ـ وبلغ من عدله أنّه كان يسير إلى مياه ليصيف، فأمر فنودي في مسيره ذلك في جنده، وسائر من كان في عسكره أن يتحاموا مواضع الحروث ولا يضرّوا بأحد من الدهاقين فيها ويضبطوا دوابّهم عن الفساد فيها، ووكل بتعاهد ما يكون في عسكره من ذلك ومعاقبة من تعدّى أمره، وكان ابنه كسرى ابرويز، فعار مركب من مراكبه ووقع في محرثة كانت في طريقه، فرتع فيها وأفسد منها، فأخذ ذلك المركب ودفع إلى من وكله هرمز بمعاقبة من أفسد دابّته شيئاً من المحارث وتغريمه، فلم يقدر الرجل على إنفاذ أمر هرمز في كسرى ولا في أحد ممن كان معه في حشمه، فرفع ما رئى من إفساد ذلك المركب إلى هرمز، فأمر أن يجدع أُذنيه ويبتر ذنبه ويغرم كسرى، فخرج الرجل لينفذ أمره في كسرى ومركبه، فدس له كسرى رهطاً من العظماء ليسألوه التغبيب في أمره فلم يجب إليه، فسألوه أن يؤخّر أمره في المركب حتى يكلّموا هرمز، فقبل، فلقوه وأعلموه أنّ بالمركب الذي أفسد ما أفسد زعارة وأنّه عارٍ، فوقع في محرثة فأخذ من فوره وان في تبتيره سوء الطَيرة على كسرى، فلم يجِبْهم إلى ما سألوه من ذلك، وأمر بالمركب فجدع أذناه وبتر ذنبه وغرّم كسرى مثل ما كان يغرّم غيره في هذا الحدّ، ثم ارتحل من معسكره.

وفيه أيضاً: كان هرمز ركب ذات يوم في أوان ايناع الكرم إلى ساباط

---

(١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٧: ١٤٧، لكن في شرح ابن ميثم ٥: ١٩٨ نحو المصرية.

المدائن، وكان ممره على بساتين وكروم، وإنّ رجلاً ممّن ركب معه من أساورته اطّلع في كرم فرأى فيه حصرماً فأصاب منه عناقيد ودفعها إلى غلام كان معه وقال له: إذهب بها إلى المنزل، واطبخها بلحم واتخذ منها مرقة، فانها نافعة في هذا الوقت، فأتاه حافظ ذاك الكرم فلزمه وصرخ، فبلغ إشفاق الرجل من عقوبة هرمز أن دفع إلى الحافظ منطقة محلّاة بذهب كانت عليه عوضاً له من الحصرم الذي رزأ من كرمه، ورأى ان قبول الحافظ للمنطقة بدون رفع أمره إلى هرمز من منّه عليه.

وفيه: رفع الهرابذة إلى هرمز قصّة يبغون فيها على النصارى، فوقّع فيها كما أنّه لا قوام لسرير ملكنا بقائمتيه المقدمتين دون قائمتيه المؤخرتين فكذلك لا قوام لملكنا ولا ثبات له مع استفسادنا من في بلادنا من النصارى، وأهل سائر المخالفة لنا، فاقصروا عن البغي عنهم وواظبوا على البر بهم، ليرى ذلك النّصارى وغيرهم من أهل الملل فيحمدوكم عليه وتتوق أنفسهم الى ملّتكم[١].

«**وكفّوا أيدي سفهائكم عن مضادتهم والتعرض لهم فيما استثنيناه منهم**» من جوعة المضطر «**وأنا بين أظهر الجيش**» وقوتهم مني «**فارفعوا إليّ مظالمكم**» من الجيش «**وما عراكم**» أي: غشيكم «**مما يغلبكم من أمرهم**» «**ومالا**» هكذا في (المصرية) والصواب: «ولا» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٢] «**تطيقون دفعه إلّا بالله وبي**».

في (العقد) ـ في قصة في وفود سودة الهمدانية على معاوية ـ قالت له: لا يزال يقدم علينا من عندك من يحصدنا حصد السنبل ويدوسنا دياس البقر،

(١) تاريخ الطبري ١: ٥٨٤ و ٥٨٥، والنقل بتصرف يسير.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ١٤٧، وشرح ابن ميثم ٥: ١٩٨.

ولولا الطاعة لكان فينا عزّ ومنعة. فقال: تهدديني بقومك؟ لقد هممت أن أردك إلى بسر ـ وكانت قَدِمَت في الشكاية منه ـ فسكتت ثم قالت:

صلّى الإله على روح تضمّنه ... قبر فأصبح فيه العدل مدفونا

قد حالف الحقّ لا يبغي به ثمناً ... فصار بالحقّ والإيمان مقروناً

قال: ومن ذلك؟ قالت: علي بن أبي طالب عليه السلام، أتيته يوماً في رجل ولّاه صدقاتنا، فكان بيننا وبينه الغثّ والسمين، فوجدته قائماً يصلّي، فانفتل من الصلاة ثم قال برأفة: ألك حاجة؟ فأخبرته فبكى ثم رفع يديه إلى السماء فقال: انّي لم آمرهم بظلم خلقك، ثمّ أخرج من جيبه قطعة من جراب فكتب «قد جاءتكم بيّنة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا النّاس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين * بقيّة الله خير لكم إن كنتم مؤمنين * وما أنا عليكم بحفيظ»(١) إذا أتاك كتابي هذا فاحتفظ بما في يديك، حتى يأتي من يقبضه منك. فقال لها معاوية: لقد لمظكم ابن أبي طالب الجرأة على السلطان(٢).

«فأنا اغيّره بمعونة الله إن شاء» هكذا في (المصرية)، وفيها زيادة ونقيصة، والصواب: «أغيّره بمعونة الله إن شاء الله» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)(٣) وكذا (الخطية).

٣
الكتاب (٥٠)

ومن كتاب له عليه السلام إلى أمرائه على الجيوش:

من عبد الله عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين إلى أصحاب المسالح،

---

(١) هذا خلط بين آية (الأعراف: ٨٥) وآيتي (هود: ٨٥ و ٨٦).

(٢) العقد الفريد ١: ٢٩١ والنقل بتصرف يسير.

(٣) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٧: ١٤٧، لكن في شرح ابن ميثم ٥: ١٩٨ نحو المصرية.

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ عَلَى الْوَالِي أن لا يُغَيِّرَهُ عَلَى رَعِيَّتِهِ فَضْلٌ نَالَهُ وَلَا طَوْلٌ خُصَّ بِهِ، وَأَنْ يَزِيدَهُ مَا قَسَمَ اللهُ لَهُ مِنْ نِعَمِهِ دُنُوّاً مِنْ عِبَادِهِ وَعَطْفاً عَلَى إِخْوَانِهِ. أَلَا وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدِي أَلَّا أَحْتَجِزَ دُونَكُمْ سِرًّا إِلَّا فِي حَرْبٍ، وَلَا أَطْوِيَ دُونَكُمْ أَمْراً إِلَّا فِي حُكْمٍ، وَلَا أُؤَخِّرَ لَكُمْ حَقًّا عَنْ مَحَلِّهِ، وَلَا أَقِفَ بِهِ دُونَ مَقْطَعِهِ؛ وَأَنْ تَكُونُوا عِنْدِي فِي الْحَقِّ سَوَاءً. فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ وَجَبَتْ لِلّهِ عَلَيْكُمُ النِّعْمَةُ وَلِي عَلَيْكُمُ الطَّاعَةُ وَأَلَّا تَنْكِصُوا عَنْ دَعْوَةٍ وَلَا تُفَرِّطُوا فِي صَلَاحٍ، وَأَنْ تَخُوضُوا الْغَمَرَاتِ إِلَى الْحَقِّ، فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَسْتَقِيمُوا عَلَى ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِمَّنِ اعْوَجَّ مِنْكُمْ، ثُمَّ أُعْظِمُ لَهُ الْعُقُوبَةَ وَلَا يَجِدُ عِنْدِي فِيهَا رُخْصَةً، فَخُذُوا هَذَا مِنْ أُمَرَائِكُمْ، وَأَعْطُوهُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مَا يُصْلِحُ اللهُ بِهِ أَمْرَكُمْ.

أقول: رواه نصر بن مزاحم في (صفينه) فقال: كتب علي عليه السلام إلى امراء الجنود «بسم الله الرحمن الرحيم، من عبدالله علي أمير المؤمنين، أما بعد فإنّ حقّاً على الوالي أن لا يغيّره على رعيته أمر ناله ولا أمر خصّ به، وان يزيده ما قسم الله له دنواً من عباده وعطفاً عليهم. ألا وإن لكم عندي ألّا احتجز دونكم سرّاً إلّا في حرب ولا أطوي لكم أمراً إلّا في حكم، ولا أؤخّر لكم حقّاً عن محله، ولا أرزؤكم شيئاً، وأن تكونوا عندي في الحقّ سواء. فإذا فعلت ذلك وجبت عليكم النصيحة والطاعة. فلا تنكصوا عن دعوتي، ولا تفرطوا في صلاح دينكم من دنياكم، وأن تنفذوا لما هو لله طاعة ولمعيشتكم صلاح، وأن تخوضوا الغمرات الى الحقّ ولا يأخذكم في الله لومة لائم. فإنْ أبيتم أن تستقيموا لي على ذلك لم يكن أحد أهون عليّ ممّن فعل ذلك، ثم أُعاقبه عقوبة لا يجد عندي فيها هوادة، فخذوا هذا من أمرائكم وأعطوهم من أنفسكم

ما يصلح الله أمركم. والسلام. ونقل عن أمالي الشيخ[١].

«من عبد الله علي بن أبي طالب أمير المؤمنين» هكذا في (المصرية) أخذاً عن (ابن أبي الحديد)، والذي وجدت فيه «من عبد الله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب». وكيف كان ففي (ابن ميثم) «من عبد الله علي أمير المؤمنين»[٢].

«إلى أصحاب المسالح» جمع المسلحة، ثغر أعدّ فيه الأسلحة، وقالوا أدنى مسالح فارس إلى العرب؛ العذيب.

«أما بعد فإن حقاً على الوالي» أي: واجباً عليه «ألا يغيّره على رعيته» الذين هم تحت رعيه «فضل ناله» من الرياسة «وطَول» بالفتح «خُصّ به» دون الرعيّة من القدرة.

«وأن يزيده ما قسم الله له من نعمه دنواً» أي: اقتراباً «من عباده» شكراً لنعمه «وعطفاً» أي: إشفاقاً، ومنه «العطفة» خرزة تؤخذ بها النساء الرجال «على إخوانه» في الدين.

«ألا وإنّ لكم عندي» من الحق «ألا احتجز» أي: امتنع «دونكم سرّاً إلّا في حرب» لترتّب المفاسد على كشفه بفهم العدو المقاصد.

وفي (تأريخ الطبري): كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قلّما يخرج في غزوة إلّا كنّى عنها وأخبر أنّه يريد غير الذي يصمد له، إلّا ما كان من غزوة تبوك، فانّه بيّنها للناس لبعد الشُّقة وشدّة الزمان، فكان النّبيّ تهيّأ لذلك في شدّة من الحرّ وجدب من البلاد، وحين طابت الثمار وأحبّت الظلال، فأخبرهم أنّه يريد الروم ليتأهب الناس لذلك أهبته[٣].

---

(١) وقعة صفين: ١٠٧، وأمالي أبي علي الطوسي ١: ٢٣١ جزء ٨.

(٢) كذا في شرح ابن ميثم ٥: ١٢٧، لكن في شرح ابن أبي الحديد ١٧: ١٦ نحو المصرية.

(٣) تاريخ الطبري ٢: ٣٦٦ و ٣٦٧ سنة ٩ والنقل بتصرف يسير.

وفيه -في فتح مكة- خرج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى مكة، فقائل يقول يريد قريشاً، وقائل يقول يريد هوازن، وقائل يقول يريد ثقيفاً، وبعث إلى القبائل فتخلّفت عنه ولم يعقد الألوية ولم ينشد الرايات حتّى قَدِمَ قديداً، فلقيته بنو سليم على الخيل والسلاح التام، وقد كان عيينة لحق النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بالعرج في نفر من أصحابه ولحقه الأقرع بن حابس بالسقيا، فقال للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : والله ما أرى آلة الحرب ولا تهيئة الإحرام فأين تتوجّه؟ فقال النبي: حيث شاء الله. ثم دعا النبيّ ان تعمى عليهم الأخبار -الخ[1]-.

«ولا أطوي» الطي: ضد النشر «دونكم أمراً إلّا في حكم» فإنّه إلى الإمام.

في (الفقيه): قال الصادق عليه السلام : إذا كان الحاكم يقول لمن عن يمينه، ولمن عن يساره، ما تقول وما ترى؟ فعلى ذلك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ألّا يقوم من مجلسه ويجلسهما مكانه، وإنّ رجلاً نزل بعليّ عليه السلام فمكث عنده أياماً، ثم تقدّم إليه في حكومة لم يذكرها لعليّ، فقال عليه السلام له: اخصم أنت؟ قال: نعم. قال: تحول عنّا، فان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم نهى أن يضاف الخصم إلّا ومعه خصمه[2].

هذا، ورووا أن امرأة جاءت إلى عمر فقالت له: إنّ زوجي يصوم النهار ويقوم الليل، وإنّي أكره أن أشكوه، وهو يعمل بطاعة الله، فقال: نعم الزوج زوجك -فجعلت تكرر عليه القول وجعل يكرّر الجواب- فقال له كعب بن سور: إنّها تشكو زوجها في مباعدته إيّاها عن فراشه، ففطن عمر حينئذٍ وقال له: وقد ولّيتك الحكم بينهما، فقال كعب: عليّ بزوجها، فأُتي به فقال له: إنّ امرأتك هذه تشكوك، قال: في طعام أو شراب. قال: لا -إلى أن قال- بعد حكم

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ٣٣٠ سنة ٨.

(٢) الفقيه ٣: ٧ ح ٢ و ٣.

كعب بجعل ليلة لامرأته وثلاث ليال لعبادته من حل اربع نساء له لكل امرأة ليلة ـ فقال له عمر: والله ما أعلم من أيّ أمريك أعجب، أمِنْ فهمك أمرها أم من حكمك بينهما؟ اذهب فقد ولّيتك قضاء البصرة[١].

ويقال للرجل: لا نعلم من أي أمريك نعجب أمن تصدّيك خلافة المسلمين مع عدم فهمك الموضوعات العرفية فضلاً عن الأحكام الشرعية، أم من تسمية أصحابك لك الفاروق مع مقامك هذا؟

«ولا أؤخر لكم حقاً عن محلّه» بل أوصل إليكم الحقّ عند حلوله عطاء أو غيره.

«ولا أقف به دون مقطعه» بل أقطع الحقّ وأفصله ولا أقف به أخلّيه بحاله، كبعض الحكام الذين يدعون المتخاصمين في الخصومة.

وممّا شرحنا يظهر سقوط قول ابن أبي الحديد أنّ المراد بقوله «حقّاً» العطاء وبضميره الحكم[٢].

«وأن تكونوا عندي في الحقّ سواء» شريفكم ووضيعكم، وتفضيل الشريف على الوضيع من بِدْعِ الثاني، فإن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إنّما سوّى بينهما.

وكان الشريف والوضيع سواء عنده في أخذ الحقّ منه وله، وفي إجراء حكم الله تعالى عليه، فجلد عليه السلام النّجاشي لمّا شرب مع كونه شاعره ومادحه، فلحق بمعاوية ولم يبالِ عليه السلام بذلك، بخلاف المتقدّمين عليه، فرَوَوْا عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: خلا عمر لبعض شأنه وقال أمسك عليَّ الباب، فطلع الزبير فكرهته حين رأيته، فأراد أن يدخل فقلت: هو على حاجة، فلم يلتفت إلي وأهوى ليدخل فوضعت يدي في صدره، فضرب أنفي فأدماه ثمّ رجع، فدخلت على

(١) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ١٢: ٤٦.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ١٧.

عمر فقال: من فعل بك؟ قلت: الزبير. فأرسل إليه فجاء، فقمت لأنظر ما يقول له، فقال؛ ما حملك على ما صنعت أدميتني للناس؟ فقال الزبير يحكيه ويمططه: ادميتني للناس، اتحتجب عنّا يا ابن الخطاب؟ فقال كالمعتذر: إنّي كنت في بعض شأني ـ فلما سمعته يعتذر إليه يئست من أن يأخذ لي بحقي، وخرج الزبير[١].

«فإذا فعلت ذلك» ما ذكر من قوله عليه السلام «وإنّ لكم عندي إلّا أحتجز دونكم سراً ـ إلى قوله ـ وأن تكونوا عندي في الحقّ سواء».

«وجبت للّه عليكم النعمة» يعني يظهر لكم مصداق قوله تعالى في ولايتي واستخلاف النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لي: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾[٢].

«ولي عليكم الطاعة» فيه إشارة إلى قوله تعالى فيه: ﴿إنّما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾[٣] والى قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فيه ـ بعد تقرير الناس بكونه أولى بهم من أنفسهم ـ «من كنت مولاه فعليّ مولاه»[٤].

كما إنّ في كلامه عليه السلام إشارة الى أنّ طاعة المتقدّمين عليه لم تكن واجبة على الناس لعدم اتصافهم بما ذَكَرَ، وإنّ ولايتهم على النّاس لم تكن نعمة من الله تعالى، بل نقمة وكلمة عذاب حقت عليهم.

ومن الغريب أنّ الثاني قال لابن عباس: أتدري ما منع الناس عنكم؟ قال:

---

(١) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ١٢: ٤٥.

(٢) المائدة: ٣.

(٣) المائدة: ٥٥.

(٤) هذا حديث الغدير المتواتر أخرجه جمع كثير منهم ابن عساكر بطرق جمّة في ترجمة علي عليه السلام ٢: ٥ ـ ٩٠ ح٥٠٣ ـ ٥٩٣.

لا، قال: كرهت قريش أن تجتمع لكم النبوّة والخلافة فتجحفوا الناس جخفاً، فنظرت قريش لأنفسها فاختارت ووفقت فأصابت! فقال له ابن عباس: أما قولك «إنّ قريشاً كرهت» فان الله تعالى قال لقوم ﴿ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم﴾[1]. وأما قولك «أنا كنّا نجخف» فلو جخفنا بالخلافة جخفنا بالقرابة، ولكنّا قوم أخلاقنا مشتقة من خلق الرسول، الذي قال تعالى له ﴿وإنّك لعلى خلقٍ عظيم﴾[2] وقال له ﴿واخفض جناحك لمن اتّبعك من المؤمنين﴾[3] وأما قولك «إن قريشاً اختارت» فان الله تعالى يقول ﴿وربّك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخِيَرة﴾[4] وقد علمت أن الله تعالى اختار من خلقه لذلك من اختار، فلو نظرت قريش من حيث نظر الله لها لوفقت وأصابت[5]، «وان لا تنكصوا» بالكسر والضم، أي لا ترجعوا «عن دعوة» فما دعوتكم إليه يجب عليكم إجابتي.

«ولا تفرطوا» فرط فرطاً وفرّط تفريطاً، أي: قصّر وضيّع «في صلاح وأن تخوضوا الغمرات» أي: الشدائد «إلى الحقّ» أي: في سبيله وإجرائه.

وفي (تأريخ الطبري): خرج عمّار في صفين إلى الناس وقال: اللّهم إنّك تعلم لو أعلم أنّ رضاك في أن أقذف بنفسي في هذا البحر لفعلته، وإنّي لا أعلم اليوم عملاً هو أرضى لك من جهاد هؤلاء الفاسقين، ولو أعلم أنّ عملاً من الأعمال هو أرضى لك منه لفعلته[6].

---

(١) محمد: ٩.

(٢) ن: ٤.

(٣) الشعراء: ٢١٥.

(٤) القصص: ٦٨.

(٥) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ١٢: ٥٢، والطبري في تاريخه ٣: ٢٨٨ سنة ٢٣.

(٦) تاريخ الطبري ٤: ٢٦ سنة ٣٧.

وفيه: بلغ حكيم بن جبلة ما صنع أهل الجمل بعثمان بن حنيف؛ وغدر طلحة والزبير به، فقال: لست أخاف الله إن لم أنصره، فجاء في جماعة من عبد القيس وبكر بن وائل، فقال له ابن الزبير: مالك يا حكيم؟ قال: نريد أن تخلّوا عثمان بن حنيف، فيقيم في دار الإمارة على ما كتبتم بينكم حتى يقدم عليّ عليه السلام، والله لو أجد أعواناً عليكم أخبطكم بهم ما رضيت بهذه منكم حتّى أقتلكم بمن قتلتم، ولقد أصبحتم وأنّ دماءكم لنا حلال بمن قتلتم من إخواننا. أما تخافون الله تعالى، بِمَ تستحلّون سفك الدماء؟ قال: بدم عثمان بن عفان. قال: فالذين قتلتموهم قتلوا عثمان؟ اما تخافون مقت الله؟ فقال ابن الزبير: لا نخلّي سبيل ابن حنيف حتى يخلع عليّاً. قال حكيم: اللّهم إنّك حكم عَدْل فاشهد! وقال لأصحابه: إنّي لست في شكّ من قتال هؤلاء فمن كان في شكّ فلينصرف، وقاتلهم حكيم وضرب رجل ساق حكيم فقطعها، فأخذ حكيم ساقه فرماه بها فأصاب عنقه فصرعه ووقذه، ثم حبا إليه فقتله واتّكأ عليه، فمرّ به رجل فقال: مَنْ قتلك؟ قال: وسادتي هذه ـ الخبر[1] ـ.

وفيه أيضاً: أنّ محمد بن أبي بكر جعل كنانة بن بشر على مقدّمته في قتال عمرو بن العاص الذي بعثه معاوية لأخذ مصر وقتل محمد، فجعل كنانة لا تأتيه كتيبة من كتائب أهل الشام إلّا شدّ عليها بمن معه ـ إلى أن قال ـ واجتمع عليه أهل الشام من كلّ جانب، فلما رأى ذلك نزل عن فرسه ونزل أصحابه وهو يقول: ﴿وما كان لنفسٍ أن تموت إلّا بأذن الله كتاباً مؤجّلاً ومن يرد ثواب الدّنيا نؤتِهِ منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤتِهِ منها وسنجزي الشاكرين﴾[2]،

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٤٨٧ و ٤٨٨ سنة ٣٦ والنقل بتصرف يسير.

(٢) آل عمران: ١٤٥.

وضاربهم بسيفه حتى استشهد[1].

«**فان أنتم لم تستقيموا على ذلك، لم يكن أحد أهون عليّ ممّن أعوجّ منكم، ثم أعظّم له العقوبة، ولا يجد عندي فيها رخصة**» روى الطبري عن يزيد بن طلحة قال: لمّا أقبل علي بن أبي طالب عليه السلام من اليمن ليلقى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بمكة في حجّته الوداع تعجّل إلى النبيّ واستخلف على جنده الذين معه رجلاً من أصحابه، فعمد ذلك الرجل فكسا رجالاً من القوم حُلَلاً من البزّ الذي كان مع عليّ عليه السلام ، فلمّا دنا جيشه خرج علي ليلقاهم فإذا هم عليهم الحُلَل، فقال: ويحك ما هذا؟ قال: كسوت القوم ليتجمّلوا به إذا قَدِمُوا في النّاس. فقال: ويلك! إنزع من قبل أن تنتهي إلى النبيّ، فانتزع عليّ عليه السلام الحُلَل من الناس وردّها في البزّ، وأظهر الجيش شكاية لما صنع بهم!

وعن أبي سعيد الخدري قال: شكا الناس علي بن أبي طالب، فقام النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فينا خطيباً فسمعته يقول: يا أيّها الناس لا تشكوا عليّاً، فوالله انّه لأخشن في ذات الله ـ أو في سبيل الله[2].

«**فخذوا هذا من أمرائكم، وأعطوهم من أنفسكم ما يصلح الله به أمركم**» يعني احملوا أمراءكم على أن يتّصفوا بما وصفت ثمّ أطيعوهم كما شرحت، ولذا كان معاوية يقول للناس: عوّدكم ابن أبي طالب الجرأة على السلطان!

٤
الكتاب (٥١)

ومن كتاب له عليه السلام إلى عماله على الخراج:

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى أصحاب الخراج . أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ مَنْ

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٧٨ سنة ٣٨ والنقل بتصرف يسير.

(٢) تاريخ الطبري ٢: ٤٠١ و ٤٠٢ سنة ١٠ .

لَمْ يَحْذَرْ مَا هُوَ صَائِرٌ إِلَيْهِ لَمْ يُقَدِّمْ لِنَفْسِهِ مَا يُحْرِزُهَا، وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا كُلِّفْتُمْ يَسِيرٌ وَأَنَّ ثَوَابَهُ كَثِيرٌ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيما نَهَى اللهُ عَنْهُ مِنَ الْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ عِقَابٌ يُخَافُ لَكَانَ فِي ثَوَابِ اجْتِنَابِهِ مَا لَا عُذْرَ فِي تَرْكِ طَلَبِهِ. فَأَنْصِفُوا النَّاسَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ وَاصْبِرُوا لِحَوَائِجِهِمْ، فَإِنَّكُمْ خُزَّانُ الرَّعِيَّةِ وَوُكَلَاءِ الْأُمَّةِ وَسُفَرَاءُ الْأَئِمَّةِ، وَلَا تُحْسِمُوا أَحَداً عَنْ حَاجَتِهِ وَلَا تَحْبِسُوهُ عَنْ طَلِبَتِهِ، وَلَا تَبِيعُنَّ لِلنَّاسِ فِي الْخَرَاجِ كُسْوَةَ شِتَاءٍ وَلَا صَيْفٍ وَلَا دَابَّةً يَعْتَمِلُونَ عَلَيْهَا وَلَا عَبْداً، وَلَا تَضْرِبُنَّ أَحَداً سَوْطاً لِمَكَانِ دِرْهَمٍ، وَلَا تَمَسُّنَّ مَالَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ مُصَلٍّ ولَا مُعَاهَدٍ إِلَّا أَنْ تَجِدُوا فَرَساً أَوْ سِلَاحاً يُعْدَى بِهِ عَلَى أَهْلِ الْاسْلَامِ، فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَدَعَ ذَلِكَ فِي أَيْدِي أَعْدَاءِ الْاسْلَامِ فَيَكُونَ شَوْكَةً عَلَيْهِ، وَلَا تَدَّخِرُوا أَنْفُسَكُمْ نَصِيحَةً وَلَا الْجُنْدَ حُسْنَ سِيرَةٍ وَلَا الرَّعِيَّةَ مَعُونَةً وَلَا دِينَ اللهِ قُوَّةً، وَأَبْلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ مَا اسْتَوْجَبَ عَلَيْكُمْ، فَإِنَّ اللهِ سُبْحَانَهُ قَدِ اصْطَنَعَ عِنْدَنَا وَعِنْدَكُمْ أَنْ نَشْكُرَهُ بِجُهْدِنَا وَأَنْ نَنْصُرَهُ بِمَا بَلَغَتْ قُوَّتُنَا، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا باللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

أقول: ورواه نصر بن مزاحم في (صفينه) أيضاً مع زيادة ونقيصة، فقال: وكتب عليّ عليه السلام إلى امراء الخراج من عبدالله عليّ أمير المؤمنين إلى أمراء الخراج، أما بعد فإنّه من لم يحذر ما هو صائر إليه لم يقدّم لنفسه ولم يحرزها، ومن اتّبع هواه وانقاد له على ما لا يعرف نفع عاقبته عمّا قليل ليصبحنّ من النّادمين، ألا وإنّ أسعد الناس في الدنيا من عدل عمّا يعرف ضرّه، وإنّ أشقاهم من اتّبع هواه، فاعتبروا، واعلموا أنّ لكم ما قدّمتم من خير وما سوى ذلك وددتم لو أنّ بينكم وبينه أمداً بعيداً ويحذّركم الله نفسه والله رؤف ورحيم بالعباد، وإنّ عليكم ما فرطتم فيه، وإنّ الذي طلبتم ليسير وإنّ ثوابه لكبير، ولو لم يكن في ما نهى عنه من الظلم والعدوان عقاب يخاف كان في ثوابه ما لا عذر

لأحد بترك طلبته، فارحموا تُرحموا ولا تعذّبوا خلق الله ولا تكلّفوهم فوق طاقتهم، وأنصفوا النّاس من أنفسكم واصبروا لحوائجهم، فانكم خزّان الرعيّة لا تتخذنّ حجاباً، ولا تحجبنّ أحداً عن حاجته حتى ينهيها إليكم، ولا تأخذوا أحداً بأحد إلّا كفيلاً عمّن كفل عنه، وأصبروا أنفسكم على ما فيه الاغتباط، وإيّاكم وتأخير العمل ودفع الخير، فانّ في ذلك الندم. والسلام.

وروى نصر ذيل العنوان من قوله «ولا تدّخروا» الخ في كتابه عليه السلام إلى امراء الأجناد هكذا: فلا تدّخروا أنفسكم خيراً، ولا الجند حسن سيرة، ولا الرعيّة معونة، ولا دين الله قوّة، وأبلوه في سبيله ما استوجب عليكم، فإنّ الله قد اصطنع عندنا وعندكم ما نشكره بجهدنا، وأن ننصره ما بلغت قوّتنا ولا قوة إلّا بالله[1].

«أما بعد: فان من لم يحذر ما هو صائر إليه لم يقدّم لنفسه ما يحرزها» فتكون عاقبته أن يقول: يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله.

«واعلموا أنّ ما كلّفتم يسير» ﴿ما جعل عليكم في الدّين من حرج﴾[2].

«وإنّ ثوابه كثير» ﴿فلا تعلم نفس ما أُخفي لهم من قرّة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾[3].

«ولو لم يكن فيما نهى الله عنه من البغي والعدوان» «من البغي والعدوان» بيان لما نهى الله عنه.

«عقاب يخاف لكان في ثواب اجتنابه ما لا عذر في ترك طلبه» أي: طلب ما نهى الله عنه وترك طلبه بالكّف عنه ﴿وأمّا من خاف مقام ربّه ونهى

---

(١) وقعة صفين: ١٠٨ و ١٢٥.

(٢) الحج: ٧٨.

(٣) السجدة: ١١.

النّفس عن الهوى * فإنّ الجنّة هي المأوى﴾[١].

وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام: فيما ناجى الله تعالى به موسى: يا موسى ما تقرّب إليّ المتقربون بمثل الورع عن محارمي، فإنّي أُبيحهم جنّات عدن لا أشرك معهم أحداً[٢].

«فأنصفوا الناس من أنفسكم» قال الصادق عليه السلام: أشد ما فرض الله على خلقه إنصاف الناس من نفسك، ومواساتك أخاك، وذكر الله في كلّ موطن لا بقراءة الأذكار بل بذكره تعالى، إذا هجمت على طاعة بفعلها أو على معصية بتركها[٣].

«واصبروا لحوائجهم، فانّكم خزّان الرعيّة ووكلاء الأُمّة وسفراء الأئمّة» فالصبر لقضاء حوائج الناس واجب على كلّ متمكن لا سيما ولاة الأُمور، فإنّه يؤكد فيهم بما ذكره عليه السلام من كونهم الخزّان والوكلاء والسفراء.

«ولا تحسموا» في (المصرية) بالسين، ونقله (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[٤] «ولا تحشموا» بالشين، أي: لا تُغضبوا أو لا تُخجلوا.

«أحداً عن حاجته ولا تحبسوه عن طلبته» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: ايّما مؤمن مشى في حاجة أخيه فلم يناصحه فقد خان الله تعالى ورسوله[٥].

وعن الباقر عليه السلام: أيّما مسلم أتى مسلماً زائراً أو طالب حاجة، وهو في منزله، فاستأذن له، ولم يخرج إليه لم يزل في لعنة الله تعالى حتى يلتقيا[٦].

---

(١) النازعات: ٤٠ و ٤١.

(٢) الكافي ٢: ٨٠ ح٣.

(٣) رواه الكليني في الكافي ٢: ١٤٥ ح٨ والنقل بالمعنى.

(٤) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٧: ١٩، لكن في شرح ابن ميثم ٥: ١٣٠ نحو المصرية.

(٥) الكافي ٢: ٣٦٢ و ٣٦٣ ح٢ و ٤ و ٦.

(٦) الكافي ٢: ٣٦٥ ح٤.

وعن الرضا عليه السلام: كان في زمن بني إسرائيل أربعة من المؤمنين، فأتى الواحد الثلاثة وهم مجتمعون في منزل أحدهم في مناظرة بينهم، فقرع الباب فخرج إليه الغلام فقال: أين مولاك؟ فقال: ليس هو في البيت، فرجع الرجل ودخل الغلام فقال له: من كان الذي قرع الباب؟ قال: كان فلان، فقلت له: لستَ في المنزل، فلم يُلَمْ المولى غلامه ولا اغتمّ باقيهم لرجوعه، وأقبلوا في حديثهم، فبكّر إليهم الرجل من الغد وكانوا خرجوا يريدون ضيعة لأحدهم فسلّم عليهم وقال: انا معكم، فقالوا: نعم، ولم يعتذروا إليه ـ وكان الرجل محتاجاً ضعيف الحال ـ فلما كانوا في بعض الطريق إذا غمامة قد أظلّتهم، فظنّوا أنّه مطر فبادروا فلما استوت الغمامة على رؤوسهم إذا مناد ينادي من جوف الغمامة: أيّتها النّار خذيهم، فأنا جبرئيل رسول الله. فإذا نار من جوف الغمامة قد اختطفت الثلاثة وبقي الرجل مرعوباً يعجب مما نزل بالقوم ولا يدري السبب، فرجع إلى المدينة فلقي يوشع بن نون، فأخبره بما رأى وما سمع، فقال له يوشع: أما علمت أنّ الله تعالى سخط عليهم بعد أن كان راضياً عنهم، وذلك لفعلهم معك! قال: وما فعلهم؟ فحدّثه يوشع فقال: أنا أجعلهم في حلّ؛ فقال: لو كان قبل هذا لنفعهم فأمّا الساعة فلا، وعسى أن ينفعهم بعد[1].

«ولا تبيعنّ للناس في الخراج كسوة شتاء ولا صيف» لاستثناء الكسوة «ولا دابّة يعتملون عليها» فدابة العمل مستثناة «ولا عبداً» عطف على كسوة، كدابّة.

«ولا تضربن أحداً سوطاً لمكان درهم» يقول ليس عندي.

«ولا تمسنّ مال أحد من النّاس» غير ما يجب عليهم «مصلّ» أي: مسلم يصلّي «ولا معاهد» يهودي أو نصراني أو مجوسي في ذمّة المسلمين.

هذا، وعن كتاب (افتراق هاشم وعبد شمس) لابن أبي رؤبة: كان

---

(١) الكافي ٢: ٦٤ ح ٢، والنقل بتصرف يسير.

بنو أُميّة يأخذون الجزية ممّن أسلم من أهل الذمّة، ويقولون هؤلاء فرّوا من الجزية، ويأخذون الصدقة من الخيل، وربما دخلوا دار الرجل قد نفق فرسه أو باعه، فإذا أبصروا الآخية قالوا: قد كان ها هنا فرس فهاتَ صدقتها. وكانوا يبيعون الرجل في الدِّين يلزمه، ويرون انّه يصير بذلك رقيقاً، كان معن أبو عمير بن معن الكاتب حرّاً مولى لبني العنبر، فبيع في دَين عليه فاشتراه أبو سعيد بن زياد بن عمرو العتكي، وباع الحجّاج علي بن بشر بن الماحوز لكونه قتل رسول المهلّب على رجل من الأزد، وكانوا يختمون في أعناق المسلمين كما توسم الخيل علامة لاستعبادهم، ونقشوا أكفّ المسلمين علامة لاسترقاقهم كما يصنع بالعلوج من الروم والحبشة، وبايع مسلم بن عقبة أهل المدينة كافة ـ وفيها بقايا الصحابة وأولادها وصلحاء التابعين ـ على أنّ كلّاً منهم عبد قِنّ ليزيد إلّا علي بن الحسين عليه السلام ـ الخ[١] ـ.

وهل كان فعلهم ما فعلوا إلّا بتأسيس المتقدّمين عليه عليه السلام لهم ذلك، كما لا يخفى على من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. وقد أقرّ بذلك خالهم ووليّ ثالثهم في كتابه إلى محمّد بن أبي بكر[٢].

«**إلّا أن تجدوا فرساً أو سلاحاً يعدى به**» أي: يتجاوز به «**على أهل الاسلام، فانّه لا ينبغي للمسلم أن يدع ذلك في أيدي أعداء الإسلام فيكون شوكة**» واحدة شوك الشجر «**عليه**» هكذا في (المصرية وابن أبي الحديد)، وعليه فالضمير راجع إلى الإسلام، ولكن في (ابن ميثم) «عليهم» وعليه فالضمير راجع إلى أهل الاسلام[٣].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٥: ٢٤١ و ٢٤٢.

(٢) رواه ابن مزاحم في وقعة صفين: ١١٩، والمسعودي في مروج الذهب ٣: ١١، والبلاذري في أنساب الأشراف ٢: ٣٩٦، وغيرهم.

(٣) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١٧: ١٩، وشرح ابن ميثم ٥: ١٣ «عليه».

«**ولا تدّخروا أنفسكم نصيحة، ولا الجند حسن سيرة، ولا الرعيّة معونة، ولا دين الله قوّة**» قد عرفت من رواية نصر أنّ هذه الفقرات الأربع ممّا كتبه عليه السلام إلى امراء الأجناد لا الخراج، وهو الحقّ فإنّها تناسبهم.

«**وأبلوا**» أي: أعطوا كقول جرير:

فأبلى أمير المؤمنين أمانة وأبلاه صدقاً في الأمور الشدائد

وقول زهير «وأبلاهما خير البلاء الذي يبلو»[1]، والأصل فيه الاختبار والامتحان، أي: إفعلوا فعلاً تظهرون اختباركم وامتحانكم.

«**في سبيل الله**» هكذا في (المصرية)، والصواب: «في سبيله» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[2].

«**ما استوجب**» أي: وجب «**عليكم فان الله سبحانه قد اصطنع عندنا وعندكم**» أي: أنعم على كلّ منّا بما وجب علينا «**أن نشكره بجهدنا**» أي: بقدر طاقتنا وإلّا فلم يقدر أحد أن يشكره حقّ شكره.

«**وأن ننصره بما بلغت به قوتنا**» حيث لا يكلّف الله نفساً إلّا وسعها «**ولا قوّة إلا بالله**» في شكره ونصره «**العلي العظيم**» هكذا في (المصرية) أخذاً عن (ابن أبي الحديد) وليسا في (ابن ميثم)[3].

٥
الكتاب (٢٦)

ومن عهد له عليه السلام إلى بعض عماله وقد بعثه على الصدقة:

آمُرُهُ بِتَقْوَى ٱللهِ فِي سَرَائِرِ أَمْرِهِ وَخَفِيَّاتِ عَمَلِهِ، حَيْثُ لا شاهِدَ غَـيْرُهُ

---

(١) أورد الأوّل أساس البلاغة: ٣٠ مادة (بلو)، والأخير لسان العرب ١٤: ٨٤ مادة (بلا).

(٢) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١٧: ١٩، وشرح ابن ميثم ٥: ١٣١ نحو المصرية.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٢٠، وشرح ابن ميثم ٥: ١٣١.

ولا وَكِيلَ دُونَهُ، وَآمُرُهُ أَلّا يَعْمَلَ بِشَيْءٍ مِنْ طَاعَةِ ٱللهِ فِيما ظَهَرَ فَيُخَالِفَ إِلَى غَيْرِهِ فِيما أَسَرَّ، وَمَنْ لَمْ يَخْتَلِفْ سِرُّهُ وَعَلاَنِيَتُهُ وَفِعلُهُ وَمَقَالَتُهُ فَقَدْ أَدَّى الأَمَانَةَ وَأَخْلَصَ العِبادَةَ، وَآمُرُهُ أنْ لَّا يَجْبَهَهُمْ وَلَا يَعْضَهَهُمْ وَلَا يَرْغَبَ عَنْهُمْ تَفَضُّلاً بِالإمَارَةِ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّهُمُ ٱلْاخْوَانُ فِي الدِّينِ وَالأعْوَانُ عَلَى ٱسْتِخْرَاجِ ٱلْحُقُوقِ، وَإِنَّ لَكَ فِي هَذِهِ الصَّدَقَةِ نَصِيباً مَفْرُوضاً وَحَقًّا مَعْلُوماً، وَشُرَكَاءَ أَهْلَ مَسْكَنةٍ وَضُعَفَاءَ ذَوِي فَاقَةٍ، وَإِنَّا مُوَفُّوكَ حَقَّكَ فَوَفِّهِمْ حُقُوقَهُمْ، وَإِلَّا فَإِنَّكَ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ خُصُوماً يَوْمَ ٱلْقِيامَةِ، وَبُؤْساً لِمَنْ خَصْمُهُ عِنْدَ ٱللهِ ٱلْفُقَرَاءُ وَالمَساكِينُ وَالسَّائِلُونَ وَالمَدْفُوعُونَ وَٱلْغارِمُونَ وَٱبْنُ السَّبِيلِ، وَمَنِ ٱسْتَهانَ بالأَمَانَةِ وَرَتَعَ في ٱلْخِيانَةِ وَلَمْ يَنَزِّهْ نَفْسَهُ وَدِينَهُ عَنْها، فَقَدْ أَحَلَّ بِنَفْسِهِ فِي ٱلدُّنْيا الذُّلَّ وَٱلْخِزْيَ، وَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَذَلُّ وَأَخْزَى، وَإِنَّ أَعْظَمَ ٱلْخِيانَةِ خِيانَةُ الأُمَّةِ وَأَفْظَعَ ٱلْغِشِّ غِشُّ الأَئِمَّةِ. وَالسَّلاَمُ.

قول المصنف: «ومن عهد له عليه السلام الى بعض عمّاله وقد بعثه على الصدقة» المراد به مخنف ابن سليم الأزدي، أبو جدّ أبي مخنف لوط بن يحيى بن سعيد الإخباري كما رواه القاضي النعمان في (دعائمه)[1].

قوله عليه السلام «آمره بتقوى الله في سرائر أمره» هكذا في (المصرية)، والصواب: «أموره» كما في (ابن ميثم والخطية)[2].

«وخفيّات عمله» هكذا في (المصرية)، والصواب: «أعماله» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[3].

---

(١) دعائم الاسلام ١: ٢٥٢.

(٢) لفظ شرح ابن ميثم ٤: ٤١٥ «أمره».

(٣) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١٥: ١٥٨، وشرح ابن ميثم ٤: ٤١٥ «عمله».

«حيث لا شاهد» هكذا في (المصرية) والصواب: «لا شهيد» كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم والخطية)[١] «غيره» من البشر، فلا ينافي شهود المَلَكَين ﴿إذ يتلقّى المتلقّيان عن اليمين وعن الشمال قعيدٌ * ما يلفِظ من قولٍ إلّا لديه رقيب عتيد﴾[٢] فالمَلَكان منه وقبله ﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾[٣].

«ولا وكيل دونه» حتى أنبيائه ﴿الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل﴾[٤] ﴿وما جعلناك عليهم حفيظاً وما أنت عليهم بوكيل﴾[٥].

ثم إنّ قوله ﷺ: «حيث لا شهيد غيره ولا وكيل دونه» ظرف لقوله «بتقوى الله» كقوله «في سرائر أمره وخفيات عمله»، فقول ابن أبي الحديد يعني حيث لا شهيد ولا وكيل دونه يوم القيامة[٦] خطأ.

«وآمره أن لا يعمل بشيء من طاعة الله فيما ظهر، فيخالف إلى غيره فيما أسر» كما عليه كثير من الناس بل أكثرهم.

وفي (المروج): يحكى أنّه ورد على الرشيد يوماً كتاب صاحب البريد بخراسان ـ ويحيى بن خالد بن يديه ـ يذكر فيه أنّ الفضل بن يحيى يتشاغل بالصيد وإدمان اللذات عن النظر في أُمور الرعية، فلمّا قرأه الرشيد رمى به ليحيى وقال له: يا ابت اقرأ هذا الكتاب، واكتب إليه كتاباً يردعه عن مثل هذا، فمد يده إلى دواة الرشيد وكتب الى الفضل على ظهر كتاب صاحب البريد:

---

(١) كذا في شرح ابن ميثم ٤: ٤١٦، لكن في شرح ابن أبي الحديد ١٥: ١٥٨ نحو المصرية.

(٢) ق: ١٧ ـ ١٨.

(٣) ق: ١٦.

(٤) الشورى: ٦.

(٥) الأنعام: ١٠٧.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ١٥: ١٥٩.

حفظك الله يا بني وأمتع بك! قد انتهى إلى الخليفة ما أنت عليه من التشاغل بالصيد ومداومة اللذات عن النظر في أُمور الرعية ما أنكره، فعاود ما هو أزين بك، فإنّه من عادِ إلى ما يزيّنه ويشيّنه لم يعرفه أهل دهره إلّا بـه، والسلام. وكتب في أسفله هذه الأبيات:

انصب نهاراً في طلاب العلا واصبر على فقد لقاء الحبيب

حتّى إذا الليل بدا مقبلاً واستترت فيه وجوه العيوب

فبادر الليل بما تشتهي فإنّما الليل نهار الأريب

كم من فتى تحسبه ناسكاً يستقبل الليل بأمر عجيب

ألقى عليه الليل أستاره فبات في لهو وعيش خصيب

ولذّة الأحمق مكشوفة يسعى بها كلّ عدوّ رقيب

والرشيد ينظر إلى ما يكتب يحيى فلما فرغ قال له: أبلغت يا أبتِ؟ فلما ورد الكتاب على الفضل لم يفارق المسجد نهاراً إلى أن انصرف عن عمله[1].

«**ومن لم يختلف سرّه وعلانيته وفعله ومقالته فقد أدّى الأمانة**» والواجب عليه أداؤها «**وأخلص العبادة**» الواجب الإخلاص فيها.

«**وآمره أن لا يجبههم**» جبهه: صك جبهته «**ولا يعضههم**» عضهه: رماه بالبهتان «**ولا يرغب عنهم تفضلاً بالإمارة عليهم**» كان عليه السلام نفسه كذلك، فلما وصفه ضرار الضبابي لمعاوية قال له فيما قال: وكان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سألنا ويبتدئنا إذا سكتنا، ونحن مع تقريبه لنا أشدّ ما يكون صاحب لصاحب هيبة، لا نبتدؤه بالكلام لعظمته ـ الخ[2] ـ.

---

(١) مروج الذهب ٣: ٣٦٨ و ٣٦٩.

(٢) رواه الحلبي في التذييل على نهج البلاغة، عنه شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٢٢٥، وابن عبد البر في الاستيعاب ٣: ٤٣، وأبو نعيم في حلية الأولياء ١: ٨٤، وغيرهم.

«فإنّهم الإخوان في الدِّين» قال تعالى: ﴿إنَّما المؤمنون إخوة﴾[١] «والأعوان على استخراج الحقوق» هذه الفقرة تشهد على أنّ المراد من قوله عليه السلام «وامره ألّا يجبههم» أعوانه الذين معه كاتبه وحاسبه وحارسه وسائقه لا من يأخذ منهم الصدقات.

«وإنّ لك» في رواية (الدعائم): «يا مخنف بن سليم إنّ لك» ـ الخ[٢] ـ.

«في هذه الصدقة نصيباً مفروضاً وحقّاً معلوماً» حيث أنّ العمال لجمع الصدقات أحد الأصناف الثمانية الذين ذكرهم الله تعالى في مصرف الزكوات فقال: ﴿إنّما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها﴾[٣] ـ الآية.

«وشركاء» باقي الأصناف «أهل» بالنصب بيان لشركاء «مسكنة» المراد بأهل مسكنة الفقراء والمساكين.

«وضعفاء ذوي فاقة» والمراد بهم «في الرقاب» و «الغارمون» و «ابن السبيل» و «في السبيل».

«وإنّا موفّوك حقّك فوفّهم حقوقهم» بأن لا تخون وتخفي مقداراً ممّا معك ولا تحمل الجميع إليّ للصرف بين أهله.

ومما بيّنا ظهر لك ما في كلام ابن أبي الحديد، الكلام دال على أنّه عليه السلام فوّض الى العامل الصّرف[٤]، فانّ الكلام ليس في ذاك المقام، بدليل قوله عليه السلام «وإنّا موفّوك حقّك» .

«وإلّا فإنّك من أكثر الناس خصوماً يوم القيامة» هكذا في (المصرية)، وفيها

---

(١) الحجرات: ١٠.

(٢) دعائم الاسلام ١: ٢٥٢.

(٣) التوبة: ٦٠.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٥: ١٦٠.

تقديم وتأخير، ففي (ابن أبي الحديد وابن ميثم) «يوم القيامة خصوماً»[(١)].

وكيف كان، فورد في علّة كون زكاة كلّ ألف خمسة وعشرين أنّ الله تعالى خلق الخلق كلّهم، فعلم صغيرهم وكبيرهم، وعلم غنيّهم وفقيرهم، فجعل من كلّ ألف إنسان خمسة وعشرين مسكيناً (فجعل في كلّ ألف درهم خمسة وعشرين درهماً) فلو علم أنّ ذلك لا يسعهم لزادهم لأنّه خالقهم وهو أعلم بهم[(٢)].

«وبؤساً» أي: حال سوء، وقال ابن أبي الحديد: قال الراوندي «بؤساً» أي: عذاباً وشدّة فظنه منوناً وليس كذلك بل هو «بؤسى» على وزن فعلى كفضلى ونعمى قال الشاعر:

أرى الحلم بؤسى للفتى في حياته ولا عيش إلا ما حباك به الجهل[(٣)]

قلت: «بؤسي» على وزن فعلي تكتب بالياء، وأما بؤساً منوّناً فتكتب بالألف، فلابد أن الراوندي رآه بالألف في النسخ الصحيحة، ويشهد له أنّ ابن ميثم نسخته بخط المصنف نقله بالألف وقال: إنّه منصوب على المصدر[(٤)]، ومن اين أنّ الشعر لم يكن «بؤساً» بالتنوين فحرّفه، مع انّ كون الشعر بلفظ «بوسي» أعمّ من الحصر، وأنّ الشعر لم يعلم قائله ولعلّه لبعض المتأخرين، فيكون الاستشهاد به غلطاً، مع أنّه لم يعلم استعمال «بوسي» منكرة بل معرفة، ففي (الصحاح) والبؤسي خلاف النعمى[(٥)]، وفي (الجمهرة) والبؤسى

---

(١) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١٥: ١٥٨، وشرح ابن ميثم ٤: ٤١٥ نحو المصرية.

(٢) أخرجه الصدوق في العلل ٢: ٣٦٩ ح١.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٥: ١٦٠، وشرح الراوندي ٣: ٦١.

(٤) شرح ابن ميثم ٤: ٤١٨.

(٥) صحاح اللغة ٢: ٩٠٤، مادة (بأس).

مثل الطوبى اشتقاقها من البؤس[١].

«**لمن خصمه عند الله الفقراء والمساكين**» اختلف في كون الفقير والمسكين أيّهما أسوأ حالاً، والصواب: الثاني كما دلّت عليه الأخبار[٢]، وقال يونس: قلت لإعرابي أفقير أنت؟ قال: بل مسكين[٣]، وأما قوله تعالى: ﴿أمّا السّفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر﴾[٤] فالمراد بالمساكين فيها، الأشخاص الذين لا حيلة لهم في أُمورهم وأهل ذلّة، كما في قولهم «مسكين ابن آدم مكتوم الأجل مكنون العلل محفوظ العمل»[٥] ـ الخ ـ.

«**والسائلون والمدفوعون**» قال ابن أبي الحديد: السائلون الرقاب، والمدفوعون في سبيل الله، لأنّه عليه السلام أراد ذكر الأصناف المذكورة في الآية إلّا «المؤلّفة» لسقوط سهمهم بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بعزّة الإسلام، فذكر العاملين في «وإنّ لك في هذه الصدقة نصيباً» وأتى بالفقراء والمساكين والغارم وابن السبيل بلفظ القرآن، فلابد أنّه عليه السلام أبدل الرّقاب وفي السبيل بالسائلين والمدفوعين، فإنّ في السبيل، فقراء الغزاة، سمّاهم مدفوعين لفقرهم، والمدفوع والمدفع الفقير، لأنّ كلّ أحد يدفعه عن نفسه[٦].

قلت: لم يقل أحد أنّ المدفوع الفقير بل المدقّع بتشديد الفاء، و «في السبيل» ليس خصوص فقراء الغزاة بل مطلق أمر الخير يكون سبيلاً إلى الله تعالى، كما أنّ «في الرقاب» المكاتب العاجز، والعبد تحت الشدّة عند مولاه،

---

(١) جمهرة اللغة ٣: ٢٧٧.

(٢) جاء أحاديث في هذا المعنى في الوسائل ٦: ١٤٣، باب ١، والمستدرك ١: ٥٢١ باب ١.

(٣) هذا خلاصة كلام يونس نقله عنه لسان العرب ١٣: ٢١٤، مادة (سكن).

(٤) الكهف: ٧٩.

(٥) رواه الشريف الرضي في نهج البلاغة ٤: ٩٨ الحكمة ٤١٩.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ١٥: ١٦١، والنقل بتصرف.

ومن أين عُلِمَ أنّه عليه السلام أراد الاستقصاء، ولم يكن ذكر عليه السلام السائلين والمدفوعين مريداً بهم الفقراء والمساكين الذين هم الأصل ولزيادة التقبيح، بحبس حقوقهم.

كما أنّ ما احتمله ابن ميثم من كون المراد بالمدفوعين العمّال، لأنهم يدفعون لجباية الصدقات[١] خطأ، فإنّ خطابه عليه السلام مع العمّال، يبيّن لهم شركاءهم الذين هم الأصل.

«**والغارم**» وهو المديون في غير المعصية «**وابن السبيل**» المسافر الذي نفدت نفقته ولا وسيلة له إلى بلده.

«**ومن استهان بالأمانة**» أي: عدّها هيّنة مع شدّتها وعظمها، فقد قال تعالى: ﴿إنّا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنّه كان ظلوماً جهولاً﴾[٢].

«**ورتع**» كبهيمة في المرتع «**في الخيانة**» وقد قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «من خان في أمانة لا يموت على ملّتي»[٣].

«**ولم ينزه نفسه ودينه عنها**» أي: عن دنس الخيانة «**فقد أحلّ بنفسه في الدنيا الذلّ والخزي**» هكذا في (المصرية)، والصواب: «فقد أذلّ نفسه في الدنيا» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)، لكن الغريب أنّ الأوّل قال في الشرح: قوله «فقد أحل بنفسه الذلّ والخزي» وقريب منه في الثاني «وهو في الآخرة أذل وأخزى» من الدنيا[٤].

---

(١) شرح ابن ميثم ٤: ٤١٨.

(٢) الأحزاب: ٧٢.

(٣) رواه في ضمن حديث طويل الصدوق في الفقيه ٤: ٢٩، وفي عقاب الأعمال: ٣٣٦.

(٤) كذا في شرح ابن ميثم ٤: ٤١٦ و ٤١٩، لكن لفظ شرح ابن أبي الحديد ١٥: ١٥٨ و ١٦٢ «فقد أحل بنفسه الذل والخزي في الدنيا».

«وإنّ أعظم الخيانة خيانة الأُمّة وأفظع الغش غش الأئمة والسلام»

بمعنى ان الخيانة مع أي مسلم عظيم جرمه، والعامل الخائن خان جميع الأُمّة والمسلمين، وغش كلّ أحد قبيح، والعامل الغاش غشّ الإمام، وخيانتهم أكبر خيانة، وغشّه أقبح غش وفي نسخة ابن ميثم «وأفظع الغبن غبن الأئمّة»[1].

٦
الكتاب (٥٩)

ومن كتاب له عليه السلام إلى الأسود بن قطيبة صاحب جند حلوان:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْوَالِيَ إِذَا اخْتَلَفَ هَوَاهُ مَنَعَهُ ذَلِكَ كَثِيراً مِنَ الْعَدْلِ، فَلْيَكُنْ أَمْرُ النَّاسِ عِنْدَكَ فِي الْحَقِّ سَوَاءً، فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي الْجَوْرِ عِوَضٌ مِنَ الْعَدْلِ، فَاجْتَنِبْ مَا تُنْكِرُ أَمْثَالَهُ وَابْتَذِلْ نَفْسَكَ فِيمَا افْتَرَضَ اللهُ عَلَيْكَ رَاجِياً ثَوَابَهُ وَمُتَخَوِّفاً عِقَابَهُ. وَاعْلَمْ أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ بَلِيَّةٍ لَمْ يَفْرُغْ صَاحِبُهَا فِيهَا قَطُّ سَاعَةً إِلَّا كَانَتْ فَرْغَتُهُ عَلَيْهِ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّهُ لَنْ يُغْنِيكَ عَنِ الْحَقِّ شَيْءٌ أَبداً، وَمِنَ الْحَقِّ عَلَيْكَ حِفْظُ نَفْسِكَ وَالاِحْتِسَابُ عَلَى الرَّعِيَّةِ بِجُهْدِكَ، فَإِنَّ الَّذِي يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ أَفْضَلُ مِنَ الَّذِي يَصِلُ بِكَ. والسلام.

أقول: وروى نصر بن مزاحم أيضاً كتاباً له عليه السلام إلى الأسود بن قطبة؛ لكن فيه غير العنوان هكذا «أما بعد، فإنّه من لم ينتفع بما وعظ لم يحذر ما هو غابر، ومن أعجبته الدنيا رضي بها وليست بثقة، فاعتبر بما مضى تحذر ما بقي، وأطبخ للمسلمين قبلك من الطلاء ما يذهب ثلثاه، وأكثر لنا من لطف الجند، واجعله مكان ما عليهم من أرزاق الجند، فان للولدان علينا حقّاً وفي

(١) لفظ نسختنا من شرح ابن ميثم ٤: ٤١٦ نحو المصرية.

الذّريّة من يخاف دعاؤه وهو لهم صالح. والسلام[١].

والظاهر كونه كتاباً آخر لهعليه السلام إليه، لا أنّ كلا منهما جزء من كتاب، حيث أنّ في كلّ منهما «والسلام».

قول المصنف: «ومن كتاب لهعليه السلام إلى الأسود بن قطيبة» هكذا في (المصرية)، والصواب: «قطبة» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[٢]، وإنّما بلفظ التصغير «قتيبة» بالتاء، لا هذا.

ثمّ إنّ ابن أبي الحديد قال: لم أقفْ على نسب الأسود بن قطبة، وقرأت في كثير من النسخ أنّه حارثي، من بني الحارث بن كعب ولم أتحقّقه، والذي يغلب على ظنّي أنّه الأسود بن زيد بن قطبة الأنصاري، ذكره أبو عمر في استيعابه قائلاً: عدّه موسى بن عقبة فيمن شهد بدراً[٣].

قلت: ما غلب على ظنّه خطأ، فانّه مبتنٍ على صحّة قول أبي عمر وكون ما في العنوان نسبة إلى الجدّ، وقول أبي عمر غير صحيح، أولاً: في كون اسم جدّه قطبة، فانّه وهم منه، لأن أبا نعيم نقله عن موسى بن عقبة «الأسود بن زيد ابن ثعلبة»، ومثله نقل أبو موسى عن موسى بن عقبة عن الزّهري، ومثلهما ذكره ابن الكلبي[٤]؛ وكونه نسبة الى الجدّ غير صحيح ثانياً، لأن الكلّ ذكروا ذاك «الأسود بن زيد» والمصنف، ونصر بن مزاحم ذكرا هذا «الأسود بن قطبة»، فالظاهر كون هذا تابعياً وذاك صحابي، ولا يبعد كونه حارثياً من بلحارث بن كعب كما نقله عن كثير من النسخ، فلابدّ أنّ من قال ذلك، وقف على نسبه.

---

(١) وقعة صفين: ١٠٦.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ١٤٥، وشرح ابن ميثم ٥: ١٩٦.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ١٤٥.

(٤) أُسد الغابة ١: ٨٥.

«صاحب جند حلوان» في (المعجم) «حلوان العراق وهي في آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد، وأما أعلى جبلها فان الثلج يسقط به دائماً. وحلوان أيضاً قرية من أعمال مصر بينها وبين الفسطاط نحو فرسخين من جهة الصعيد مشرفة على النيل. وحلوان أيضاً بليدة بقوهستان نيسابور، وهي آخر حدود خراسان مما يلي اصبهان.

والظاهر أنّ المراد: الأخير، حيث أنّ في (صفين نصر) كتب علي عليه السلام الى عمّاله ـ إلى أن قال ـ فاستعمل مخنف على إصبهان، والحرث بن أبي الحرث على همذان سعيد بن وهب ـ الخ[1] ـ.

قوله عليه السلام **«أما بعد فان الوالي إذا اختلف هواه منعه ذلك كثيراً من العدل»**.

روي في (الكافي) عن أبي جعفر عليه السلام: كان في بني إسرائيل قاضٍ يقضي بالحقّ بينهم، فلمّا حضره الموت قال لامرأته: إذا أنا متّ فاغسليني وكفّنيني، وضعيني على سريري، وغطّي وجهي، فانّك لا ترين سوء، فلما مات فعلت ذلك ثم مكثت بذلك حيناً، ثمّ كشفت عن وجهه فإذا هي بدودة تقرض منخره، ففزعت من ذلك. فلمّا كان الليل أتاها في منامها فقال لها: أفزعك ما رأيت؟ قالت: أجل، فقال: أما لئن كنتِ فزعتِ ما كان الذي رأيت، ألا في أخيك فلان، أتاني أخوك ومعه خصم له، فلما جلسا إليّ قلت: اللّهمّ اجعل الحقّ له ووجّه القضاء على صاحبه! فلما اختصما كان الحقّ معه فوجّهت القضاء له على صاحبه، فأصابني ما رأيت لموضع هواي، الذي كان مع موافقة الحقّ[2].

«فليكن أمر النّاس عندك في الحقّ سواء» روى في (الكافي) عنه عليه السلام: من

---

(١) معجم البلدان ٢: ٢٩٠ ـ ٢٩٤.

(٢) الكافي ٧: ٤١٠ ح ٢، والنقل بتصرف يسير.

ابتلي بالقضاء فليواسِ بينهم في الإشارة وفي النّظر وفي المجلس[١].

«**فانّه ليس في الجور عوض من العدل**» جاء في (الكافي) عنه عليه السلام: يد الله فوق رأس الحاكم ترفرف بالرحمة، فإذا حاف وكله الله إلى نفسه[٢].

«**فاجتنب ما تنكر أمثاله**» من غيرك «**وابتذل نفسك**» أي: امتهنها واجعلها مبتذلة كثياب البذلة، قال:

ومن يبتذل عينيه في الناس لايزل يرى حاجة محجوبة لا ينالها[٣]

«**فيما افترض الله عليك**» حتى تؤدّيه «**راجياً ثوابه**» في الجدّ في الإتيان بالفرائض «**ومتخوّفاً عقابه**» من التفريط فيه.

«**واعلم أنّ الدنيا دار بلية لم يفرغ صاحبها فيها**» هكذا في (المصرية)، وليست كلمة «فيها» في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[٤].

«**قطّ ساعة إلّا كانت فرغته عليه حسرة يوم القيامة**» ﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلةٍ وهم لا يؤمنون﴾[٥] ﴿كذلك يُريهم الله أعمالهم حسراتٍ عليهم﴾[٦] ﴿أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله﴾[٧] ﴿حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على مافرّطنا فيها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون﴾[٨].

«**وانه لن يغنيك عن الحقّ شيء أبداً**» فان الحقّ أمر واجب لا يجوز تركه

---

(١) الكافي ٧: ٤١٣ ح ٣.

(٢) الكافي ٧: ٤١٠ ح ١.

(٣) أورده أساس البلاغة: ١٨ مادة (بذل).

(٤) توجد الكلمة في شرح ابن أبي الحديد ١٧: ١٤٥، وشرح ابن ميثم ٥: ١٩٦.

(٥) مريم: ٣٩.

(٦) البقرة: ١٦٧.

(٧) الزمر: ٥٦.

(٨) الانعام: ٣١.

«ومن الحقّ عليك حفظ نفسك» عن الخطأ «والاحتساب» أي: طلب الأجر «على الرعية» أي: على معونتهم «بجهدك» أي: بقدر طاقتك.

«فإن الذي يصل إليك» من ثواب الله وجزائه «من ذلك» أي: معونة الرعية «أفضل من الذي يصل» إليهم «بك» أي: بسببك. وقال عليه السلام ـ كما جاء في (الكافي) ـ لشريح: واعلم أنّه لا يحمل الناس على الحقّ إلّا من ورّعهم عن الباطل، ثمّ واسِ بين المسلمين بوجهك ومنطقك ومجلسك، حتى لا يطمع قريبك في حيفك ولا ييأس عدوّك من عدلك، وإيّاك والتضجّر والتأذّي في مجلس القضاء الذي أوجب الله فيه الأجر ويوجب فيه الذخر لمن قضى بالحقّ[1].

٧
الكتاب (٦٧)

ومن كتاب له عليه السلام كتبه إلى قثم بن العباس وهو عامله على مكة:

أَمَّا بَعْدُ، فَأَقِمْ لِلنَّاسِ الْحَجَّ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ الله، وَاجْلِسْ لَهُمُ الْعَصْرَيْنِ فَأَفْتِ الْمُسْتَفْتِيَ وَعَلِّمِ الْجَاهِلَ وَذَاكِرِ الْعَالِمَ، وَلَا يَكُنْ لَكَ إِلَى النَّاسِ سَفِيرٌ إِلَّا لِسَانَكَ وَلَا حَاجِبٌ إِلَّا وَجْهَكَ، وَلَا تَحْجُبَنَّ ذَا حَاجَةٍ عَنْ لِقَائِكَ بِهَا، فَإِنَّهَا إِنْ ذِيدَتْ عَنْ أَبْوَابِكَ فِي أَوَّلِ وِرْدِها لَمْ تُحْمَدْ فِيما بَعْدُ عَلَى قَضَائِهَا. وَانْظُرْ إِلَى مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ مِنْ مَالِ اللهِ فَاصْرِفْهُ إِلَى مَنْ قِبَلَكَ مِنْ ذَوِي الْعِيَالِ وَالْمُجَاعَةِ، مُصِيباً بِهِ مَوَاضِعَ الْفَاقِةِ وَالْخَلَّاتِ، وَمَا فَضَلَ مِنْ ذَلِكَ فَاحْمِلْهُ إِلَيْنَا لِنَقْسِمَهُ فِيمَنْ قِبَلَنَا، وَمُرْ أَهْلَ مَكَّةَ أن لا يَأْخُذُوا مِنْ سَاكِنٍ أَجْراً، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ ﴿ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ فَالْعَاكِفُ الْمُقِيمُ بِهِ وَالْبَادِي يَحُجُّ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ، وَفَّقَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ لِمَحَابِّهِ. وَالسَّلَامُ.

---

(١) الكافي ٧: ٤١٢ ح١، والنقل بتقطيع.

قول المصنف: «إلى قثم بن العباس» في (الاستيعاب): كان قثم يشبّه بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومرّ راكباً وهو يلعب مع عبدالله بن جعفر، فأردفه خلفه، وجعل عبدالله بين يديه(١).

وفي (أُسد الغابة): عن أبي إسحاق قال عبد الرحمن بن خالد لقثم: كيف ورث عليّ النبيّ دونكم؟ فقال: إنّه كان أوّلنا لحوقاً، وأشدّنا لزوقاً(٢).

وفي (أنساب البلاذري) قال ابن عباس: سقط خاتم المغيرة في القبر حين دفن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، فقال له علي: إنّما أسقطته عمداً لتنزل فتأخذه وتقول: كنت آخر من نزل في قبر النبيّ وأقربهم عهداً به. فنزل قثم، فأخرج خاتم المغيرة، فكان قثم آخر الناس عهداً بقبر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم(٣).

«وهو عامله عليه السلام على مكة».

في (تأريخ الطبري): كان قثم عامل عليّ عليه السلام على الطائف ومكة، وما اتصل بذلك سنة (٤٠)(٤).

وفي (الاستيعاب): قال خليفة، لما ولّى علي عليه السلام الخلافة عزل خالد بن العاصي المخزومي عن مكة وولّاها أبا قتادة الأنصاري، ثم عزله، وولّى قثماً، فلم يزل والياً عليها حتى قتل عليّ عليه السلام(٥).

وبه قال المسعودي أيضاً(٦)، فما عن الزبير بن بكار من كونه عامله عليه السلام على المدينة(٧)، ساقط.

---

(١) الاستيعاب ٣: ٢٧٨ و ٢٧٦.

(٢) أُسد الغابة ٤: ١٩٨.

(٣) انساب الاشراف ١: ٥٧٧.

(٤) تاريخ الطبري ٤: ١١٩.

(٥) الاستيعاب ٣: ٢٧٧.

(٦) لم اظفر عليه في المروج.

(٧) نقله عن الزبير بن بكار ابن الأثير في أُسد الغابة ٤: ١٩٧، والنووي في التهذيب ق١ ج٢: ٥٩.

كما أنّ ما في (الاستيعاب) من أنّه قيل فيه:

عتقت من حلّي ومن رحلتي　　　يا ناق إن أدنيتني من قثم[١]

هو وهم منه، فإنّه إنّما قيل البيت في قثم بن عباس بن عبيد الله بن عباس لا هذا، قال الزبيري: قال ابن المولى فيه، وهو والي اليمامة ـ ونقل البيت ـ وكان والياً من قبل المنصور[٢].

قوله عليه السلام «أما بعد فأقم للنّاس الحجّ» في (تاريخ الطبري): حجّ قثم بالناس من قِبَل عليّ عليه السلام في سنة (٣٨)، وكان عامله على مكّة يومئذٍ، حدّثني بذلك أحمد ابن ثابت عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر[٣].

«وذكّرهم بأيام الله» هو لفظ القرآن، قال تعالى: ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا ان أخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكّرهم بأيام الله﴾[٤] قالوا: أي ذكّرهم بوقائع الله تعالى على الأُمم الماضية قوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح، وقوم لوط، وقوم شعيب، وقوم موسى، وأما قوله تعالى: ﴿قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيّام الله﴾[٥] فالظاهر أنّ المراد، لا ينتظرون أيام الله التي وقّتها لنصر المؤمنين.

«واجلس لهم العصرين» أي: الصبح والعصر، قال الشاعر:

وأمطله العصرين حتى يملّني
ويرضى بنصف الدَّين والأنف راغم[٦]

---

(١) الاستيعاب ٣: ٢٧٨.

(٢) نسب قريش: ٣٣.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ١٠٢ سنة ٣٨.

(٤) إبراهيم: ٥.

(٥) الجاثية: ١٤.

(٦) أورده لسان العرب ٤: ٥٧٦ مادة (عصر).

يعني إذا جاء غريمي صبحاً لطلب حقّه وعدته العصر، وإذا جاء العصر وعدته الصبح، حتى يملّ ويرضى بالنصف قهراً وعلى رغم أنفه.

«فأفت المستفتي» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام في كتاب علي عليه السلام: إنّ الله لم يأخذ على الجهّال عهداً بطلب العلم، حتى أخذ على العلماء عهداً ببذل العلم للجهّال، لأن العلم كان قبل الجهل[1].

«وعلّم الجاهل» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: قام عيسى عليه السلام خطيباً في بني إسرائيل فقال: لا تحدّثوا الجهّال بالحكمة فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم[2].

«وذاكر العالم» في (الكافي) عن الكاظم عليه السلام: محادثة العالم على المزابل خير من محادثة الجاهل على الزرابيّ.

وعن السجاد عليه السلام: لو يعلم الناس ما في طلب العلم، لطلبوه ولو بسفك المهج، وخوض اللّجج، إنّ الله تعالى أوحى إلى دانيال: إنّ أمقت عبيدي إليّ الجاهل المستخفّ بحقّ أهل العلم، التارك للإقتداء بهم، وان أحبّ عبيدي إليّ التقيّ الطالب للثواب الجزيل، اللازم للعلماء، التابع للحلماء، القابل عن الحكماء.

وعن الصادق عليه السلام: من تعلّم العلم، وعمل به، وعلّم لله دُعِي في ملكوت السماوات عظيماً، فقيل، تعلّم لله وعمل لله وعلّم لله.

وعن يونس رفعه قال لقمان لابنه: اختر المجالس على عينك، فإن رأيت قوماً يذكرون الله تعالى فاجلس معهم، فإن تك عالماً نفعوك، وإن تك جاهلاً علّموك، ولعلّ الله أن يظلّهم برحمة فيعمّك معهم، وإذا رأيت قوماً لا يذكرون الله فلا تجلس معهم، فان تك عالماً لم ينفعك علمك، وإن تك جاهلاً يزيدوك

---

(١) الكافي ١: ٤١ ح١.

(٢) الكافي ١: ٤٢ ح٤.

جهلاً، ولعلّ الله أن يظلّهم بعقوبة فيعمّك معهم.

وعن النبيّ ﷺ: تذاكروا، وتلاقوا، وتحدّثوا، فإنّ الحديث جلاء للقلوب، إنّ القلوب لترين كما يرين السيف، وجلاؤها الحديث.

وعنه ﷺ: إنّ الله تعالى يقول: تذاكر العلم بين عبادي ممّا تحيا عليه القلوب الميتة إذا هم انتهوا فيه إلى أمري[1].

«**ولا يكن لك إلى النّاس سفير إلّا لسانك ولا حاجب إلّا وجهك**» في (العقد): قال سعيد بن مسلم: كنت والياً بأرمينية، فغبر أبو دهمان أيّاماً ببابي، فلمّا وصل إليّ مثل قائماً بين السماطين وقال: والله انّي لأعرف أقواماً لو علموا أن سفّ التراب يقيم من أود أصلابهم لجعلوه مسكة لأرماقهم إيثاراً للتنزّه عن عيش رقيق الحواشي، أما والله لا يثنيني عنك إلّا ما يصرفك عنّي، ولئن أكون مقلاً مقرّباً أحبّ إليّ من أن أكون مكثراً مبعّداً، والله ما نسأل عملاً لا نضبطه ولا مالاً إلّا ونحن أكثر منه، وهذا الذي قد صار إليك قد كان في يد غيرك، فأمسوا والله حديثاً! ان خيراً فخير وإن شرّاً فشرّ، فتحبّب إلى عباد الله بحسن البشر، ولين الجانب وتسهيل الحجاب، فإنّ حبّ عباد الله موصول بحبّ الله وبغضهم موصول ببغضه، لأنّهم شهداء الله على خلقه ورقباؤه على من أعوجّ عن سبيله. ولبعضهم:

إذا ما أتيناه في حاجة ... رفعنا له الرقاع بالقصب

له حاجب دونه حاجب ... وحاجب حاجبه يحتجب[2]

هذا، ولأبي دلف في الإعتذار عن الحجاب في وقت عسره:

إذا كان الكريم قليل مال ... ولم يعذر تعذّر بالحجاب

---

(١) هذه الاحاديث أخرجها الكليني في الكافي ١: ٣٥ ح٥ و ٦ و ٣٩ ـ ٤١ ح١ و ٢ و ٦ و ٨.

(٢) العقد الفريد ١: ٥٣ و ٥٦ والنقل بتصرف يسير.

«ولا تحجبنّ ذا حاجة عن لقائك بها فإنّها» أي: الحاجة، والمراد ذوها «ان **ذيدت»** أي: طردت «**عن أبوابك في أوّل وردها»** أي: الحاجة أو الأبواب «**لم تحمد فيما بعد على قضائها»** كما أن صدقة يتبعها منّ وأذى لا يستحق أجراً لها.

وفي (ابن أبي الحديد): كان أبو عبّاد ثابت بن يحيى كاتب المأمون إذا سُئل حاجة يشتم السائل، ويسطو عليه، ويخجله ويبكّته ساعة، ثم يأمر له بها، فيقوم وقد صارت إليه، وهو يذمّه ويلعنه، قال علي بن جبلة العكوك:

لعن الله أبا عبّاد لعناً يتوالى

يوسع السائل شتماً ثم يعطيه السؤالا

وكان الناس يقفون لأبي عبّاد وقت ركوبه، فيتقدّم الواحد منهم إليه بقصة ليناوله إياها فيركله برجله بالركاب ويضربه بسوطه ويطير غضباً، ثم لا ينزل عن فرسه حتى يقضي حاجته ويأمر له بطلبته! فينصرف الرجل بها وهو ذام له ساخط عليه، فقال فيه دعبل:

أولى الأُمور بضيعة وفساد ... ملك يدبره أبو عبّاد

متعمّد بدواته جلساءه ... فمضرج ومخضب بمداد

وكأنّه من دير هرقل مفلت ... حرب يجر سلاسل الأقياد

فأشدد أمير المؤمنين صفاده ... فأشد منه في يد الحداد

وقال فيه بعض الشعراء:

قل للخليفة يا ابن عمّ محمّد ... قيّد وزيرك إنّه ركّال

فلسوطِهِ بين الرؤوس مسالكٌ ... ولرِجْله بين الصّدور مجال

قلت: ولبعضهم:

قد أطلنا بالباب أمس القعودا ... وجفينا به جفاء شديدا

وذممنا العبيد حتى إذا ... نحن بلينا المولى عذرنا العبيدا

ولآخر:

وكم من فتى تحمد أخلاقه وتسكن الأحرار في ذمّته
قد كثّر الحاجب أعداءه وسلّط الذم على نعمته[١]

«وانظر الى ما اجتمع عندك من مال الله فاصرفه الى من قِبَلِك من ذوي العيال والمجاعة مصيباً به مواضع الفاقة» هكذا في (المصرية)، والصواب: «المفاقر» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٢] «والخَلات» بالفتح جمع الخلة، أي: الحاجة.

«وما فضل عن ذلك فاحمله الينا لنقسّمه فيمن قِبَلَنا» أي: عندنا. أمره عليه السلام بحمل الفضل لأنّ ما دام فيهم محتاجون يصرف اليهم، قال الصادق عليه السلام: كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يقسّم صدقة أهل البوادي في أهل البوادي وصدقة أهل الحضر في أهل الحضر ولا يقسّمها بينهم بالسوية، انّما على قدر ما يحضره منهم ـ الخبر[٣] ـ.

وكان أبو بكر يلزم أهل البوادي بحمل جميع صدقاتهم إليه حتى قال «لو منعوني عقالاً قاتلتهم»[٤].

ولو أرادوا أن يمسكوها لفقرائهم حسبما سنّ لهم النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، رماهم عمّاله بالإرتداد وقتلوا رجالهم وسَبَوْا نساءهم، وكان عمر ردّ كثيراً من سبيه لمّا ولّي الأمر.

«ومرْ أهل مكة أن لا يأخذوا من ساكن أجراً، فانّ الله سبحانه يقول: ﴿سواء العاكف فيه والباد﴾[٥] فالعاكف المقيم به، والبادي الذي يحجّ إليه من غير أهله».

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٣٢٣١.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٨ : ٣٠، وشرح ابن ميثم ٥: ٢١٨.

(٣) أخرجه الكليني في الكافي ٣: ٥٥٤ ح٨، والصدوق في الفقيه ٢: ١٦ ح٢٢، والطوسي في التهذيب ٤: ١٠٣ ح٢٦.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ١: ٢٤٣ و ٢٥٤ و ٤: ١٩٦ و ٢٥٧، ومسلم في صحيحه ١: ٥١ ح٣٢ وغيرهما.

(٥) الحج: ٢٥.

في (الكافي) عن الصادق عليه السلام لم يكن لدور مكة أبواب، وكان أهل البلدان يأتون بقطرانهم فيدخلون فيضربون بها، وكان أوّل من بوّبها معاوية.

وعنه عليه السلام: إنّ معاوية أوّل من علّق على بابه مصراعين بمكة، فمنع حاجّ بيت الله ما قال تعالى: ﴿سواء العاكف فيه والباد﴾[١]، وكان الناس إذا قَدِموا مكة نزل البادي على الحاضر حتى يقضي حجّه، وكان معاوية صاحب السلسلة التي قال تعالى: ﴿ثمّ في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه * إنّه كان لا يؤمن بالله العظيم﴾[٢] وكان فرعون هذه الأُمّة[٣].

«وفقنا الله وإيّاكم لمحابّه» جمع المحبة والمحبوبة، وفي الصحاح: يقال أحبّه وحبّه، قال الشاعر:

أحبّ أبا مروان من أجل تمره ووالله لولا تمره ما حببته[٤]

(١٩)

ومن كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنّ دَهَاقِينَ أَهْلِ بَلَدِكَ شَكَوْا مِنْكَ غِلْظَةً وَقَسْوَةً وَٱحْتِقَاراً وَجَفْوَةً، وَنَظَرْتُ فَلَمْ أَرهم أَهْلاً لأنْ يُدْنَوْا لِشِرْكِهِمْ وَلَا أَنْ يُقْصَوْا وَيُجْفَوْا لِعَهْدِهِمْ، فَالْبَسْ لَهُمْ جلباباً مِنَ اللِّين تَشُوبُهُ بطَرَفٍ مِنَ الشِدَّةِ، وداوِلْ لَهُمْ بَيْنَ ٱلْقَسْوَةِ وَالرَّأفَةِ، وَٱمْزُجْ لَهُمْ بَيْنَ التَّقْرِيبِ وٱلْإِدْنَاءِ، والإبعاد والإقْصاءِ إِنْشَاءَ ٱللهُ.

أقول: الأصل فيه ما رواه اليعقوبي في (تاريخه): أنّه عليه السلام كتب إلى عمر ابن أبي سلمة: اما بعد، فان دهاقين عملك شكوا غلظتك، ونظرت في أمرهم فما

---

(١) الحج: ٢٥.

(٢) الحاقة: ٣٢ ـ ٣٣.

(٣) الكافي ٤: ٢٤٣ و ٢٤٤ ح١ و ٢، والحديث الاول عن الباقر عليه السلام.

(٤) صحاح اللغة ١: ١٠٥ مادة (حب)، ونقل الشعر بتقطيع.

رأيت خيراً، فلتكن منزلتك بين منزلتين؛ جلباب لين بطرف من الشدّة في غير ظلم ولا نقص، فإنّهم أحيونا صاغرين فخذ مالك عندهم وهم صاغرون، ولا تتخذ من دون الله وليّاً فقد قال عزّوجلّ ﴿لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا﴾[١] وقال جلّ وعزّ في أهل الكتاب ﴿لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء﴾[٢] وقال تبارك وتعالى ﴿ومن يتولهم منكم فإنّه منهم﴾[٣]، وقرعهم بخراجهم، وقابل في ورائهم، وإيّاك ودماءهم. والسلام[٤].

ونقل عن (تاريخ ابن واضح) أيضاً[٥].

قول المصنف: «ومن كتاب له عليه السلام الى بعض عمّاله» قد عرفت من رواية اليعقوبي أنّ عمر بن أبي سلمة كان ربيب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

قوله عليه السلام «**أما بعد فان دهاقين**» جمع دهقان، والظاهر كونه مركّباً من «ده» بمعنى القرية، و «القان» معرب «پان» مخفف «پاينده» بمعنى الحافظ. قال ابن دريد: الدهقان فارسي معرب ليس من «دهق» ـ الخ[٦]ـ. فقول الجوهري: إن جعلت الدِهْقان من دهق لم تصرفه لأنّه فِعْلان[٧]، في غير محله.

«**أهل بلدك**» الذي ولي عليهم، وفي (الأُسْد) استعمله علي عليه السلام على فارس والبحرين[٨].

«**شكوا منك غلظة وقسوة**» هكذا في (المصرية وابن أبي الحديد)، ولكن

---

(١) آل عمران: ١١٨.

(٢) المائدة: ٥١.

(٣) المصدر السابق.

(٤) على ما في تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٠٣، هذا كتابه عليه السلام إلى عمر بن مسلمة الارحبي.

(٥) ابن واضح هو اليعقوبي نفسه واسمه الكامل «أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح الكاتب العباسي».

(٦) جمهرة اللغة ٢: ٢٩٥.

(٧) صحاح اللغة ٥: ٢١١٧ مادة (دهقن).

(٨) أُسد الغابة ٤: ٧٩.

في (ابن ميثم والخطية) «قسوة وغلظة»[١]، والأول أحسن بقرينة قوله بعد.

«**واحتقاراً وجفوة، ونظرت فلم أرَهُم أهلاً لأن يدنوا لشركهم**» قد عرفت من رواية اليعقوبي أنّهعليه السلام استدلّ لعدم أهليتهم للإدناء بآيات ثلاث.

«**ولا أن يقصوا**» أي: يبعدوا «**ويجفوا لعهدهم**» مع المسلمين «**فالبس لهم جلباباً**» في (القاموس): هو القميص وثوب واسع للمرأة دون الملحفة أو ما تغطي به ثيابها من فوق كالملحفة أو هو الخمار[٢] «**من اللين تشوبه**» أي: تمزجه «**بطرف**» أي: مقدار «**من الشدة**».

«**وداول**» أي: أدِرْ الأمر، يقال: الله يداول الأيام بين الناس مرّة لهم ومرّة عليهم «**لهم بين القسوة والرأفة**».

«**وامزج**» أي: اخلط «**لهم بين التقريب والادناء و**» بين «**الإبعاد والإقصاء إن شاء الله**» قال ابن نباتة السعدي:

شب الرّعب بالرّهب وامزج لهم ... كما يفعل الدّهر حلواً بمرّ

---

(١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٥ : ١٣٧ لكن في شرح ابن ميثم ٤: ٣٩٨ نحو المصرية.

(٢) القاموس المحيط ١: ٤٧ مادة (جلب).

فهرس المطالب

العنوان رقم الصفحة

تتمّة الفصل التّاسع ـ في إخباره عليه السلام بالملاحم ١
العنوان ١٨ من الخطبة ١٣٦: «كأنّي به قد نعق بالشّام وفحص براياته...» ١
العنوان ١٩ من الخطبة ١٤٢: «آثروا عاجلاً وأخّروا آجلاً...» ٦
العنوان ٢٠ من الخطبة ١١٤: «أمّا والله ليسلّطنّ عليكم غلام ثقيفٍ الذّيّال...» ... ١٢
العنوان ٢١ من الخطبة ٩٦: «والله لا يزالون حتّى لا يدعو لله محرّماً إلّا استحلّوه...» ٤٦
العنوان ٢٢ من الخطبة ١٢١: «وكأنّي أنظر إليكم تكشّون الضّباب...» ٦٠
العنوان ٢٣ من الخطبة ١٥٦: «فعند ذلك لا يبقىٰ بيت مدرٍ ولا وبرٍ...» ٦٧
العنوان ٢٤ من الخطبة ١٦٤: «افترقوا بعد ألفتهم، وتشتّتوا عن أصلهم...» ٧٤
العنوان ٢٥ من الخطبة ٨٥: «حتّى يظنّ الظّانّ أنّ الدّنيا معقولةٌ على بني أُميّة...» ١٠٠
العنوان ٢٦ من الخطبة ٩١: «ألا وأنّ أخوف الفتن عندي عليكم...» ١٠٣
العنوان ٢٧ الحكمة ٤٦٤: «إنّ لبني أُميّة مروداً يجرون فيه...» ١١٨
العنوان ٢٨ من الخطبة ١٠٤: «وقد بلغتم من كرامة الله لكم منزلةٍ...» ١٢٤
ـ من الخطبة ١٠٣: «فأقسم بالله يا بني أُميّة عمّا قليل لتعرفنّها...» ١٢٤
العنوان ٢٩ من الخطبة ١٤٩: «ثمّ إنّكم معشر العرب أغراض بلايا قد اقتربت...» ١٣٢
العنوان ٣٠ من الخطبة ١٠٦: «طبيب دوّار بطبّه قد أحكم مراهمه...» ١٥٣
العنوان ٣١ الحكمة ١٠٢: «يأتي على النّاس زمانٌ لا يقرّب فيه إلّا الماحل...» ١٧٩
العنوان ٣٢ من الخطبة ١٣٦: «يعطف الهوىٰ على الهدىٰ إذا عطفوا الهدىٰ...» .. ١٨٧
العنوان ٣٣ فصل... من اختيار غريب كلامه: «فإذا كان ذلك ضرب...» ١٩٨
العنوان ٣٤ من الخطبة ١٤٨: «وأخذوا يميناً وشمالاً ظعناً في مسالك الغيّ...» ٢٠٣

العنوان ٣٥ من الخطبة ١١٤: «لو تعلمون ما أعلم ممّا طوى عنكم غيبه...» .. ٢٢٥
العنوان ٣٦ من الكتاب ١٠: «وزعمت انّك جئت ثائراً بعثمان...» ٢٢٩
العنوان ٣٧ من الخطبة ٦٩: «أمّا بعد، يا أهل العراق! فإنّما أنتم كالمرأة...» ... ٢٣٤

الفصل العاشر - في علمه عليه السلام وفي صفحه ومكارم أخلاقه ٢٤٥
العنوان ١ من الحكمة ١٤٧: «يا كميل بن زيادٍ، إنّ هذه القلوب أوعيةٌ...» ٢٤٧
العنوان ٢ الحكمة ٤٢٠: «إنّ أبصار هذه الفحول طوامح...» ٢٧٢
العنوان ٣ الحكمة ٣٧: «ما هذا الّذي صنعتموه؟...» ٢٨١
العنوان ٤ الحكمة ١٠٠: «اللّهمّ انّك أعلم بي من نفسي وأنا أعلم بنفسي منهم...» ٢٨٥
العنوان ٥ الحكمة ٨٣: «... أنا دون ما تقول، وفوق ما في نفسك...» ٢٨٥
العنوان ٦ الحكمة ١٩٤: «من أشفيٰ غيظي إذا غضبتُ؟...» ٢٨٧

الفصل الحادي عشر - في تفسيره عليه السلام لآيات ولغيرها واستشهاده بآيات .. ٢٩١
العنوان ١ الحكمة ٩٩: «إنّ قولنا (إنّا لله) إقرارٌ على أنفسنا بالملك...» ٢٩٣
العنوان ٢ الحكمة ٢٢٩: «... هي القناعة...» ٢٩٥
العنوان ٣ الحكمة ٢٣١: «... العدل: الإنصاف، والإحسان: التفضّل...» ٢٩٦
العنوان ٤ الحكمة ٤٠٤: «... إنّا لانملك مع الله شيئاً...» ٢٩٧
العنوان ٥ الحكمة ٤٣٩: «الزّهد كلّه بين كلمتين من القرآن...» ٣٠٠
العنوان ٦ الحكمة ٣٧٧: «لا تأمننّ على خير هذه الأمّة عذاب الله،...» ٣٠٢
العنوان ٧ الحكمة ١٣٥: «من أعطيٰ أربعاً لم يحرم أربعاً...» ٣٠٦

الفصل الثّاني عشر - في قضاياه عليه السلام ٣٠٩
العنوان ١ الحكمة ٢٧٠: «إنّ القرآن أنزل على النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والأموال أربعة...» ٣١١
العنوان ٢ الحكمة ٢٧١: «... أمّا هذا فهو من مال الله ولا حدّ عليه...» ٣٣٨

الفصل الثّالث عشر - في أجوبته التمثيلية وأدب السّؤال والجواب ٣٤١
العنوان ١ الخطبة ١٤١: «أيّها النّاس من عرف من أخيه وثيقة دينٍ...» ٣٤٣
العنوان ٢ الحكمة ٣٠٠: «... كما يرزقهم على كثرتهم...» ٣٤٨
العنوان ٣ الحكمة ٣٥٦: «... من حيث يأتيه أجله...» ٣٥١

العنوان ٤ الحكمة ٢٩٤: «... مسيرة يوم للشّمس...» ٣٥٤
العنوان ٥ الحكمة ٤٣٧: «... العدل يضع الأمور مواضعها...» ٣٥٥
العنوان ٦ الحكمة ٣٢٠: «... سَلْ تفقّهاً ولا تسأل تعنّتاً...» ٣٥٦
العنوان ٧ الحكمة ٨٥: «مَن تركَ قول لا أدري أُصيبت مقاتله...» ٣٥٨
العنوان ٨ الحكمة ٣٦٤: «لا تسأل عمّا لا يكون، ففي الّذي قد كان لك شغل...» ٣٦٠
العنوان ٩ الحكمة ٢٤٣: «إذا ازدحم الجواب خفي الصّواب...» ٣٦١
العنوان ١٠ الحكمة ٢٦٦: «...إذا كان الغدُ فأتني حتّى أخبرك على...» ٣٦٢

الفصل الرّابع عشر - في زهده عليه السلام وإعراضه عن الدّنيا وعدله وتواضعه وفيه ذكر الحقوق ٣٦٥
العنوان ١ من الخطبة ٢٠٩: «ما كنت تصنع بسعة هذه الدّار في الدّنيا...» ٣٦٧
العنوان ٢ من الخطبة ١٦٠: «... والله لقد رقّعت مدرعتي هذه حتّى...» ٣٨١
العنوان ٣ الحكمة ١٠٣: «... يخشع له القلب، وتذلّ به النّفس» ٣٨٦
العنوان ٤ الكتاب ٤٥: «اليك عنّي يا دنيا، فحبلكِ على غاربكِ...» ٣٨٧
العنوان ٥ من الخطبة ٣٣: «... والله لهي أحبّ إليّ من إمرتكم...» ٤٠١
العنوان ٦ الحكمة ٢٣٦: «والله لدنياكم هذه أهونُ في عيني من عراق...» ٤٠٤
العنوان ٧ من الخطبة ٧٧: «... يا دُنيا يا دُنيا إليكِ عنّي، أبِيَ تَعرّضْتِ...» ٤٠٥
العنوان ٨ الحكمة ١٠٤: «... يا نوف أراقدٌ أنتَ أم رامقٌ؟...» ٤١٧
العنوان ٩ من الخطبة ٢١٤: «أمّا بعد، فقد جعل الله لي عليكم حقّاً...» ٤٢٧
العنوان ١٠ من الخطبة ١٢٩: «أيّتها النّفوس المختلفة والقلوب المتشتّتة...» .. ٤٥٢
العنوان ١١ من الكتاب ٧٠: «أمّا بعد فقد بلغني أنّ رجالاً ممّن قبلك...» ٤٥٦
العنوان ١٢ من الكتاب ٤٥: «أمّا بعد يا ابن حنيفٍ فقد بلغني أنّ رجلاً...» ٤٦٠
العنوان ١٣ من الخطبة ١٢٤: «أتأمرونّي أن أطلب النّصر بالجور...» ٤٨٧
- من الخطبة ١٤٠: «وليس لواضع المعروف في غير حقّه...» ٤٨٨
العنوان ١٤ من الخطبة ٢٣٠: «... إنّ هذا المال ليس لي ولا لك...» ٥١٠
العنوان ١٥ من الخطبة ٢٢٢: «والله لأن أبيتُ على حسك السّعدان مسهّداً...» . ٥١٤

الفصل الخامس عشر ـ في التزامه بالحقّ والعدل وحثِّه عليهما قولاً وعملاً ٥٤٣
العنوان ١ من الكتاب ٢٥: «انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له...» ٥٤٥
العنوان ٢ من الكتاب ٦٠: «من عبدالله عليّ أمير المؤمنين إلى مَن مرّ به...» ... ٥٦١
العنوان ٣ من الكتاب ٥٠: «من عبدالله عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين...» .. ٥٦٧
العنوان ٤ من الكتاب ٥١: «من عبدالله عليّ أمير المؤمنين إلى أصحاب...» ٥٧٥
العنوان ٥ من الكتاب ٢٦: «... أمره بتقوى الله في سرائر أمره وخفيّات عمله...» ٥٨١
العنوان ٦ من الكتاب ٥٩: «أمّا بعد، فانّ الوالي إذا اختلف هواه...» ٥٨٩
العنوان ٧ من الكتاب ٦٧: «أمّا بعد، فأقم للنّاس الحجّ وذكِّرهم بأيّام الله...» .. ٥٩٣
العنوان ٨ من الكتاب ١٩: «أمّا بعد، فانّ دهاقين أهل بلدك شكوا منك...» ٦٠٠

دليل القارئ

※ ضمّ «بهج الصّباغة في شرح نهج البلاغة» (٦٠) فصلاً وزِّعت على ١٤ مجلّداً حازت تلك الفصول على أسماء خاصّة بها، وأُدرِجَت وفقاً لهيكل ارتآه المؤلّف نفسه.

※ اشتمل كلّ فصل على عدد من نصوص النّهج المُراد شرحها، كُتبت بالغامق، وانتظمت استناداً إلى ترابطها الموضوعي بعناوين مُنحت أرقاماً بارزة أعلاها تمثّل تسلسلها في الفصل، إضافة إلى رقم خاص بين قوسين يُشير إلى موقعها في النّهج.

※ قد تحتوي بعض العناوين على أكثر من نصٍّ يُراد توضيحه فتشترك نصوص العنوان برقم واحد أعلاها، ويُميَّز كلّ نصٍّ برقمه الخاص في نهج البلاغة.

※ يُبتدأ الشّرح باقتطاع كلمات أو فقرات متتالية حسب أولويّتها في النصّ ـ غالباً ـ وتُحصر بين قوسين وتُميّز بالغامق في أوّل مورد أتت به لشرحها.

※ غالباً ما يكون الشّرح لغويّاً أوّل الأمر، ثمّ يُنطلق منه إلى وقائع تأريخيّة وقصص أدبيّة معزّزة بأنواع الشّواهد شعراً ونثراً.

※ لم تُحصر النصوص المنقولة ـ من غير نهج البلاغة ـ بين قوسين لكثرتها، واكتفي لتمييز أوّلها بذكر اسم الكتاب المأخوذة منه ـ ويقع أوّل السّطر في أحيان كثيرة ـ بين قوسين، ونهايتها بهامش يُشير إلى استخراجها ويبدأ النصّ الآخر برأس سطر جديد.

※ عندما يتمّ شرح كلّ نص من العنوان يُنتقل إلى عنوان آخر يليه وفقاً لرقم تسلسله في الفصل، فتُشرح نصوصه ويُنتقل إلى عنوان بعده، وهكذا تُشرح الفصول متتابعة.

※ إنّ العبارات التي تقع بين خطّين، هي عبارات اعتراضيّة توضيحيّة.

※ أُضيف في نهاية كلِّ مجلّد فهرستٌ للخطب والكُتُب والحِكَم الواردة في ذلك المجلّد.

※ وختاماً نرجو من القراء الأعزاء أرسال ما لديهم من ملاحظات أو اقتراحات بناءة حول الكتاب. كما نعتذر عن السهو والخطأ إن وجد.

نتمنى للجميع التسديد والصواب، ومن الله الأجر والثواب

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الناشر